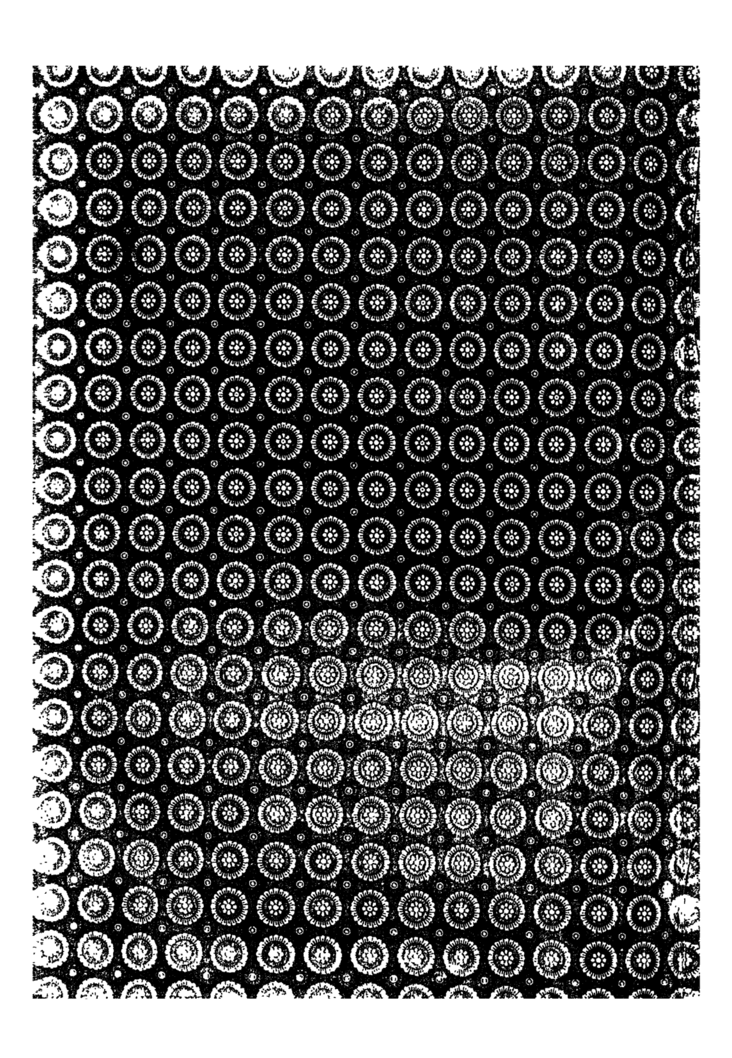
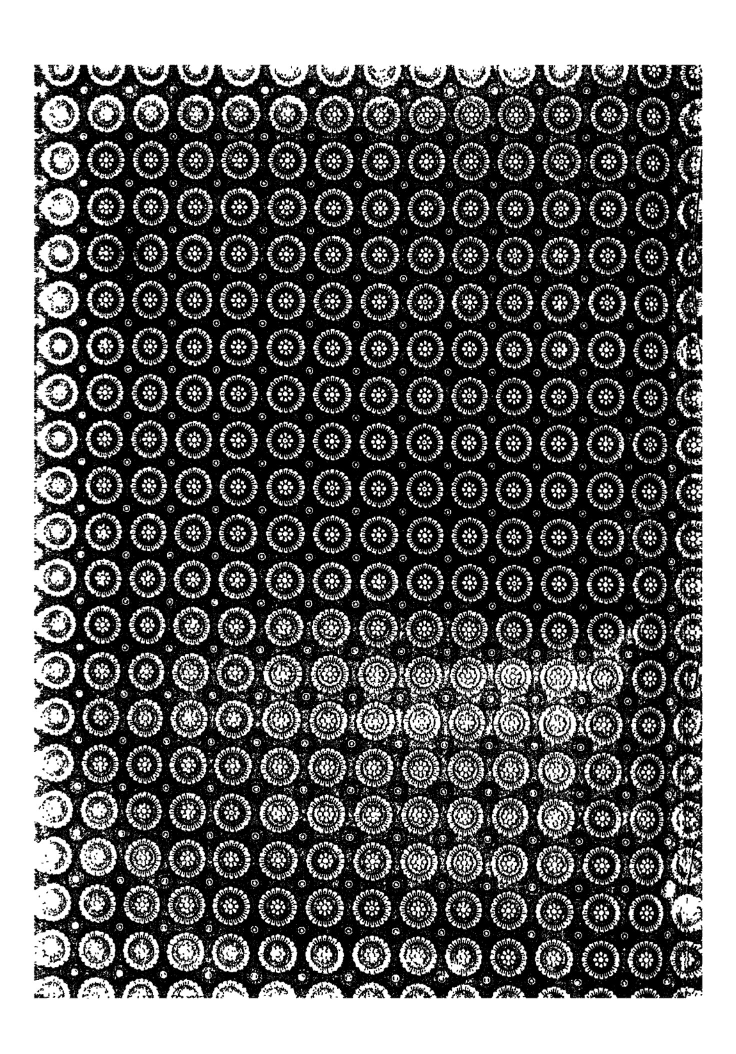
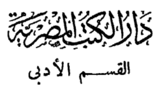








القسم الأدبى



تأليف

أبى الفرج الأصفهانى

الجزء الرابع

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية

التراجم التى فى هذا الجزء

صفحة

تقديم الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

كان حظ هذا الجزء الرابع من كتاب أبى الفرج كبيرا، فما كاد يظهر حتى أقبل عليه الباحثون والأدباء أيما إقبال، فنفدت نسخه فى زمن قصير، وشق على الكثيرين الحصول عليه، فاقتنوا سائر الأجزاء التى ظهرت بعده، ولم يستطيعوا إكمال مجموعاتهم، لندرة هذا الجزء.

ولما ذاع اتجاه الدار إلى إعادة طبع أجزاء الأغانى، ألح علينا الكثيرون بالتعجيل بهذا الجزء لأن الحاجة إليه ماسة. فاستخرنا الله ولبينا هذه الرغبة، وانتهزنا فرصة إعادة الطبع، فاستدركنا تحقيق كل ما اتضح لنا فى العشرين سنة الماضية أنه بحاجة إلى تحقيق، وأصلحنا الأصل فى غير موضع، كما عدّلنا الكثير من الحواشى، فحذفنا بعضها، وزدنا أخرى. وذلك بعد أن وفقنا للحصول على صورة من مخطوطة جديدة من مخطوطات الأغانى تشمل الأجزاء العشرة الأولى حصلنا عليها من الأكاديمية الشرقية بروسيا.

فأدمجنا فى صلب الكتاب ما سبق أن استدرك من أخطاء وأشير إليها فى ثبت ألحق بآخر الجزء.

على أننا مع هذا كله، حرصنا كل الحرص، على أن تكون كل صفحة من صفحات هذه الطبعة الثانية، مماثلة لنظيرتها فى السابقة، حتى لا تضطرب إشارات الباحثين، الذين أشاروا فى بحوثهم إلى صفحات هذا الجزء، وليكون الفهرس العام صورة صحيحة للطبعتين.

فقد أعدّت الدار هذا الفهرس العام، الذى ألمعنا إليه فى الجزء الأوّل من الط
الثانيـة ، شاملا للأحد عشر جزءا الأولى التى أخرجتها الدار ، ليبسر على الباح
بحوثهم، و يوفر عليهم الكثير من الوقت والجهد .

ومن يمن الطالع أن يظهر هـذا الجزء وعلى أريكة البـلاد جلالة ا
"فاروق الأوّل" نصير العلم والأدباء . و إن الدار لتعتز بأن يكون على رأس مجا
الأعلى عميـد الأدب معالى وزير المعارف الدكتور طه حسين باشا ، الذى له
الطولى فى إحياء الآداب العربية ونشرها .

أمين مرسى قنديل

المدير العام لدار الكتب المص

القاهرة فى المحرم سنة ١٣٧٠ هـ

نوفمبر سنة ١٩٥٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة ، فانه أُفرد لكثرة الصنعة فى تشبيبه بها ، وأنها اتسعت جدا فلم يصلح ذكرها هنا ، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة ، وهى تذكر فى موضع آخر إن شاء الله تعالى

اسمه ولقبه وكنيته ونشأته

أبو العَتَاهِيَة لقبٌ غلَب عليه . وآسمه إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد بن كَيْسان ، مولى عَنَزة . وكنيتُه أبو إسحاق . وأُمّه أمّ زيد بنت زِيَاد المُحَارِبىّ مولى بنى زُهْرة ؛ وفى ذلك يقول أبو قَابُوس النَّصْرانىّ وقد بلغه أن أبا العتاهية فضّل عليه العَتَّابىّ :

قُلْ لِلمُكَنِّى نفسَه * مُتَخَيِّرًا بعَتَاهِيَهْ

والمرسِلِ الكَلِمَ القبيـ * ـحَ وعَتْه أُذُنٌ واعيَهْ

إن كنتَ سِرًّا سؤتَنى * أو كان ذاك عَلَانيَهْ

فعليكَ لعنةُ ذى الجلا * لِ وأُمُّ زيدٍ زانيَهْ

ومنشؤه بالكوفة . وكان فى أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملةَ المخنّثين ، ثم كان يبيع الفَخّار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرَع فيه وتقدّم . ويقال : أطبعُ الناس بَشّارٌ

مناحيه الشعرية

والسيّد[1] وأبو العتاهيـة . وما قدَر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزيرَ البحر، لطيفَ المعانى، سهلَ الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا أنه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك . وأكثرُ شعره فى الزهد والأمثال . وكان قوم من أهل عصره ينسُبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجّون بأنّ شعره إنما هو فى ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشور والمَعاد. وله أوزان طريفة[2] قالها مما لم يتقدّمه الأوائلُ فيها . وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

سبب كنيته

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال أخبرنى محمد بن موسى بن حمّاد قال : قال المهدىّ يومًا لأبى العتاهية : أنت إنسانٌ متحذلقٌ[3] معتّهٌ[4]. فٱستوت له من ذلك كنيةٌ غلبتْ عليه دون ٱسمه وكنيته، وسارت له فى الناس . قال : ويقال للرجل المتحذلق : عَتَاهيةٌ، كما يقال للرجل الطويل : شَنَاحيةٌ[5] . ويقال : أبو عتاهية، بإسقاط الألف واللام .

١٢٧ / ٣

(١) يعنى السيد الحميرىّ؛ واسمه إسماعيل بن محمد أبو هاشم، [illegible] فى (ج ٧ ص ٢٢٩ — ٢٧٨ من هذه الطبعة) .

(٢) كذا فى ء، م . وفى سائر النسخ : «طريفة» [illegible] . (٣) [illegible] المتكيس المتظرف . (٤) يقال : رجل معتّه، إذا كان مجنونا مضطربا [illegible] اللسان (فى مادة عته) هذا الخبر فقال : «وأبو العتاهية الشاعر المعروف [illegible] وقيل : لو كان الأمر كذلك لقيل له أبو عتاهية بغير تعريف؛ إنما [illegible] ولقب بذلك لأن المهدىّ قال له : أراك متخلطا متعتها، وكان [illegible] لأنه كان طويلا مضطربا، وقيل : لأنه يرمى بالزندقة» . (٥) [illegible] لما فى معاجم اللغة. وفى أكثر الأصول : «شناجية» بالجيم المعجمة [illegible] .

قال محمد بن يحيى وأخبرنى محمد بن موسى قال أخبرنى ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُنِى بأبى العتاهية أنْ كان[(١)] يحبّ الشهرةَ والمُجُونَ والتعتّه . و بلده الكوفةُ وبلد آبائه، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه .

يقول ابنه إنهم من عنزة

قال محمد بن سَلّام : وكان محمد بن أبى العتاهية يذكر أن أصلَهم من عَنَزة، وأن جَدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن التَّمْر[(٢)]، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هـذا يتيمًا صغيرًا يكفُله قَرَابةٌ له من عَنَزة، فسباه خالدٌ مع جماعةِ صبيانٍ من أهلها، فوجّه بهم إلى أبى بكر، فوصلوا إليـه وبحَضْرته عَبَّادُ بن رِفَاعةَ العَنَزىّ بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزَار، فجعل أبو بكر رضى الله عنـه يسأل الصبيانَ عن أنسابهم فيُخبره كلُّ واحد بمبلغ معرفتـه، حتى سأل كَيْسانَ، فذكر له أنه من عَنَزة . فلما سمعه عَبّاد يقول ذلك آستوهبه من أبى بكر رضى الله عنه، وقـد كان خالصًا له، فوهبه له، فأعتقه، فتولَّى عَنَزة[(٣)] .

استعداؤه مندل بن على وأخاه على من سبه بأنه نبطى

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحَسَن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنا أحمد بن الحَجّاج الجَلّانىّ الكُوفىّ قال حدّثنى أبو دُوَيْل مُصْعَب بن دُوَيل الجَلّانى، قال : لم أَرَ قطُّ مَنْدَلَ بن علىّ العَنَزىّ وأخاه حَيّانَ بن علىّ غضبا من شىء قطُّ إلا يومًا واحدا، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخ بالدماء . فقالا له : وَيْحَك ! ما بالُك ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له : أنت أخونا وآبنُ عمّنا ومولانا . فقال : إنّ فلانا الجزّار قتلنى وضربنى وزعم أنّى نَبَطىّ[(٤)]، فإن كنتُ نبطيًا هربت على وجهى

---

(١) ى أ، ح، ء : « إذ كان » .

(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربىّ الكوفة، غزاها خالد بن الوليد فى أيام أبى بكر رضى الله عنه . (٣) تولى عنزة : اتخذهم أولياء له . (٤) النبطىّ : منسوب إلى النبط، وهم جيل ينزلون البطائح بين العراقين .

و إلّا فقوما فخُذَا لى بحقّى[1] . فقام معه مَنْدَل بن علىّ وما تعلّق نعلَه غضباً ، وقال له : والله لو كان حقّك على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه ؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقه .

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن علىّ عن عمر بن[2] معاوية عن جُبَارة بن المُغَلِّس[3] الحِمّانىّ قال : أبو العتاهية مولى عَطَاء بن مِحْجَن العَنَزىّ .

مولد أبى العتاهية وصنعته وصنعة أهله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال قال أبو عَوْن أحمد بن المُنَجِّم أخبرنى خَيَارٌ الكاتب قال :

كان أبو العتاهية و إبراهيمُ الموصلىّ من أهل المَذَار[4] جميعا ، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعمَلون الجِرَارَ الخُضْر ، فقدما إلى بغداد ثم ٱفترقا ؛ فنزل إبراهيم الموصلىّ بَغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ . وذُكر عن الرِّياشىّ أنه قال مثلَ ذلك ، وأن أبا أبى العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولاءُ أبى العتاهية من قِبَل أبيه لعَنَزة ، ومن قِبَل أُمّه لبنى زُهْرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتْبة بن أبى وَقّاص ، وكانت أُمّه مَولاةً لهم ، يقال لها أُمّ زيد .

---

(١) ما تعلق نعله : ما لبسها . (٢) فى حـ : « عن محمد بن معاوية » . (٣) كذا فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال وأنساب السمعانى وشرح القاموس مادة علس . وفى أ ، حـ ، ى : « جبادة بن المعلس » ، وفى ب ، سـ : « جنادة بن الأطلس » وكلاهما تحريف . (٤) كذا فى أ ، بالدال المعجمة . والمذار فى ميسان بين واسط والبصرة ، وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . وفى سائر النسخ : « المزار » بالزاى المعجمة ؛ ولم نعثر عليه فى أسماء البلدان .

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمد بن مَهْرُويَةَ قال: قال الخليل بن أسد:

كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخزّاف . وكان أبوه حجّاما من أهل ورجة (١) ؛ ولذلك يقول أبو العتاهية :

أَلَا إنّما التَّقْوَى هو العزّ والكَرَمْ * وحُبُّك للدّنيا هو الفقر والعَدَمْ

وليس على عبدٍ تَقِيٍّ نقيصةٌ * إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجَمْ

فاخره رجل من كنانة فقال شعرا

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ قال حدّثنا محمد بن أبى العتاهية قال :

١٢٨ / ٣

جاذب رجلٌ من كنانةَ أبا العتاهية فى شىء، ففخَر عليه الكنانىّ واستطال بقوم من أهله ؛ فقال أبو العتاهية :

دَعْنِيَ من ذِكْرِ أبٍ وجَدِّ * ونَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ المجدِ

ما الفخرُ إلا فى التُّقَى والزُّهدِ * وطاعةٍ تُعطى جِنَانَ الخُلْدِ

لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِردِ * إمّا الى ضَحْلٍ (٢) وإمّا عِدّ (٣)

آراؤه الدينية

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حَرْب قال :

كان مذهب أبى العتاهية القولَ بالتوحيد، وأنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شىء، ثم إنه بَنَى العالَم هذه البِنْيَة منهما ، وأن العالَم حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلا اللهُ . وكان يزعم أنّ الله سيُرِدّ كلَّ شىء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفْنَى الأعيانُ جميعا . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقَدْر الفكر

(١) كذا فى جميع الأصول التى بأيدينا ، ولم نعثر عليه فى معاجم البلدان . والذى فى اللسان (مادة ودج) ومعجم ما استعجم (ج ٢ ص ٦٢٢) أن « ودج » اسم موضع .

(٢) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له .

(٣) العِدّ : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين .

والاستدلال والبحث طباعا . وكان يقول بالوعيد و بتحريم المكاسب ، و يتشيّع بمذهب الزّيدية البَتْرِيّة[1] المبتدعة ، لا يتنقّص أحدا ولا يرى مع ذلك الخروجَ على السّلطان . وكان مُجَبِّراً[2] . قال الصّولى : فحدّثنى يَمُوتُ بن المُزَرِّع قال حدّثنى الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثُمَامَةَ بين يدَيِ المأمون — وكان كثيرا ما يعارضه بقوله فى الإجبار — : أسألك عن مسألة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لى فى مسألته و يأمره بإجابتى ! فقال له : أجبْه إذا سألك . فقال : أنا أقول : إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدى هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها . فقال له ثُمامة : حرّكها مَنْ أمّه زانية . فقال : شتمنى والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامةُ : ناقض الماصّ بَظْر أمه والله يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تَشْتَغِل بشعرك وتدعَ ما ليس من عملك ! قال ثمامة : فلقينى بعد ذلك فقال لى : يا أبا مَعْن ، أمَا أغناك الجواب عن السّفَه ؟ ! فقلت : إنّ من أتمِّ الكلامِ ما قطع الحجة ، وعاقبَ على الإساءة ، وشفَى من الغيظ ، وانتصَر من الجاهل .

مناظرته ثمامة بن أشرس فى العقائد بين يدى المأمون

قال محمد بن يحيى وحدّثنى عَون بن محمد الكِنْدىّ قال :

سمعتُ العبّاس بن رُسْتَم يقول : كان أبو العتاهية مُذَبْذَبا فى مذهبه : يعتقد شيئا ، فإذا سمع طاعِنًا عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره .

(١) الزيدية : فرقة نسبت إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تجيز الإمامة فى غيرهم . والبترية : طائفة منهم أصحاب كثير النوى الأبتر ، توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر ، وفضلوا عليا على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر الكلام على هذه الفرقة ببيان واف فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى طبع أوربا ص ١١٥ — ١٢١) .

(٢) مجبرا : يقول بالجبر ، وهو عند أهل الكلام إسناد الفعال إلى الله سبحانه إيجادا وتأثيرا . و يقول الجبرية إنه لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة ، فهو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

اعترض عليه أبو الشمقمق فى ملازمة المخنثين وأجابه

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى ابن أبى الدّنيا قال حدّثنى الحُسَين بن عبد ربه قال حدّثنى علىّ بن عُبيدة الرَّيحانىّ قال حدّثنى أبو الشَّمَقْمَق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثين، ففلت له (١): أمثلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنّك وشعرك وقدرك؟! فقال له: أُريد أن أتعلّم كِيَادَهم، وأتحفّظ كلامهم.

حاوره بشر بن المعتمر فى صنعة الحجامة

٥ أخبرنى عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال:

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتَمِر قال يومًا لأبى العتاهية: بلغنى أنك لمّا نَسَكْتَ جلستَ تحجُم اليتامى والفقراءَ للسبيل، أكذلك كان؟ قال نعم. قال له: فما أردتَ بذلك؟ قال: أردتُ أن أضع من نفسى حَسَبَما رفعتْنى الدّنيا، وأضعَ منها ليَسقُط عنها الكِبْرُ، وأكتسب بما فعلتُه الثوابَ، وكنت أحجُم

١٠ اليتامى والفقراء خاصّة. فقال له بشر: دَعْنى من تذليلك نفسَك بالحجامة؛ فإنه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبها وتُصْلِحها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك؛ أحبّ أن تُخبرَنى هل كنتَ تعرف الوقت الذى كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدّم؟ قال لا. قال: هل كنت تعرف مقدارَ ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قَدْر طبعه، مما إذا زدتَ فيه أو نقصتَ منه ضَرّ المحجومَ؟ قال لا. قال:

١٥ فما أراك إلا أردتَ أن تتعلّم الحِجامةَ على أقْفاء اليتامى والمساكين!

١٢٩ / ٣

أراد حمدوية صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسْتَم قال: كان حَمْدُويَة صاحبُ الزَّنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففزِع من ذلك وقعَد حجّاما.

---

(١) كذا فى جميع الأصول. ولعله: «فقال له».

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويةَ قال قال أبو دِعَامة علىّ بن يزيد : أُخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نَسَك ، وأنه جلس يحجُم النّاس للأجر تَوَاضُعًا بذلك . فقال : ألم يكن يبيع الجِرَار قبل ذلك ؟ فقيل له بلى . فقال : أمَا فى بَيْع الجِرار من الذُّلّ ما يكفيه ويَسْتغنى به عن الحجامة !

سئل عن خلق القرآن فأجاب

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى شيخ من مشايخنا قال حدّثنى أبو شُعَيب صاحب ابن أبى دُوَاد قال :

قلت لأبى العتاهية : القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق؟ فقال : أسألتنى عن الله أم عن غير الله ؟ قلتُ : عن غير الله ، فأمسك ، وأعدتُ عليه فأجابنى هذا الجوابَ ، حتى فعل ذلك مرارا . فقلت له : ما لك لا تُجيبنى ؟ قال : قد أجبتُك ولكنّك حمار .

أوصافه وصناعته

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثنى محمد بن موسى قال :

كان أبو العتاهية قَضيفًا[1] ، أبيضَ اللون ، أسودَ الشعر ، له وَفْرة[2] جَعْدَة ، وهيئة حسنة ولَبَاقة وحَصَافة ، وكان له عَبِيد من السُّودان ، ولأخيه زيدٍ أيضا عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف فى أَتُّون[3] لهم ؛ فإذا اجتمع منه شىء ألقوه على أجير لهم يُقال له أبو عباد

(١) كذا فى ء ، ا ، م . والقضيف : الدقيق العظم القليل اللحم . وفى ب ، سـ : « نظيفا » . وفى حـ : « قصيفا » بالصاد المهملة . والظاهر أنها مصحفة عن « قضيفا » . (٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين أو ما جاوز شحمة الأذن . والجعدة : التى فيها التواء وتقبض .
(٣) الأتون (بتشديد التاء) : الموقد ، والعامة تخففه .

اليَزيدىّ من أهل طاق الجَرّار[1] بالكوفة، فيبيعه على يديه ويردّ فضله إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيدٌ لا هو ؛ وسُئل عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافى، وأخى جرّار التجارة .

قال محمد بن موسى : وحدّثنى عبد الله بن محمد قال حدّثنى عبد الحميد بن سريع مولى بَنى عِجْل قال :

أنا رأيتُ أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداثُ والمتأدّبون فيُنشدُهم أشعارَه، فيأخذون ما تكسّر من الخَزَف فيكتبونها فيها .

كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابىّ فهجاه

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال حدّثنى محمد بن عمرَ الجُرْجانىّ قال :

لمّا هاجَى أبو قابُوس النَّصْرانىّ كُلْثُومَ بن عمرو العتّابىّ، جعل أبو العتاهية يشتُم أبا قابوس ويضَع منه، ويُفَضِّل العتّابىّ عليه؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

قُــلْ للمُكَنّى نفسَــه * مُتخــيِّرًا بعتاهيــهْ
والمرسلِ الكَلِمَ القبيـ * ـحَ وعَتْه أُذْنٌ واعيهْ
إن كنتَ سرًّا سؤتَنى * أو كان ذاك عَلانيـهْ
فعليك لعنةُ ذى الجلا * ل وأُمِّ زيدٍ زانيــهْ

— يعنى أُمَّ أبى العتاهية، وهى أُمّ زيد بنت زياد — فقيــل له : أتشتُم مسلما ؟ فقال: لم أشتُمْه، وإنّمـا قلتُ :

فعليك لعنةُ ذى الجلا * ل ومَنْ عَنَيْنا زانيــهْ

---

(١) فى ب، سـ : « طارق الجرار » وهو تحريف .

١٣٠ / ٣

هجاء والبة بن الحباب

قال : وفيه يقول وَالِبَةُ بن الحُبَاب وكان يُهاجيه :

كان فينا يُكْنَى أبا إسحاقِ * وبها الرَّكْبُ سارَ فى الآفاقِ

فتكنّى مَعْتُوهنا بعتاهٍ (١) * يا لها كُنْيَةً أتت بٱتّفاقِ

خلق الله لِحْيةً لك لا تنـ * ـفكّ معقودةً بداء الحُلاقِ (٢)

قصته مع النوشجانى

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا ٥
النُّوشَجَانِىّ قال : أتانى البَوّاب يوما فقال لى : أبو إسحاق الخزّاف بالباب ، فقلت :
ائْذَن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل . فوضعت بين يديه قِنْوَ مَوْزٍ (٣) ، فقال : قد صِرْتَ
تقتل العلماءَ بالموز ، قتلتَ أبا عُبَيدة بالموز ، وتريد أن تقتلنى به ! لا والله لا أذوقه .
قال : وحدّثنى عُرْوة بن يوسف الثَّقَفِىّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار
النُّوشَجَانِىّ فى شِقّ مَحْمِل مُسَجًّى ، إلّا أنه حىّ ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنْوُ موز ١٠
آخر ، يُذْهَب به إلى أهله . فقال النُّوشَجَانِىّ وغيرُه : لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا : ما سبب
عِلّتك ؟ قال : هذا النُّوشَجَانِىّ جاءنى بموز كأنه أُيُور المساكين ، فأكثرتُ منه ، فكان
سببَ عِلّتى . قال : ومات فى تلك العلّة .

رأى مصعب بن عبد الله فى شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال :
سمعتُ مُصْعَب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقلت له : بأىّ ١٥
شىء ٱستحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

تَعَلَّقْتُ بآمالٍ * طِوالٍ أىَّ آمالِ

وأقبلتُ على الدّنيا * مُلِحًّا أىَّ إقبالِ

(١) كذا فى أكثر النسخ وديوانه طبع بيروت . وفى ب ، س : «معتوبها» . (٢) الحلاق :
صفة سوء . وقد ورد هذا البيت فى هامش ديوانه (ص ٣٤٣) هكذا : ٢٠
خلق الله لحية لك لا تنـ * ـفك معقودة لدى الحلاق
(٣) القنو : الكباسة ، وهى كالعنقود من العنب .

أيا هــذا تَجَهَّزْ لـ * فراق الأهل والمال
فلا بدَّ من الموت * على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هـذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشوَ فيه ولا نُقصان ، يعرِفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

استحسن الأصمعي بعض شعره

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعي قال حدّثنا الرِّياشي قال : سمعتُ الأصمعي يستحسن قولَ أبي العتاهية :

أنتَ ما ٱستغنيتَ عن صا * حبــك الدهرَ أخــوه
فإذا ٱحتجــتَ إليـــه * ساعـــةً مجّــك فُـــوه

أنشد سلم الخاسر من شعره وقال : هو أشعر الجن والإنس

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيدي إملاءً قال حدّثني عمّي الفَضْل بن محمد قال حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُورِي[1] قال :

أتيتُ سَلْمًا الخَاسِرَ فقلت له : أَنْشِدْني لنفسك . قال : لا ، ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبي العتاهية ، ثم أنشدني قولَه :

صــــوت

سَكَنٌ يبــقَى له سَكَنُ * ما بهــذا يُؤذِن الزَّمنُ
نحن في دارٍ يُخَـــبِّرنا * بِبِـلَاها ناطقٌ لَسِــنُ
دار سَــوء لم يَدُمْ فَرَحٌ * لامرئٍ فيهــا ولا حَزَنُ
في سـبيل الله أنفسُنا * كلُّنا بالمــوت مُرتَهَنُ
كلُّ نفسٍ عند مِيتَتِها * حظُّها من مالها الكَفَنُ
إنّ مالَ المــرء ليس له * منــه إلّا ذكرُه الحسن

(١) الشهرزوري : نسبة الى شهرزور ، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان .

١٣١/٣

فأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى رجل من أهـل البَصْرة أُنسيتُ ٱسمَه، قال حدّثنى حَمْدون بن زيد قال حدّثنى رجاء بن مَسْلَمة[(١)] قال :

قلتُ لسَلْم الخاسر : من أشعرُ الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتُك بأشعر الجنّ والإنس. فقلتُ : إنمـا أسألك عن الإنس، فإن زدتَنى الجنَّ فقد أحسنتَ. فقال : أشعرُهم الذى يقول :

سَكَنٌ يبـقَى له سَكَنُ * ما بهذا يُؤذِن الزمَنُ

قال : والشعر لأبى العتاهية .

مدح جعفر بن يحيى شعره بحضرة الفرّاء فوافقه

حدّثنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفَضْـل قال حدّثنا عبـد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زِيَاد الفَرّاء قال :

دخلتُ على جعفرِ بـن يحيى فقال لى : يا أبا زكريّا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقـول أَصْلَحك الله ؟ قال : أزعُم أنّ أبا العتاهيـة أَشعرُ أهل هـذا العصر. فقلت : هو والله أشعرُهم عندى .

مدح داود بن زيد وعبد الله بن عبد العزيز شعره

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمـد بن موسى قال حدّثنى جعفر ٱبن النَّضْر الوَاسِطىّ الضَّرير قال حدّثنى محمد بن شِيرَوَيْه[(٢)] الأَنْماطىّ قال :

قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر: مَنْ أشعرُ أهل زمانه؟ قال: أبو نُوَاس. قلت : فمـا تقول فى أبى العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ .

(١) فى ح : « رجاء بن سلمة » .

(٢) فى أ ، ء : «خروية» بالخاء المعجمة . وفى ب ، ح ، سـ : «مرويه» . ولعل الجميع محرف عما أثبتناه .

أخبرنى الصولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال قال الزّبير بن بكّار : أخبرنى إبراهيم بن المُنْذر عن الضحّاك، قال :

قال عبد الله بن عبد العزيز العُمَرىّ : أشعرُ النّاس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضَرَّ مَنْ جَعل التُّرابَ مِهادَه * ألّا ينامَ على الحرير إذا قَنِعْ

صَدَق والله وأَحْسن .

مهارته فى الشعر وحديثه عن نفسه فى ذلك

حدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال حدّثنى أحمد بن حَرْب قال حدّثنى المعلَّى بن عثمان قال :

قيل لأبى العتاهية : كيف تقول الشعر؟ قال : ما أردتُه قطّ إلا مثَل لى، فأقول ما أريد وأَترُك ما لا أُريد .

أخبرنى ٱبن عَمّار قال حدّثنى ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى رَوْح بن الفرج الحِرْمَازىّ قال :

جلستُ الى أبى العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامى كلَّه شِعرا لفعلتُ .

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال :

قال محمد بن أبى العتاهية : سُئل أبى : هل تَعْرِف العَرُوض ؟ فقال : أنا أَكبر من العروض . وله أَوْزانٌ لا تَدخُل فى العَروض .

نظم شعرا للرشيد وهو مريض فأبلغه الفضل وقرّبه الرشيد

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أبو عكرمة قال :

حُمّ الرّشيدُ، فصار أبوالعتاهية إلى الفضل بن الرّبيع برُقعة فيها :

لو عَلِم النّاسُ كيف أنت لهم * ماتوا إذا ما أَلِمْتَ أَجْمَعُهم

خليفةَ الله أنت ترجُحُ بالنّـ ـاس إذا ما وُزِنتَ أنت وهُمْ
قد عَلِم النّاسُ أنّ وجهك يَسـ * ـتغْني[1] إذا ما رآه مُعدِمُهُمْ

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيدَ ؛ فأمر بإحضار أبى العتاهية، فما زال يُسامِره ويُحدّثه إلى أن بَرِئ[2]، ووَصل إليه بذلك السببِ مالٌ جَليلٌ .

إعجاب ابن الأعرابىّ به وإخلافه من تنقص شعره

قال : وحُدِّثتُ أنّ ابن الأعرابىّ حَدّث بهذا الحديث، فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمُستحِق لِما قلتَ . قال : ولِم ؟ قال : لأنه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابىّ — وكان أحَدَّ الناس — : الضعيفُ والله عقلُك لا شعرُ أبى العتاهية، ألِأبى العتاهية تقول : إنّه ضعيفُ الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعرًا قطّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضَرْبا من السحر، ثم أنشد له :

١٣٢ / ٣

قطّعتُ منكَ حَبائلَ الآمال * وحطَطتُ عن ظَهْر المَطِىّ رِحالى
ووجدتُ بَرْدَ اليأس بين جَوانحى * فأرَحْتُ من حَلٍّ ومن تَرْحال
يأيها البَطِرُ الذى هو من غدٍ * فى قبره متمزِّقُ الأوْصال
حذَفَ المُنَى عنه المُشمِّرُ[3] فى الهُدَى * وأرى مُناكَ طَويلةَ الأذيال
حِيَلُ ابنِ آدمَ فى الأمور كثيرةٌ * والموتُ يَقْطعُ حيلةَ المُحتال
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً * من كلّ عارفةٍ جرَتْ بسؤال
فإذا ابتُليتَ ببَذْلِ وجهك سائلًا * فابذُلْه للمُتكرِّم المِفْضال

(١) كذا فى جميع النسخ والديوان، وهى رواية جيدة وفيها المطابقة بين العدم والغنى . ومع هذا فمن المحتمل أن يكون « يستسق » ؛ قال أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(٢) أهل العالية يقولون : برأت من المرض أبرأ برءا وبروءا . وأهل الحجاز يقولون : برأت من المرض برءا بالفتح . وسائر العرب يقولون : برئت من المرض . وبرؤ برءا من باب قرب لغة . (انظر اللسان مادة برأ والمصباح المنير) . (٣) فى ب ، س ، حـ : « عند » وهو تحريف .

وإذا خَشِيتَ تعذُّرًا فى بلدةٍ * فاشْدُدْ يديك بعاجل الترحال
واصْبِرْ على غِيَر الزمان فإنّما * فَرَجُ الشدائد مثلُ حَلِّ عِقال

ثم قال للرجل : هل تعرف أحدًا يُحسن أن يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلنى الله فداءَك ! إنى لم أَرْدُدْ عليك ما قلتَ ، ولكنّ الزهدَ مذهبُ أبى العتاهية ، وشعرُه فى المديح ليس كشعره فى الزُّهد . فقال : أفليس الذى يقول فى المديح :

وهارونُ ماءُ المُزْن يُشْفَى به الصَّدَى[1] * إذا ما الصَّدِى بالرِّيق غَصَّتْ حَناجِرُهْ
وأَوْسَطُ بيتٍ فى قريش لَبيتُه * وأوّلُ عِزٍّ فى قريش وآخِرُه
وزَحْفٍ له تَحكِى البروقَ سيوفُه * وتَحكِى الرعودَ القاصفاتِ حوافرُه
إذا حَمِيتْ شمسُ النهار تضاحكتْ * إلى الشمس فيه بَيْضُه[2] ومَغافِرُه
إذا نُكِبَ الإسلامُ يومًا بِنَكْبةٍ * فهارونُ من بين البريّة ثائرُه
ومَنْ ذا يفوت الموتَ والموتُ مُدرِكٌ * كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافرُه

قال : فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابىّ بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حىّ

حدّثنى محمد قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى ابن الأعرابىّ المُنَجِّم قال حدّثنى هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عَبّاد قال :

حضرتُ أبا نُوَاس فى مجلس وأنشد شعرا . فقال له مَنْ حضر فى المجلس : أنت أشعرُ الناس . قال : أمّا والشيخُ حىّ فلا . (يعنى أبا العتاهية) .

أنشد لثمامة شعره فى ذم البخل فاعترض على بخله فأجابه

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى الحسين ابن أبى السَّرِىّ قال :

(١) الصدى : العطش . (٢) البيض (بفتح الباء) : جمع بيضة وهى الخوذة تصنع من الحديد ليتقى بها فى الحرب . والمغافر : جمع مغفر ، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل فيه غير ذلك .

قال ثُمامة بن أَشْرَس أنشدنى أبو العتاهية :

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المـال نفسَه * تملّكه المـالُ الذى هـو مالِكُه
ألَا إنّمـا مالى الذى أنا مُنفِـقٌ * وليس لِىَ المـالُ الذى أنا تارِكُه
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذى * يَحِـقّ وإلّا آستهلَكتْه مَهالِكُهْ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "إنما لك من مالك ما أكلتَ فأَفنيتَ ، أو لبِستَ فأَبليْتَ ، أو تصدّقت فأمضَيْتَ" . فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسولِ الله صلى الله عليـه وسلّم وأنه الحقّ ؟ قال نعم . قلت : فلِمَ تحبِس عنـدك سبعا وعشرين بدْرةً[1] فى دارك ، ولا تأكل منهـا ولا تشرب ولا تُزَكّى ولا تقدّمها ذُخْرًا ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقـال : يا أبا مَعن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنّى أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس . فقلت : وبِمَ تَزيد حالُ مَنِ آفتقـر على حالِك وأنت دائمُ الحِـرْص دائمُ الجَمْـع شحيحٌ على نفسك لا تشترى اللحم إلا من عِيد إلى عيد ؟ ! فترك جوابَ كلامى كلّه ، ثم قال لى : والله لقد آشتريتُ فى يوم عاشوراء لحمًـا وتَوابِلَه وما يتبَعه بخمسة دراهم . فلما قال لى هذا القولَ أضحكنى حتّى أذهلنى عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنـه وعلمت أنه ليس ممن شرَح الله صدرَه للإسلام .

بخـله ، ونوادر مختلفة فى ذلك

أخبرنى يحيى بن علىٍّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن المهـدىّ قال قال الجاحظ : حدّثنى ثُمـامة قال :

دخلت يومًا الى أبى العتاهية فإذا هو يأكل خُبزا بلا شىء . فقلتُ : كأنك رأيتَه يأكل خُبزًا وحده ؛ قال : لا ! ولكنّى رأيتُه يتأدّم بلا شىء . فقلت : وكيف ذلك؟ فقال : رأيت قُدّامه خبزًا يابسا من رِقاقٍ فَطيرٍ وقَدَحًا فيـه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخُذ

(١) البدرة : عشرة آلاف درهم .

القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويُخرجها ولم تَتعلّق منه بقليل ولا كثير، فقلت له : كأنك اشتهيتَ أن تتأدّم بلاشىء، ومارأيتُ أحدًا قبلك تأدّم بلا شىء .

قال الجاحظ : وزعم لى بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبى العتاهية فى بعض المتنزّهات، وقد دعا عَيَّاشًا صاحبَ الجِسْر وتهيّأ له بطعام، وقال لغلامه : إذا وضعتَ قُدّامهم الغَدَاء فقدِّمْ إلىّ ثَرِيدةً[1] بخلّ وزَيْت. فدخلت عليه، وإذا هو يأكل منها أكْلَ مُتكمِّش[2] غيرَ مُنكِر لشىء . فدعانى فمددت يدى معه ، فإذا بثريدة بخلّ وبِزْر بَدَلًا من الزّيت. فقلت له : أتدرى ما تأكل؟ قال: نعم ثريدةً بخلٍّ وبِزْر. فقلت: وما دعاك الى هـذا ؟ قال : غَلِط الغلام بين دَبّة[3] الزيت ودَبّة البِزْر ؛ فلمّا جاءنى كَرِهت التجبُّر وقلت : دُهْنٌ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئا .

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا عبد الله بن عَطِيّة الكوفىّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيْمىّ، وكان جارَ أبى العتاهية، قال :

كان لأبى العتاهية جارٌ يلتقط النَّوَى ضعيفٌ سيّئُ الحال مُتجمِّل[4] عليه ثياب، فكان يمرّ بأبى العتاهية طَرَفَىِ النهار، فيقول أبو العتاهية : اللهم أَغْنِه عمّا هو بسبيله ، شيخٌ ضعيف سيّئُ الحال عليه ثيابٌ مُتجمّل ، اللهم أَعِنْه ، اِصنَعْ له ، بارِكْ فيه . فبَقِى على هذا إلى أن مات الشيخ نَحْوًا من عشرين سنة. وواللهِ[5] إنْ تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ، وما زاد على الدعاء شيئا. فقلتُ له يومًا : يا أبا إسحاق إنى أراك تُكثِر الدعاءَ لهذا الشيخ وتزعُم أنه فقير مُقِلّ ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشىء؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصَّدَقةَ، والصدقةُ آخِرُ[6] كَسْب العبد، و إنّ فى الدعاء لخيرًا كثيرًا .

(١) فى ب، س : «ثردة» والثردة (بالضم) : الاسم من ثرد الخبز أى فته ثم بله بمرق. (٢) تكمش الرجل : أسرع. (٣) الدبة : الوعاء للبزر والزيت. (٤) المتجمل : الفقير الذى لم يظهر على نفسه المسكنة والذل. (٥) فى أ، ح، ء : «لا والله». (٦) أى أرذله وأدونه، ويجوز مد الألف.

قال محمد بن عيسى الخُزَيْمِىّ هذا : وكان لأبى العتاهية خادمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحْراكُ أَتُّون، وكان يُجْرِى عليه فى كل يوم رغيفين . فجاءنى الخادم يوما فقال لى : والله ما أشبَع . فقلت : وكيف ذاك؟ قال : لأنّى ما أَفْتُر من الكَدّ وهو يُجرِى علىّ رغيفين بغير إدَام. فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدَنى رغيفا فتُؤْجَر! فوعدتُه بذلك. فلمّا جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فكَرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إلىّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق، كم تُجْرِى على هذا الخادم فى كلّ يوم ؟ قال رغيفين . فقلت له : لا يَكْفيانه . قال : من لم يَكْفِه القليلُ لم يكفه الكثير، وكلُّ من أَعطى نفسَه شهوتَها هلَك ، وهذا خادمٌ يدخُل الى حُرَمى وبناتى ، فإن لم أُعَوّده القناعةَ والاقتصاد أهلكنى وأهلك عيالى ومالى . فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه فى إزارٍ وفراشٍ له خَلَقٍ . فقلت له : سبحان الله! خادمٌ قديمُ الحُرمة طويلُ الخدمة واجبُ الحق، تُكَفّنه فى خَلَق، وإنما يَكفيك له كفنٌ بدينارٍ! فقال : إنه يصير إلى البِلَى ، والحىُّ أولى بالجديد من الميّت . فقلت له : يرحمك الله أبا إسحاق ! فلقد عوّدتَه الاقتصادَ حيّا وميّتا .

قال محمد بن عيسى هذا : وقَف عليه ذاتَ يوم سائلٌ من العَيّارِينَ[1] الظُّرفاء وجماعةٌ من جيرانه حولَه ، فسأله مِنْ بين الجيران ؛ فقال : صنَع الله لك ! فأعاد السّؤال فأعاد عليه ثانيةً ، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثلَ ذلك ؛ فغضِب وقال له : ألستَ القائلَ :

كلُّ حَىٍّ عند ميتته * حظُّه مِن ماله الكفنُ

ثم قال : فبالله عليك أتُريدُ أن تُعِدَّ مالَك كلَّه لثمن كفنك ؟ قال لا . قال : فبالله كم قدّرت لكفنك؟ قال : خمسة دنانير. قال : فهى إذًا حظُّك من مالك

(١) العيار : الكثير الطواف والذى يتردد بلا عمل .

كلّه . قال نعم . قال : فتصدّق علىّ من غير حظّك بدرهم واحد. قال: لو تصدّقتُ عليك لكان حظّى . قال : فآحمل على أنّ دينارا من الخمسة الدنانير وَضيعةٌ[1] قيراط، وآدفع إلىّ قيراطا واحدا، و إلا فواحدة أُخرى[2]. قال : وما هى؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم، فأعطنى درهما وأقيم لك كفيلا بأنّى أحفِر لك قبرك به متى مُتّ، وتربح درهمين لم يكونا فى حُسْبانك، فإن لم أحتفر رددتُه على وَرَثَتك أو ردّه كفيلى عليهم. فخجل أبو العتاهية وقال : اعزُبْ لعنك الله وغضب عليك! فضحك جميع مَنْ حضر . ومرّ السائلُ يضحك ، فالتفت الينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثاله حُرّمتِ الصدقةُ. فقلنا له : ومَنْ حرّمها ومتى حُرّمت! فما رأينا أحدًا آدّعى أنّ الصدقة حُرّمت قبله ولا بعده .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبى العتاهية : أتُزَكّى مالَك ؟ فقال : والله ما أُنفق على عيالى إلّا من زكاة مالى . فقلت : سبحانَ الله! إنما ينبغى أن تُخرج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين . فقال : لو آنقطعتْ عن عيالى زكاةُ مالى لم يكن فى الأرض أفقرُ منهم .

سئل عن أحكم شعره فأجاب

أخبرنى عيسى بن الحُسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال :

قال سليمان بن أبى شَيْخ قال إبراهيم بن أبى شَيْخ قلت لأبى العتاهية : أىُّ شعرٍ قلتَه أحْكم ؟ قال قولى :

عَلِمْتَ يا مُجاشعُ بنَ مَسْعَدهْ * أنّ الشّباب والفَراغَ والجِدَهْ

* مَفْسَدةٌ للمرء أىّ مَفْسدهْ *

---

(١) الوضيعة : الحطيطة . (٢) فى ب، س . « وواحدا آخر قال وما ذلك » .

عاتب عمرو بن مسعدة على عدم قضاء حاجته بعد موت أخيه

أخبرنى عيسى قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال :

كان مُجاشِع بن مَسْعَدة أخو عمرو بن مَسْعَدة صَديقًا لأبى العتاهية ، فكان يقوم بحوائجه كلِّها و يُخلص مودّتَه ، فمات ، وعرَضتْ لأبى العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو ابن مسعدة فتباطأ فيها ؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

غَنِيتَ عن العهد القديم غَنِيتَا * وضَيَّعتَ وُدًّا بيننـا ونَسِيتا ٥

ومن عَجَب الأيّام أن مات مَألَفى * ومَن كُنتَ تَغشانى به و بَقِيتَا

١٣٥ / ٣ فقال عمـرو : استطال أبو إسحـاق أعمارَنا ونوعّدنا ، ما بعد هـذا خيرٌ ، ثم قَضَى حاجتَـــه .

فارق أبا غزية فى المدينة وأنشده شعرا

أخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال :

كان أبو العتاهية إذا قدم من(1) المدينة يجلس إلىّ ؛ فأراد مرّة الخروجَ من المدينة فودّعنى ثم قال : ١٠

إنْ نَعِشْ نجتمعْ و إلّا فمـا أَشْـ * ـغَلَ مَنْ مات عن جميع الأنام

طالبه غلام من التجار بمال فقال فيه شعرا أخجله

أخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْـل العَنَزىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن إسحاق العُذْرىّ قال :

كان لبعض التّجّار من أهـل باب الطّاق(2) على أبى العتاهيـة ثمنُ ثيابٍ أخذها منه . فمرّ به يوما ، فقال صاحبُ الدّكّان لغـلام ممن يخدُمه حسنِ الوجه : أَدْرِكْ أبا العتاهية فـلا تُفارِقه حتى تأخذَ منـه مالنا عنـده(3) ؛ فأدركه على رأس الجسْر ، ١٥

---

(1) كذا فى جميع النسخ . والسياق يقتضى حذف «من» كما هو ظاهر . (2) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقىّ تعرف بطاق أسماء . (3) فى س ، ب : «ما كان عنده» .

فأخذ بعنان حماره ووَقَفه[1] . فقال له : ما حاجتُك ياغلام؟ قال : أنا رسول فلان، بعثنى إليك لآخذَ مالَه عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كلُّ مَن مرّ فرأى الغلامَ مُتعلّقا به وقف ينظُر ، حتى رضِى أبو العتاهية جَمْعَ الناس وحَفْلَهم، ثم أنشأ يقول :

والله ربِّك إنَّنى * لأُجِلُّ وجهَك عن فعالكْ
لو كان فعلُك مثلَ وجـ * ـهِك كنتُ مُكْتفياً بذلكْ

فخجِل الغلام وأرسل عِنانَ الحمار، ورجَع الى صاحبه، وقال: بعثتَنى الى شيطان جَمع علىَّ الناس وقال فىّ الشعرَ حتى أخجلنى فهربتُ منه .

حجبه حاجب عمرو ابن مسعدة فقال فيه شعرا

أخبرنى أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزِىّ قال قال إبراهيم بن إسحاق ابن إبراهيم التَّيْمىّ : حدّثنى إبراهيم بن حَكِيم قال :

كان أبو العتاهية يختلِف إلى عمرو بن مَسعدة لود كان بينه و بين أخيه مُجاشع . فاستأذن عليه يومًا فحُجِب عنه ، فلَزِم منزلَه . فاستبطأه عمرو؛ فكتب إليه : إنّ الكسل يمنعنى من لقائك ؛ وكتب فى أسفل رقعته :

كَسَّلنى اليأسُ منك عنك فما * أرفَع طَرْفى إليك من كَسَلِ
إنّى إذا لم يكن أخى ثِقةً * قطَّعتُ منه حبائلَ الأملِ

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد النَّحْوىّ قال :

استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مَسْعدة فحُجِب عنه؛ فكتب إليه :

---

(١) حكى عن بعضهم أنه قال : مايمسك باليد يقال فيه : أوقفت (بالألف)، وما لا يمسك باليد يقال فيه : وقفت (بغير ألف) . والفصيح وقفت بغير ألف فى جميع الباب إلا فى قولك : ماأوقفك هاهنا ؟ وأنت تريد : أىّ شأن حملك على الوقوف . (انظر المصباح المنير مادة وقف) .

مالك قد حُلْتَ عن إخائك وآسـ * ـتبدلت يا عمـرُو شيمةً كَدِرهْ
إنّى إذا البابُ تاه حاجبُـه * لم يَكُ عندى فى هَجْره نَظِرَهْ
لَسْتُمْ تُرَجّوْنَ للحساب ولا * يومَ تكونُ السماءُ مُنفطِرهْ
لكنْ لدنيا كالظلّ بهجتُها * سريعةُ الإنقضاءِ مُنْشمِرَهْ
قد كان وجهى لديك معرفةً * فاليومَ أضحى حَرْفًا من النَّكِرهْ ٥

قصيدته فى هجو عبد الله بن معن وما كان بينهما

أخبرنى محمد بن القاسم الأَنْبارىّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال :

كان الرَّشيد إذا رأى عبدَ الله بن مَعْن بن زَائدة تمثّل قولَ أبى العتاهية :

أختُ بنى شَيْبان مرّتْ بنا * مَمْشوطةً كُورًا(١) على بَغْل

١٣٦/٣

وأوّل هذه الأبيات :

يا صاحِبَىْ رَحْلِىَ لا تُكْثِرا * فى شَتْم عبد الله من عَذْل ١٠
سبحانَ من خَصَّ ٱبنَ معنٍ بما * أرى به من قِلّةِ العَقْل
قال ٱبنُ مَعْنٍ وجَلا نفسَه * على مَنِ الجَلْوةُ يا أهْلِى
أنا فتاةُ الحىّ من وَائلٍ * فى الشَّرَف الشّامخ والنُّبْل
ما فى بَنى شَيبانَ أهلِ الحِجَا * جاريةٌ واحدةٌ مثلى
وَيْلِى و يا لَهْفِى على أمْرَدٍ * يُلْصِق منّى القُرْط بالحَجْل(٢) ١٥
صافحْتُه يومًا على خَلْوةٍ * فقال دَعْ كفى وخُذْ رِجْلى
أُختُ بنى شيبانَ مرّتْ بنا * ممشوطةً كُورًا على بَغْل
تُكْنَى أبا الفضل ويا مَن رأى * جاريةً تُكْنَى أبا الفضل

(١) الكور : الرحل .
(٢) الحجل (بفتح الحاء وكسرها) : الخلخال .

قد نَقَّطتْ فى وجهها نُقطةً * مَخافةَ العينِ من الكُحْلِ
إن زُرتمـوها قال حُجَّابُهـا * نحن عن الزُّوَّار فى شُـغْل
مولاتُنا مشـغولةٌ عنـدها * بَعْـل ولا إذنَ على البَعْـلِ
يا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهَلِى * وأين إقصـارٌ عنِ الجهـلِ
أتجلِدُ النـاسَ وأنت آمرؤٌ * تُجْـلَد فى الدُّبْر وفى القُبْـل ٥
ما ينبغى للنّـاس أن يَنسبُوا * مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخلِ
يَبْذُلُ ما يمنع أهلُ النـدى * هذا لعَمْرى مُنتهى البَـذْلِ
ما قلتُ هـذا فيك إلّا وقد * جَفّتْ به الأقلامُ من قَبْـلى

قال : فبعث إليه عبـد الله بن مَعْن ، فأُتِى به ؛ فدعا بغِلْمـان له ثم أمرَهم أن يَرتكبوا منه الفاحشةَ ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : قد جزَيتُك على قولك فىّ ، فهل لك فى الصُّلح ومعه مَرْكَبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب؟ قال : بل الصلح . قال : فأسمِعْنى ما تقوله فى الصلح ؛ فقال : ١٠

ما لعُـذّالى ومالى * أمرونى بالضّـلال
عذَلونى فى آغْتِفـارى * لآبن مَعْنٍ وآحتمالى
إن يكن ما كان منه * فبجُـرمى وفعـالى ١٥
أنا منـه كنتُ أسـوا * عِشْرةً فى كلّ حال
قل لمن يَعْجَب من حُسْـ * ـنِ رُجوعى ومَقـالى
رُبَّ وُدٍّ بعـد صَـدٍّ * وهـوى بعـد تَقَـالِى (١)
قد رأينـا ذا كثيراً * جاريًا بين الرّجال
إنمـا كانتْ يمينـى * لطَمتْ منّى شمَـالى ٢٠

(١) التقالى : التباغض .

أحب سعدى التى كان يحبها ابن معن ثم هجاها

١٣٧
٣

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليَزيدىّ قال حدّثنا أبو سُوَيد عبد القَوىّ بن محمد بن أبى العتاهية ومحمدُ بن سعد قالا(١) :

كان أبو العتاهية يَهوَى فى حَداثته آمرأةً نائحة من أهل الحِيرة لها حُسن وجمال يقال لهــا سُعدى ؛ وكان عبد الله بن مَعْن بن زائدة المُكَنّى بأبى الفضــل يَهواها أيضا، وكانت مولاةً لهم، ثم آتّهمها أبو العتاهية بالنِّساء، فقال فيها :

٥

ألَا يا ذَواتِ السَّحْق فى الغرب والشّرقِ * أَفِقْن فإنّ النَّيْك أَشْفَى من السَّحْق
أفِقن فإنّ الخبزَ بالأدم يُشتَهَى * وليس يَسُوغُ الخبزُ بالخُبز فى الحَلْق
أَراكُنّ تَرْقَعن الخُروقَ بمثلها * وأىّ لبيب يرقَع الخَرْقَ بالخَرق
وهل يصلُح المِهراسُ(٢) إلا بعُوده * إذا آحْتِيج منه ذاتَ يوم الى الدَّقّ

١٠

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الغَلَابىّ قال حدّثنى مَهْدىّ بنُ سابق قال :

تهدّد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخَوّفه ونهاه أن يَعرِض لمولاته سُعْدى؛ فقال أبو العتاهية :

ألَا قُلْ لآبن معنٍ ذا الذى فى الوُدّ قد حالا
لقد بُلِّغتُ ما قال * فما باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسْد * لَمَا صَال ولا هالا
فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ * به سَيْفَك خَلْخَالا
وما تصنَع بالسيف * إذا لم تَكُ قَتّالا
ولو مَدّ إلى أُذْنيـ * ـه كَفَّيه لما نَالا
قَصيرُ الطُّول والطِّيلـ * ـةِ(٣) لا شَبّ ولا طَالا
أرى قومَك أبطالا * وقد أصبحتَ بطّالا

١٥

٢٠

(١) فى جميع النسخ : «قال» بالإفراد . (٢) المهراس : الهاون . (٣) الطيلة هنا : العمر .

ضربه عبد الله بن معن فهجاه

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنى سُليمان المدائنىّ قال:
احتال عبد الله بن مَعْن على أبى العتاهية حتى أُخذ فى مكان فضربه مائةَ سَوْط ضربًا ليس بالمبرِّح غَيْظًا عليه، وإنما لم يَعْنُف فى ضربه خوفًا من كثرة من يُعْنَى به؛ فقال أبو العتاهية يهجوه :

٥
جَــلَدَتْنى بكَفّها * بنتُ معنِ بن زائدهْ
جَــلدتنى فأَوجعتْ * بأبى تِــلك جَالدهْ
وتَراها مــع الخَصِىّ على البــاب قاعدهْ
تَتَكَنَّى كُنَى الرجا * لِ بِعَمْــدٍ مُكَايدهْ
جــلدَتْنى وبالغتْ * مائةً غــيرَ واحدهْ
١٠
اِجْلدينى وآجلِدى * إنّمــا أنتِ والدهْ

وقال أيضا :

ضربَتْنِى بكَفِّها بنتُ مَعْنٍ * أَوْجَعَتْ كفَّها وما أوجعتنى
ولَعَمْرِى لولا أذى كفِّها إذ * ضَرَبَتْنِى بالسَّوط ما تَرَكْتُنى

توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه

قال الصُّولىّ : حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا :

١٣٨ / ٣

١٥
لمّا آتصل هِجاءُ أبى العتاهية بعبد الله بن معن وكَثُر، غضِبَ أخوه يزيدُ بن معن من ذلك وتَوعّد أبا العتاهية، فقال فيه قصيدتَه التى أوّلُها :

بَنِى مَعْنٍ ويَهــدِمُه يزيدُ * كذاك اللهُ يفعــل ما يُريدُ
فَمَعْنٌ كان للحُسّاد غَمًّا * وهذا قد يُسَرّ به الحســود
يزيدُ يزيدُ فى مَنْــعٍ وبخلٍ * ويَنقُص فى العطاء ولا يزيد

مصالحته أولاد معن

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى جَبَلَةُ بن محمد قال حدّثنى أبى قال :

مضى بنو مَعْن الى مَنْدَل وحِبّان ٱبنَىْ علىّ العَنَزِيَّيْن الفقيهين — وهما من بنى عمرو ابن عامر بطنٍ مِنْ يَقْـدُمَ بن عَنَزة، وكانا من سادات أهل الكوفة — فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ، ولا فرقَ بينـنـا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاء لوجبَ أن نَرْدعاه. فأحْضَرا أبا العتاهية، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما، فأصلحا بينه وبين عبـد الله و يزيد ٱبنَىْ معن ، وضمِنا عنـه خُلُوصَ النيّة ، وعنهما ألّا يَتْبَعاه بسوء، وكانا ممّن لا يُمكن خلافُهما، فرجَعت الحالُ الى المَودّة والصَّفاء. فجعل النـاس يَعذُلون أبا العتاهية على ما فرّط منـه ، ولامه آخرون فى صُلْحه لهما ؛ فقـال :

ما لعُـذّالى ومالى * أَمَرونى بالضَّـلال

وقد كُتِبَتْ مُتقدِّمة .

رثاؤه زائدة بن معن

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال :

كان زائدةُ بن معنٍ صديقا لأبى العتاهيـة ولم يَعُنْ إخوتَه عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يَرْثيه :

حَزِنتُ لموت زائدةَ بن مَعْنٍ * حقيقٌ أن يطولَ عليـه حُزنى
فَتى الفتيـانِ زائدةُ المُصَـفَّى * أبو العباس كان أخى وخِدْنى
فتى قومٍ وأىُّ فـتًى توارتْ * به الأكفانُ تحت ثَرًى ولِبْنِ[1]
ألا يا قبرَ زائدةَ بنِ مَعْنٍ * دعوتُك كى تُجيبَ فـلَم تُجبنى
سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قـومى * أَصبن بهنّ رُكنًا بعـد ركن

(١) اللبن (بكسر فسكون لغة فى اللبن ككتف ، و يقال فيه : اللبن بكسرتين مثل إبل) : المضروب من الطين مربعا للبناء .

كان عبد الله ابن معن يخجل اذا لبس السيف لهجوه فيه

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنا الحسن بن علىّ الرازىّ القارئ قال حدّثنى أحمد ابن أبى فَنَن قال :

كنّا عند آبن الأعرابىّ، فذكروا قولَ آبن نَوْفَلٍ فى عبد الملك بن عُمَير :

إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمتْـــه لحاجةٍ * فَهَمَّ بأن يَقْضِى تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ

٥ وأن عبـد الملك قال : تركنى والله و إنّ السُّعْلة لتَعْرِض لى فى الخلاء فأذكُر قولَه فأهاب أن أَسعُل. قال : فقلت لآبن الاعرابىّ : فهذا أبو العتاهية قال فى عبد الله ابن مَعْن بن زائدة :

فصُغْ ما كنت حَلَّيتَ * به ســيفَك خَلْخَالَا
وما تصـنع بالسَّيف * إذا لم تــك قتّـالا

١٠ فقال عبـد الله بن مَعْن : ما لبستُ سيفى قطّ فرأيت إنسانا يَلمَحُنى إلا ظننتُ أنه يحفَظ قولَ أبى العتاهية فىّ، فلذلك يتأمّلنى فأخجَل . فقال آبن الأعرابىّ : اعْجَبوا لعبد يَهجو مولاه . قال : وكان آبن الأعرابىّ مولى بنى شَيْبان .

ناظر مسلم بن الوليد فى قول الشعر

١٣٩/٣ نسختُ من كتّاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحسين بن أبى السَّرِىّ قال :

١٥ اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصارىّ فى بعض المجالس، فجرى بينهما كلامٌ ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك :

الحمــدُ والنعمةُ لك * والملكُ لا شريكَ لكْ
* لبيك إنّ المُلْكَ لكْ *

لقلتُ فى اليوم عشرةَ آلاف بيت ، ولكنّى أقول :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ[(١)] * كأنّه أجلٌ يسعَى إلى أمَلِ

يَنال بالرِّفق ما يَعْيا الرجالُ به * كالموتِ مُستعجِلًا يأتى على مَهَلِ

يكسو السيوفَ نُفوسَ الناكثين به * ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ

لله من هاشمٍ فى أرضه جَبلٌ * وأنت وآبنُك رُكْنَا ذلك الجَبَلِ ٥

فقال له أبو العتاهية : قُلْ مثلَ قولى :

* الحمــدُ والنِّعمــة لكْ *

أَقُلْ مثلَ قولك :

* كأنّه أجلٌ يَسعى الى أملِ *

تقارض هو وبشار الثناء على شعريهما

حدّثنى الصّولىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ قال حدّثنا مَهْدىّ بن سابِق قال : ١٠
قال بَشّار لأبى العتاهية : أنا والله أَسْتَحسِنُ آعتذارَك من دَمْعك حيث تقول :

كم من صَديقٍ لى أُسا * رِقُه البُكاءَ من الحَياءِ

فإذا تأمّــلَ لامــنى * فأقول ما بى منْ بُكاء

لكن ذهبتُ لأَرتدى * فطَرَفتُ عينى بالرِّداء

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعَاذ ، ما لُذتُ إلّا بمعناكَ ولا آجْتنيتُ إلا من ١٥
غَرْسك حيث تقول :

---

(١) فى يوم ذى رهج : أى فى يوم ذى غبار من الحرب . وفى ديوان مسلم (طبع مدينة ليدن ص ٩) :

* موف على مهج واليوم ذو رهج *

صــــوت

شكوتُ إلى الغوانى ما أُلاقِى * وقلتُ لهنّ ما يومى بَعيــدُ

فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنّ كلّا * وقد يَبْكى من الشّوق الجَليدُ

ولكنّى أصــابَ سَوادَ عينى * عُوَيْدُ قَذًى له طَرَفٌ حديدُ

فقُلْن فـا لدَمْعِهما ســواءً * أكلْتا مُقْلَتَيْك أصاب عُودُ ٥

لإبراهيم المَوصلىّ فى هذه الأبيات لَحْنٌ من الثّقيل الأوّل بالوُسطى مُطْلَق .

شكا اليه محمد بن الفضل الهاشمىّ جفاء السلطان فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى محمد بن هارون الأَزْرَقِىّ مولى بنى هاشم عن ابن عائشة عن أبنٍ لمحمد بن الفضل الهاشمىّ قال :

١٠ جاء أبو العتاهيــة الى أبى فتحدّثا ساعةً ، وجعل أبى يشكو اليه تَخلُّفَ الصَّنعة[1] وجَفاءَ السلطان . فقال لى أبو العتاهية : اكتُبْ :

كُلٌّ على الدّنيــا له حِرْصُ * والحادثاتُ أَناتُهــا غَفْصُ[2]

وكأنّ من وَارَوْه فى جَدَثٍ * لم يبدُ منه لنــاظرٍ شَخصُ

تَبْغِى من الدنيا زِيادتَهــا * وزيادةُ الدنيا هى النَّقْصُ

١٥ لِيَــدِ المنيّة فى تَلَطُّفهــا * عن ذُخْرِ كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ

حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه

حدّثنى عمرو قال حدّثنى علىّ بن محمـد الهشامىّ[3] عن جدّه ابن حَمْـدون قال أخبرنى مُخَارِق قال :

١٤٠ / ٣

لمّــا تنسَّك[4] أبوالعتاهية ولبس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعرًا فى الغزَل، فأمتنع؛ فضربه الرشيد ستين عصًا، وحلَف ألّا يخرُج من حَبْسه حتى يقول شــعرًا

٢٠ (١) كذا فى الأصول . ولعلها : «الصنيعة» . (٢) الغفص : الختل . (٣) فى جميع النسخ : « الشامى » وهو تحريف . (٤) فى حـ . « تقرأ » ومعناه : تنسك .

فى الغزل. فلمّا رُفعت المَقارِعُ عنه قال أبو العتاهية : كلُّ مملوكٍ له حرّ وآمرأته طالقٌ إن تكلّم سَنةً إلّا بالقرآن أو بلا إلٰه إلا الله محمد رسول الله . فكأنّ الرشيدَ تحزّن ممّا فعله ، فأمر أن يُحبَس فى دار ويُوسَّعَ عليه ، ولا يُمنع من دخول من يُريد اليه . قال مُخارق : وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصلىّ لطيفةً ، فكان يبعثُنى اليه فى الأيام أتعرّف خبرَه . فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[1] ودواةً ، فيكتب الىّ ما يريد ، وأُكلّمه . فمكث هكذا سنةً . واتّفق أنّ إبراهيم الموصلىّ صنع صوتَه :

صـــــوت

أعرَفْتَ دارَ الحىّ بالحِجْرِ ∴ فشدوريان فقُنّـةِ الغَمْرِ[2]

وهجرتَنا وأَلِفتَ رَسْمَ بِلًى * والرسمُ كان أحقَّ بالهَجْرِ

— لحنُ إبراهيم فى هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى. وفيه لإسحاق رمل بالوسطى —

قال مُخارق : فقال لى إبراهيم : اذهَبْ إلى أبى العتاهية حتى تُغَنّيَه هـذا الصوتَ. فأتيته فى اليوم الذى انقضتْ فيه يمينه ، فغنّيته إيّاه . فكتب إلىّ بعد أن غنّيته : هذا اليوم تَنقضى فيه يمينى ، فأُحِبّ أن تُقيم عندى الى الليل ؛ فأقمتُ عنده نهارى كلّه ، حتى اذا أَذّن النـاسُ المغربَ كلّمنى ، فقال : يا مُخارق . قلت : لَبَّيْك . قال : قُلْ لصاحبك : يآبن الزانية ! أمَا والله لقد أبقيتَ للناس فتنةً إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غدًا ! قال مُخارق : فكنتُ أوّل من أَفْطر على كلامه ؛ فقلت : دَعْنى من هذا ، هل قلت شيئا للتخلّص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم ، قد قلت فى آمرأتى شعرا . قلت : هاته ؛ فأنشدنى :

---

(١) لعله يريد بالظهر هنا الريش الذى يظهر من ريش الطائر وجمعه ظهار كغرق وعراق . ويظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام . (٢) القنة : ذروة الجبل وأعلاه . والغمر : جبل بحذاء توز . وتوز : من منازل طريق مكة من البصرة معدود فى أعمال اليمامة . أما «شدوريان» فلم نهتد إليه .

صــــوت

مَنْ لِقلبٍ مُتَيَّمٍ مُشتاقِ * شَفّه شوقُه وطولُ الفراقِ
طال شوقى الى قعيدة بيتى * ليت شعرى فهل لنا من تلاقِ
هى حظّى قد اقتصرتُ عليها * من ذوات العُقود والأطواقِ
٥ جَمَع اللهُ عاجلًا بكِ شملى * عن قريبٍ وفكّنى من وَثاقِ

قال : فكتبتها وصِرْتُ بها الى إبراهيم ؛ فصنع فيها لحنا ، ودخل بها على الرشيد ؛ فكان أوّل صوت غنّاه إيّاه فى ذلك المجلس ؛ وسأله : لمن الشعرُ والغناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلى ، وأما الشعر فلأسيرك أبى العتاهية . فقال : أَوَ قد فَعل ؟ قال : نعم قد كان ذلك . فدعا به ، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ١٠ ستّين عصًا ، فأمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه .

عصب عليه الرشيد وترضّاه له الفضل

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا الحسين بن أبى السّرىّ قال :

١٤١ / ٣

قال لى الفضل بن العباس : وجَد الرشيدُ وهو بالرَّقّة على أبى العتاهية وهو بمدينة السّلام ، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلّم الفضلُ بن الربيع فى أمره ، فأبطأ عليه ١٥ بذلك ؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

أَجَفَوْتَنى فيمن جفانى * وجعلتَ شأنَك غيرَ شانى
ولطالما أَمَّنْتَنى * ممّا أرى كلَّ الأَمانِ
حتّى اذا انقلب الزّما * نُ علىَّ صرتَ مع الزمانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيدَ فرضِى عنه . وأرسل اليه الفضلُ يأمره بالشخوص، ٢٠ ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضى عنه ؛ فشخَص اليه . فلما دخل الى الفضل أنشده قولَه فيه :

قد دعوناه نائيًا فوجدنا * ه على نأيه قريبًا سميعَا

فأدخله إلى الرشيد ، فرجع الى حالته الأولى .

كان يزيد بن منصور يحبه ويقربه فرثاه عند موته

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى الحسين بن أبى السَّرىّ قال :

كان يزيد بن منصور خالُ المهدىّ يتعصّب لأبى العتاهية ؛ لأنه كان يمدح اليمانيةَ أخوالَ المهدىّ فى شعره؛ فمن ذلك قولُه :

صــــوت

سُقيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلامِ * فنِعْم مَحَــلّةُ المــلكِ الهُمامِ

لقــد نشرَ الإلٰهُ عليـك نُورًا * وحفَّــك بالملائكة الكِرام

سأشكُرُ نعمةَ المهــدىّ حتّى * تدورَ عــلىّ دائرةُ الحِمام

له بيتانِ بيتٌ تُبَّــعِىٌّ * وبيتٌ حَلَّ بالبــلد الحــرام

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعى أنه مولًى لليمن ويَنْتفِى من عَنَزَة ؛ فلمّــا مات يزيد رجَع إلى ولائه الأوّل . فحدّثنى الفضــل بن العبّاس قال: قلت له : ألم تكن تزعُم أنّ ولاءَك لليمن؟ ! قال: ذلك شىءٌ آحتجنا إليه فى ذلك الزمن ، وما فى واحدٍ ممّن آنتميتُ إليــه خيرٌ ، ولكنّ الحقّ أحقُّ أن يُتَّبع . وكان آدّعى ولاءَ اللَّخْميِّين . قال : وكان يزيد بن منصــور من أكرم النّــاس وأحفظِهم لحُرْمةٍ ، وأرعاهم لعهدٍ ، وكان بارًّا بأبى العتاهية ، كثيرًا فضلُه عليه ؛ وكان أبو العتاهية منه فى مَنَعةٍ وحصْنٍ حَصِين مع كَثْرة ما يدفَعُه إليه ويمنَعه من المَكاره . فلمّا مات قال أبو العتاهية يرْثيه :

أَأَنْعَى يزيدَ بن منصــور الى البَشَرِ * أَنْعَى يزيدَ لأهلِ البَــدْوِ والحَضَرِ
يا ساكنَ الحُفْرة المهجورِ ساكنُها * بعد المَقَاصر والأبواب والحُجَــر
وجدتُ فَقْدَكَ فى مالى وفى نَشَبى * وجدتُ فقدك فى شَعْرى وفى بَشَرى (١)
فلستُ أَدرى جزاك الله صالحــةً * أَمنظَرى اليومَ أَسْوَا فيك أم خَبَرى

استحسن شعره بشار وقد اجتمعا عند المهدى

١٤٢
٣

حدّثنا ابن عمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثنى أبى قال : حُدّثتُ أنّ المهدىّ جلس للشّعراء يومًا، فأذن لهم وفيهم بشّار وأشجعُ، وكان يأخذ عن بشّار ويُعَظّمــه ، وغيرُ هذين، وكان فى القوم أبو العتاهيــة . قال : فلمّا سمع بشار كلامَه قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفىّ المُلَقَّب ؟ قلت قال : لا جزى الله خيراً مَنْ جمعنا معه . ثم قال له المهدىّ : أَنْشد؛ فقال : ! أوَ يبدأ فيُسْتَنْشَدَ أيضا قبلنا ؟! فقلتُ : قد تَرَى . فأَنْشد :

أَلَا ما لِسـيّدتى ما لهــا * أَدَلًّا فأَحمِــلَ إِدْلالَهــا
وإلّا فَفِـيمَ تَجنّــتْ وما * جَنيتُ سَــقَى اللهُ أطلالَهــا
أَلَا إنّ جاريــةً لِلإما * مِ قد أُسْكِن الحبُّ سِرْبالَهَا
مَشتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطا * تُجاذب فى المَشْى أكفالَهــا
وقــد أَتعب اللهُ نفسى بها * وأَتعب باللَّــوْمِ عُذّالَهــا

قال أشجع : فقــال لى بشّار : وَيْحَــك يا أخا سُلَيم ! ما أدرى من أىّ أَمْرَيْه أعجب : أَمِنْ ضَعْف شِــعْره ، أم من تَشْبيبه بجارية الخليفة ، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله :

أَتَتْه الخــلافةُ مُنقــادةً * إليــه تُجَــرّرُ أذيالَهــا
ولم تك تصــلُح إلّا له * ولم يك يصلُح إلّا لهــا

(١) فى ديوانه : « شعرى (بكسر الشين) وفى شرى » .

ولو رامها أحدٌ غيرُه * لَزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها
ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوبِ[1] * لما قَبِل اللهُ أعمالَها
وإنّ الخليفةَ من بُغض لا * إليه لَيُبغِضُ مَن قالَها

قال أشجع : فقال لى بشّار وقد اهتزّ طربا : ويحك يا أخا سُلَيم ! أترى الخليفةَ لم يَطِرْ عن فَرْشه طَرَبًا لما يأتى به هذا الكوفىّ ؟

شنّع عليه منصور ابن عمار ورماه بالزندقة

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى ابن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى العبّاس ابن مَيمون قال حدّثنى رَجاء بن سَلَمة قال :

سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأتُ البارحةَ «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ»، ثم قلتُ قصيدة أحسنَ منها . قال : وقد قيل : إنّ منصورَ بن عمّار شنّع عليه بهذا .

قال يحيى بن علىّ حدّثنا ابن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى أبو عُمَر القرشىّ قال : لمّا قصَّ منصور بن عمّار على الناس مجلسَ البَعوضة[2] قال أبو العتاهية : إنما سرق منصورٌ هذا الكلامَ من رجل كوفىّ . فبلغ قولُه منصورًا فقال : أبو العتاهية زِنْديقٌ، أمَا ترَوْنه لا يذكر فى شعره الجنة ولا النار، وإنما يذكر الموت فقط ! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه :

يا واعظَ الناس قد أصبحتَ مُتَّهَمًا * إذ عِبتَ منهم أمورًا أنت تاتيها
كالمُلْبِس الثوبَ من عُرْيٍ وعورتُه * للناس باديةٌ ما إنْ يُواريها

(١) بنات القلوب : النيات .

(٢) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصفتها وما أودعه الله فيها من الأسرار، فأطلق المكان — وهو المجلس — وأراد ما يقع فيه . وهذا المجاز كثير الاستعمال . وقد تكلم الإمام الغزالى فى الاحياء فى باب المحبة على البعوضة (راجع ج ٤ ص ٢٤٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ) وتكلم عليها الدميرىّ أيضا فى حياة الحيوان (راجع ج ١ ص ١٥٩ — ١٦٦ طبع بلاق) .

فأعظمُ الإثمِ بعــد الشِّرك نَعلَمُــه * فى كلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها
عِرفانُها بعيــوب الناس تُبصرها * منهم ولا تُبصر العيبَ الذى فيها

فلم تَمضِ إلّا أيامٌ يســيرة حتى مات منصور بن عمّار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يَغفِرُ الله لك أبا السَّرِيّ ما كنتَ رميتَنى به .

وشى به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقق أمره وتركه

٥ أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرنى النَّسَائىّ عن محمد ابن أبى العتاهية قال :

كانت لأبى العتاهية جارةٌ تُشْرِف عليــه، فرأتْه ليلةً يَقْنُت ، فروتْ عنــه أنه يُكَلِّم القمرَ، واتّصل الخبرُ بحَمْدُويَهْ صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبى العتاهيــة ورآه يُصَلّى، ولم يَزَلْ يرقُبــه حتى قَنَت وانصرف إلى مَضْجَعه ، ١٠ وانصرف حَمْدُويه خاسئًا .

١٤٣ / ٣

قال شعرا يدل على توحيــده ليتناقله النـاس

حدّثنــا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرِّياشىّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجَانِىّ قال :

جاءنا أبو العتاهيــة إلى منزلنا فقــال : زعَم الناس أنّى زنديق ، والله ما دِينى إلا التّوحيد . فقلنا له : فقُلْ شيئا نتحدّث به عنك ؛ فقال :

١٥ ألَا إنّنــا كلّنا بائــدُ * وأىّ بــنى آدمٍ خالــدُ
وبَدْؤُهمُ كان من ربّهــم * وكــلٌّ إلى ربّــه عائدُ
فيا عجبا كيف يُعْصَى الإلٰــ * ـهُ أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ
وفى كلّ شىءٍ له آيــةٌ * تدلّ عــلى أنه واحــدُ

أرجوزته المشهورة وقوة شعرها

أخبرنى أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال :

تذاكروا يوماً شعرَ أبى العتاهية بحَضرة الجاحظ، إلى أن جرى ذكرُ أُرجُوزته المُزدوِجة التى سمّاها "ذاتَ الأمثال"، فأخذ بعضُ مَنْ حضر يُنشدها حتى أتى على قوله :

يا لَلشّبابِ المَرِح التّصابى * روائحُ الجنّة فى الشّبابِ

فقال الجاحظ للمُنشد : قِفْ، ثم قال : آنظروا إلى قوله :

* روائحُ الجنّة فى الشّباب *

فإنّ له معنًى كمعنى الطّرَب الذى لا يقدِر على معرفته إلا القلوبُ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنةُ إلا بعد التطويل وإدامةِ التفكير. وخيرُ المعانى ما كان القلبُ إلى قَبوله أسرعَ من اللسان إلى وَصفه. وهذه الأُرجوزة من بدائع أبى العتاهية، ويقال : إن [له] (1) فيها أربعةَ آلاف مَثَل. منها قوله :

حَسْبُك ممّا تَبتَغيه القوتُ * ما أكثرَ القُوتَ لمن يموتُ

الفقرُ فيما جاوز الكفَافا * مَن آتّقَى اللهَ رَجا وخافا

هىَ المقاديرُ فلُمْنِى أو فَذَرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ

لِكلِّ ما يُؤذِى وإن قَلَّ أَلَمْ * ما أطولَ اللّيلَ على من لم يَنَمْ

ما آنتفع المرءُ بمثلِ عَقْلِه * وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فعْلِه

إنّ الفساد ضِدُّه الصّلاحُ * ورُبّ جِدٍّ جَرّه المُزَاحُ

مَن جعل النَّمّامَ عيناً هلَكا * مُبْلِغُك الشرَّ كباغيه لكَا

إنّ الشّبابَ والفَراغ والجِدَه * مَفْسَدةٌ للمرء أىُّ مَفْسَده

(1) الزيادة عن أ، م.

يُغْنيك عن كلّ قبيحٍ تَرْكُهُ * يرتَهِن الرأىَ الأصيلَ شَكُّهُ
ما عَيشُ مَنْ آفتُه بقاؤُهُ * نَغَّص عيشًا كلَّه فَناؤُه[1]
يا رُبَّ مَنْ أَسخطنا بجَهْده * قد سرّنا اللهُ بغير حَمْده
ما تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ * إلّا لأمرٍ شأنُه عجيبُ
٥ لكلّ شيء مَعْدِنٌ وجَوْهَرُ * وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
١٤٤/٣ مَنْ لك بالمَحْض وكلٌّ مُمْترِجْ * وساوسٌ فى الصّدر منه تَعتلجْ
وكلُّ شيءٍ لاحقٌ بجوهرِهْ * أصغرُه مُتّصِلٌ بأكبرِهْ
ما زالت الدنيا لنا دارَ أذَى * ممزوجةَ الصَّفو بألوان القَذَى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ * لِذا نِتاجٌ ولِذا نِتاجُ
١٠ مَنْ لك بالمحض وليس مَحْضُ * يَخبُث بعضٌ ويَطيب بعضُ
لكلّ إنسانٍ طبيعتانِ * خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
إنّك لو تَستنشق الشَّحيحَا * وجدتَه أنتنَ شيءٍ ريحَا
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا * بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جِدّا
عجبتُ حتى غمّنى السكوتُ * صِرْتُ كأنّى حائرٌ مبهوتُ
١٥ كذا قضى اللهُ فكيف أصنعُ * الصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

وهى طويلة جدّا ، و إنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما ٱشتاقَ الكلامُ من صفتها .

برمه بالناس وذمهم فى شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ عن رَوْح بن الفَرَج قال : شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه ؛ فقال : انقُش عليه : لَعنةُ الله
٢٠ على الناس ؛ وأنشد :

(١) فى ديوانه ص ٣٤٨ : « ... عيشا طيّبا فناؤه » .

بَرِمتُ بالنـاس وأخلاقهم * فصِرْتُ أستأنِس بالوُحدَهْ
ما أكثرَ الناسَ لعَمْرِى وما * أقلَّهم فى حاصل العِـدَّهْ

مدح عمر بن العلاء فأجازه وفضله على الشعراء

حدّثنـا الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلاَبىّ قال حدّثنا عبـد الله بن الضحّاك : أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهدىّ كان مُمَدَّحا ، فمدحه أبو العتاهية ، فأمر له بسبعين ألف درهم ؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفىّ ! وأىّ شىء مِقدارُ شعره ! فبلغه ذلك ، فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم لَيَدُور على المعنى فلا يُصيبه ، ويتعاطاه فلا يُحسنه ، حتى يُشَبِّب بخمسين بيتا ، ثم يمدَحنا ببعضها ، وهذا كأنّ المعانى تُجمع له ، مدحنى فقصَّر التشبيبَ ، وقال :

إنّى أَمِنْتُ من الزمان ورَيبهِ * لمّـا عَلِقتُ من الأمير حِبالاَ
لو يستطيع الناسُ من إجلاله * لحَـذَوْا له حُرَّ الوُجوه نِعالاَ

صــــوت

إنّ المطايا تَشتكيك لأنّهـا * قطَعتْ إليك سَباسِباً[1] ورِمالاَ
فإذا وَرَدْنَ بنا وَرَدن مُخِفَّـةً[2] * وإذا رجَعْنَ بنا رجعن ثِقالاَ

أخذ هذا المعنى من قول نُصَيب :

فعاجُوا فأَثنَوْا بالذى أنت أهـلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

رأى العتابى فيه

حدّثنـا الصُّولىّ قال حدثنا محمد بن عَوْن قال حدّثنى محمد بن النَّضْر كاتب غَسّان بن عبد الله قال :

(١) سباسب : جمع سبسب ، وهو الأرض القفر البعيدة . (٢) مخفـة : قليلة الحمل . وفى ديوانه (طبع بيروت) : « خفائفا » .

أخرجتُ رسولًا إلى عبد الله بن طاهر وهو يُريد مصر، فنزلت على العَتّابىّ ، وكان لى صديقا ، فقال : أنْشِدنى لشاعر العراق — يعنى أبا نواس، وكان قد مات — فأنشدتُه ما كنت أحفظ من مُلَحِه ، وقلت له : ظَننتُك تقول هذا لأبى العتاهية . فقـال : لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك : أنشِـدْنى لأشعر الناس ، ولم أقتصر على العراق .

١٤٥ / ٣

ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى هارون بن سَعْدان عن شيخ من أهل بغداد قال :

قال أبو العتاهية : أكثرُ الناس يتكلّمون بالشعر وهم لايعلمون ، ولو أحسنُوا تأليفَه كانوا شعراء كلُّهم . قال : فبينا نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مِسحٌ[1] : « يا صاحب المِسْحِ تَبيـع المِسْحَ[2] ؟ » . فقال لنا أبو العتاهية : هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول :

* يا صاحبَ المِسح تَبيع المِسحا *

قد قال شعرا وهو لا يعـلم . ثم قال الرجل : « تعال إن كنتَ تريد الرِّبح[2] » . فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم، قال له :

* تعالَ إن كنتَ تُريد الرِّبحا *

وصف الأصمعىّ شعره

حدّثنـا الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بَشِير[3] أبو طاهر الحَلَبىّ قال حدّثنا مَزْيَد الهاشمىّ عن السِّدْرىّ قال :

---

(١) المسح : كساء من شعر كثوب الرهبان .

(٢) فى الأصول : « المسحا » و « الربحا » بالألف ، وهو نثر لا داعى فيه لألف الإطلاق .

(٣) فى أ ، ء ، م : « ابن بشر » .

سمعت الأصمعىّ يقول : شِعْرُ أبى العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهرُ والذهب والتراب والخَزَف والنَّوَى .

مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه لدى المهدى

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال :

لمّا حَبس المهدىُّ أبا العتاهية ، تكلّم فيه يَزِيد بن منصور الحِميرىّ حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية :

ما قلتُ فى فَضلِه شيئًا لأَمدحَه * إلّا وفضلُ يَزِيدٍ فوقَ ما قلتُ

مازلتُ من رَيْبِ دهرى خائفًا وَجِلًا * فقد كفانِىَ بعدَ الله ما خِفْتُ

قدرته على ارتجال الشعر

أخبرنى يحيى بن علىٍّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهدىّ قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن الحسن قال :

جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان فجلس إلىّ . فقلتُ : يا أبا إسحاق ، أمَا يصعُب عليك شىءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائرُ من يقول الشعر ، أو إلى ألفاظ مُسْتكرَهة ؟ قال لا . فقلت [له](1) : إنّى لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافىَ السَّهلةَ . قال : فاعْرِضْ علىّ ما شئتَ من القوافى الصعبة . فقلت : قل أبياتا على مثل البلاغ . فقال من ساعته :

أىُّ عيشٍ يكون أبلَغ من عيـ * ـشٍ كَفافٍ قُوتٍ بقَدْر البلاغِ(2)

صاحبُ البَغْى ليس يسلَمُ منه * وعلى نَفْسه بَغَى كلُّ باغِى

رُبَّ ذى نِعمة تَعرَّضَ منها * حائلٌ بينه وبين المَساغِ

أَبْلغَ الدهرُ فى مَوَاعظه بل * زاد فيهنّ لى على الإبلاغِ

غَبنَتْنى الأيّامُ عقلى ومالى * وشَبابى وصِحّتى وفَراغِى

(1) زيادة عن ح .
(2) البلاغ هنا : الكفاية .

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى أبو علىّ اليَقْطِينى قال حدّثنى أبو خارجةَ بنُ مسلم قال :

كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره

١٤٦ / ٣

قال مسلم بن الوليد : كنت مُسْتَخِفًّا بشعر أبى العتاهية ، فلَقِيَنى يومًا فسألنى أن أصير اليه ، فصرت اليه فجاءنى بلَونٍ واحد فأكلناه ، وأحضَرنى تمرا فأكلناه ، وجلسنا ٥ نتحدّث ، وأنشدته أشعارًا لى فى الغزل ، وسألته أن يُنْشِدنى ، فأنشدنى قولَه :

بالله يا قُرّةَ العينَيْنِ زُورِينى * قبل المماتِ وإلّا فاسْتَزِيرِينى

إنّى لأَعْجَبُ من حُبٍّ يُقرِّبنى * ممن يُباعدنى منه ويُقْصِينى (١)

أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو * أطمعتِنى فى قليلٍ كان يَكفِينى

ثم أنشدنى أيضا :

١٠ رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غيرَ أنّه * على حَرِّه فى صدر صاحبه حُلْوُ

صوت

أَخِلّاىَ بى شَجْوٌ وليس بكم شجوُ * وكلُّ امرئٍ عن شَجو صاحبه خِلْوُ

وما من مُحِبٍّ نال ممن يُحِبّه * هوًى صادقًا إلّا سيدخُله زَهْوُ

بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدْءَ بَلِيّتى * فأحببتُ حقًّا والبلاء له بَدْوُ

١٥ وعُلِّقتُ مَنْ يزهو علىّ تجبُّراً (٢) * وإنّى فى كلّ الخصال له كُفْوُ

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غيرَ أنّه * على كل حالٍ عند صاحبه حُلْوُ

— الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق فى مَجْرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضا خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانةَ رَمَلٌ بالوسطى من كتابه . ولعَرِيبَ فيه خفيفُ ثقيلٍ من كتاب ابن المُعتزّ — قال مسلم : ثم أنشدنى أبو العتاهية :

٢٠ (١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر النسخ : « ويعصينى » .

(٢) يزهو : يترفع ويتكبر . والفصيح : « يزهى » بالبناء للمجهول .

صـــــوت

خليـــلىَّ مالى لا تَزال مَضَــرّتى * تكون على الأَقْدار حَتْماً منَ الحَتْم
يُصاب فؤادى حين أرْمى ورَمْيَتى * تعودُ إلى نَحرى ويَسْلَمُ من أَرْمِى
صَـبَرتُ ولا والله ما بى جَلادةٌ * على الصبر لكنّى صبَرتُ على رَغْمى
ألَا فى سبيل الله جسـمى وقُوّتى * ألَا مُسْعِدٌ حتى أنوحَ على جسمى
تُعَـدّ عظامى واحدًا بعـد واحدٍ * بِمَنْحَى(١) منَ العُـذّال عَظْماً على عَظم
كفاكَ بحقّ الله ما قد ظلمتَـنى * فهـذا مَقام المستجير من الظُّلْم

— الغناء لسِيَاط فى هـذه الأبيات ، و إيقاعه من خفيف الثّقيل الأوّل بالسبّابة فى مجرى البِنْصر عن إسحاق — قال مسـلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالى مَنْ أحسنَ أن يقول مثل هـذا الشّعر ما فاته من الدنيـا ! فقال : يابن أخى، لا تقولنّ مثل هذا، فإن الشعر أيضا من بعض مَصايد الدنيا .

وفد مع الشعراء على الرشيد ومدحه فلم يجز غيره

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عبدالرحمن بن الفضل قال حدّثنى ٱبن الأعرابىّ قال :

اجتمعتِ الشـعراء على باب الرشيد، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا، فأنشد أبو العتاهية :

يا مَنْ تَبَـغَّى(٢) زمنًا صالحًا * صَلاحُ هارونَ صلاحُ الزمنْ
كلُّ لسانٍ هـو فى مُلكه * بالشكر فى إحسانه مُرْتَهَنْ

قال : فاهتزّ(٣) له الرشـيد ، وقال له : أحسنتَ والله ! وما خرج فى ذلك اليوم أحد من الشعراء بِصلَةٍ غيرُه .

١٤٧ / ٣

(١) فى ب ، س : « بمحنى » بتقديم الحاء على النون ، وهو تحريف .
(٢) تبغى : تطلب . (٣) فى ب ، س : « فأدهش له » .

قال شعرا فى المشمر فرس الرشيد فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنا علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا عامر بن عمران الضّبىّ قال حدّثنى ابن الأعرابىّ قال :

أجرى هارونُ الرشيد الخيلَ، فجاءه فرس يقال له المُشمَّر سابقًا، وكان الرشيد مُعْجَبًا بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال :

جاء المشمّرُ والأفـراسُ يَقْدُمُها * هَوْنًا على رِسْـله(١) منهـا وما انْبَهَرَا
وخَلَّف الريحَ حَسْرَى(٢) وهى جاهدةٌ * ومَرّ يَختطف الأبصارَ والنظـرَا

فأجزلَ صلتَه، وما جَسَر أحدٌ بعد أبى العتاهية أن يقول فيه شيئًا .

رثاؤه صديقه على ابن ثابت

أخبرنى يحيى إجازةً قال حدّثنى الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال :

كان علىّ بن ثابت صـديقًا لأبى العتاهية وبينهما مُجَاوبات كثيرة فى الزهـد والحكمة، فتُوفّى علىّ بن ثابت قبله، فقال يَرثيه :

مُؤْنِسٌ كان لى هَلَكْ * والسبيلُ التى سَـلَكْ
يا علىّ بنَ ثابتٍ * غَفَـر الله لى ولَكْ
كلُّ حىٍّ مُمَـلَّكٍ * سوف يَفْنَى وما مَلَكْ

قال الفَضْل(٣) : وحضر أبو العتاهية علىَّ بن ثابت وهو يجود بنفسه، فلم يَزَلْ مُلتزمه حتى فاض(٤)، فلما شُدّ لَحْياه بكى طويلا، ثم أنشد يقول :

يا شَريكى فى الخـير قـرّبك الله * ـهُ فنعم الشّريكُ فى الخـير كُنتَا
قد لَعَمْرى حكَيْتَ لى غُصَصَ المو * تِ فحرّكْتَنى لهـا وسَكَنْتَا

(١) على رسله : على تؤدته وهينته، ومثله الهون (بالفتح) . (٢) حسرى : كالة معيية .
(٣) فى ب، س : «أبو الفضل» وهو تحريف . (٤) فى م : «فاظ» وكلاهما بمعنى مات .

قال : ولمّا دُفن وقف على قبره يبكى طويلًا أحرّ بكاء ، و يردّد هـذه الأبياتَ :

ألَا مَنْ لى بأُنسِـك يا أُخَيّـا * ومَنْ لى أن أبثّـك ما لديّا
طَوتْكَ خُطوبُ دهرِك بعد نَشْرٍ * كذاك خُطوبُه نَشْرًا وطيّـا
فلو نَشَرتْ قُــواكَ لىَ المنـايا * شكوتُ إليك ما صنعتْ إليّـا
بكيتُك يا عــلىُّ بدمع عيــنى * فمـا أغنَى البكاءُ عليـك[1] شـيّا
وكانت فى حيـاتك لى عِظاتٌ * وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّـا

اشتمال مرثيتـه فى على بن ثابت على أقوال الفلاسـفة فى موت الإسكندر

قال علىّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه المعانى أخذها كلّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لمّـا حضروا تابوت الإسكندر، وقد أُخرج الإسكندر ليُدْفَنَ : قال بعضهم : كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليومَ ، وهو اليوم أوعظُ منـه أمس . وقال آخر : سَكَنتْ حركةُ الملك فى لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم فى سكونه جزعًا لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية فى هذه الأشعار .

سأله جعفر بن الحسين عن أشعر الناس فأنشده من شعره

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى جعفر ابن الحسين المُهَلَّبىّ قال :

لَقِينا أبو العتاهية فقلنا له : يا أبا إسحاق، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : الذى يقول :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به * والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْلِ[2]

فقلت : أنشِدْنى شيئًا من شعرك؛ فأنشدنى :

ياصاحبَ الرُّوحِ ذى الأنفاسِ فى البدَنِ[3] * بين النهـار و بين الليـــل مُرْتَهَنِ
لقلّمـا يتخطّـاك اختـــلافُهما * حتى يُفرِّق بين الرُّوح والبـدنِ

(١) فى أ ، م ، ء : « على » .

(٢) فى ب ، ء : « الرحل » بالجيم المعجمة . (٣) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول : « والأنفاس والبدن » .

لتجذبنّي يدُ الدّنيا بقوّتها * إلى المنايا وإن نازعتُها رَسَنى[1]
لله دُنيا أُناسٍ دائبين لها * قد ارتعوْا فى رياض الغيّ والفتن[2]
كسائماتٍ رِتاعٍ[3] تبتغى سِمَنًا * وحَتْفُها لو دَرَتْ فى ذلك السِّمَن

قال : فكتبتُها، ثم قلت له : أنْشِدنى شيئا من شعرك فى الغزل؛ فقال : يابن أخى،
٥ إنّ الغزل يُسرِع إلى مثلك . فقلت له : أرجو عصمةَ الله جل وعزّ . فأنشدنى :

كأنّها من حُسنها دُرّةٌ * أخرجها اليمُّ إلى الساحلِ
كأنّ فى فيها وفى طَرفها * سواحرًا أقبلنَ من بابل
لم يُبقِ منّى حبُّها ما خلا * حُشاشَةً فى بَدَنٍ ناحل
يا مَنْ رأى قبلى قتيلًا بكَى * من شدّة الوَجْد على القاتل

١٠ فقلت له : يا أبا إسحاق ، هذا قولُ صاحبنا جَميل :

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتما * قتيلًا بكى من حبّ قاتِله قبلى

فقال : هو ذاك يابنَ أخى وتبسّم .

شعره فى التحسر على الشباب

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو عِكْرِمة عن
شيخ له من أهل الكوفة قال :

١٥ دخلتُ مسجدَ المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمّدٌ بسَنةٍ ، فإذا شيخٌ عليه
جماعةٌ وهو يُنشد :

---

(١) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « لتجذبنى به الدنيا ... » .
(٢) ورد هذا البيت فى الديوان هكذا :
لله درّ أناس عمرت بهم * حتى رعوا فى رياض الغيّ والفتن
٢٠ (٣) رتاع : جمع راتعة . وفى الديوان : «رواع» جمع راعية ، وهما بمعنى .

لَهْفِى على وَرَقِ الشّبابِ * وغُصونِه الخُضْرِ الرِّطابِ
ذهب الشـــباب وبان عنّى غيرَ مُنتَظَـــرِ الإياب
فلأَبْكِينّ على الشّـــبا * بِ وطِيبِ أيّامِ التّصابى
ولأَبْكِينّ من البِـــلَى * ولأبكينّ من الخضاب
إنّى لآمُـــلُ أنـــ أُخَلَّدَ والمنيَّـــةُ فى طِـلَابى ٥

قال : فجعل يُنشـدها وإنّ دموعَه لتَسيل على خدّيه . فلمّا رأيت ذلك لم أصبر أنْ مِلتُ فكتبتُها . وسألت عن الشيخ فقيل لى : هو أبو العتاهية .

كان ابن الأعرابى يعيب شعره

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفِىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال حدّثنى أبو العباس محمد بن أحمد قال :

كان ابن الأعرابىّ يَعيب أبا العتاهية ويَثْلُبُه، فأنشدته : ١٠

كم من سفيهٍ غاظَنى سَـــفَهاً * فشَفَيْتُ نفسى منه بالحِـــلْمِ
وكَفَيْتُ نفسى ظُـــلمَ عادِيَتى * ومنحتُ صفوَ مودّتى سِلْمِى(١)
ولقـد رُزِقتُ لظالمى غِلَظًـا * ورَحِمتُـــه إذ لجّ فى ظُلْمِى

أحب شعره إليه

أخبرنى محمـد بن عِمران قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنى محمـد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن أحمد الأَزدىّ قال : ١٤٩ / ٣ ١٥

قال لى أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطُّ أحبَّ إلىّ من هذين البيتين [فى](٢) معناهما :

ليت شعرى فإنّنى لستُ أدرى * أىُّ يـومٍ يكون آخِرَ عُمْـــرِى
وبأىّ البـــلاد يُقبض رُوحى * وبأىّ البِقـاع(٣) يُحْفَـــر قبرى

---

(١) سلمى : مسالمى؛ يقال : فلانٌ سلم لفلان، وحرب له، اذا كان بينهما سلام أو حرب .

(٢) التكملة عن نسخة ا .   (٣) فى ب، س : « البلاد » .

راهن فى أول أمره جماعة على قول الشعر فغلبهم

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنى محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد ابن عبد الجبّار الفزارىّ قال :

اجتاز أبو العتاهية فى أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فخّار يدور به فى الكوفة ويبيع منه ، فمرّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظهره، ثم قال : يا فتيانُ أراكم تذاكرون الشعرَ، فأقول شيئاً منه فتجيزونه ، فإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهزئوا منه وسخروا به وقالوا نعم . قال : لا بدّ أن يُشترى بأحد القِمارَين[1] رُطَبٌ يؤكل فإنه قِمار[1] حاصل ، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم ، ففعلوا . فقال : أجِيزوا :

* ساكِنى الأجداثِ أنتمْ *

وجعل بينه و بينهم وقتاً فى ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ، غُرِّموا الخطَر[2] ، وجعل يهزأ بهم وتمّمه :

... ... * مثلَنـا بالأمس كُنتمْ

ليتَ شعرى ما صنعتم * أَرَبِحتم أم خَسِرتمْ

وهى قصيدة طويلة فى شعره .

هجاه أبو حبش وذم شعره

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبـد الله عن أبى خَيْثَم العَنَزىّ قال :

لمّـا حَبَس الرشـيدُ أبا العتاهية وحلَف ألاّ يُطلِقَـه أو يقولَ شـعراً ، قال لى أبو حَبَش : أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر ، تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم ، ويقول هذا المُخنَّث المُفَكَّك تلك الأشعارَ بالشفاعة ! ثم أنشدنى :

(١) فى ب ، س ، حـ : « العمرين ... قمر » . (٢) الخطر هنا . الرهان .

أبا إسحاق راجعت الجماعه * وعُدْتَ إلى القوافى والصِّناعَهْ
وكنت بجامح (١) فى الغَىّ عاصٍ * وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعَهْ
فخُزَّ الخَزّ مما كنتَ تُكْسَى * ودَع عنك التَّقشُّف والبَشاعَهْ
وشَبِّبْ بالتى تهوَى وخَبِّرْ * بأنّك ميّتٌ فى كلّ ساعَهْ
كسَدنا ما نراد وإن اجدنا * وأنت تقول شعرَك بالشّفاعَهْ

خرج مع المهدى فى الصيد وقد أمره بهجوه فقال شعرا

أخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثنى أبو خَيْثم العَنَزىّ ، وكان صديقًا لأبى العتاهية ، قال حدثنى أبو العتاهية قال :

أخرجنى المهدىّ معه إلى الصَّيْد، فوقعنا منه على شىءٍ كثير، فتفرّق أصحابُه فى طلبه وأخذ هو فى طريق غير طريقهم فلم يَلْتَقُوا (٢)، وعَرَض لنا وادٍ جرّارٌ وتغيّمت السماءُ وبدأت تُمطر فتحيّرنا ، وأشرفْنا على الوادى فاذا فيه ملّاح يُعبِّر النّاسَ ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يُضَعِّف رأيَنا ويُعَجِّزنا فى بذْلنا أنفسَنا فى ذلك الغَيْم للصيد حتى أبعَدنا ، ثم أدخَلنا كُوخًا له . وكاد المهدىّ يموت بردًا ؛ فقال له : أغَطّيك بجُبّتى هذه الصوف ؟ فقال نعم ؛ فغطّاه بها ، فتماسك قليلًا ونام . فافتقده غِلمانُه وتَبِعوا أثَره حتى جاءونا . فلمّا رأى الملّاح كثرتَهم علم أنه الخليفةُ فهرب ، وتبادر الغِلمان فنحَّوْا الجُبّةَ عنه وألقَوْا عليه الخزَّ والوَشْىَ . فلما آنتبه قال لى : وَيْحَك ! ما فعل الملّاح ؟ فقد والله وَجَب حقُّه علينا . فقلت : هرَب والله خوفًا من قُبح ما خاطبنا به . قال : إنّا لله ! والله لقد أردتُ أن أُغْنِيَه ، وبأىّ شىء

١٥٠
٣

(١) فى الأصول : «بجامع» ولا يستقيم بها الكلام ، فآثرنا ما أثبتناه .
(٢) فى ب ، سـ : «فلم يلتهنوا» .

خاطِبَنا ! نحن والله مُستحقّون لأقبحَ ممّا خاطبنا به ! بحياتى عليك إلّا ما هجوتَنى . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، كيف تَطيب نفسى بأن أهجوَك ! قال : والله لَتَفْعَلَنّ ؛ فإنى ضعيفُ الرأى مُغرَمٌ بالصّيد . فقلت :

يا لابسَ الوَشْيِ على ثوبه * ما أقبحَ الأَشْيَبَ فى الرّاحِ

٥ فقال : زِدْنى بحياتى ؛ فقلت :

لو شئتَ أيضًا جُلْتَ فى خَامةٍ (١) * وفى وِشاحَيْنِ وأَوْضَاحِ (٢)

فقال : وَيْلَك ! هذا معنى سَوْءٍ يَرْوِيه عنك الناسُ ، وأنا أستأهل . زِدْنى شيئًا آخر . فقلت : أخاف أن تغضب . قال : لا والله . فقلت :

كم من عظيمِ القَدرِ فى نفسه * قد نام فى جُبّةِ مَلّاحِ

١٠ فقال : معنى سَوْءٍ عليك لعنةُ الله ! وقمنا وركبنا وانصرفنا .

وقعت فى عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتّاب الحسن بن سهل قالوا :

وقعتْ رقعةٌ فيها بيْتَا شعرٍ فى عسكر المأمون ؛ فجِىء بها إلى مُجَاشِع بن مَسْعَدة ، فقال : هذا كلام أبى العتاهية ، وهو صديق ، وليستِ المخاطبة لى ولكنّها للأمير ١٥ الفضلِ بن سهل . فذهبوا بها ، فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامةَ . فبلغ المأمونَ خبرُها فقال : هذه إلىّ وأنا أعرف العلامة . والبيتان :

(١) الخام : ثوب من القطن لم يغسل .
(٢) الأوضاح : حلىّ من فضة أو هى الخلاخيل .

صــــوت

ما على ذا كنّا ٱفترقْنا بِسَـنْدا[(١)] * نَ وما هكذا عهِـدْنا الإخاءَ
تَضْرِبُ النـاسَ بالمُهَنَّدة البِيـ * ـضِ على غَدْرِهم وتَنْسَى الوفاءَ

قال : فبعث إليه المأمون بمالٍ .

فى هذين البيتين لأبى عيسى بن المتوكّل رَمَلٌ من رواية ٱبن المُعتزّ . ٥

استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعرا فعجلها له

قال : وكان علىّ بن يَقطِين صديقا لأبى العتاهية، وكان يَبَرّه فى كل سنة ببِرّ واسع، فأبطأ عليه بالبرّ فى سنة من السنين، وكان إذا لَقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرّ به ويرفع مجلسَه ولا يَزيده على ذلك . فلقيه ذاتَ يوم وهو يريد دارَ الخليفة ، فاستوقفه فوقف له، فأنشده :

حتّى متى ليت شعرى يٱبنَ يَقْطِينِ * أُثنى عليـك بمـا لا منـك تُولِينى ١٠
إنّ السّلامَ وإنّ البِشْرَ من رجلٍ * فى مثل ما أنت فيه ليس يَكْفِينى
هذا زمانٌ ألحّ الناسُ فيه على * تيـــه الملوك وأخلاقِ المساكينِ
أمَا علمتَ جزاك الله صالحـــةً * وزادك اللهُ فضـــلا يابنَ يَقْطِين
أنّى أُريدك للدّنيـا وعاجلهـا * ولا أُريدك يومَ الدِّيـن للدين

فقـال علىّ بن يَقطين : لستُ واللهِ أبرح ولا تَبرح من موضعنا هـذا إلا راضياً ، ١٥ وأمر له بمـا كان يبعث به إليه فى كل سنة ، فحُمِل من وقته وعلىٌّ واقفٌ إلى أن تَسَـلّمه .

---

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند .

نظم شعرا في الحبس فلما سمعه الرشيد بكى وأطلقه

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ المبرّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني من غير وجه : أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبسه ، وَكّل به صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه ، فكتب إليه أنه سمعه يُنشد :

أَمَا واللهِ إنّ الظلمَ لُومٌ * وما زال المُسيء هو الظَّلومُ

إلى دَيَّانِ يومِ الدينِ نَمْضِي * وعند الله نجتمع الخصومُ

قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبي العتاهية و إطلاقه ، وأمر له بألفَيْ دينار .

رماه منصور بن عمار بالزندقة وشنع عليه فاحتقره العامة

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال :

لمّا قال أبي في عُتْبَة[1] :

كأنّ عتابةَ مِنْ حسنها * دُمْيَةُ قَسٍّ فتنتْ قَسَّها

يا ربِّ لو أَنْسَيْتَنِيها بما * في جَنّة الفِرْدوس لم أَنْسَها

شنّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة ، وقال : يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون ! وشنّع عليه أيضا بقوله :

إنّ المليكَ رآكِ أحـ * ـسنَ خَلْقِه ورأى جمالَكْ

فحذا بقدرته تعالى * حُورَ الجنان على مثالِكْ

وقال : أَيُصوِّر الحور على مثال امرأة آدميّة والله لا يحتاج إلى مثال ! وأوقع له هذا على ألسنة العامّة ، فلقي منهم بلاءً .

اتهمه البادغيسي [illegible] شعره [illegible]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا حابل بن أسد قال حدّثني أبو سلمة البادغيسيّ قال :

(1) [illegible]

قلتُ لأبى العتاهية : فى أىّ شعر أنت أشعرُ ؟ قال : قولى :

النّاسُ فى غَفَلاتِهِمْ * وَرَحا المنيّةِ تَطْحَنُ

أنشد المأمون شعره فى الموت فوصله

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى يَحيى بن عبد الله القُرَشىّ قال حدّثنى المُعَلّى بن أيّوب قال :

دخلتُ على المأمون يومًا وهو مُقْبِل على شيخ حَسَن اللِّحية خَضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطِئةٌ[1] ، فقلت للحسن بن أبى سعيد — قال : وهو ابن خالة المُعَلّى بن أيوب . وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة — : مَنْ هذا ؟ فقال : أمَا تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتُك عنه . فقال : هذا أبو العتاهية . فسمعت المأمونَ يقول له : أنْشِدنى أحسنَ ما قلتَ فى الموت ؛ فأنشده :

أَنسـاكَ مَحْيَاكَ المماتَا * فطَلَبْتَ فى الدنيا الثَّبَاتَا
أَوَثِقْتَ بالدنيـا وأنـ * ـت ترى جَماعتَها شَتاتَا
وعزَمتَ منك على الحيا * ةِ وطُولِها عَزْمًا بَتاتَا
يا مَنْ رأى أبَـوَيْه فيـ * ـمَنْ قد رأى كانا فماتا
هـل فيهمـا لك عِبْرةٌ * أم خِلْتَ أنّ لك انْفلاتا
ومَن الذى طَلَبَ التَّفلـ * ـتَ من منيّتـه ففـاتا
كلٌّ تُصَبِّحه المنـ * ـيّةُ أو تُبَيِّتُـه بَيـاتا

قال : فلمّا نَهَض تَبِعتُه فقبضت عليه فى الصَّحْن أو فى الدِّهْليز ، فكتبتها عنه .

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : قال حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى الجاحظ عن ثُمَامةَ قال :

(١) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ١٥٢/٣

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها * اذا أطاع اللهَ مَنْ نالَها

مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها * عَرَّضَ للإدبار إقبالَها

فقال له المأمون : ما أجود البيتَ الأوّل! فأما الثانى فما صنعتَ فيه شيئا، الدنيا
٥ تُدبِر عمن واسَى منها أو ضَنّ بها، وإنما يُوجِب السماحةُ بها الأجرَ، والضنُّ بها الوِزْرَ.
فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أَوْلَى بالفضل، وأهلُ النقص أولى
بالنقص . فقال المأمون : ادْفَعْ إليه عَشَرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحق . فلمّا
كان بعد أيام عاد فانشده :

كم غافلٍ أَوْدَى به الموتُ * لم يأخُذِ الأُهبَةَ للفَوْتِ

١٠ مَنْ لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه * زال عن النعمة بالموتِ [(١)]

فقال له : أحسنتَ ! الآن طَيَّبْتَ المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

تأخرت عنه عادة المأمون سنة فقال شعرا فأعطاها له

أخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال
حدّثنى آبنُ سِنَانٍ العِجْلىّ [(٢)] عن الحسن بن عائذ قال :

كان أبو العتاهية يَحُجّ فى كلّ سنة، فإذا قدم أَهْدَى الى المأمون بُرْداً ومِطْرَفاً
١٥ ونعلا سوداء ومَساوِيكَ أَرَاكٍ، فيبعَث اليه بعشرين ألفَ درهم. [وكان] [(٣)] يُوَصِّل الهديّةَ
من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويَجِيئه بالمال . فأهدى مرّةً له كما كان يهدى كلَّ
سنة إذا قَدِم ، فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة . فكتب إليه أبو العتاهية :

---

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « تذعر النعمة بالموت » .
(٢) فى أ ، ء ، م : « أبو سنان » . ولم نقف على ما يرجح إحداهما .
٢٠ (٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، س ، ح .

خبّرونى أنّ من ضَرْب السَّنَهْ * جُدُدًا بِيضًا وصُفْرًا حَسَنَهْ
أُحْدِثَتْ لكنّنى لم أَرها * مِثْلَ ما كنتُ أرى كلَّ سَنَهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف دِرهم ، وقال : أَغفلْناه حتى ذَكّرنا .

كان الهادى واجدا عليه فلما تولى استعطفه

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّولى قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهَلَّبى قال حدّثنا الزُّبَير ابن بَكّار قال أخبرنى عُرْوة بن يوسف الثَّقفى قال :

لمّا وَلِى الهادى الخلافة كان واجدًا على أبى العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ وآنقطاعه اليه وتَرْكِه موسى ، وكان أيضا قد أَمر أن يخرُج معه الى الرَّىّ فأبى ذلك ؛ نخافه وقال يَستعطفه :

ألَا شَافِعٌ عنـد الخليفةِ يَشْفَعُ * فيـدفَع عنّا شرّ ما يتَـوَقّعُ
و إنّى على عُظْمِ الرجاء لخائفٌ * كأنّ على رأسى الأَسِنّةَ تُشْرَعُ
يُروّعنى موسى على غـير عَثْرةٍ * ومالى أَرى(١) موسى من العفو أَوْسَعُ
وما آمِنٌ يُمسى ويُصبح عائذا * بعفو أمير المؤمنين يُروَّعُ

١٥٣ / ٣

مدح الهادى فأمر خازنه بإعطائه فمطله فقال شعرا فى ابن عقال فعجلها له

حدّثنى الصُّولى قال حدّثنى علىّ بن الصبّاح قال حدّثنى محمد بن أبى العتاهية قال : دخل أبى على الهادى فأنشده :

يا أمينَ اللهِ مالى * لستُ أدرى اليومَ مالِى
لم أَنَلْ منك الذى قد * نال غيرى من نَوالِ
تَبْـذُلُ الحقَّ وتُعطِى * عن يمينٍ وشِمـالِ
وأنا البـائسُ لا تَنْـ * ـظُر فى رقّـةِ حالى

(١) كذا فى جميع النسخ والديوان . ولعله : « لدى موسى » .

قال : فأمر المُعَلّى الخازنَ أن يُعْطِيَه عشرةَ آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فأتيته فأبى أن يُعطِيَها . ذلك أنّ الهادى ٱمتحننى فى شىء من الشعر، وكان مَهيباً ، فكنتُ أخافه فلم يُطعنى طَبْعى ، فأمر لى بهذا المال ، فخرجتُ . فلما مَنعنِيه المُعَلّى صِرتُ الى أبى الوليد أحمد بن عِقال ، وكان يُجالس الهادى ، فقلت له :

أَبْلِغْ سَلِمتَ أبا الوليد سَلامى * عنّى أميرَ المؤمنين إمامى
واذا فرَغتَ من السّلامِ فقل له * قد كان ما شاهدتَ من إفحامى
واذا حَصِرتُ[1] فليس ذاك بمُبْطِلٍ * ما قد مَضَى من حُرْمَتى وذِمامى
ولطالما وفَدتْ اليك مدائحى * مخطوطةً فَلْيأْتِ[2] كلُّ ملامِ
أيّامَ لى لَسَنٌ ورِقّةُ جِدّةٍ * والمرءُ قد يَبْلَى مع الأيّامِ

قال : فاستخرج لى ٱلدراهمَ وأنفذها الىّ[3] .

كان الهادى واجدا عليه فلما تولى استعطفه ومدحه فأجازه

حدّثنى الصولىّ ومحمد بن عِمران الصيرفىّ قالا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا محمد ابن أحمد بن سليمان قال :

وُلِد للهادى ولد فى أوّل يوم وَلِى الخلافة ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده :

أكثرَ موسى غيظَ حُسّاده * وزَيَّن الأرضَ بأولادهِ
وجاءنا من صُلْبه سَيّدٌ * أَصْيَدُ فى تقطيع أجداده
فٱكتستِ الأرضُ به بَهْجةً * وٱستبشر المُلكُ بمِيلاده
وٱبتسم المِنْبَرُ عن فَرْحةٍ * عَلَتْ بها ذِرْوةُ أعواده

(١) الحصر : العىّ فى المنطق . (٢) فى أ ، ء ، م : «فالتأب» . (٣) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « فاستخرج الىّ » .

كأنّنى بعــد قليــلٍ به * بيْن مَواليــه وقُــوّادهِ
فى مَحفِــلٍ تَخْفِــق راياتُه * قد طَبَّق الأرضَ بأجنادهِ

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطِيبٍ كثيرٍ ، وكان ساخطًا عليه فرضِى عنه .

حضــر غضب المهــدى على أبى عبيد الله وترضاه عنه بشعر فرضى عنه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى علىّ ابن يزيد الخَزْرجىّ الشاعر عن يحيى بن الرَّبيع قال : ٥

دخل أبو عُبَيــد الله على المهدىّ ، وكان قد وجَد عليه فى أمر بلَغه عنه ، وأبو العتاهيه حاضرٌ المجلسَ ، فجعل المهدىّ يشتُم أبا عُبيد الله ويتغيّظ عليه ، ثم أمر به فجُرّ برِجله وحُبِس ، ثم أطرق المهدىّ طويلًا . فلمّا سكن أنشده أبو العتاهية :

١٥٤ / ٣

أرى الدُّنيا لمن هى فى يَدَيْه * عذابًا كلّما كَثُرتْ لدَيْه
تُهين المُكْرِمين لهــا بصُغْرٍ(١) * وتُكْرِم كلَّ من هانتْ عليــه ١٠
إذا استغنيتَ عن شىءٍ فدَعْهُ * وخُــذْ ما أنت محتاجٌ اليــه

فتبسّم المهــدىّ وقال لأبى العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ أحدًا أشدَّ إكرامًا للدّنيا ولا أصْونَ لها ولا أشَحَّ عليها من هذا الذى جُرّ برجله الساعةَ . ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس ، فما بَرِحتُ حتى رأيتُه أذلّ الناس ، ولو رضِى من الدنيا بما يَكفيه لاستوتْ أحوالُه ولم تتفاوت . فتبسّم المهــدىّ ودعا بأبى عُبيد الله فرَضِى عنه . فكان أبو عُبيد الله يشكر ذلك لأبى العتاهية . ١٥

مــدح شــعرا له إسحاق بن حفص

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنى محمد ابن الحسن قال حدّثنى إسحاق بن حَفْص قال :

(١) الصغر : الضيم والذل . ٢٠

أنشدنى هارون بن مُخَلَّد الرازىّ لأبى العتاهية :

ما إن يَطيبُ لذى الرعاية لذ * أيّام[1] لا لَعِب ولا لَهْــوُ

إذ كان يطْرب[2] فى مَسرّته * فيموت من أجزائه جُزو

فقلت : ما أحسنَهما ! فقال : أهكذا تقول ! والله لهما رُوحانيّان يطيران بين السماء والأرض . ٥

فضله ابن مناذر على جميع المحدثين

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى عن ابن عِكْرمة عن مسعود ابن بِشْر المازنىّ قال :

لَقيتُ ابنَ مُناذِر بمكة ، فقلت له : مَنْ أشعرُ أهل الإسلام؟ فقال : أترى مَنْ إذا شئت هزَل، وإذا شئت جدّ؟ قلت : مَنْ؟ قال : مثلُ جَرير حين يقول فى النَّسيب :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبّك غادروا * وَشَــلًا بعينك ما يزال مَعينَا ١٠

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلْن لى * ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

ثم قال حين جدّ :

إنّ الّذى حَرَمَ المَكارِم تَغلِبًا * جعَــل النُّبوّةَ والخلافةَ فينا

مُضَرٌ أبى وأبو الملوك فهل لكم * يا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبِينا

هذا ابنُ عمّى فى دِمَشْقَ خليفةً * لــو شئتُ ساقكمُ إلىّ قَطِينا[3] ١٥

ومن المُحْدَثين هذا الخبيثُ الذى يتناول شعرَه من كُمّه . فقلت : مَنْ ؟ قال : أبو العتاهية . قلت : فى ماذا ؟ قال : قوله :

---

(١) فى س ، ب : «الوعاية» بالواو وهو تحريف . (٢) فى ديوانه (ص ٢٩٨) : "يسرف" . (٣) القطين هنا : الخدم والأتباع .

اللهُ بيني وبين مَولاتي * أبدَتْ لِيَ الصَّدَّ والمَلالاتِ
لَا تَغفِرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا * تقبَلُ عُذْرى ولا مُواتاتى
منحتُها مُهجتى وخَالِصتى * فكان هِجرانُها مُكافاتى
أَقلقَنى حُبُّها وصَيَّرنى * أُحدوثةً فى جميع جَاراتى

٥

ثم قال حين جدّ :

ومَهمَهٍ(١) قد قطعتُ طَامِسَه(٢) * قَفْرٍ على الهَوْل والمُحاماةِ
بِحُرَّةٍ(٣) جَسْرةٍ عُذافِرةٍ * خَوصاءَ عَيْرانةٍ عَلَنْداةِ
تُبادر الشمسَ كلّما طلعتْ * بالسَّير تَبْغِى بذاك مَرْضاتى
يا ناقُ خُبّى بنا ولا تَعِدى * نَفْسَك مما تَرَيْنَ راحاتِ
حتّى تُنَاخِىْ بنا الى مَلِكٍ * توَّجَه اللهُ بالمَهَابات

١٠

عليه تاجانِ فوق مَفْرِقِه * تاجُ جلالٍ وتاجُ إخْباتِ(٤)
يقول للرِّيح كلّما عصَفتْ * هل لك يا ريحُ فى مُباراتى
مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ * أخوالُه أكرمُ الخُؤولاتِ

عيرُ إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضا عن عبادة معشوقته

أخبرنى وَكيع قال : قال الزُّبَير بن بَكّار حدّثنى أبو غَزِيّة، وكان قاضيًا على المدينة، قال : كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبّادة جارية المُهَلَّبِيّة ، وكانت المهلبيّة مُنقطعةً الى الخَيْزُران. فركب إسحاق يوماً ومعه عبدُ الله بن مُصْعَب يُريدان المهدىَّ، فلقيا عَبّادة؛ فقال إسحاق: يا أبا بكر، هذه عبّادة، وحرّك دابّته حتى سبَقها فنظر اليها،

١٥

(١) المهمه : المفازة البعيدة . (٢) الطامس هنا : البعيد . (٣) الحرة من الإبل : العتيقة الأصيلة . والجسرة : العظيمة من الإبل وغيرها . والعذافرة : العظيمة الشديدة من الإبل . والخوصاء : وصف من الخوص وهو ضيق العين وصغرها وغؤورها . والعيرانة من الإبل : التى تشبه بالعير فى سرعتها ونشاطها . والعلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٤) الإخبات : الخشية والخضوع .

٢٠

فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجّب من فعله . ومضيا فدخلا على المهدىّ ، فحدّثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل . فقال : أنا أشتريها لك يا إسحاق . ودخل على الخَيْزُران فدعا بالمهلبيّة فحضرتْ ، فأعطاها بعبّادة خمسين ألف درهم . فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تُريدها لنفسك فيها فداك الله ، وهى لك . فقال : إنما أريدها لإسحاق بن عُزَيز . فبكت وقالت : أَتُؤْثِر علىّ إسحاق بن عُزَيز وهى يدى ورجلى ولسانى فى جميع حوائجى ! فقالت لها الخيزران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وَصَلَ إليها ٱبنُ عُزَيز أبدا ، صار يتعشّق جوارىَ النـاس ! فخرج المهدىّ فأخبر ٱبنَ عُزَيز بما جرى ، وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانَها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبّادة . فقال أبو العتاهية يُعيّره بذلك :

مَنْ صَدَقَ الحبَّ لأحبابه * فإنّ حُبَّ ٱبن عُزَيزٍ غُرورْ
أنساه عبّادةَ ذاتَ الهوى * وأذهَبَ الحبَّ الذى فى الضميرْ
خمسون ألفًا كلُّها راجحٌ * حُسْنًا لها فى كل كِيس صَريرْ

وقال أبو العتاهية فى ذلك أيضا :

حُبُّك للمال لا لحبك عبّـ * ـادةَ يا فاضحَ المُحِبِّينـا
لو كنتَ أصفيتَها الودادَ كما * قُلْتَ لمَا بِعْتَها بخمسينا

طال وجع عينه فقال شعرا

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى جَبَلة بن محمد قال حدّثنى أبى قال : رأيتُ أبا العتاهية بعد ما تخلّص من حَبْس المهدىّ وهو يلزم طبيبًا على بابنا ليكحّل عينه . فقيل له : قد طال وَجَع عينك ؛ فأنشأ يقول :

صـــــوت

أيا وَيْحَ نفسى وَيْحَها ثم وَيْحَها * أمَا من خَلاصٍ من شِباك الحبائلِ
أيا ويحَ عيني قد أضَرّ بها البُكا * فلم يُغنِ عنهـا طِبٌّ ما فى المكاحل

فى هذين البيتين لإبراهيم الموصلىّ لحنٌ من الثقيل الأوّل .

١٥٦
٣

كان الهادى واجدا عليه لاتصاله بهارون فلما ولى الخلافة مدحه فأجزل صلته

أخبرنى عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان الهادى وَاجِدًا على أبى العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ فى خلافة المهدىّ ، فلمّا ولِى موسى الخلافةَ ، قال أبو العتاهية يمدَحه :

صـــــوت

يضطرب الخوفُ والرجاءُ إذا * حرّكَ موسى القضيبَ أو فَكَّرْ
ما أَبْيَنَ الفضلَ فى مُغَيَّبِ ما * أَوْرَدَ من رأيه وما أَصْدَرْ

— فى هذين البيتين لأبى عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأوّل فى نهاية الجَوْدة ، وما بان به فضلُه فى الصّناعة —

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ * مَعْشَرِ قومٍ وذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ
يُثمِرُ مِنْ مَسِّه القضيبُ ولو * يَمَسُّـه غـيرُه لَمَـا أَثْمَـرْ
مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والدِه الـ * ـمهدىّ أو جَـدِّه أبى جعفرْ

قال : فرضى عنه . فلمّا دخل عليه أنشده :

لَهْفى على الزمن القصيرِ * بين الخَـوَرْنَقِ والسَّـديرِ
إذ نحن فى غُرَف الجنا * نِ نَعُـومُ فى بَحـر السُّرورِ
فى فِتْيَـةٍ ملكوا عنا * نَ الدهر أمثالَ الصُّقور

٥

١٠

ما منهــم إلاّ الجســو * رُ على الهوى غيرُ الحَصُور
يتعاورون مُــدامةً * صهباءَ من حَلَب العَصير
عَــذراءَ ربّاها شُــعا * عُ الشمسِ فى حَرّ الهَجير
لم تُــدْنَ من نارٍ ولم * يَعْلَقْ بهــا وَضَرُ القُــدور
ومُقَــرْطَقٍ يمشى أمَا * مَ القــومِ كالرَّشَأ الغَــرِير
بزُجاجــةٍ تَســتخرج الـ * ـسرَّ الدّفينَ من الضــمير
زهراءَ مثلِ الكوكب الـ * ـدُّرّىّ فى كفّ المُــدير
تَدعُ الكريمَ وليس يَــد * رى ماقَبِيــلٌ من دَبير[1]
ومُخَصَّــراتٍ زُرْنَنا[2] * بعــد الهُدوِّ من الخُدور
رَيّا[3] رَوادِفُهنّ يَلْـ * ـبَسْنَ الخواتمَ فى الخُصور
غُرِّ الوُجــوه محجَّبا * تٍ قاصراتِ الطَّرف حُور
مُتنــعِّماتٍ فى النَّعيـ * ـمِ مُضَمَّخاتٍ بالعَبــير
يَرفُلْنَ فى حُلَلِ المحا * سنِ والمَجاسِـدِ[4] والحرير
ما إنْ يَرَيْنَ الشمسَ إلّا الفَرْطَ[5] من خَلَل الستور
وإلى أمين الله مَهْـ * ـرَبُنا من الدّهر العَثُور
وإليــه أتعبْنا المطـ * ـيّا بالرَّواح وبالبُكُور
صُــعْرَ الخُــدود كأنّما * جُنِّحْنَ أجنحةَ النُّسور

(١) القبيل : ماوليك . والدبير : ما حالفك . يقولون : لايعرف قبيله من دبيره ، ولا يدرى قبيلا من دبير ؛ أى لا يعرف شيئا . (٢) مخصرات : دقيقات الخصور . (٣) رياها : ممتلئة .
(٤) المجاسد : جمع مجسد ، وهو القميص الذى يلى البدن . (٥) كذا فى أكثر الأصول .
والفرط : الحين ؛ يقال : لا ألقاه إلا فى الفرط ، أى فى الأيام مرة . وفى ب ، سـ : « القرط » بالقاف ، وهو تصحيف .

مُتَسَـرْبِلاتٍ بالظَّـلا * مِ على السُّهولة والوُعُور
حتّى وَصَلْنَ بنا الى * رَبِّ المدائن والقُصور
ما زال قبـل فِطامِـه * فى سنّ مُكْتَهِلٍ كبـير

— قال : قيل لو كان جَزْل اللفظ لكان أشعر الناس — فأجزل صِلته، وعاد إلى أفضل ما كان له عليه .

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنى الكُرَانىّ عن أبى حاتم قال :

قَدِم علينا أبو العتاهية فى خلافة المأمون ، فصار اليه أصحابُنا فآستنشدوه ؛ فكان أوّل ما أنشدهم :

أَلم تَرَ رَيْبَ الدّهر فى كلّ ساعةٍ * له عارضٌ[1] فيه المنيّة تلمع
أيا بانِىَ الدُّنيا لغيرك تَبْتنِى * ويا جامعَ الدنيا لغيرك تَجْمَعُ
أرى المرءَ وَثَّاباً على كل فُرْصةٍ * وللمرء يوماً لا مَحالةَ مَصْرَعُ
تبارك مَنْ لا يَمْلِك المُلْكَ غيرُه * متى تنقضى حاجاتُ من ليس يَشْبَعُ
وأىُّ آمرئٍ فى غايةٍ ليس نفسُه * الى غايةٍ أُخرى سواها تَطَلَّعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أنّ طَبْع أبى العتاهيةِ بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ الناس .

تمثل الفضل بشعر له حين انحطت مرتبته فى دار المأمون

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنى سليمان بن جعفر الجَزَرىّ قال حدّثنى أحمد بن عبد الله قال :

كانت مَرْتَبة أبى العتاهيـة مع الفضل بن الربيع فى موضع واحد فى دار المأمون. فقال الفضل لأبى العتاهية : يا أبا إسحاق، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقَهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولك :

(١) العارض : الأصل فيه السحاب المعترض فى الأفق .

ما النّاسُ إلا للكثيرِ المالِ أو * لمُسلَّطٍ ما دام فى سُلْطانهِ
فإذا الزمانُ رماهما ببليّةٍ * كان الثِّقاتُ هناك من أعوانهِ

يعنى : من أعوان الزمان . قال : وإنما تمثّل الفضلُ بن الرّبيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته فى دار المأمون وتقدُّمِ غيره . وكان المأمون أمر بذلك لتحريره (١) مع أخيه .

كان ملازما للرشيد فلما تنسك حبسه ولما استعطفه أطلقه

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال :

قال لى محمد بن أبى العتاهية : كان أبى لا يُفارق الرشيدَ فى سَفَرٍ ولا حَضَرٍ إلا فى طريق الحجّ، وكان يُجرِى عليه فى كل سنة خمسين ألفَ درهم سوى الجوائز والمَعَاون . فلمّا قدِم الرشيدُ الرَّقّة، لبِس أبى الصوفَ وتزهّد وترك حُضورَ المُنادمة والقول فى الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه فحُبِس ؛ فكتب إليه من وقته :

صوت

أنا اليومَ لى والحمدُ لله أَشْهُرٌ * يَرُوح علىّ الهَمُّ منكم ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أمينَ الله حَقّى وحُرْمتى * وما كنتَ تُوليني لعلك تَذْكُرُ (٢)
ليالىَ تُدْنى منك بالقُرْبِ مجلسى * ووجهُك من ماء البشاشة يَقْطُرُ
فمَنْ لىَ بالعين التى كنتَ مرّةً * إلىّ بها فى سالف الدهرِ تَنْظُرُ

١٥٨ / ٣

قال : فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب اليه :

---

(١) لعل أصل الكلام « لتحريره نفسه مع أخيه » فسقطت من الناسخ أو حذفها المؤلف للعلم بها .

(٢) كذا فى الديوان (ص ٣٢٦) وأشير فى هامشه الى رواية أخرى هى : « كذلك يذكر » . وفى جميع النسخ : « لذلك يذكر » .

صـــوت

أَرِقتُ وطار عن عَيْنِي النُّعاسُ * ونام السامرون ولم يُوَاسُوا

أمِينَ الله أَمْنُكَ خيرُ أمنٍ * عليك من التُّقَى فيه لِبَاسُ

تُساس من السماء بكلّ بِرٍّ * وأنت به تَسُوس كما تُساسُ

كأنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ * له جَسَدٌ وأنت عليه رَاسُ ٥

أمِينَ الله إنّ الحَبْسَ بَأْسٌ * وقد أرسلتَ (١): ليس عليك باسُ

— غنّى فى هذه الأبيات إبراهيم، ولحنه ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى. وفيه أيضا ثقيلٌ أوّل عن الهِشامىّ (٢) — قال: وكتب اليه أيضا فى الحبس:

وكَلَّفتَنِى ما حُلْتَ بينى وبينه * وقلتَ سأبغى ما تُرِيد وما تَهوَى

فلو كان لِى قلبانِ كَلَّفتُ واحداً * هواك وكَلَّفت الخَلِيَّ لِما يَهْوَى ١٠

قال: فأمر بإطلاقه.

حدّثنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى الزبير ابن بَكّار قال حدّثنى ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثنى ابن أُخت أبى خالد الحَرْبىّ قال:

قال لى الرشيد: احْبِسْ أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق فى الغزل كما كان يقول. فحبستُه فى بيتٍ خمسة أشبارٍ فى مثلها؛ فصاح: الموت، أَخْرِجونى، فأنا أقول كلَّ ما شئتم. فقلت: قُلْ. فقال: حتى أتنفّس. فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرْطاسا؛ فقال أبياته التى أوّلها: ١٥

(١) فى الديوان: «وقد وقعت». (٢) فى أ، ء، م: «من الحبس».

صــــوت

مَنْ لعبــدٍ أذلّه مولاهُ * ما له شافعٌ إليــه سِواهُ
يَشتكى ما به إليه ويخشا * هُ ويرجوه مثل ما يخشاهُ

قال : فدفعتُها الى مسرور الخــادم فأوْصلها، وتقدّم الرشــيد إلى إبراهيم الموصــلىّ فغنّى فيها، وأمر بإحضار أبى العتاهية فأُحضر. فلما أُحضر قال له : أَنشِدْنى قولك :

صــــوت

ياعُتْبَ سـيّدتى أمَا لكِ دِينُ * حتّى متى قلبى لديكِ رَهينُ
وأنا الذَّلولُ لكلّ ما حمّلتِنى * وأنا الشقىُّ البــائسُ المسكينُ
وأنا الغــداةَ لكلّ باكٍ مُسعِدٌ * ولكلّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدينُ
لا بأسَ إنّ لذاكِ عندى راحةً * للصَّبِّ أن يَلْقَى الحزينَ حزينُ
يا عُتْبَ أين أفِرُّ منك أميرتى * وعلىَّ حِصْنٌ من هَواكِ حصينُ

— لإبراهيم فى هــذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشامىّ — فأمر له الرشــيد بخمسين ألف درهم .

ولأبى العتاهية فى الرشيد لمّــا حبسه أشعارٌ كثيرة ، منها قوله :

يا رشـيدَ الأمرِ أَرشِدْنى إلى * وجهِ نُجْحِى لاعَدِمتَ الرَّشَدَا
لا أراكَ اللهُ سُــوءًا أبدا * ما رأتْ مثلَك عينٌ أحدَا
أَعِنِ[1] الخــائفَ وٱرحَمْ صوتَه * رافعًا نحــوَك يدعوك يَدَا
وَا بلائى مِن دَعاوَى أملٍ * كلّمــا قلتُ تَدانَى بَعُــدَا
كم أُمَنِّى بِغَــدٍ بعــد غدٍ * يَنفَــدُ العمرُ ولم أَلقَ غــدَا

(١) كذا فى جميع النسخ والديوان . ولعله : « امن الخائف » .

هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه ولما اشتكى الى زبيدة بره الرشيد وأجازه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحُسَين بن أبى السَّرِىّ قال :

مرّ القاسم بن الرشيد فى مَوْكِبٍ عظيم وكان من أَتْيَـه النـاس ، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق ، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظامًا له ، فلم يَزَلْ قائمًا حتى جاز ، فأجازه ولم يلتفت اليه ؛ فقال أبو العتاهية :

يَتِيهُ ابنُ آدمَ مِن جهــله * كأن رَحَا الموت لا تَطْحَنُهْ

فسمِع بعضُ مَنْ فى موكبه ذلك فأخبر به القاسمَ ؛ فبعث الى أبى العتاهيـة وضربه مائةَ مِقْرَعةٍ[(1)] ، وقال له : يآبنَ الفاعلة ! أَتَعرَّض بى فى مثل ذلك الموضع ! وحبَسه فى داره . فدسّ أبو العتاهية الى زُبَيْدة بنت جعفر ، وكانت تُوجِب[(2)] له [حقَّه[(3)]] ، هذه الأبيات :

حتّى متى ذُو التِّيه فى تِيهِهِ * أَصلحــه اللهُ وعافاهُ

يَتيه أهلُ التِّيه من جَهلهم * وهم يموتون وإن تاهُوا

مَنْ طلب العِــزّ لِيبقَى به * فإنَّ عِزّ المـرء تَقْواهُ

لم يعتصم بالله مِن خَلْقِه * مَنْ ليس يَرْجُوه ويَخْشاهُ

وكتب إليها بحاله وضِيق حبسه ، وكانت مائلةً اليه ، فرَثَتْ[(4)] له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه ؛ فأحضره وكساه ووصله ، ولم يَرْضَ عن القاسم حتى بَرّ أبا العتاهية وأدناه وآعتذر اليه .

---

(١) المقرعة : السوط . (٢) كذا فى حـ وهو المناسب . يقال : أوجب لفلان حقه إذا راعاه ؛ وفى سائر النسخ : « توجه له » وليس لها معنى . (٣) زيادة يقتضيها السياق . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر النسخ : « فرثت له » .

مدح الرشيد والفضل فأجازاه

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد ابن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال :

بعث الرشيدُ بالحَرَشيّ[1] إلى ناحية المَوْصِل، فجبى له منها مالا عظيما من بقايا الخراج، فوافَى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به ؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شِبهُ الجنون ، فقلتُ له : مالك وَيْحك ؟! فقال لي: سبحان الله! أيُدْفَع هذا المال الجليل إلى آمرأة ، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه ! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده :

اللهُ هَوّنَ عندك الدنيا وبغَّضَها إليكَا
فأبَيْتَ إلّا أن تُصَغِّر كلَّ شيء في يَدَيْكَا
ما هانتِ الدُّنيا على * أحدٍ كما هانت عَلَيْكا

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين، ما مُدِحَت الخلفاء بأصدَق من هذا المدح . فقال : يافضل ، أَعطِه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده :

إذا ما كنتَ مُتَّخذًا خليلاَ * فمثلُ الفضلِ فاتَّخِذِ الخليلاَ
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيمًا * ويُعطي من مواهبه الجزيلاَ
أراني حيثُما يَمَّمْتُ طَرْفي * وجدتُ على مَكارمه دليلاَ

فقال له الفضل : والله لولا أنْ أُساوِيَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُك مثلها ، ولكن سأُوصلها اليك في دَفَعات، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، وزاد له خمسةَ آلاف درهم من عنده .

---

(١) في الأصول : «الحرشي» . ولم نجد هذا الاسم . ولعله محرف عما أثبتناه ، وهو سعيد الحرشي الذي كان معاصرا للرشيد وكان يقوم له بأعمال هامة .

سمع على بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المُبرِّد قال حدّثنى عبد الصمد بن المُعذَّل قال :

سمعتُ الأميرَ علىَّ بنَ عيسى بن جعفر يقول : كنت صبياً فى دار الرشيد، فرأيت شيخًا يُنشد والناسُ حوله :

ليس للإنسان إلّا ما رُزِقْ * أستعينُ اللهَ باللهِ أثِقْ
عَـلِقَ الهـمُّ بقلبى كلِّه * وإذا ما علِق الهـمّ عَلِقْ
بأبى مَنْ كان لى من قلبه * مَرّةً وُدٌّ قليـلٌ فسُرِقْ
يابنى الإسـلام فيكم مَلِكٌ (1) * جامعُ الإسلام عنه يَفترِقْ
لَنَدَى هارونَ فيكم وَلَهُ * فيكم صَوْبٌ هَطُولٌ ووَرِقْ
لم يَزَلْ هـارونُ خيراً كلّه * قُتِـل الشـرُّ به يومَ خُلِقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين : أمَا ترى إعجابَ النـاس بشعْرِ هـذا الرجل ؟ فقـال : يابُنَىّ، إنّ الأعناقَ لتُقْطَع دون هـذا الطبع . قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهيـة، والذى سأله إبراهيمَ بن المهدىّ .

استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا أحمـد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنى عبد القوىّ ابن محمد بن أبى العتاهية عن أبيه قال :

لبِس أبو العتاهية كساءَ صُوفٍ ودُرَّاعةَ صوفٍ، وآلَى على نفسه ألّا يقول شعرًا فى الغَزَل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييق عليه ؛ فقال :

(1) ورد هذا البيت فى ديوانه (ص ٣١٤) وكذا فيما سيأتى (ص ٧٤) من هذا الجزء هكذا :
يابنى العبـاس فيكم ملك * شعب الاحسان عنه مفترق

صــــوت

يأبنَ عمِّ النبي سمــعًا وطاعهْ * قــد خلَعْنا الكساءَ والدُّرّاعهْ
ورجَعْنا الى الصِّـــناعة لمّـا * كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعهْ

وقال أيضــا :

٥ أما رحمتنى يومَ ولَّتْ فأَسْرعتْ * وقــد تركتْنى واقفًا أتلفَّتُ
أُقلِّبُ طَرْفى كى أراها فلا أرى * وأحلِبُ عينى دَرَّها وأُصَــوِّتُ

فلم يزلِ الرشيد مُتوانيًا فى إخراجه الى أن قال :

أمَا واللهِ إنّ الظـــلم لُومُ * وما زال المُسِىء هو الظَّـــلومُ
الى ديّانِ يومِ الدِّين نَمْضى * وعنــد الله تجتمع الخصـــومُ
١٠ لأمرٍ مّا تَصَـــرَّفتِ الليـالى * وأمرٍ مّا تُوُلِّيَتِ(١) النُّجـــومُ
تموت غـــدًا وأنت قَرِيرُ عينٍ * من الغَفَلات فى لُجَجٍ تَعـــومُ
تنـامُ ولم تَنَمْ عنـــك المنـايا * تَنبَّـــهْ للمنيّـــة يا نَـــؤُومُ
سَـلِ الأيّامَ عن أُمَمٍ تَقَضَّتْ * ســتُخبرك المَعالمُ والرُّســومُ
تَروم الخُـــلْدَ فى دار المنـايا * وكم قــد رام غيرُك ما تَرومُ
١٥ ألا يأيّهـا الملك المُرَجَّى * عليـــه نَواهِضُ الدنيـا تَحومُ
أَقِلْـــنى زَلّةً لم أَجْرِ منهـا * الى لَومٍ وما مثـــلى مَلـــومُ
وخَلِّصْـــنى تُخَلَّصْ يومَ بَعْثٍ * إذا للنـاس بُرِّزَتِ(٢) الجَحـــيمُ

فرَقَّ له وأمر بإطلاقه .

(١) توليت النجوم (بالبناء للمعول): أى تولاها الله، فتطلع ثم تغيب بتأثير قدرته. ولا يصح بناء
٢٠ الفعل للفاعل الا مع ضرورة قبيحة وهى عدم حذف لام الفعل مع تاء التأنيث وقلبها ياء. (٢) فى أ:
« سعرت » ، وفى هامشها كما فى الأصل .

١٦١
٣

حديثه عن شعره ورأى أبي نواس فيه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى ابن أبى الأَبيض قال :

أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنّى رجلٌ أقول الشعرَ فى الزّهد ، ولى فيه أشعارٌ كثيرة ، وهو مذهب أَستحسِنه؛ لأنى أرجو ألّا آثمَ فيه ، وسمعت شعرك فى هذا المعنى فأَحببت أن أستزيدَ منه ، فأحِبّ أن تُنشدنى من جَيِّد ما قلتَ؛ فقال : اعلمْ أنّ ما قلته ردىء . قلت : وكيف ؟ قال : لأنّ الشعر ينبغى أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثل شعر بشّار وابن هرْمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه مما لا تخفَى على جُمهور الناس مثل شعرى، ولا سيما الأشعارُ التى فى الزّهد ؛ فان الزّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلّاب الغريب ، وهو مذهب أَشْغَفُ الناس به الزّهّادُ وأصحاب الحديث والفقهاءُ وأصحاب الرِّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهموه . فقلت : صدقتَ . ثم أنشدنى قصيدتَه :

لِدُوا للموت وٱبْنُوا للخراب * فكلّكمُ يَصير الى تَبابِ[1]
ألاَ ياموتُ لم أر منك بُدًّا * أتيتَ وما تَحِيفُ وما تُحابى
كأنّك قد هَجَمْتَ على مَشيبى * كما هجم المشيبُ على شَبابى

قال : فصرتُ إلى أبى نُوَاس فأَعلمتُه ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب فى شعره مثلَ ما أنشدك بيتًا آخر. فصرت إليه فأخبرته بقول أبى نواس ؛ فأنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

(١) التباب : الهلاك .

طُولُ التَّعاشُرِ بين النَّاس مَمْلولُ * ما لابْنِ آدمَ إن فَتَّشْتَ معقولُ
يا راعىَ الشَّاءِ[1] لا تُغْفِلْ رِعايتها * فأنت عن كلّ ما ٱسْتُرْعِيتَ مسئول
إنّى لَفِى مَنزل ما زلتُ أعْمُره * على يَقينٍ بأنّى عنه منقولُ
وليس من مَوْضعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ * إلّا وللموتِ سَيْفٌ فيه مَسْلولُ
٥ لم يُشْغَلِ الموتُ عنّا مذ أُعِدّ لنا * وكلّنا عنه باللذّات مَشغولُ
ومَنْ يَمُتْ فهو مَقْطوعٌ ومُجْتَنَبٌ * والحىُّ ما عاش مَغْشِىٌّ ومَوْصولُ
كُلْ ما بدا لك فالآكالُ فانيةٌ * وكُلُّ ذى أُكُلٍ لا بُدَّ مأْكولُ

قال : ثم أنشدنى عدّة قصائد ما هى بدون هذه ، فصرتُ الى أبى نُوَاس فأخبرته ، فتغيّر لونُه وقال : لِمَ خَبَّرْتَه بما قلتُ ! قد والله أجاد ! ولم يَقُلْ فيه سوءا .

كان أبو نواس يجله ويعظمه

١٠ أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى علىّ ابن عبد الله بن سعد قال حدّثنى هارون بن سَعْدان مولى البَجَلِيِّين قال :

كنتُ مع أبى نُواس قريباً من دُور بنى نِيبَخْت[2] بنهر طابق[3] وعنده جماعةٌ ، فجعل يَمُرّ به القُوّاد والكُتّاب وبنو هاشم فيُسلّمون عليه وهو مُتّكِئٌ ممدودُ الرجل لا يتحرّك لأحدٍ منهم ، حتى نظرنا اليه قد قبض رِجليه ووثَب وقام الى شيخ قد أقبل على حمارٍ

١٦٢ / ٣

١٥ له ، فآعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه ، فلم يزل واقفًا معه يُراوِح بين رجليه يرفع رجلًا ويضع أُخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع الينا أبو نواس وهو يتأوّه ، فقال له بعضُ مَنْ حضر : والله لأنت أشعرُ منه . فقال : والله ما رأيتُه قطّ إلا ظننت أنه سَماءٌ وأنا أرْض .

---

(١) فى أ ، ء ، م : « ياراعى الناس » . وفى الديوان : « ياراعى النفس » .
(٢) كذا فى حـ . وقد وردت محرفة فى سائر النسخ . (٣) نهر طابق : محلة كانت ببغداد
٢٠ من الجانب الغربىّ .

رأى بشار فيه

قال محمد بن القاسم حدّثنى علىّ بن محمد بن عبد الله الكُوفىّ قال حدّثنى السِّرىّ ابن الصَّبَّاح مولى ثَوْبَان بن علىّ قال :

كنتُ عند بَشَّار فقلتُ له : مَنْ أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّث أهل بغداد (يعنى أبا العتاهية) .

عزى المهدى فى وفاة ابنته فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى الخَزْرَجىّ الشاعر قال حدّثنى عبد الله بن أيّوب الأنصارىّ قال حدّثنى أبو العتاهية قال :

ماتت بنتُ المهدىّ فحزِن عليها حُزنًا شديدا حتى آمتنع من الطعام والشراب ، فقلت أبياتًا أعَزّيه بها ؛ فوافيته وقد سَلَا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدّ من الصبر على ما لا بدّ منه ، ولئن سَلَوْنا عمن فقدنا لَيَسْلُوَنَّ عنّا من يَفقِدنا ، وما يأتى الليلُ والنهارُ على شىء إلا أَبْلَيَاه . فلمّا سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى أن أُنشدك ؟ قال هاتِ ؛ فأنشدته :

ما للجديدَيْن لا يَبْلَى آختلافُهما * وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالِى

يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد مِيتته * كم بعد موتك أيضًا عنك مِنْ سالى

كأنّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه * من لذّة العيش يحكى لُمْعَةَ الآلِ

لا تَلعَبَنَّ بك الدنيا وأنت ترى * ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأَمْثالِ

ما حِيلةُ الموت إلّا كُلُّ صالحةٍ * أَولَا فما حِيلةٌ فيه لمحتالِ

فقال لى : أحسنتَ ويحك ! وأصبتَ ما فى نفسى ووعظت وأَوْجزت ! ثم أمر لى لكلّ بيت بألف درهم .

حبسه الرشيد مع ابراهيم الموصلىّ ثم أطلقهما

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن خَلّاد قال حدّثنى أبى قال :

لمّا مات موسى الهادى قال الرشيد لأبى العتاهية : قُلْ شعراً فى الغَزَل؛ فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبدًا، فحبَسه . وأمر إبراهيمَ المَوْصِلىّ أن يغنّى؛ فقال: لا أُغَنّى بعد موسى أبدًا، وكان مُحسناً إليهما، فحبسه . فلمّا شخَص الى الرَّقّة حفَر لهما حَفِيرةً واسعةً وقطَع بينهما بحائط، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغَنّى هذا . فصبَرا على ذلك بُرْهةً . وكان الرشيد يشرب ذاتَ يومٍ وجعفرُ ابن يحيى معه، فغنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطرِبا عليه طَرَباً شديدا، وكان بيتاً واحدا. فقال الرشيد : ما كان أحوجه الى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغناءُ فيه فنَستَمتِع مدّةً طويلةً به! فقال له جعفر: قد أصبتَه. قال: مِن أين؟ قال: تبعَث الى أبى العتاهية فيُلحِقه به لقُدْرته على الشعر وسرعته. قال: هو أنكَدُ من ذلك، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن فى نعيم وطربٍ. قال : بلى ! فاكتُبْ اليه حتى تعلَم صحّة ما قلتُ لك. فكتب إليه بالقِصّة وقال : ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانيا [1] . فكتب إليه أبو العتاهية :

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ * فارقَ الرُّوحَ وأَخْلَى من بدن
ولقد كُلِّفتُ أمرًا عَجَباً * أسْأَلُ التَّفريحَ [2] من بيتِ الحَزَنْ

فلمّا وصلتْ قال الرشيد: قد عرّفتك أنه لا يفعل. قال : فتُخرِجه حتى يفعل . قال : لا ! حتى يَشْعُر؛ فقد حلَفتُ. فأقام أياما لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا تُلاجُّ الخلفاء ! هَلُمَّ أَقُلْ شعرًا وتُغَنِّ فيه. فقال أبو العتاهية :

(١) فى ح : « آخر » .

(٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « التفريج » بالجيم .

بأبى مَنْ كان فى قلبى له * مرّةً حُبٌّ قليلٌ فسُرِقْ[1]

يا بنى العبّاس فيكم مَلِكٌ * شُعَبُ الإحسان منه تفترقْ

إنّما هارونُ خيرٌ كلّه * مات كلّ الشرّ مُذْ يوم خُلِقْ

وغنّى فيه إبراهيم . فدعا بهما الرشيد ؛ فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم ، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائةَ ثوب .

حدّثنى الصُّولىّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع ، فقال فيه : غضِب الرشيد على جارية له فحلَف ألّا يدخُل إليها أيّامًا ، ثم ندِم فقال :

صدَّ عنّى إذ رآنى مُفْتَتَنْ * وأطال الصَّدَّ لمّا أن فَطَنْ

كان مملوكى فأضحى مالكى * إنّ هذا من أعاجيب الزَّمنْ

وقال لجعفر بن يحيى : اطلُبْ لى مَنْ يَزيدُ على هذين البيتين . فقال له : ليس غيرُ أبى العتاهية . فبَعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصلته . فقال : الآن طاب القولُ ؛ ثم قال :

عِزّةُ الحبّ أرتْه ذِلّتى[2] * فى هواه وله وجهٌ حَسَنْ

ولهذا صِرتُ مملوكًا له * ولهذا شاعَ ما بى وعَلَنْ

فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما فى نفسى! وأَضْعَف صلته .

شعره فى ذم الناس

نسخت من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى الهَيْثَم بن عثمان قال حدّثنى شَبيب بن منصور قال :

---

(١) تقدّم هذا الشعر فى ص ٦٨ من هذا الجزء مع اختلاف فى الرواية .

(٢) فى أ ، ء ، م : « أرادت » .

كنتُ فى الموقف واقفًا على باب الرشيد ، فاذا رجلٌ بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف ، وجعل الناسُ يُسَلِّمون عليه ويُسائلونه ويُضاحكونه ، ثم وقف فى الموقف ، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم : فواحد يقول : كنت مُنقطِعًا إلى فلان فلم يصنع بى خيرًا ، ويقول آخر : أمّلت فلانًا فخاب أملى وفعل بى ، ويشكو آخرُ من حاله ؛ فقال الرجل :

فَتَّشْتُ ذى الدنيا فليس بها * أَحَــدٌ أراه لآخَرٍ حامِدْ
حتّى كأنّ الناسَ كلَّهمُ * قد أُفرِغوا فى قالَب واحِدْ

فسألتُ عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

هجا سلما الخاسر بالحرص

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى أحمد بن خَلّاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال :

أُنشِد المأمونُ بيتَ أبى العتاهية يُخاطب سَلْمًا الخاسر :

تَعالى الله يا سَلْم بنَ عمرٍو * أذلّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون : إنّ الحرص لَمُفسِدٌ للدّين والمروءة ، والله ماعرفتُ من رجلٍ قطّ حِرصًا ولا شَرَهًا فرأيت فيه مُصْطَنَعا . فبلغ ذلك سَلْمًا فقال : ويلى على المخنَّث الجَرّار الزنديق ! جمع الأموالَ وكنَزَها وعبّأ البدورَ[1] فى بيته ثم تزهّد مُراءاةً ونِفاقا ، فأخذ يهتِف بى إذا تصدّيتُ للطلب .

١٦٤
―
٣

اقتص منه الجماز لخاله سلم فاعتذر له

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ المؤدِّب ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكىّ قال حدّثنى العبّاس بن عبيد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال :

(١) البدور : جمع بدرة ، وهى كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم .

كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد فى الزهد، فقال قُثَم : ياعبّاس، اطلُب الساعةَ الجمّاز حيث كان، ولك عندى سَبَقٌ[1]. فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجِب الأمير؛ فقام معى حتّى أتى قُثَم ؛ فجلس فى ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده، فأنشأ الجمّاز يقول :

ما أقبحَ التّزهيدَ من واعظٍ * يُزَهِّد النّاسَ ولا يَزْهَدُ ٥

لو كان فى تزهيده صادقاً * أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ

يخاف أن تنفَد أرزاقُه * والرزق عند الله لا ينفَدُ

والرزق مقسومٌ على مَنْ تَرى * ينالُه الأبيضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : مَنْ هذا؟ قالوا : [هذا][2] الجمّاز وهو ابن اختِ سَلْم الخاسر، اقتصّ لخاله منك. فأقبل عليه وقال : يابن أخى، إنى لم أذهب ١٠ حيث ظننتَ ولا ظنّ خالُك، ولا أردتُ أن أهتِف به؛ و إنما خاطبته كما يُخاطب الرجلُ صديقَه ، فالله يغفِر لكما ، ثم قام .

غناء مخارق بشعره

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْرِىّ عن أبيه قال :

كنتُ عند مُخارق ، فجاء أبو العتاهية فى يوم جمعة فقال : لى حاجةٌ وأريد ١٥ الصلاةَ؛ فقال مُخارق : لا أبرَح حتّى تعود. قال : فرجَع وطرح ثيابَه ، وهى صوفٌ، وغسل وجهه، ثم قال له : غَنّنى :

---

(١) أصل السبق (بالتحريك) الخطر يوضع بين أهل السباق ، وهو ما يتراهنون عليه

(٢) زيادة عن ح .

صـــوت

قال لى أحمـدٌ ولم يدرِ ما بى * أتُحبّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقَّـا
فتنفّسـتُ ثم قلتُ نعم حُـبًّـا جرى فى العُروق عِرْقًا فعِرقَا

فجذب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأَوقع عليها ثم غنّاه؛ فآستعاده ثلاثَ مرّاتٍ فأعاده ٥ عليـه، ثم قام وهو يقول : لا يَسمع والله هذا الغناءَ أحدٌ فيُفْلِح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه عنه .

وحدّثنا [به][1] أيضا فى كتاب هارون بن علىّ بن يحيى عن آبن مهرُويه عن آبن عَمّار قال حدّثنى أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسّان الضَّبّىّ قال حدّثنا مُخارق قال:

لقينى أبو العتاهية فقال : بلغنى أنك خرّجْتَ قولى :

١٠ قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ مابى * أتُحبُّ الغداةَ عُتْبـةَ حَقَّا

فقلت نعم . فقـال : غَنِّـه . فمِلْتُ معـه إلى خَرَابٍ ، فيـه قوم فقراء سكّان ، فغنّيتُه إيّاه؛ فقال : أحسنتَ والله! منذ ابتدأتَ حتّى سكتَّ؛ ثم قال لى : أمَا ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب !

شعره فى تبخيل الناس

١٦٥
―
٣

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى مَيْمُون بن هارون قال :

١٥ قال مُخارق: لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْر، فقلت له : يا أبا اسحاق، أَنْشدنى قولَك فى تبخيلك الناسَ كلِّهم؟ فضحِك وقال لى : ها هنا؟ قلت نعم . فأنشدنى :

إن كنتَ مُتّخِذًا خليـلاً * فتنقَّ وآنتقِـدِ الخليـلاَ
مَنْ لم يكن لك مُنصِفًا * فى الودّ فآبْـغِ به بديلاَ
ولربّمـا سُـئِل البخيـ * ـلُ الشىءَ لا يَسْوَى فَتِيلا

٢٠ (١) هذه الكلمة ساقطة من ب ، سـ .

فيقـول لا أجد السَّبيـ * ـلَ إليـه يَكْرَهُ أن يُنيلا

فلذاك لا جعَــل الإلٰـ * ـهُ له إلى خيرٍ سبيـلَا

فٱضْرِبْ بطَرْفك حيث شئـ * ـتَ فلن ترى إلّا بخيـلَا

فقلتُ له : أَفْرَطْتَ يا أبا إسحاق! فقال : فديتُك! فأَكْذِبْنى بجوادٍ واحد. فأحببتُ مُوَافقتَه ، فٱلتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد . فقبّل بين عينىّ وقال : فديتُـك يا بُنَىّ! لقد رَفُقْت حتى كِدتَ تُسرِف .

كان بعد تنسكه يطرب لحديث هارون بن مخارق

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى هارون بن مُخَارِق قال :

كان أبو العتاهية لمـّا نسَك يقول لى : يابُنَىّ، حدّثنى؛ فإن ألفاظَك تُطْرِب كما يُطرِب غِناؤك .

جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم الأنبـارىّ قال حدّثنى أبو هَفَّان قال حدّثنى موسى بن عبد الملك قال :

كان أحمد بن يوسف صديقًا لأبى العتاهية ، فلمّا خدَم المأمونَ وخُصّ به ، رأى منه أبو العتاهية جَفْوة ، فكتب اليه :

أبا جعفرٍ إنّ الشريفَ يَشينه * تَتَايُهُـه على الأَخِلّاء بالوَفْـرِ

ألم تر أنّ الفقر يُرجَى له الغنَى * وأنّ الغنى يُخشَى عليه من الفقر

فإن نلتَ تيهاً بالذى نلْتَ من غنًى * فإنّ غناىَ فى التجمّل والصبر

قال : فبعث اليه بألفى درهم ، وكتب اليه يعتذر مما أنكره .

طلب اليه أن يجيز شعرا فأجازه على البديهة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ٱبن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنى إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفىّ قال حدّثنى أبو جعفر المَعْبدىّ قال :

قلت لأبي العتاهية : أَجِزْ لي قولَ الشاعر :

وكان المـالُ يأتينا فكنّا * نُبَذّره وليس لنـا عقولُ

فلمّا أن تولّى المـالُ عنّا * عَقَلْنا حين ليس لنا فُضُولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان :

٥ فقصِّرْ ما ترى بالصّبر حقًّا * فكلٌّ إن صبرتَ له مُزِيلُ

قال لابنه : أنت ثقيل الظل

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ٱبن مُهْرُوَيْهِ قال حدّثني الحسن بن الفَضْل الزَّعْفَرَانيّ قال: حدّثني مَنْ سمِع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضب عليه: اذهَبْ فإنك ثقيلُ الظلّ جامد الهواء.

أهدى الى الفضل نعلا فأهداها للخليفة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ٱبن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثني يحيى بن خليفة

١٠ الرّازي قال حدّثنا حَبِيب بن الجَهْم النُّمَيْرِيّ قال :

حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنَجِّزًا جائزتي وفَرْضي، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي، فإذا عَوْنٌ حاجبُه قد جاء فقال : هـذا أبو العتاهية يُسَلِّم عليك وقد قدِم من مكة؛ فقال : أَعْفِني منـه الساعةَ يشغلُني عن ركوبي. فخرج اليـه عَوْنٌ فقـال : إنّه على

١٦٦/٣

الرّكوب إلى أمير المؤمنين . فأخرج من كُمّه نعلًا عليها شِراكٌ فقال : قل له إنّ

١٥ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ فداءك . قال : فدخل بها؛ فقال : ما هـذه ؟ فقـال : نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب[(1)] . فقـال : ياحبيب، ٱقرأ ما عليها . فقرأته فاذا هو :

نعـلٌ بعثتُ بها ليلبسَها * قَـرْمٌ[(2)] بها يمشي إلى المجـد

لو كان يَصلُح أن أُشَرِّكها[(3)] * خدّي جعلتُ شِراكَها خدّي

٢٠ (١) في الأصول : «قال : فدخل بها ؛ فقال : ماهذه؟ فقلت» . (٢) القرم (بالفتح) هنا : السيد المعظم . «ليلبسها : قدم بها يمشي» . (٣) أشركها : أجعل لها شراكا . والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

فقال لحاجبه عَوْن : احْمِلْها معنا، فحملها . فلمّا دخل على الأمين قال له : يا عبّاسىّ، ما هذه النّعل؟ فقال: أهداها إلىّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أَوْلَى بلُبْسها لما وصف به لابسها . فقال: وما هما؟ فقرأهما . فقال: أجاد والله! وما سبقه الى هذا المعنى أحد، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأُخرِجَتْ والله فى بَدْرة وهو راكب على حماره، فقبضها وآنصرف .

قيل إنه كان من أقل الناس معرفة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مُهْرَوَيْهِ قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفىّ[1] قال حدّثنا عمروس[2] صاحب الطعام وكان جارَ أبى العتاهية، قال :

كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً، سمعتُ بِشْرًا المرِّيسىّ يقول له : يا أبا إسحاق، لا تُصلِّ خلفَ فلانٍ جارِك و إمامِ مسجدكم؛ فانه مُشَبِّه[3] . قال: كلّا! إنّه قرأ بنا البارحةَ فى الصّلاة : «قُلْ هُوَ ٱللّٰهُ أَحَدٌ»؛ واذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ «قُلْ هُوَ ٱللّٰهُ أَحَدٌ» .

شكا اليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه فكتب اليه شعرا

أخبرنى الحسن قال حدّثنا آبن مَهْرَوَيْهِ قال حدّثنى أحمد بن يعقوب الهاشمىّ قال حدّثنى أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال :

كتب بَكْر بن المُعْتَمِر الى أبى العتاهية يشكو اليه ضِيقَ القَيْد وغَمّ الحبس؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

(١) فى أ، ء، م : «ابن اسماعيل بن عبد الله» . (٢) فى ء، م : «عمرو بن صاحب الطعام» . (٣) المشبه : الذى يرى رأى المشبهة، وهم فرقة من الشيعة يقولون : إن معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية وإما جسمانية، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن . وقد حكى أن جماعة منهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المخلصين من المسلمين يعانقونه فى الدنيا والآخرة اذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد الى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض . (انظر كتاب الملل والنحل للشهرستانىّ طبع أوربا ص ٧٥) .

هىَ الأيّام والعِــبَرُ * وأمرُ الله يُنْتَظَــرُ
أتَيْأس أن ترى فرجًا * فأين الله والقَدَرُ

ذمه الخيلاء، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدّثنا أحمد بن عُبَيْد بن ناصح قال :

٥ كنت أَمشى مع أبى العتاهية يدُه فى يدى وهو متكئ علىّ ينظر الى النـاس يذهبون ويجيئون، فقال : أمَا تراهم هذا يَتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بصَلَفٍ ! ثم قال لى : مرّ بعض أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ، فقال : يا بُنَىّ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخُيَلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التى قد شَهَرت بها نفسك؟ ! فقال له الفتى : أوَما تعرف مَنْ أنا ! فقال له : بلى ! والله أعرِفك معرفة جيدة، ١٠ أوّلك نطفة مَذِرة(١)، وآخرك جِيفةٌ قَذِرة، وأنت بين ذينك حاملٌ عَذِرة . قال : فأرخى الفتى أُذنيه وكفّ عما كان يفعل وطأطأ رأسه ومشى مُسترسِلًا . ثم أنشدنى أبو العتاهية :

أيا واهًا لذكر اللّـ * ـه يا واهًا له واهَا
لقد طَيَّب ذِكْرُ اللّـ * ـه بالتسبيح أفواها
١٥ فيا أنتَنَ من حُشٍّ(٢) * على حشٍّ إذا تاها
أرى قومًا يتيهون * حُشوشًا(٣) رُزِقوا جاهَا

---

(١) مذرة : قذرة . (٢) الحش (بتثليث أوّله) : المحل المجتمع، ويكنى به عن بيت الخلاء لأنه كان من عادتهم التغوّط فى البساتين، والجمع : حشوش . وفى ديوان أبى العتاهية : « ... من زبل على زبل ... » . (٣) فى الديوان : « بهاما » .

مدح إسماعيل ابن محمد شعره واستنشده إياه

حدّثنى اليزيدىّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبى محمد قال :

١٦٧ / ٣

قلت لأبى العتاهية وقد جاءنا : يا أبا إسحاق، شعرُك كلّه حَسَنٌ عجيب، ولقد مرّت بى منذُ أيام أبياتٌ لك آستحسنتها جدّا، وذلك أنها مقلوبةٌ أيضا، فأواخرُها كأنها رأسُها، لو كتبها الإنسان الى صديق له كتّاباً والله لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعرا . قال : وما هى ؟ قلت :

٥

المـــرءُ فى تأخير مُـــدّته * كالثوب يَخْلَق بعـد جِدّته

وحيـاتُه نَفَسٌ يُعَـــدّ له * ووفاتُه آستكمالُ عِدّته

ومصيرُه من بعد مُدّته * لِبِلًى[1] وذا من بعد وُحْدته

مَنْ مات مَالَ ذوو مودّته * عنه وحالوا عن مودّته

أزِفَ الرحيلُ ونحن فى لَعِب * ما نستعدّ له بِعُـــدّته

١٠

ولقلّما تُبْقِى الخطوبُ على * أشَرِ الشّباب وحَرِّ وَقْدته

عَجَبًا لمنتبِـه يُضَـــيّع ما * يحتاج فيـه ليوم رَقْـدته

شبه أبو نواس شعرا له بشعره

قال اليزيدىّ : قال عمّى وحدّثنى الحسين بن الضحّاك قال :

كنت مع أبى نُوَاس فأنشدنى أبياته التى يقول فيها :

يابـــنى النقص والغِـــيَرْ * وبنى الضعف والخَــوَرْ

١٥

فلمّا فرَغ منها قال لى : يا أبا علىّ ، والله لكأنها من كلام صاحبك (يعنى أبا العتاهية) .

سأل أعرابيا عن معاشه ثم قال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى حُذَيْفَة بن محمد الطائىّ قال حدّثنى أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجْلىّ قال :

(١) فى ب، س وديوانه ص ٥٦ طبع بيروت هكذا : «بَلْيا» . وفى سائر الأصول هكذا : «باليـا» . وقد رجحنا ما أثبتناه .

٢٠

حججت فرأيت أبا العتاهية واقفا على أعرابىّ فى ظل ميل[1] وعليه شملة[2] إذا غطّى بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّى رجليه بدا رأسه . فقال له أبو العتاهية : كيف اخترت هـذا البلد القفر على البلدان المخصبة؟ فقال له : ياهذا، لولا أنّ الله أقنع بعض العباد بشرّ البـلاد ، ما وسع خير البـلاد جميع العباد . فقـال له : فمن أين معاشكم؟ فقال: منكم معشر الحاجّ، تمرّون بنا فننال من فضولكم، وتنصرفون فيكون ذلك . فقال [له][3]: إنما نمرّ وننصرف فى وقت من السنة، فمن أين معاشكم ؟ فاطرق الأعرابىّ ثم قال: لا والله لا أدرى ما أقول إلّا أنّا نرزق من حيث لا نحتسب أكثر مما نرزق من حيث نحتسب . فولّى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طـالب الدّنيـا * دع الدنيـا لشانيـكا
وما تصـنع بالدنيـا * وظـلّ الميـل يكفيكا

شتمه سلم لما سمع هجوه فيه

أخبرنى محمد بن مزيد قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال :

لمّا قال أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذلّ الحرص أعناق الرجال

قال[4] سلم : ويلى على ابن الفاعلة ! كنز البدور ويزعم أنّى حريص وأنا فى ثوبىّ هذين !

كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثل كثيرا بشعره

أخبرنى محمد بن مزيد والحرمىّ بن أبى العلاء قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى عمرو بن أدعج قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمرىّ وسمعته يتمثّل كثيرا من شعر أبى العتاهية : أشهد أنّى سمعته ينشد لنفسه :

---

(١) الميل : منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . (٢) الشملة : كساء يحمل دون القطيفه . (٣) زيادة عن حـ . (٤) فى الأصول : « فقال » .

١٦٨
―
٣

مَرّتِ اليومَ شاطرهْ * بَضَّة الجسم ساحرهْ
إنّ دُنيا هى التى * مرّت اليومَ سافرهْ
سَرَقوا نصفَ إسمها * فَهْىَ دنيا وآخرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكَله اللهُ إلى آخرتها . قال : وما سُمِع بعد ذلك يَتَمثّل ببيتٍ (١) من شعره .

٥

قال علىّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبى عُيَيْنة المُهَلَّبِىّ ، وكان يُشَبِّب بدنيا فى شعره ، فإما أن يكون الخبرُ غلطًا ، وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمَرِىَّ لأبى العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له .

موازنة بينه وبين أبى نواس

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال :

قال لى الحِرْمازىّ : شهدتُ أبا العتاهية وأبا نُوَاس فى مجلس، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جوابًا عند البديهة ، وكان أبو نواس أسرعَهما فى قول الشعر، فإذا تَعاطَيَا جميعا السرعةَ فضَله أبو العتاهية ، وإذا توقّفا وتمهّلا فضَله أبو نواس .

١٠

رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه وجاهره بالعداوة

أخبرنى أحمد بن العبّاس عن ابن عُلَيْل العنزىّ قال حدّثنا أبو أَنَس كَثيرُ بن محمد الحِزَامىّ قال حدّثنى الزُّبَير بن بكّار [عن] (٢) مَعْروف العاملىّ قال :

قال أبو العتاهية : كنتُ منقطعا إلى صالح المسكين، وهو ٱبنُ أبى جعفر المنصور، فأصبت فى ناحيته مائةَ ألف درهم، وكان لى ودودا (٣) وصديقا ، فجئتُه يومًا، وكان لى فى مجلسه مَرْتَبةٌ لايجلس فيها غيرى، فنظرت إليه قد قصّر بى عنها، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك، ورأيت نظرَه إلىّ ثقيلاً ، فنهضتُ وقلت :

١٥

(١) فى الأصول : « وما سمع بعد ذلك بيت يتمثل به ... » .
(٢) زيادة يقتضيها السياق . وفى حـ : « الزبير بن معروف العاملى » .
(٣) فى حـ ، ب : « ودّا » . والود (مثلث الواو) : الكثير الود ، كالودود .

٢٠

أرانى صالحٌ بُغْضا * فأظهرتُ له بُغضا
ولا والله لا ينقُـ * ـض إلا زدتُه نَقْضا
وإلّا زدتُه مَقتا * وإلا زدته رفْضا
ألَا يا مُفْسِد الودّ * وقد كان له محضا
تغضّبت من الريح * فما أَطلُب أن ترْضَى
لئن كان لك المالُ الـ * ـمُصفى إنّ لى عِرْضا

قال أبو العتاهية : فنُمِى الكلامُ الى صالح فنادى بالعداوة، فقلت فيه :

مَدَدْتُ لمُعْرِض حَبْلًا طويلًا * كأطول ما يكون من الحِبَال
حبالٍ بالصَّريمة ليس تَفْنى * مُوَصَّلةٍ على عَدد الرمال
فلا تنظُرْ إلىّ ولا تُرِدْنى * ولا تُقْرِبْ حبالَك من حبالى
فليت الرَّدْمَ(١) من يأجوجَ بينى * وبينَك مثبتا أُخرَى الليالى
فكَرِّشْ(٢) إن أردتَ لنا كلامًا(٣) * ونقطع قِحْفَ رأسك بالقَذَال(٤)

استنشده مساور شعرا فى جنازة فأبى

حدّثنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا علىُّ بن سليمانَ النَّوْفَلىّ قال : قال مُسَاوِر السبّاق ، وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير عن مُسَاوِر السبّاق قال :

شَهِدتُ جنازةً فى أيّام الحاجّ وقت خروج الحسين بن علىّ بن الحسن بن الحسن ابن الحسن المقتول بفَخّ(٥)، فرأيتُ رجلًا قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر : هذا

(١) الردم : سدّ يأجوج ومأجوج . (٢) كرّش الرجل : قطب وجهه .
(٣) القحف : العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة . وقيل لايسمى قحفا حتى ينفلق من الجمجمة فيبين .
(٤) كذا فى حـ . والقذال : جماع مؤخر الرأس ما بين نقرة القفا الى الأذن . وفى سائر الأصول : « بالقتال » بالتاء المثناة من فوق . (٥) فخ : واد بمكة ، وهو فيما قيل : وادى الزاهر .

١٦٩
٣

الرجل الذى صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية . فآلتفت اليه فقلتُ له : أنت أبو العتاهية؟ فقال : لا، أنا أبو إسحاق . فقلت له : أنشِدْنى شيئاً من شعرك ؛ فقال لى : ما أحمقك ! نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْر، وفى أيام العشر، وببلدكم هذا تستنشدنى الشعر! ثم أَدْبرعنّى ثم عاد إلىّ فقال : وأُخرى أَزِيدُكها، لا والله ما رأيت فى بنى آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً !

٥

قال النوفلىّ فى خبره : وصدق أبو العتاهية، كان مُسَاوِرٌ هذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنّه ينظُر فى سيف .

حجبه حاجب يحيى ابن خاقان فقال شعرا فاسترضاه فأبى

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد وجَحْظَة قالا حدّثنا مَيْمونُ بن هارونَ قال :

قدم أبو العتاهية يوماً منزلَ يحيى بن خَاقَانَ، فلمّا قام بادر له الحاجب فانصرف. وأتاه يوماً آخر فصادفه حين نزل، فسلّم عليه ودخل الى منزله ولم يأذَنْ له ؛ فأخذ قِرْطاساً وكتب إليه :

١٠

أَراكَ تُراعُ حين ترى خَيالى * فما هذا يَرُوعك من خيالى

لعلّك خائفٌ منّى سؤالى * ألاَ فلكَ الأمانُ منَ السؤالِ

كَفَيتُك إنّ حالَك لم تَمِلْ بى * لأطلُبَ مثلَها بَدَلًا بحالى

وإنّ اليُسْرَ مثلُ العُسْرعندى * بأيّهما مُنِيتُ فلا أُبَالى

١٥

فلمّا قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجبَ بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه، ولم يلْتَقِيا بعد ذلك .

كان بينه وبين أبى الشمقمق شرّ

أخبرنى عبد الله بن محمد الرّازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنىّ قال :

اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمَقْمَق فى بيت ٱبن أَذَيْن، وكان بين أبى العتاهية وبين أبى الشَّمَقْمَق شرٌّ، فخبّئوه من أبى العتاهية فى بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ[1]، فظنّ أنّه جاريةٌ، فقال لٱبن أَذَيْن: متى ٱستطرفت[2] هذه الجاريةَ؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقال: قُلْ فيها ما حضَر، فمدّ أبو العتاهية
٥ يدَه إليه وقال:

مـددتُ كَفّى نحوَكم سائلاً * ماذا تَرُدُّون عـلى السـائلِ

فلم يَلْبَثْ أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت:

نَرُدّ فى كفّك ذا فَيْشَـةٍ * يَشْفِى جوًى فى ٱسْتِك من داخلِ

فقال أبو العتاهية: شمقمق والله! وقام مُغْضَباً.

استنشد ابن أبى أمية شعره ومدحه

١٠ أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى سليمانُ بن عَبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال:

كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ فى وسط المجلس، فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلنى الله فداك! معكم شاعرٌ يُعْرَف بٱبن أبى أميّة أُحبّ أن أسمعه يُنْشِد، فقال له جعفر: هو أقربُ النـاس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمد، وكان
١٥ الى جانبه، وسأله أن يُنْشِدَه، فكأنّه حَصِر ثم أنشده:

صـــوت

رُبّ وعدٍ منك لا أَنساه لى * أَوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ
أَقطَعُ الدهرَ بوعدٍ حَسَنٍ * وأُجَلِّى غَمْـرةً ما تَنْجَـلى
كلّمـا أمّلتُ وعدًا صالحًا * عَرَضَ المكروهُ دونَ الأَمَلِ
٢٠ وأَرى الأيّامَ لا تُدْنِى الذى * أَرْتَجِى منـك وتُدْنِى أَجَلى

١٧٠ / ٣

(١) فيه تأنيث: فيه لينٌ وتَخَنُّثٌ. (٢) استطرفت: استحدثت. وفى الأصول: «متى استظرفتها» بالمعجمة.

— فى هذه الأبيات لأبى حَبَشة رَمَلٌ — قال : فأقبل أبو العتاهيــة يُرَدّد البيت الأخير ويُقَبّل رأسَ آبن أبى أميّة ويَبكى، وقال : وَدِدْتُ والله أنّه لى بكثيرٍ من شعْرى.

لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدى

أخبرنى حَبيبُ بن نَصْر قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال :

كانت لأبى العتاهية بنتان ، اسم إحداهما «لله» ، والأُخرى «بالله» ؛ فخطَب منصورُ بن المهدى "لله" فلم يُزوّجه ، وقال : إنمــا طلبها لأنّها بنتُ أبى العتاهية ، وكأنّى بها قد مَلّها ، فلم يكن لى الى الآنتصافِ منه سبيلٌ ، وما كنت لأُزوّجها إلا بائع خَزَفٍ وجِرَارٍ ، ولكنّى أختاره لها مُوسِراً .

كان له آبن شاعر

وكان لأبى العتاهية آبنٌ يقالُ له محمد وكان شاعراً ، وهو القائل :

قد أَفْلَح السّالِمُ الصَّمُوتُ * كَلَامُ راعِى الكلامِ قُوتُ
ما كُلُّ نُطْــقٍ له جوابٌ * جوابُ ما يُكْرَهُ السُّكوتُ
يا عَجَبًــا لامرِئٍ ظَــلُومٍ * مُسْتَيقِنٍ أنّه يمــوت

سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعــل

نسخت من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنــا زكريّا بن الحُسين[1] عن عبد الله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال :

قلت لأبى العتاهية : أَنشِدْنى من شعرك ما تستحسن ، فأَنشدنى :

ما أَسرعَ الأيّامَ فى الشّهــرِ * وأسرَع الأشْهُــرَ فى العُمْــرِ

صـــــوت

ليس لمن ليستْ لهُ حيــلةٌ * موجودةٌ خيرٌ من الصَّــبْرِ
فاخْطُ مع الدهرِ إذا ما خطا * وآجْرِ مــع الدهرِ كما يَجْرِى
مَنْ سابقَ الدهرَ كبا كَبْــوةً * لم يَسْــتَقِلْها آخِرَ الدهرِ

لإبراهيم فى هذه الأبيات خفيفُ ثَقيلٍ وثقيلٌ أوّل .

(١) فى حـ : « الحسن » .

لما جفاه الفضل وصله ابن الحسن ابن سهل

قال عبد الله بن الحسن : وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال : ما زال الفضلُ بن الربيع من أَمْيَلِ النّاس إلىّ ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت اليه، فاستنشدنى فأنشدتُه :

أفنيتَ عمرَك إدباراً وإقبالاَ * تَبْغِى البنين وتَبْغِى الأهْلَ والمالاَ

٥ الموتُ هَوْلٌ فكُنْ ما شئتَ مُلْتمساً * من هَوْله حِيلةً إن كنتَ مُحتالا

ألم تَرَ المَلِكَ الأَمْسِىَّ حين مضى * هل نال حىٌّ من الدنيا كما نَالاَ

أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفْنِى القُرونَ فَقَدْ * أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا

كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمانِ بهم * فأصبحوا عِبراً فينا وأمثالاَ

فاستحسنها وقال : أنت تعرف شُغْلى ، فَعُدْ إلىّ فى وقت فراغى اقعد معك

١٠ وآنَسْ بك . فلم أزلْ أُراقِب أيّامَه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه، فبينما هو مُقْبِلٌ علىّ يَستنشدنى ويسألنى فأُحدّثه، إذْ أنشدتُه :

ولّى الشبابُ فما له من حِيلةٍ * وكَسَا ذُؤَابَتِىَ المشيبُ خِمارَا

أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهمْ * بالأمسِ أعظمَ أهْلِها أخطارا

١٧١ / ٣

فلمّا سمع ذكرى البرامكة تَغيّر لونُه ورأيتُ الكراهيةَ فى وجهه ، فما رأيت منه

١٥ خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديثَ ابنَ الحسن بن سَهْل؛ فقال له : لئن كان ذلك ضَرّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نفَعك عندنا؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأَجْرَى له كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يَقْبَلها دَارّةً إلى أن مات .

عاتب مجاشع بن مسعدة فرد عليه من شعره

٢٠ قال عبد الله بن الحسن بن سهل: وسمعت عمرو بن مَسْعَدة يقول : قال لى أخى مُجاشِع : بينما أنا فى بيتى إذ جاءتنى رُقعةٌ من أبى العتاهية فيها :

خَليـلٌ لى أُكاتمُه * أرانى لا أُلائمُــهُ
خليلٌ لا تَهُبّ الرِّيـ * حُ إلّا هبّ لائمُـهُ
كذا مَنْ نال سلطانًا * ومن كَثُرتْ دراهمُهُ

قال : فَبعثتُ إليه فأتانى، فقلت له : أمَا رَعَيْتَ حقًّا ولا ذِمامًا ولا مودّة ! فقال لى : ما قلتُ سوءا. قلتُ : فمـا حمَلك على هـذا ؟ قال : أَغيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسألُ عنّى ولا تبعَثُ إلىّ رسولًا ! فقلت : يا أبا إسحاق، أنَسيتَ قولك :

يأَبَى المُعَـلَّق بالمُـنَى * إلّا رواحًا وادّلاجًا
أرفُقْ فعمرُكَ عُودُ ذى * أَوَدٍ رأيتُ به اعوجاجًا
مَنْ عاج من شىءٍ إلى * شىءٍ أصاب له مَعاجا

فقال : حسبُك ! حسبُك ! أوسعتَنى عُذْرا .

عاب شعر ابن مناذر لاستعماله الغريب، فخجل

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ الزّارع قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عِمْران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا ابن عائشة قال :

قال أبو العتاهية لابن مُناذر[1] : شـعرك مُهَجَّن لا يَلْحَق بالفحول، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحْـدَثين . فإن كنت تَشبّهت بالعَجّاج ورُؤْبة فمـا لِحقتهما ولا أنت

(١) فى شرح القاموس مادة «ندر» ما نصه : «وابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف ويضم فيصرف . قال الجوهرىّ : هو محمد بن مناذر شاعر بصرى، فن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر؛ لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر، ومن ضمه صرفه » اهـ . وقد ورد فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة ليدن) ما يؤكد أنه بالضم ليس غير؛ قال : «ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان اذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب و يقول : أمَناذر الكبرى أم مناذر الصغرى، وهما كورتان من كور الأهواز، انما هو مُناذر على وزن مُفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر، مثل ضارب فهو مُضارب» . وقد ورد فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبىّ (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

فى طريقهما ، وإن كنت تذهب مَذْهبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً . أَخْبِرْنى عن

قولك : * ومَنْ عاداك لاقَى المَرْمَرِيسا [١] *

أَخْبِرْنى عن المرمريس ماهو؟ قال : فخجِل ٱبن مناذر وما راجعه حَرْفا . قال : وكان بينهما تَنَاغُر [٢] .

عرف عبيد الله ابن إسحاق بمكة وسأله أن يجيز شعره

٥ نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى الحُسَين بن إسماعيل المَهْدىّ قال حدّثنى رَجَاء بن سَلَمة قال :

وَجَد المأمونُ علىّ فى شىء ، فاستأذنتُه فى الحجّ فأذن لى ، فقَدِمتُ البصرة وعُبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمىّ [٣] عليها و إليه أمرُ الحجّ ، فزاملتُه إلى مكة . فبينا نحن فى الطّواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعُبيد الله : جُعِلْتُ فِداك! أَتُحِبّ

١٠ أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إنّى لأُحِبُّ أن أراه وأُعاشِرَه . قلت : فافرُغْ من طَوافك وٱخْرُجْ ، ففعل . فأخذتُ بيده أبى العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق، هل لك فى رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عُبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثنا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك فى بيتين تُجيزهما؟ فقال له عُبيد الله : إنه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ

١٥ ولا جِدالَ فى الحجّ . فقال له : لاَ نَرْفُثُ ولا نفسُق ولا نُجادِل . فقال : هات إذًا . فقال أبو العتاهية :

إنّ المنونَ غُدُوَّها ورَواحَها * فى الناس دائبة تُجِيل قِداحَها

يا ساكنَ الدنيا لقد أوطِنْتَها * ولَتَنْزَحنّ و إن كَرِهتَ نَزَاحَها

(١) المرمريس : الداهية . (٢) التناغر : التناكر . وفى حـ : « تباعد » .

(٣) كذا فى حـ ، ى . وفى سائر النسخ : « الهشامى » وهو تحريف .

٢٠

فأَطْرَق عبيد الله ينظُر الى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال :

خُــذْ لا أبالك للمنيّــة عُدَّةً * واحْتَلْ لنفسك إن أَردتَ صلاحَها

لا تغْــتَرِرْ فكأنّنى بعُقـاب رَيـ * ـب الموت قد نَشَرتْ عليك جَناحَها

قال : ثم سمعتُ النـاس يَنْحَلون أبا العتاهية هذه الأربعـةَ الأبيات كلّها ، وليس له إلّا البيتان الأوّلان . ٥

قصته فى السجن مع داعية عيسى بن زيد

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنا مَيْمون بن هارون قال حدّثنى إبراهيم ابن رَبَاح قال أخبرنى إبراهيم بن عبد الله ، وأخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا هارون بن مُخَارِق قال حدّثنى إبراهيم بن دَسْكَرَة ، وأخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى أحمد بن سُليمان بن أبى شَيخ قال :

قال أبو العتاهية : حبسنى(١) الرشـيدُ لـمّا تركتُ قولَ الشـعر ، فأدخلتُ السجنَ وأغلِق البـابُ علىّ ، فدَهِشتُ كما يدهَش مثلى لتلك الحال ، و إذا أنا برجل جالسٍ فى جانب الحبس مُقَيّد ، فجعلت أنظر اليه ساعةً ، ثم تمثّل : ١٠

صــــوت

تَعــوّدتُ مُرّ الصبر حتى أَلِفْتُــهُ * وأسلمنى حسنُ العَــزاء إلى الصبرِ

وصــيّرنى يأسى من النّاس راجيـًا * لحُسْن صنيع الله من حيثُ لا أَدرى ١٥

فقلت له : أَعِدْ ، يرحمك الله ، هذين البيتين . فقال لى : ويلَك أبا العتاهية ! ما أسوأَ أَدبَك وأقلَّ عقـلَك ! دخلتَ علىّ الحَبْسَ فـا سلّمتَ تسليمَ المُسْلِم على المُسْـلم ، ولا سألتَ مسئلةَ الحُرّ للحرّ ، ولا توجّعت توجُّع المُبتلَى للمُبتلَى ، حتى إذا سمعتَ بيتين

(١) فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ١٠٢) : « أمر المهدى بحبسى ... » .

من الشعر الذى لا فضلَ فيك غيرُه ، لم تصبِر عن آستعادتهما ، ولم تُقدِّم قبلَ مسألتك عنهما عُذْرًا لنفسك فى طلبهما ! فقلتُ : يا أخى إنّى دَهِشتُ لهذه الحال ، فلا تَعذِلْنى وآعذِرْنى متفضِّلا بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدَّهَش والحَيْرة منك ؛ لأنك حُبِستَ فى أن تقول شعرًا به آرتفعتَ وبلَغت ، فإذا قُلتَ أُمِّنت ، وأنا مأخوذٌ بأن أَدُلَّ على آبن رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُقتَل أو أُقتَلَ دونه ، ووالله لا أدُلّ عليه أبدا ، والساعةَ يُدعى بى فأُقتل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سلَّمك الله وكفاك ، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك . قال : فلا نَبْخَلُ عليك إذًا ، ثم أعاد البيتين حتى حَفِظتُهما . قال : فسألته مَنْ هو ؟ فقال : أنا خاصّ[1] داعيةُ عيسى بن زيد وآبنه أحمد . ولم نَلْبثْ أن سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده فى جرّة ، ولبِس ثوبًا نظيفا كان عنده ، ودخل الحَرَسُ والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعا ، وقُدِّم قبلى إلى الرشيد . فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال : لا تسألْنى عنه وآصنعْ ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفتُه عنه . وأَمر بضَرْب عُنقه فضُرِب . ثم قال لى : أظنّك قد آرتعتَ يا إسماعيل ! فقلت : دون ما رأيته تَسيل منه النفوس . فقال : ردّوه إلى مَحْبِسه فرُدِدْتُ ، وآنتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما :

إذا أنا لم أَقْبَلْ من الدّهر كلَّ ما * تكرَّهتُ منه طال عَتْبى على الدهر

لِزُرْزُور غلامِ المَارِقِيّ فى هذين البيتين المذكورين خفيفُ رَمَل . وفيهما لعَرِيبَ خفيفُ ثَقيل .

١٧٣ / ٣

كان خلفا فى شعره له منه الجيد والردى .

نسختُ من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى نَاجِيَةُ بن عبد الواحد قال :

(١) فى وفيات الأعيان : «حاضر» .

قال لى أبو العبّاس الخُزَيْمىّ :

كان أبو العتاهية خَلَقًا فى الشعر، بينما هو يقول فى موسى الهادى :

لَهْفِى على الزمنِ القصيرِ * بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

إذ قال :

أيا ذَوِى الوَخامهْ * أكثرتُمُ المَــلامهْ

فليس لى على ذا * صــبرٌ ولا قُلامهْ

نعمْ عَشِقتُ مُوقًا * هل قامتِ القيامهْ

لأَرْكبنّ فيــمن * هَوِيتُــه الصَّرامهْ

عرض شعرا له على سلم الخاسر فذمه فأجابه

ونسختُ من كتابه(١) : حدّثنى علىّ بن مَهدىّ قال حدّثنى أحمد بن عيسى قال حدّثنى الجمّاز قال :

قال سَلْمٌ الخاسر : صار إلىّ أبو العتاهية فقال : جئتُك زائرًا ؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه، فأَقِمْ . فقال : إنّ هذا مما يَشتدّ علىّ . قلت : ولِمَ يَشتدّ عليك ما يَسهُل على أهــل الأدب ؟ فقال : لمَعرفتى بضيق صدرك . فقلت له وأنا أضحك وأَعجب من مُكابرته : «رَمَتْنى بدائها وآنسلّتْ»(٢) . فقال : دَعْ من هذا وآسمعْ منّى أبياتًا . فقلت : هاتِ ؛ فأنشدَنى :

نغّص الموتُ كلَّ لذّة عيش * يا لقومى للْــوت ما أَوحاهُ(٣)

عجبًــا أنّه إذا مات مَيْتٌ * صَــدّ عنــه حبيبُه وجَفاهُ

حيثُما وُجِّه آمرؤٌ ليفوتَ الـ * ـموتَ فالموتُ واقفٌ بِحذَاهُ

إنّمــا الشَّيْبُ لآبن آدمَ ناعٍ * قام فى عارِضَــيْه ثم نَعَــاهُ

(١) يريد كتاب هارون بن على الوارد فى الصفحة السابقة . (٢) هذا مثل يضرب لمن يعيّر آخر عيبا هو فيه . (٣) ما أوحاه : ما أسرعه .

مَنْ تَمَنَّى المُنَى فأَغْرق فيها * مات من قبلِ أن ينالَ مُناهُ
ما أَذَلَّ المُقِلَّ فى أَعْيُنِ النّا * س لإقلاله وما أَقْمَاهُ[1]
إنما تنظر العيونُ من النا * س إلى من تَرْجوه أو تخْشاهُ

ثم قال لى : كيف رأيتَها ؟ فقلت له : لقد جوَّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيّةً.

٥ فقال : والله ما يُرَغِّبنى فيها إلاّ الذى زهّدك فيها .

مرّ به حميد الطوسى متكبرا فقال شعرا

ونسخت من كتابه : عن علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عبد الله بن عطيّة عن محمد ابن عيسى الحربىّ قال :

كنت جالسًا مع أبى العتاهية ، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسىّ فى موكبه وبين يديه الفُرْسانُ والرَّجّالةُ ، وكان بقُرب أبى العتاهية سَوادِىٌّ[2] على أتان ، فضربوا وجه الأتان ١٠ ونَحَّوْه عن الطريق ، وحُميد واضعٌ طَرْفَه على مَعْرَفَة فرسه والناسُ ينظرون إليه يتعجّبون منه وهو لا يلتفت تيهًا ؛ فقال أبو العتاهية :

للموت أبناءُ بهم * ماشئْتَ من صَلَفٍ وتيه
وكأنّنى بالموت قد * دارتْ رَحاه على بَنِيه

١٧٤ع ٣

قال : فلمّا جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية :

١٥ ما أذلَّ المُقِلَّ فى أعين النا * س لإقلاله وما أَقْمَاهُ
إنما تنظر العيونُ من النا * س إلى من تَرْجوه أو تَخْشاهُ

اعترض عليه فى بخله فأجاب

قال علىّ بن مهدىّ وحدّثنى الحسين بن أبى السَّرِىّ قال :

قيل لأبى العتاهية : مالك تَبْخَل بما رزقك الله ؟ قال : والله مابَخِلتُ بما رزقنى الله قطّ . قيل له : وكيف ذاك وفى بيتك من المال ما لا يُحْصَى ؟ قال : ليس ٢٠ ذلك رِزقى ، ولو كان رزقى لأنفقتُه .

(١) ما أقماه : ما أذله . (٢) السوادىّ : القروىّ ، من سواد البلدة وهو ما حولها من القرى ، أو هو الرجل من عامة الناس .

طلب من صالح الشهرزورى حاجة فلم يقضها فعاتبه حتى استرضاه فمدحه

قال علىّ بن مهدىّ وحدّثنى محمد بن جعفر الشّهرزُورِىّ قال حدّثنى رَجَاء مولى صالح الشّهرزُورِىّ قال :

كان أبو العتاهية صديقا لصالح الشهرزورىّ وآنس الناس به ، فسأله أن يُكَلِّم الفضلَ بن يحيى فى حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أُكَلّمه فى أشباه هذا ، ولكن حَمِّلْنى ما شئت فى مالى . فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيّاما لا يأتيه ؛ فكتب اليه أبو العتاهيـــة :

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ * إتيـانَه فتَـلِجَّ فى هِجْـرانِه
إنّ الصـديقَ يَلِجّ فى غِشْيانه * لصديقه فيُمَلُّ من غِشْيانِه
حتّى تراه بعـد طول مَسرّةٍ * بمكانه مُتَبرِّمًا بمكانِه
وأَقَلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَـلًا علَى * إخوانه ما كفَّ عن إخوانه
وإذا توانَى عن صِيانة نفســه * رَجُلٌ تُنُقِّص واسْتُخِفّ بشانه

فلمّا قرأ الأبيـاتَ قال : سبحانَ الله ! أتَهجُرنى لمنعى إيّاك شيئًا تعلم أنّى ما ابتذلتُ نفسى له قطّ ، وتَنْسى مودّتى وأُخوّتى ، ومِنْ دون ما بينى و بينك ما أَوجب عليك أن تَعْذِرنى ! فكتب اليه :

أهـلَ التّخلّق لو يَدوم تَخَـلُّقُ * لسكنتُ ظِلّ جَناحِ مَنْ يَتَخلّقُ
ما الناس فى الإمساك إلا واحدٌ * فبأيّهم إنْ حُصِّلوا[1] أتعلّقُ
هذا زمانٌ قد تعوّد أهـلُه * تيهَ الملوك وفعلَ مَنْ يَتَصدّقُ[2]

فلمّا أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث ؛ فقال له : لا والله ما على الأرض أَبْغَضُ إلىّ من إسداء عارفةٍ إلى أبى العتاهية ؛ لأنه ممن ليس

(١) حصلوا : حبروا وميزوا . (٢) متصدق هنا : يسأل .

يظهر عليه أثر صنيعة، وقد قضيتُ حاجته لك؛ فرجع وأرسلني اليه بقضاء حاجته[1] .
فقال أبو العتاهية :

جَزَى اللهُ عنّي صالحاً بوَفائه * وأَضْعَفَ أضعافاً له في جَزائه
بَلَوْتُ رجالًا بعده في إخائهم * فما آزددتُ إلّا رغبةً في إخائه
٥ صديقٌ إذا ماجئتُ أَبغيه حاجةً * رجعتُ بما أبغي ووجهي بمائه

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حرب قال:
أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحا هذا في تأخيره قضاء حاجته :

صـــوت

أَعَيْنَيَّ جُودَا وأبكِيَا وُدَّ صالحٍ * وهِيجَا عليه مُعْوِلاتِ النّوائحِ
١٠ فما زالَ سلطاناً أخٌ لي أَوَدُّه * فيَقْطَعُني جُرْماً[2] قطيعةَ صالحِ

١٧٥ / ٣

الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَر .

أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال :

كان الرشيد مُعْجَبًا بشعر أبي العتاهية ، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقْعتانِ على
١٥ نسخةٍ واحدة، فبعث بإحداهما إلى مُؤدِّبٍ لوَلَده وقال : لِيُرَوِّهِمْ مافيها، ودفع الأُخرى
إليّ وقال : غَنّ في هذه الأبيات . ففتحتُها فإذا فيها :

صـــوت

قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بوُدِّهْ * وكَوَى القلبَ بصَدِّهْ
ما آبتَلَى اللهُ فؤادي * بكَ إلّا شُؤْمَ جَدِّهْ

٢٠ (١) أي رجع الفضل وأرسلني إلى أبي العتاهية بقضاء حاجته .
(٢) في ى : «جزما» . وفي سائر النسخ : «حوبا» بالحاء المهملة . ويظهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

أيها السارقُ عقلى * لا تَضَنَّنْ بِرَدِّهْ
ما أرى حُبَّكَ إلا * بالغًا بى فوقَ حَدِّهْ

تمثل المعتصم عند موته بشعره

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنى عبد الله بن محمد الأُمَوىّ العُتْبِىّ قال قال لى محمد بن عبد الملك الزيّات :

لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذَهَب والله أبوك يا هارون! ٥
لله درّ أبى العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخَلْقِ مُشْتَرَكُ * لا سُوقةٌ يَبْقَى ولا مَلِكُ
ما ضَرَّ أصحابَ القليلِ وما * أَغْنَى عَنِ الأملاكِ ما مَلَكُوا

عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ وعمّى الحسن والكوكبىّ قالوا حدّثنا عبد الله ابن أبى سعد قال : ١٠

قال لى أبو تمّام الطائىّ : لأبى العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شَرِكَه فيها أحدٌ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقدِّم ولا متأخِّر ، وهو قوله :

النـاسُ فى غَفَلاتِهِمْ * ورَحَى المَنِيَّةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف :

ألم تَرَ أنّ الفَقْرَ يُرْجَى له الغِنَى * وأنّ الغِنَى يُخْشى عليه مِنَ الفَقْرِ ١٥

وقوله فى موسى الهادى :

ولمّا اسْتَقَلُّوا بأثقالِهِمْ * وقد أَزْمَعُوا للّذى أزمعوا
قرنتُ التفاتى بآثارِهِمْ * وأَتْبَعْتُهُمْ مُقْلةً تَدْمَعُ

وقوله :

هَبِ الدنيا تصير إليك عَفْواً * أليس مصيرُ ذاك إلى زَوَالِ ٢٠

عزاؤه صديقا له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى محمد بن سعيد المَهْدىّ عن يحيى بن سَعِيدٍ الأنصارىّ قال :

مات شيخٌ لنا ببغداد ، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعَزُّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

لا تأمنِ الدَّهْرَ والْبَسْ * لكلِّ حينٍ لِبَاسَا

لَيَدْفِنَنَّا أُنَاسٌ * كما دَفَنَّا أُنَاسَا

١٧٦
―
٣

قال : فانصرف الناس ، وما حفظوا غيرَ قول أبى العتاهية .

أرسل لخزيمة من شعره فى الزهد فغضب وذمه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى حبيب ابن عبد الرحمن عن بعض أصحابه :

قال : كنت فى مجلس خُزَيمة[1] ، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء ، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجّةٌ إلّا رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عِزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة ، وأن أصير بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعا ، ما كان فى الأرض أزْهَدُ ولا أعبدُ منّى ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبى العتاهية فيها مكتوبٌ :

أراكَ امرأً ترجو من الله عَفْوَهُ * وأنت على ما لا يُحِبُّ مُقيمُ

تَدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ * أيا مَنْ يُدَاوِى الناسَ وهو سَقِيمُ

وإنّ امرأً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ * تَخَوُّفَ ما يأتى به لحكيمُ

وإنّ امرأً لم يجعلِ البِرَّ كنزَه * وإنْ كانتِ الدنيا له لعديمُ

―――

(١) هو خزيمة بن حازم أحد قوّاد الرشيد .

فغضب خُزَيمة وقال : والله ما المعروفُ عند هـذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البرّ فيرغَب فيه حرٌّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنّه من الذين يكنِزون الذهب والفضّة ولا يُنفقونها فى سبيل الله .

مدح يزيد بن مزيد فوصله

ونسخت من كتابه : عن علىّ بن مهـدىّ قال حدّثنى الحسين بن أبى السَّرىّ قال قال لى الفضل بن العبّاس :

قال لى أبو العتاهية : دخلتُ على يزيدَ بن مَزْيَد ، فأنشدتُه قصيدتى التى أقول فيها :

وما ذاك إلّا أنّـنى وَاثقٌ بمـا * لديــك وأنّى عالمٌ بوفائـكا

كأنّك فى صدرى إذا جئتُ زائرًا * تُقدِّر فيـه حاجتى بآبتدائكا

و إنّ أميرَ المؤمنين وغيره * لَيعلَمُ فى الهيجاء فضـلَ غَنائكا

كأنّك عند الكرّ فى الحرب إنّما * تَفِرُّ من السِّلْم الذى من وَرائكا

فما آفةُ الأملاكِ غيرُك فى الوَغَى * ولا آفةُ الأموال غـيرُ حِبائكا

قال : فأعطانى عشرة آلاف درهم ، ودابّةً بسَرْجها ولِجامها .

وعظ راهب رجلا عابدا بشعره

وأخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق وعمّى الحسن بن محمـد وحبيب بن نصر المهلّبى قالوا : حدّثنا عمر بن شبّة قال :

مرّ عابدٌ براهبٍ فى صَـومعة ؛ فقال له : عِظْنى . فقال : أعِظُك وعليكم نَزل القرآن ، ونبيُّكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم (١) ؟ قلت نعم . قال : فآتّعِظْ ببيتٍ من شعر شاعركم أبى العتاهية حين يقول :

تجرَّدْ منَ الدنيا فإنّك إنّمـا * وقعتَ إلى الدنيا وأنت مُجرَّدُ

فضله العتابى على أبى نواس

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثنى جعفر بن جَميل قال :

(١) فى جميع الأصول : «ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم صلى الله عليه وسلم وعلى آله» . ويظهر أن هذا تكرار من النساخ .

قَدِم العتَّابي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثَوَابةَ بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه . فجرى ذات يوم ذِكْرُ الشعراء؛ فقال : لكُمْ يأهلَ العراق شاعرٌ منوَّه الكُنْيَة، ما فعل؟ فذكر القوم أبا نُوَاس؛ فانتهرهم ونفض يده وقال : ليس ذلك، حتى طال الكلام . فقلت : لعلّك تريد أبا العتاهية . فقال : نعم! ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين في وقته . ٥

١٧٧ / ٣

لام أبا نواس في استماع الغناء

أخبرني محمد بن عِمْران قال حدّثني العَنَزِيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنْديّ قال :

جلس أبو العتاهية يومًا يَعْذُلُ أبا نُوَاس ويلومه في آستماع الغِناء ومجالسته لأصحابه؛ فقال له أبو نواس :

١٠ أتُرَاني يا عَتَاهِي * تاركًا تلك المَلاهي
أتُراني مفسِدًا بالنُّسْك عند القوم جاهي

قال : فوثَب أبو العتاهية وقال : لابارَك الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك .

بلغه أن إبراهيم ابن المهدي رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم

أخبرني جَحْظةُ قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال :

بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكَره بها؛ فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق الموصلي، فأدّى إليه إسحاق الرسالة؛ فكتب إليه أبي : ١٥

إنّ المنيّةَ أمهلتْك عَتَاهِي * والموتُ لا يسهو وقلبُك ساهي
ياويحَ ذي السنّ الضعيف أمَا لَهُ * عن غَيِّه قبل المَمات تَنَاهي
وُكِّلْتَ بالدنيا تُبَكِّيها وتَنْـ * ـدُبها وأنت عن القيامة لاهي
والعيشُ حُلْوٌ والمَنونُ مَريرةٌ * والدارُ دارُ تَفاخُرٍ وتَباهي

فاخْتَرْ(١) لنفسك دونها سُبُلًا ولا * تَتَحامَقَنْ لها فإنّك لاهى
لا يُعْجِبَنَّكَ أنْ يُقال مُفَوَّهٌ * حَسَنُ البَلاغة أو عَريضُ الجاه
أَصْلِحْ جَهُولًا من سَريرتك التى * تخلو بها وَارْهَبْ مَقامَ الله
إنِّى رأيتُك مُظْهِرًا لزَهادةٍ * تحتاجُ منك لها إلى أشباه

كان عبد الله بن العباس بن الفضل مشغوفا بالغناء فى شعره

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحُسَين بن يحيى الصولىّ قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال :

رآنى الرشيد مشغوفا بالغناء فى شعر أبى العتاهية :

صــــوت

أحمدٌ قال لى ولم يَدْرِ ما بى * أَتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حَقَّا
فتنفّستُ ثم قلتُ نعم حُبًّا* جَرَى فى العُروق عِرْقًا فعِرقَا
لو تَجُسِّينَ يا عُتَيبةُ قلبى * لَوَجَدْتِ الفؤادَ قَرْحًا تَفَقَّا
قد لَعَمْرى مَلَّ الطبيبُ ومَلَّ الأ* هلُ منِّى مما أُقاسى وأَلْقَى
ليتَنى مُتُّ فاسترحتُ فإنِّى * أبدًا ما حَيِيتُ منها مُلَقَّى(٢)

ولا سيما من مُخَارِق ، وكان يُغَنِّى فيه رَمَلًا لإبراهيم أخَذه عنه . وفيه لحنٌ لفَريدة رمل . هكذا قال الصُّولى : " فريدة " بالياء، وغيره يقول : " فِرِندة " بالنون .

أمره الرشيد أن يقول شعرا يغنى فيه الملاحون فلما سمعه بكى

حدّثنى الصُّولِى قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَوِىّ قال أخبرنى أبو العتاهية قال :

كان الرشيدُ مما يُعجِبه غِناءُ المَلّاحين فى الزَّلّالات(٣) إذا رَكِبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرًا يُغَنُّون فيه .

(١) فى ح : «فاحتل» . (٢) الملقى : الممتحن الذى لا يزال يلقاه مكروه . (٣) لم نجد هذا الاسم فى كتب اللغة التى بين أيدينا بالمعنى المراد منه هنا . وظاهر أن المراد به نوع من السفن .

١٧٨ / ٣

فقيل له : ليس أحدٌ أقدرَ على هذا من أبى العتاهية، وهو فى الحَبْس . قال: فوجَّه إلىّ الرشيد : قُلْ شعرًا حتّى أسمعَه منهم، ولم يأمُرْ بإطلاقى ؛ فغاظنى ذلك فقُلْتُ : والله لأقولَنَّ شعرًا يحزُنه ولا يَسُرُّه به، فعَمِلتُ شعرًا ودفعتُه إلى مَنْ حَفَّظَه الملّاحين. فلمّا رَكِب الحَرّاقةَ (١) سمِعه، وهو :

خانَك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ * أيُّها القلبُ الجَمُوحُ
لِدَواعِى الخيرِ والشَّرِّ * دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هل لمطلوبٍ بِذَنْبٍ * توبةٌ منه نَصُوحُ
كيف إصلاحُ قُلُوبٍ * إنّما هُنَّ قُروحُ
أحسَنَ اللهُ بنا أنَّ الخَطايا لا تَفُوحُ
فإذا المستورُ منّا * بينَ ثوبَيْهِ نَضُوحُ (٢)
كَمْ رأينا مِنْ عزيزٍ * طُوِيتْ عنه الكشُوحُ
صاحَ منه بِرَحيلٍ * صائحُ الدهرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناسِ فى الأرْ * ضِ على قومٍ فتُوحُ
سيصيرُ المرءُ يومًا * جَسَدًا ما فيه رُوحُ
بينَ عَيْنَىْ كُلِّ حَىٍّ * عَلَمُ الموتِ يلوحُ
كُلُّنا فى غَفْلةٍ والْ * مَوْتُ يغدو ويروح
لِبَنِى الدُّنيا مِنَ الدُّنْ * يَا غَبُوقٌ (٣) وصَبُوحُ
رُحْنَ فى الوَشْىِ وأصْبَحْ * نَ عليهنّ المُسُوحُ

(١) الحرّاقة : ضرب من السفن الحربية الكبيرة فيها مرامى نيران يرى بها العدوّ فى البحر. وكان منها أنواع تستعمل للنزهة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والأمراء فى أوّل العصر العباسى (مثل الذهبية عندنا) وهى المرادة هنا . (٢) فى الديوان : « فضوح » بالفاء . (٣) الغبوق : ماشرب أو أكل آخر النهار، ويقابله الصبوح وهو ماأكل أو شرب أوّل النهار .

كلُّ نَطّاحٍ منَ الدّهْـ * ـرِ له يومٌ نَطُوحُ

نُحْ على نفسك يا مسكينُ إنْ كنتَ تنوح

لتَموتَنَّ وإنْ عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نوح

قال : فلمّا سمع ذلك الرشيدُ جعل يبكى وينتحب ، وكان الرشيدُ من أغزر الناس دموعًا فى وقت الموْعظة ، وأشدّهم عَسْفًا فى وقت الغَضَب والغِلْظة . فلمّا رأى الفضلُ بن الرّبيع كثرةَ بكائه ، أومأ إلى الملّاحين أن يسكتوا .

هجا منجابا الذى كان موكلا بحبسه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسن بن جابر كاتب الحسن[1] بن رَجَاء قال :

لمّا حبَس الرشيدُ أبا العتاهية دفَعه إلى مِنجابٍ ، فكان يَعنُف به ؛ فقال أبو العتاهية :

مِنْجَابُ مات بدائه * فاعْجَلْ له بدوائه

إنّ الإمامَ أعلَّه * ظُلْمًا بحدّ شقائه

لا تُعنِفنّ[2] سِيَاقَه * ما كُلُّ ذاك برائه[3]

ما شِمْتُ هذا فى مَخَا * يِل بارقات سَمائه

مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن مُعاويةَ القُرَشىّ قال :

١٧٩
٣

لمّا عقَد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة : الأمين ، والمأمون ، والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ المُحِيل قَعُودى * إلى ذى زُحُوفٍ[4] جَمّةٍ وجُنُودِ

وَراعٍ يُراعِى اللّيلَ فى حِفْظ أُمّةٍ * يُدافِع عنها الشّرَّ غيرِ رَقُودِ

بألْويةٍ جبريلُ يَقْدُمُ أهلَها * ورَاياتِ نَصْرٍ حولَه وبُنُودِ

(١) فى الأصول : «الحسين» وهو تحريف . (٢) أعنف الشىء : أخذه بشدّة .
(٣) يريد : «برأيه» . (٤) الزحوف : جمع زحف وهو الجيش .

تَجَافَى عَن الدُّنيا وأَيْقَنَ أَنَّها * مُفَارِقَةٌ ليسـت بَدارِ خُـلودِ
وشَـدَّ عُرَا الإسلامِ منـه بِفتْيةٍ * ثـلاثةِ أمـلاكٍ وُلَاةِ عهـودِ
هُـمُ خيرُ أولادٍ، لهُـمْ خيرُ وَالدٍ * لَهُ خـيرُ آباءٍ مَضَتْ وجُـدودِ
بنو المصطفَى هارونَ حولَ سَريرِه * فخـيرُ قيَـامٍ حـولَه وقُعـودِ
٥ تُقَلِّبُ ألحـاظَ المَهَـابةِ بينهـمْ * عيونُ ظِبَاءٍ فى قُلوبِ أُسُـودِ
جُدودُهمُ[1] شمسٌ أتتْ فى أَهِـلَّةٍ * تبـدَّتْ لِرَاءٍ فى نُجومِ سُـعُودِ

قال: فوصله الرشيدُ بِصِلَةٍ ما وَصَل بمثلها شاعرًا قطُّ[2].

ذكر ملك الروم فالتمسه من الرشيد فاستعفى هو، فكتب من شعره فى مجلسه وعلى باب مدينتـه

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدِىّ إجازةً قال حدّثنى الرِّيَاشِىّ قال: قَدِم رسولٌ لِمَلِك الرُّوم إلى الرشيد، فسأل عن أبى العتاهية وأنشـده شيئا من ١٠ شعره، وكان يُحسِن العربيّة، فمضى الى ملك الرُّوم وذكَره له؛ فكَتَب ملكُ الرُّوم إليه، ورَدّ رسولَه يسأل الرشيدَ أن يُوَجِّه بأبى العتاهية و يأخذَ فيه رهائنَ مَنْ أراد، وألَحَّ فى ذلك. فكلّم الرشيد أبا العتاهية فى ذلك، فآستعفى منه وأباه. وآتّصل بالرشيد أنّ مَلِكَ الرُّوم أَمَر أن يُكْتَبَ بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مَجَالسـه وبابِ مدينته، وهمـا:

١٥ صـــوت

ما آختلفَ اللّيلُ والنّهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماء فى الفَلَكِ
إلّا لِنَقْلِ السُّلْطانِ عن مَلِكٍ * قـد آنْقضَى مُلْكُه إلى مَلِكِ

انقطع بعد ذو وجه من الحبس فلامه الرشيد فكتب له شعرا معتذرا ومادحا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبـد الله بن أبى سـعد قال حدّثنا الرَّبيع بن محمـد الخُتَّلِىّ الوَرّاق قال أخبرنى آبن أبى العتاهية:

٢٠ (١) كذا فى الديوان. وفى الأصول: «خدودهم» بالخاء.
(٢) فى الأصول: «ما وصل مثلها».

أنّ الرشيدَ لمّا أطلق أباه من الحَبْس ، لَزِم بيتَه وقَطَع الناسَ ؛ فذكَره الرشيد فعُرِّفَ خبرَه ، فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بَيْت[1] ؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وأَخلاقِهِمْ * فصِرْتُ أَستأْنِسُ بِالوَحْدَهْ
ما أكثرَ النَّاسَ لعَمْرِى وما * أَقَلَّهُم فى مُنْتَهى العِدَّهْ

٥

ثم قال : لا ينبغى أن يمضى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له ، فقرَن هذين البيتين بأربعةِ أبيات مدحه فيها ، وهى :

صــــوت

عادَ لى من ذِكْرِها نَصَبُ * فدموعُ العينِ تَنْسكِبُ
وكذاكَ الحُبُّ صَاحِبُه * يَعْتَرِيه الهَمُّ والوَصَبُ
خيرُ مَنْ يُرْجَى ومَنْ يَهَبُ * مَلِكٌ دانتْ له العَرَبُ
وحقيقٌ أنْ يُدَانَ له * مَنْ أبوه للنَّبِيّ أَبُ

١٠

١٨٠ / ٣

أمره الرشيد أن يعظه فقال شعرا فبكى

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبى العتاهية قال: قال الرشيدُ لأبى : عِظْنى ؛ فقال له : أخافك . فقال له : أنت آمِن . فأنشده :

لا تأْمَنِ الموتَ فى طَرْفٍ ولا نَفَسٍ * اذا تَسَتَّرْتَ بالأبواب والحَرَسِ
وآعْلَمْ بأنّ سِهامَ الموت قاصدةٌ * لكلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتَّرِسِ
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتَها * إنّ السفينةَ لا تَجْرِى على اليَبَسِ

١٥

قال : فبكى الرشيد حتى بل كُمَّه .

(١) حلس بيت : ملازمه لا يبرحه ، وهو مما يذم به الرجل .

تناظر ابن أبى فنن وابن خاقان فيه وفى أبى نواس ، ثم حكما ابن الضحاك ففضله

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

قال لى أحمد بن أبى فَنَن : تناظرت أنا والفَتْحُ بن خاقان فى منزله : أيُّما [الرجلين] أشعر : أبو نُوَاس أم أبو العتاهية . فقال الفتح : أبو نواس، وقلت : أبو العتاهية . ثم قلت : لو وُضِعتْ أشعارُ العرب كلُّها بإزاء شعر أبى العتاهية لَفَضَلها، وليس بيننا خلافٌ فى أنّ له فى كلّ قصيدة جَيِّدًا ووَسَطًا وضعيفًا، فاذا جُمِع جَيِّده كان أكثرَ من جَيِّد كلّ مُجَوِّد . [ثم] قلتُ له : بمَن تَرْضَى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك . فما انقطع كلامُنا حتّى دخل الحسين بن الضحّاك؛ فقلتُ : ما تقول فى رجلين تَشَاجَرا، فَضَّل أحدُهما أبا نُوَاس وفضَّل الآخَرُ أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أُمُّ مَنْ فَضَّل أبا نُوَاس على أبى العتاهية زانيةٌ ؛ فخَجِل الفَتْح حتى تبيَّن ذلك فيه ، ثم لم يُعَاوِدْنى فى شىءٍ من ذِكْرِهما حتى افترقنا .

٥

اجتمع مع مخارق فما زال يغنيه وهو يشرب ويبكى ثم كسر الآنية وتزهد

وقد حدّثنى الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهدىّ فيما تقدّم ، فقال : حدّثنى هارون بن مُخَارِق قال حدّثنى أبى قال :

جاءنى أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أنْ أتزوّد منك يومًا تَهَبُهُ لى، فمتى تَنْشَطُ؟ فقلتُ : مَتَى شئتَ . فقال : أخاف أن تقطع بى . فقلت : والله لا فعلتُ وإنْ طَلَبنى الخليفة . فقال : يكون ذلك فى غد . فقلت : أفعل . فلمّا كان من غدٍ باكرنى رسولُه بجئته، فأدخلنى بيتًا له نظيفًا فيه فَرْشٌ نظيفٌ، ثم دعا بمائدة عليها خُبْزٌ سَمِيذ(١) وخَلٌّ وبَقْلٌ(٢) ومِلْحٌ وجَدْىٌ مَشْوِىّ فأكلنا منه، ثم دعا بسَمَك مَشْوِىّ فأصبنا منه حتّى اكتفينا، ثم دعا بحَلْواء فأصبنا منها وغَسَلْنا أيدينا، وجاءونا بفاكهةٍ ورَيْحان وألوانٍ

١٠

---

(١) السميذ : الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق . (٢) كذا فى الأصول . ويحتمل أيضا أن يكون « نقل » إذ هو المناسب للقام .

من الأنبذة، فقال: آختَرْ ما يصلُح لك منها، فآخترتُ وشربت، وصبَّ قَدَحًا ثم قال: غَنِّنى فى قولى:

أحمــدٌ قال لى ولم يَدْرِ مابى * أتُحِبُّ الغَــداةَ عُتْبَةَ حَقًّا

فغنَّيتُه، فشَرِب قدحًا وهو يبكى أَحَرَّ بكاء، ثم قال: غَنِّنى فى قولى:

ليس لِمَنْ ليستْ له حِيلةٌ * موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبرِ

فغنَّيته وهو يبكى وينْشِج[1]، ثم شرِب قدحا آخر ثم قال: غنِّنى، فديتك، فى قولى:

خَليــلَىَّ مالى لا تزالُ مَضَرَّتِى * تكونُ معَ الأقدارِ حَتْمًا من الحَتْمِ

فغنَّيته إيّاه. وما زال يقترح علىّ كلَّ صوتٍ غُنِّىَ به فى شِعْره فأُغَنِّيه ويشرَب ويبكى حتّى صار العتمة. فقال: أُحِبُّ أن تَصْبِر حتّى ترى ما أصنعَ بجلست. فأمر آبنَه وغلامه فكَسَرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيــذ وآلته والمَلاهى، ثم أمر بإخراج كلِّ ما فى بيته من النَّبيذ وآلته، فأُخْرِجَ جميعُه، فما زال يكسِره ويَصُبُّ النبيذ وهو يبكى حتّى لم يبقَ من ذلك شىءٌ، ثم نَزَع ثيابَه وآغتسل، ثم لَبِس ثيابًا بِيضًا من صُوف، ثم عانقنى وبكى، ثم قال: السلامُ عليك يا حبيبى وفَرَحى من النــاس كلِّهم سـلامَ الفِراق الذى لا لِقاءَ بعده؛ وجعل يبكى، وقال: هذا آخِرُ عهْدِى بك فى حال تَعَاشُرِ أهل الدنيا؛ فظننتُ أنّها بعضُ حماقاته، فانصرفت، وما لَقِيته زمانًا. ثم تشوّقته[2] فأتيته فآستأذنتُ عليه فأذِن لى فدخلت، فاذا هو قد أخذ قَوْصَرَتَيْنِ[3] وثقَب إحداهما وأدخل رأسَه ويديه فيها وأقامها مقام القميص، وثَقَب الأُخْرى[4] وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السَّراويل. فلمّا رأيته نَسِيتُ كلَّ ما كان عندى من الغمّ عليه والوَحْشة لِعشْرته،

(١) نشج الباكى: غص بالبكاء فى حلقــه من غير انتحاب. (٢) فى معاجم اللغة التى بين أيدينا أن «تشوّق» يتعدّى بالحرف. فلعل ما هاهنا من باب الحذف والإيصال، والأصل: «تشوّقت اليه». (٣) القوصرة (بتشديد الراء وتخفيفها): وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى.
(٤) فى الأصول: «أخرى».

وضحكتُ والله ضحكًا ما ضحكت مثلَه قطُّ. فقال : مِنْ أىّ شىء تضحك؟ فقلت : أسخن الله عينَك[1] ! هذا أىُّ شىء هو؟ مَنْ بَلَغَك عنه أنّه فَعَل مثل هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصحابة والمجانين، انْزِعْ عنك هذا ياسخين العين ! فكأنه آستحيا منّى . ثم بَلَغنى أنّه جَلَس حَجّامًا، فجَهِدتُ أن أراه بتلك الحال فلم أرَه. ثم مَرِض، فبلَغنى أنه آشتهى أنْ أُغنّيَه، فأتيتُه عائدا، فخرج إلىّ رسولُه يقول: إن دخلتَ إلىّ جَدّدْتَ لى حزنًا وتاقتْ نفسى من سَماعك إلى ما قد غلبتُها عليــه، وأنا أستودعك اللهَ وأعتــذر إليك من ترك الالتقاء، ثم كان آخر عهدى به .

تمنى عنــد موته أن يجىء مخارق فيغنيه فى شعره

حدّثنى جحظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

قيل لأبى العتاهية عند الموت : ماتشتهى؟ فقال : أشتهى أن يجىء مُخارِق فيَضَعَ فمه على أُذنى ثم يُغنّينى :

سيُعرَضُ عن ذكرى وتُنسَى مَوَدّتى * ويَحْــدُثُ بعدى للخليل خليــلُ
إذا ماانقضتْ عنّى مِنَ الدَّهْرِ مُدّتى[2] * فإنّ غَنــاءَ البــاكيات قليــلُ

وأخبرنى به أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا محمد بن صالح [بن] النّطّاح قال :

قال بِشْر بن الوليد لأبى العتاهية عند الموت : ما تشتهى؟ فذَكَرَ مثلَ الأوّل .

وأخبرنى به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبى سعد عن محمد بن صالح : أنّ بِشْرًا قال ذلك لأبى العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب .

آخر شعر قاله فى مرضه الذى مات فيه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ : حدّثنى علىُّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى عبد الله بن عَطيّة قال حدّثنى محمد بن أبى العتاهية قال : آخرُ شعرٍ قاله أبى فى مَرَضه الذى مات فيه :

إلٰهى لا تُعــذّبنى فــإنّى[3] * مُقِرٌّ بالّذى قد كانَ منّى
فــالى حيــلةٌ إلّا رجائى * لِعَفوك إنْ عفوتَ وحُسْنُ ظَنّى

(١) أسخن الله عينه : أبكاه وأحزنه . (٢) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان وديوانه طبع بيروت (ص ٢٢١) . ومدته : أجله . وفى الأصول : « ليلة » . (٣) ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ٢٦٣) باختلاف يسير فى الرواية عما هنا .

وكَم مِنْ زَلةٍ لى فى الخَطَايا * وأنتَ علىَّ ذو فَضْـلٍ ومَنِّ
إذا فَكَّرتُ فى نَدَمِى عليهـا * عَضِضْتُ أناملِى وقَرَعْتُ سِنِّى
أجنُّ بزَهْرةِ الدُّنيـا جُنونا * وأَقْطَـعُ طولَ عُمْرِى بالتَّمنِّى
ولَوْ أَنِّى صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها * قلبتُ لِأهلِها ظَهْـرَ المِجَنِّ
يَظُنّ النّاسُ بى خيرًا وإنِّى * لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْفُ عنِّى ٥

أمر بنتـه فى علته التى مات فيها أن تندبه بشعر له

١٨٢ / ٣

أخبرنى محمد بن عِمْران الصيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنى أحمد ابن حمزة الضُّبَعىّ قال أخبرنى أبو محمد المؤدِّب قال :

قال أبو العتاهية لابنته رُقَيَّـةَ فى عِلّته التى مات فيها : قُومِى يا بُنَيَّة فآنْدُبى أباكِ بهذه الأبيات ؛ فقامتْ فَندَبَتْه بقوله :

لَعِبَ البِلَى بمَعَالِمِى ورُسُومِى * وقُبِرْتُ حَيًّا تحت رَدْمِ هُمومِى ١٠
لَزِمَ البِلَى جِسْمِى فأَوْهَنَ قُوّتى * إنّ البِـلَى لَمُوَكَّلٌ بِلُزومى

تاريخ وفاته ومدفنه

أخبرنى أحمد بن عبيـد الله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنى علىّ بن محمد قال حدّثنى مُخارِق المُغَنِّى قال :

تُوُفِّىَ أبو العتاهية، وإبراهيم الموصلىّ، وأبو عَمْرو الشَّيْبانى عبد السلام[1] فى يومٍ واحد فى خِلافة المأمون، وذلك فى سنة ثلاثَ عَشْرةَ ومائتين . ١٥

(١) كذا فى أكثر الأصول . وظاهر الكلام أن عبد السلام اسم لأبى عمرو الشيبانى ، وهو غير صحيح ؛ فان أبا عمرو الشيبانى الذى توفى فى اليوم الذى توفى فيه أبو العتاهية اسمه إسحاق بن مرار (وزان كتّاب) وهو من رمادة الكوفة ، ونزل إلى بغداد وجاور شيبان للتأدب فيها فنسب إليها ، وكان من الأئمة الأعلام فى اللغة والشعر . وفى ء : «وعبد السلام» بزيادة واو العطف» وهو ما يفيد أنه اسم لشخص آخر ذكر فى وفيات هذه السنة . وقد بحثنا فى كتب التاريخ والتراجم عمن توفوا فى سنة ٢١٣ فلم نعثر فيهم على من ٢٠ تسمى بعبد السلام . وفى نسخة أ : «أبو عمرو الشيبانى ... السلام» . والظاهر أن البياض فى «أ» وكلمة «عبد» فى باقى الأصول أصله «بمدينة» . ومدينة السلام هى بغداد . ويؤيد هذا ما ورد فى وفيات الأعيان فى ترجمـة أبى عمرو الشـيبانى من قوله : «... مات إسحاق بن مرار فى اليوم الذى مات فيـه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلىّ سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد» .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْهِ عن أحمد بن يوسف عن أحمد ابن الخليل عن إسماعيل بن أبي قُتَيْبَةَ قال :

مات أبو العتاهية، ورَاشِدٌ الخَنَّاق، وهشيمة الخَمَّارة في يوم واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارثُ بن أبي أُسامةَ عن محمد بن سَعْد كاتب الوَاقديّ : أنّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمَادَى الأُولى سنة إحدَى عَشْرةَ ومائتين، ودُفِن حِيالَ قَنْطَرة الزيّاتين في الجانب الغَرْبيّ ببغداد .

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشَّيْباني عن محمد بن أبي العتاهية : أنّ أباه توفّي سنة عَشْرٍ ومائتين .

الشعر الذى أمر أن يكتب على قبره

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم ابن عبد الله بن الجُنَيْد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيْب قال :

أمر أبو العتاهية أن يُكْتَبَ على قبره :

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي * اِسْمَعِي ثُمَّ عِي وعِي
أنا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي * فاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
عِشْتُ[1] تسعينَ حِجَّةً * أَسْلَمَتْنِي لِمَضْجَعِي
كَمْ تَرى الحَيَّ ثابتًا * في دِيَارِ التَّزَعْزُعِ
ليس زادٌ سِوى التُّقَى * فَخُذِي منه أوْ دَعِي

رثاه ابنه بشعر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال :

لمّا مات أبو العتاهية رثاه ٱبنه محمد بن أبي العتاهية فقال :

(١) في الديوان بدل هذا البيت والذى يليه بيت واحد، وهو :

عشت تسعين حجة * في ديار التزعزع

يا أبى ضَمَّكَ الثَّرَى * وطوَى الموتُ أجمعَكْ
ليتنى يومَ مُتَّ صِرْ * تُ إلى حُفْرةٍ معَكْ
رَحِمَ اللهُ مَصْرعَكْ * بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

أنكر ابنه أنه أوصى أن يكتب شعر على قبره

أخبرنى الحسن قال حدّثنى أحمد بن زُهَير قال :

قال محمد بن أبى العتاهية : لَقِيَنى محمد بن أبى محمد اليَزِيدىّ[1] فقال : أنْشِدْنى الأبياتَ التى أَوْصَى أبوك أن تُكْتَبَ على قَبْره ؛ فأنشأتُ أقول له :

كَذَبْتَ عَلَى أخٍ لك فى مَمَاتِهْ * وكَمْ كَذِبٍ فشَا لك فى حَياتِهْ
وأَكْذَبُ ماتكونُ على صَدِيقٍ * كَذَبْتَ عليه حَيًّا فى مَمَاتِهْ

١٨٣ / ٣

فخَجِل وٱنصرف . قال : والنّاس يقولون : إنّه أَوْصَى أن يُكْتَبَ على قبره شعرٌ له ، وكان ٱبنُه يُنْكِر ذلك .

وذكر هارون بن علىّ بن مَهْدِىّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبياتَ العينيّة التى أوّلها :

* أُذْنَ حَىٍّ تَسَمَّعِى *

على حَجَرٍ عند قبر أبى العتاهية .

ولم أذكُرها هنا مع أخبار أبى العتاهية أخبارَه مع عُتْبةَ، وهى من أعظم أخباره ؛ لأنّها طويلة ، وفيها أغانٍ كثيرة، وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتُها .

(١) فى الأصول : « الزيدى » . والتصويب عن كتاب الأنساب للسمعانى .

أخبار فريدة

أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها

قال مؤلف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحسِنتان لها صَنْعةٌ تُسَمَّيان بفَرِيدة. فأمّا إحداهما، وهي الكبرى ، فكانت مُوَلَّدةً نشأتْ بالحجاز، ثم وقعتْ إلى آل الربيع، فعُلِّمَتِ الغناءَ في دُورهم، ثم صارتْ إلى البرامكة . فلمّا قُتِل جعفر بن يحيى ونُكِبُوا هَرَبتْ، وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلمّا قُتِل خرجتْ، فتزوّجها الهَيْثَم بن مُسْلِم[1] فولدتْ له ابنَه عبدَالله، ثم مات عنها، فتزوّجها السِّنْدِيّ بن الحَرَشِيّ[2] وماتت عنده . ولها صنعةٌ جيّدة، منها في شعر الوليد بن يَزِيد :

بعض الشعر الذى لها فيه صنعة

صــــوت

وَيْحَ سَلْمَى لو تَرَانِي * لَعَنَاها ما عَنَانِي

واقفًا في الدّار أَبْكِي * عاشقًا حُورَ الغَوَانِي

ولحنُها فيه خفيفُ رمَلٍ .

ومن صَنْعتها :

صــــوت

أَلاَ أَيُّها الرَّكْبُ النِّيَامُ أَلاَ هُبُّوا[3] * نُسَائلكُمْ هل يقتُل الرَّجُلَ الحُبُّ

أَلاَ رُبَّ رَكْبٍ قد وقفتُ مَطِيَّهُمْ * عليك ولولا أنتِ لم يَقِفِ الرَّكْبُ

لحنُها فيه ثاني ثقيل . وفيه لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

(١) كذا في ب ، سـ . وفي سائر النسخ : « سلم » . (٢) كذا في الطبري (ص ٦٨٠ و ٧٣٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ من القسم الثالث) وهو أحد رجالات الرشيد والمأمون . وفي الأصول : « الجرشي » بالجيم . (٣) الرواية المشهورة لهذين البيتين :

ألا أيها النـــوّام ويحكمُ هبّوا * نسائلكم هل يقتـل الرجل الحبّ

ألا رب ركب قد دفعت وجيفهم * اليك ولولا أنت لم يوجف الركبُ

سأل صالح بن حسان الهيثم بن عدى عن بيت نصفه بدوى والآخر حضرى ثم ذكره

حدّثنى محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنى العُمَرِىّ قال حدّثنى الهيثم بن عَدِىّ قال :

قال صالح بن حَسّان يوماً : ما نِصْفُ بيتٍ كأنّه أعرابىّ فى شَمْلةٍ، والنصفُ الآخَرُ كأنّه مُخَنَّثٌ مُفَكَّكٌ ؟ قلت : لا أدرى . فقال : قد أَجَّلْتُك حولاً . فقلت : لو أجّلتنى عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُه . فقال : أَوَّهْ ! أُفٍّ لك ! قد كنتُ أَحْسَبك أجودَ ذِهْناً مما أرى . فقلت : فما هو الآن ؟ قال : قولُ جميل :

* أَلَا أيها الرَّكْبُ النِّيامُ أَلَا هُبُّوا *

هذا كلام أعرابىّ ، ثم قال :

* أُسائلكم هل يقتل الرَّجلَ الحبُّ *

كأنّه والله من مُخَنَّثِى العَقِيق .

أخبار فريدة وهى المحسنة دون فريدة الكبرى

وأمّا فريدةُ الأُخرى فهى التى أرى بل لا أَشُكُّ فى أنّ اللحْنَ المختارَ لها ؛ لأنّ إسحاق آختار هذه المائةَ الصوتِ للواثق، فاختار فيها لِمُتَيَّم لحنًا، ولأبى دُلَف لحناً ، ولسُلَيْم بن سَلّام لحناً ، ولرِياضَ جاريةِ أبى حَمّاد لحناً . وكانت فريدةُ أَثيرةً عند الواثق وحَظِيّةً لديه جدًّا ، فآختار لها هذا الصوت، لمكانها من الواثق، ولأنّها ليستْ دونَ مَن آختار له من نُظَرائها .

قدمت هى وشارية فى الطيب وإحكام الغناء

أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّق : أنّها آجتمعت هى وخِشْفُ الواضِحيّة يومًا ، فتذاكرتا أحسنَ ما سَمِعتاه من المُغَنِّيات ؛ فقالت رَيِّق : شَارِيةُ أَحْسَنُهنّ غناءً ومُتَيَّمُ ، وقالت خِشْف : عَرِيبُ وفريدة ؛ ثم آجتمعتا على تَسَاوِيهنّ ، وتقديم مُتَيَّم فى الصَّنْعة ، وعَرِيبَ فى الغَزارة والكثرة ، وشاريةَ وفَرِيدةَ فى الطِّيب وإحكام الغناء .

أهداها ابن بانة للواثق

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال :

كانت فَريدةُ جارية الواثق لعَمْرو بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسِنات ، ورُبِّيتْ عند عمرو بن بانة مع صاحبةٍ لها اسْمُها «خِلّ» ، وكانت حسنةَ الوجه ، حسنةَ الغناء ، حادّة الفِطْنة والفَهْم .

سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة

٥ قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانةَ قال : غَنَّيتُ الواثقَ :

قلتُ حِلًّا[1] فاقبَلِي مَعْذِرَتِي * ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أَحَبّْ

فقال لى : تَقَدَّمْ إلى السِّتارة فألْقِه على فَريدةَ ، فألقيتُه عليها ؛ فقالت : هو حِلٌّ[2] أو خِلٌّ كيف هو ؟ فعلمتُ أنها سألتْني عن صاحبتها فى خَفَاءٍ من الواثق .

تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت

ولمّا تزوّجها المتوكل أرادها على الغناء ، فأبتْ أن تُغَنِّيَ وفاءً للواثق ، فأقام على ١٠ رأسها خادمًا وأمَره أن يضرب رأسها أبدًا أو تُغَنِّيَ ؛ فاندفعتْ وغَنَّتْ :

فَلا تَبْعَدْ[3] فكُلُّ فَتًى سيأتِى * عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغَادِى

نقل ابن بسخنر قصة لهامع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

كانت لى نَوْبة فى خدمة الواثق فى كل جمعة ، إذا حضرتُ رَكِبْتُ إلى الدار ؛ ١٥ فإنْ نَشِط إلى الشُّرْب أقمتُ عنده ، و إن لم يَنْشَط ٱنصرفت . وكان رَسْمُنا ألّا يحضر أحدٌ منّا إلّا فى يوم نوبتــه . فإنِّى لفى منزِلى فى غير يوم نوبتى إذا رُسُل الخليفة قد هجموا علىّ وقالوا لى : ٱحضُرْ . فقلت : أَلِخَيْرٍ ؟ قالوا : خير . فقلت : إنّ هذا يومٌ لم يُحْضِرْنى فيه أمير المؤمنين قطّ ، ولعلكم غلِطتم . فقالوا : الله المستعان ، لا تُطِلْ

[1] كذا فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة الواردة فى هــذا الكتاب (ج ١ ص ١٣٤ من هذه الطبعة) . ٢٠ وفى الأصول هنا : «خلا» بالخاء المعجمة .
[2] فى الأصول : « حل » بالخاء المعجمة والياء فى آخره .
[3] لا تبعد : لا تهلك .

وبادرْ؛ فقد أمَرنا ألّا ندَعَك تستقرّ على الأرض . فداخلنى فزع شديد؛ وخِفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بى، أوْبَلِيَّةٌ قد حدثتْ فى رأى الخليفة علىّ؛ فتقدّمتُ بما أردت وركبت حتى وافيتُ الدار ؛ فذهبت لأدخل على رَسْمى من حيث كنتُ أدخل ، فمُنِعتُ، وأخذ بيدى الخَدَم فأدخلونى وعدَلوا بى إلى مَمَرّات(١) لا أعرِفها، فزاد ذلك فى جَزَعى وغمّى. ثم لم يزَلِ الخدَم يُسْلِمونى من خدمٍ الى خَدَم حتى أفضيتُ إلى دار ٥ مفروشة الصَّحْن، مُلْبَسة الحيطان بالوَشى المنسوج بالذهب، ثم أفضيتُ إلى رِواقٍ أرضُه وحيطانُه مُلْبَسَةٌ بمثل ذلك ، و إذا الواثق فى صَدْره على سَريرٍ مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فَرِيدةُ جاريتُه، عليها مثلُ ثيابه وفى حجرها عُودٌ . فلمّا رآنى قال : جَوَّدتَ(٢) والله يا محمد إلينا . فقبّلت الأرضَ ثم قلت : يا أمير المؤمنين خيرًا ! قال : خيرًا، أمَا ترانا(٣) ! طلبتُ والله ثالثًا يُؤنسنا فلم أرَ أحقَّ ١٠ بذلك منك، فبحياتى بادِرْ فكُلْ شيئاً وبادِرْ إلينا . فقلتُ : قد والله ياسيّدى أكلتُ وشرِبْت أيضا. قال: فآجْلِس فجلستُ، وقال: هاتوا لمحمد رِطْلًا فى قَدَحٍ، فأُحْضِرْتُ ذلك، وآندفعتْ فريدةُ تُغَنّى :

أَهابُك إجلالًا وما بك قدرةٌ * علىَّ ولٰكنْ مِلءُ عينٍ حبيبُها

وما هَجَرتْك النّفْسُ يا لَيْلَ أنّها(٤) * قَلَتْك ولا أنْ قلّ منك نَصيبُها ١٥

١٨٥ / ٣

فجاءت والله بالسِّحْر، وجعل الواثق يُجاذبها ، وفى خلال ذلك تُغَنّى الصوتَ بعد الصوت، وأُغَنّى أنا فى خلال غِنائها، فمرّ لنا أحسنُ ما مرّ لأحد. فإنا لكذلك إذ رَفَع

(١) فى جميع الأصول: «مرات» بالباء، وهو تحريف . (٢) جوّدت ها : أسرعت . قال فى اللسان: «يقال: جوّد فى عدوه تجويدا» . (٣) فى ب، سـ : «خيرا ما ترى أنا طلبت...» .

(٤) ورد هذا البيت فى شرح ديوان حماسة أبى تمام (ص ٥٩٨ طبع أوربا) هكذا : ٢٠

وما هجرتك النفس أنك عندها * قليل ولكن قل منك نصيبها

رِجْلَه فضرب بها صَـدْرَ فَرِيدَةَ ضربةً تدحرجت منها من أعلَى السرير إلى الأرض وتَفَتَّتَ عُودُها ومَرَّتْ تعدو وتَصِيح، وبَقِيتُ أنا كالمنزوع الرُّوح، ولم أشُكَّ فى أنّ عينَـه وقعتْ علىّ(١) وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إلىّ؛ فأطرقَ ساعة إلى الأرض متحيرًا وأطرقتُ أتوقَّع ضرب العُنُق. فإنِّى لكذلك إذ قال لى : يا محمد، فوثبتُ. فقال : وَيْحَك ! أرأيتَ أغربَ مما تَهَيَّأ علينا ! فقلتُ : ياسيِّدى، الساعةَ والله تخرج رُوحى، فعلَى منَ أصابنا بالعين لعنةُ الله! فما كان السبب؟ ألِذَنْبٍ؟ قال : لا والله! ولكن فكّرت أنّ جعفرًا يقعُد هذا المقعَد و يقعُد معها كما هى قاعدة معى، فلم أُطِقِ الصبرَ وخامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيتَ. فسُرِىَ عنِّى وقلت : بل يقتُل الله جعفرا، ويحيا أمير المؤمنين أبدًا، وقبَّلت الأرض وقلت : ياسيِّدى اللهَ اللهَ ! ارْحَمْها ومُرْ بردّها. فقال لبعض الخَدَم الوقوف : منْ يجىء بها؟ فلم يكن بأسرعَ من أن خرجت وفى يدها عُودُها وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها. فلما رآها جذبها وعانقها، فبكتْ وجعل هو يبكى، وآندفعتُ أنا فى البكاء. فقالت : ما ذَنْبى يا مولاى و يا سيِّدى ؟ وبأىِّ شىءٍ آستوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ماقاله لى وهو يبكى وهى تبكى. فقالت : سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عُنق الساعةَ وأَرَحْتَنى من الفكر فى هذا، وأرحتَ قلبك من الهمّ بى، وجعلت تبكى و يبكى، ثم مسحا أعينَهما و رجعتْ إلى مكانها ؛ وأومأ إلى خَدَم وُقُوف بشىءٍ لا أعرِفه، فمضوا وأحضروا أكياسًا فيها عَيْنٌ ووَرِقٌ(٢)، ورُزَمًا فيها ثياب كثيرة، وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ففتحه وأخرج منه عِقْدًا ما رأيتُ قطُّ مثلَ جوهر كان فيه، فألبسَها إيّاه، وأُحْضِرت بَدْرة فيها عشرةُ آلاف درهم فجُعِلَتْ بين يدى وخمسةُ تُخُوتٍ فيها ثياب، وعُدْنا إلى أمرنا و إلى أحسنِ ممـا كنّا ؛ فلم نَزَلْ كذلك

---

(١) فى الأصول : « وقعت الىّ » ، على أنه يجوز أن يكون التحريف فى الفعل وأن أصله : « رفعت الىّ » . (٢) العين : الذهب المضروب وهو الدنانير. والورق : الدراهم المضروبة من الفضة.

قصتها مع المتوكل بعد الواثق

إلى الليل، ثم تفرقنا . وضَرَب الدهر ضَرْبَه[1] وتقلّد المتوكل . فوالله إنى لفى منزلى بعد يومٍ نَوْبَتى إذ هَجَم علىّ رُسُلُ الخليفة، فما أمهلونى حتى رَكِبْتُ وصِرْتُ إلى الدار، فأُدْخِلْتُ والله الحجرة بعينها ، وإذا المتوكّل فى الموضع الذى كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فَريدةُ . فلمّا رآنى قال : وَيحك ! أمَا ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدْوةٍ أطالبها بأنْ تُغَنِّينى فتأبَى ذلك ! فقلت لها : يا سبحانَ الله ! أتُخالفين سيِّدك وسيِّدنا وسيد البشر ! بحياته غَنِّى ! فعرفتْ والله ثم اندفعتْ تُغَنِّى :

مُقيمٌ بالمَجَازةِ[2] من قَنَونَى[3] * وأهلُك بالأُجَيْفِرِ[4] فالثِّمادِ[5]

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى سيأتى * عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادى

ثم ضربتْ بالعود الأرضَ، ثم رمتْ بنفسها عن السرير ومرّت تعدو وهى تصيح : واسيِّداه ! فقال لى : ويحك ! ما هذا؟ فقلتُ : لا أدرى والله ياسيِّدى . فقال : فما تَرَى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها ؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يُريد أمير المؤمنين . قال : فانْصَرِفْ فى حِفْظ الله ! فانصرفتُ ولم أدرِ ما كانت القصة .

١٨٦ / ٣

مدح محمد بن عبد الملك غناءها

أخبرنى جعفر بن قدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الملك قال :

سمعتُ فريدة تغنِّى :

أخِلّاىَ بى شَجْوٌ وليس بكم شَجْوُ * وكلُّ امرئٍ مما بصاحبه خِلْوُ

أذابَ الهوى لَحْمى وجِسْمى ومَفْصِلى * فلم يبقَ إلّا الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ

فما سمعتُ قبلَه ولا بعده غناءً أحسنَ منه .

(١) يقال : ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ، وضرب الدهر ضربه ومن ضربه أى مرّ من مروره وذهب بعضه . (٢) المجازة : منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وينسوعة . (٣) قنونى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة . (٤) الأجيفر : موضع فى أسفل السبعان من بلاد قيس . وقال الأصمعى : هو لبنى أسد . (٥) الثماد : موضع فى ديار بنى تميم قرب المروت .

الشعر لأبى العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ ، وله أيضا فيه خفيفُ ثقيل بالسبّابة والبنصر عن ابن المكىّ . وفيه لعمرو بن بانةَ رملٌ بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ آخر صحيحٌ فى غنائها من جَمْع ابنِ المعتزّ وعلىّ بن يحيى . وتمام هذه الأبيات :

٥ وما مِنْ مُحِبٍّ نال ممن يُحِبُّهُ * هوًى صادقًا إلّا سَيَدْخُلُه زَهْوُ

— وفيها كلُّها غناء مُفْترِقُ الألحان فى أبياته — (١)

بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بليّتى * فأحببتُ جهلًا والبلايا لها بَدْوُ
وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهو علىّ تجبُّرًا * وإنّى فى كلّ الخصال له كُفْوُ

صوت

١٠ من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه :

باتتْ هُمُومِى تَسْرِى طوارقُها * أَكُفُّ عينى والدمعُ سابِقُها
لِمَا أتاها مِنَ اليقين ولم * تَكُنْ تراه يُلِمُّ طارقُها

الشعر لأُميّة بن أبى الصّلْت ، والغناءُ للهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وفيه لابن مُحْرِز لحنان : هَزَجٌ وثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ وحبش . وذكر ١٥ يونس : أنّ فيه لابن مُحْرِز لحنًا واحدا مجنّسا .

(١) وردت هذه الجملة فى الأصول هكذا : « وفيها كلها غناء مفترق فى أبياته الألحان » . وكان ينبغى أن تكون هذه الجملة عقب الأبيات .

ذكر أمية بن أبى الصلت ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه

واسم أبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة[1] بن قسى، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن. هكذا يقول من نسبهم إلى قيس[2]، وقد شرح ذلك فى خبر طريح[3]. وأم أمية بن أبى الصلت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف.

٥ وكان أبو الصلت شاعرا، وهو الذى يقول فى مدح سيف بن ذى يزن:

ليطلب الثأر أمثال ابن ذى يزن * إذ صار فى البحر للأعداء أحوالا[4]

وقد كتب خبر ذلك فى موضعه.

أولاد أمية

وكان له أربعة بنين: عمرو وربيعة ووهب والقاسم. وكان القاسم شاعرا، وهو الذى يقول — أنشدنيه الأخفش وغيره عن ثعلب، وذكر الزبير أنها لأمية —:

١٨٧ / ٣

١٠ صــــوت

قوم إذا نزل الغريب[5] بدارهم * ردوه رب صواهل وقيان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم * لتلمس العلات بالعيدان

يمدح عبد الله بن جدعان بها، وأولها:

قومى ثقيف إن سألت وأسرتى * وبهم أدافع ركن من عادانى

١٥ غناه الغريض، ولحنه ثقيل أول بالبنصر. ولابن محرز فيه خفيف ثقيل أول بالوسطى، عن الهشامى جميعا.

(١) فى كتاب الشعر والشعراء: «غيرة». وغيرة (وزان عنبة): اسم قبيلة أيضا. (٢) يريد قيس عيلان وهو الجد الأعلى لهوازن؛ لأن هوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.
(٣) ستأتى أخبار طريح فى هذا الجزء (ص ٣٠٢). (٤) فى الشعر والشعراء:

٢٠ لن يطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن * لجج فى البحر للأعداء أحوالا

وفى شعراء النصرانية: * فى البحر خيم للأعداء أحوالا *

وفى سيرة ابن هشام: * فى البحر ريم للأعداء أحوالا *

(٥) فى الشعر والشعراء: «الحريب» بالحاء المهملة، وهو الذى سلب ماله.

وكان ربيعة ابنُه شاعرا، وهو الذى يقول:

وإنْ يَكُ حيًّا من إيَادٍ فإنّنا * وقَيْسًا سَوَاءٌ ما بَقِينَا وما بَقُوا[1]

ونحن خيارُ النّاسِ طُرًّا بِطانةً * لِقَيْسٍ وهُمْ خيرٌ لنا إنْ هُمْ بَقُوا[2]

كان يستعمل فى شعره كلمات غريبة

أخبرنى إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال:

٥ كان أُمَيّة بن أبى الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عزّ وجل الأوّل، فكان يأتى فى شعره بأشياء لا تَعْرِفها العرب؛ فمنها قولُه:

* قَمَرٌ وسَاهُورٌ يُسَلّ ويُغْمَدُ[3] *

وكان يسمّى اللهَ عزّ وجلّ فى شعره السِّلِّطِيطَ، فقال:

* والسِّلِّطِيطُ[4] فوق الأرض مُقْتَدِرُ *

١٠ وسمّاه فى موضع آخَرَ التغرور فقال: «وأيّده التغرور»[5]. وقال ابن قُتَيْبَةَ: وعلماؤنا لا يحتجّون بشئ من شعره لهذه العِلّة.

هو أشعر ثقيف بل أشعر الناس

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال:

---

(١) كذا فى الأصول. (٢) كذا فى الأصول. وفيه الإيطاء، وهو تكرار القافية لفظا ومعنى، وهو عيب. (٣) هذا عجز بيت وصدره:

١٥ * لا نقص فيـه غير أن خبيئـه *

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب: غلاف القمر يدخل فيه اذا كسف. (٤) هكذا فى الأصول. وهذه الصيغة لا يتزن بها الشطر. وقد ورد البيت كاملا فى اللسان (مادة سلط) هكذا:

إن الأنام رعايا الله كلهـم * هو السَّلَيْطَطُ فوق الأرض مستطر

قال ابن جنى: هو القاهر، من السَّلاطة. قال: ويروى السِّلِّيطَط (بكسر السين) وكلاهما شاذ. ٢٠ قال صاحب التهـذيب: سليطط جاء فى شعر أمية بمعنى المسلط، قال: ولا أدرى ما حقيقته. وورد فى الشعر والشعراء: «السلطليط». وفى القاموس: «والسلطيط» بالكسر: المسلط، ثم قال شارحه: «هكذا فى سائر أصـول القاموس، والصواب السَّلطيط كما فى العباب، وقد وجد هكذا أيضا فى بعض النسخ على الهامش، وهو صحيح. و يروى السليطط بفتح السين و بكسرها... و بكل هذا يروى شعر أمية... الخ».

(٥) عبارة ابن قتيبة فى الشعر والشعراء: «وأبدت التغرورا، يريد التغر. وهذه أشياء منكرة، ٢٥ وعلماؤنا لا يرون شعره حجة فى اللغة».

قال أبو عُبَيدة : اتّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المُدُن أهلُ يَثْرِب ثم عبدُ القيس ثم ثَقيف ، وأنّ أشعرَ ثَقيف أُمَيّة بن أبى الصَّلْت .

أخبرنا الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال :

قال يحيى بن محمد : قال الكُمَيْتُ : أُمَيّة أشعرُ النـاس ، قال كما قُلْنا ولم نَقُـلْ كما قال . ٥

تعبد والتمس الدين وطمع فى النبوّة

قال الزُّبَيْر وحدّثنى عَمّى مُصْعَب عن مُصْعَب بن عثمان قال :

كان أُمَيّة بن أبى الصلت قد نَظَر فى الكُتُب وقرأها ، ولَبِس المُسُوحَ تَعبُّدًا ، وكان ممن ذَكَر إبراهيمَ و إسماعيل والحَنيفيّة ، وحرّم الخمرَ وشكَّ فى الأوثان ، وكان مُحَقِّقا(١) ، والتمس الدِّين وطَمِع فى النبوّة ؛ لأنه قرأ فى الكُتب أنّ نَبِيًّا يُبْعَثُ من العرب ، فكان يرجو أن يكونَه(٢) . قال : فلمّـا بُعِث النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قيل له : هـذا الذى كُنْتَ تَسـتَرِيثُ(٣) وتقول فيـه ، فحَسَده عدوُّ الله وقال : إنّمـا كنتُ أرجو أنْ أكونَه ؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ : ﴿وَ ٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . ١٠

قال : وهو الذى يقول :

كُلُّ دِينٍ يومَ القيامةِ عند اللّهِ إلّا دِينَ الحَنيفـةِ زُورُ

كان يحرّض قريشا بعد بدر

قال الزُّبير وحدّثنى يحيى بن محمد قال : كان أُمَيّة يُحرّض قريشًا بعد وَقْعة بَدْرٍ ، وكان يَرْثِى مَنْ قُتِل من قريش فى وَقْعة بدر ؛ فمن ذلك قولُه : ١٥

ماذا بِبَـدْرٍ والعقَنْـ * ـقَلِ مِنْ مَرَازِبةٍ جَحَاجِحْ(٤)

(١) فى حـ : « وصام محققا » . (٢) فى جميع الأصول : « أن يكون هو » .
(٣) تستريث : تستبطئ . (٤) العقنقل : كثيب رمل ببدر . ومرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك ، وهو معرّب وأصله فارسى . وجحاجح : جمع جَحْجَح ، وهو السيد المسارع فى المكارم . ٢٠

وقال : وهى قصيدةٌ نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن رواياتها . ويقال : إنّ أُميّة قَدم على أهل مكة « بٱسمِك اللّهمّ » ؛ فجعلوها فى أوّل كُتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

أسف الحجاج على ضياع شعره ١٨٨ / ٣

قال الزُّبير وحدّثنى علىّ بن محمد المدائنىّ قال :

قال الحجّاج على المِنْبَر : ذَهب قومٌ يَعْرِفون شعر أُميّة ، وكذلك ٱندراسُ الكلام .

كان يحسس أخبار نبىّ العرب فلما أخبر ببعثته تكدّر

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير عن عُمَر بن أبى بكر المُؤَمِّلِى[1] وغيره قال :

كان أُميّة بن أبى الصلت يلتمس الدِّين ويطمَع فى النبوّة ، فخرج إلى الشأم فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعةٌ من العرب وقريش، فقال أُميّة : إنّ لى حاجةً فى هذه الكنيسة فٱنتظرونى ، فدخل الكنيسةَ وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيّرَ اللّون ، فرمَى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرِّى عنه ، ثم مَضَوْا فقَضَوْا حوائجهم ثم رجعوا . فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم : ٱنتظرونى ، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأَ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سُفيان بن حَرْب : قد شَقَقْتَ على رُفَقائك . فقال : خَلُّونى ؛ فإنّى أرتاد على نَفسى[2] لمَعَادى ، إنّ هاهنا راهباً عالماً أخبرنى أنه تكون بعد عيسى عليه السلامُ سِتُّ رَجَعاتٍ ، وقد مضتْ منها خمسٌ وبَقِيتْ واحدةٌ ، وأنا أطمَع فى النبوّة وأخاف أن تُخطِئنى ، فأصابنى ما رأيتَ . فلمّا رجعتُ ثانيةً أتيتُه فقال : قد كانتِ الرجعة ، وقد بُعث نبىٌّ من العرب ؛ فيئستُ من النبوّة ، فأصابنى ما رأيتَ ؛ إذ فاتنى ما كنتُ أطمع فيه .

(١) كذا ورد هذا الاسم هنا فى أكثر الأصول ، وهو الموافق لما فى الطبرى (ص ١١١٦ قسم أوّل طبعة أوربا) وأشير بهامشه الى أن فى بعض النسخ : « الموصلى » . وفى م ، ء هنا وفى جميع الأصول فيما يأتى (ص ١٢٥) : « عمرو بن أبى بكر الموصلى » .

(٢) فى حـ : « لنفسى لمعادى » .

أخبره شيخ راهب أن ليست فيه أوصاف النبىّ

قال : وقال الزُّهْرِىّ : خرج أميّة فى سفر فنزلوا منزلًا ، فأمّ أميّة وجها وصعِد فى كَثيب ، فرُفعتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالسٌ ، فقال لأميّة حين رآه : إنّك لمَتبوع ، فمِنْ أين يأتيك رئيُّك(١)؟ قال : من شِقِّ الأيسر . قال : فأىُّ الثياب أحَبُّ(٢) إليك أن يلقاك فيها؟ قال : السواد . قال : كِدْتَ تكون نبيَّ العرب ولستَ به ، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بمَلَك ، وإنّ نبيَّ العرب صاحبَ هـذا الأمر يأتيه من شِقّه الأيمن ، وأَحَب الثياب اليه أن يلقاه فيها البياضُ .

حديثه مع أبى بكر

قال الزُّهْرِىّ : وأتى أُمَيَّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِى الخبر ، فهل أحسستَ شيئا ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدتُه يخْرُج العامَ .

سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

سمعتُ خالد بن يزيد يقول : إنّ أُميّة وأبا سُفْيان اصطحبا فى تجارة إلى الشأم ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل . فقال له أبو سفيان : إنّ بك لَشَرا ، فما قِصّتُك ؟ قال : خيرٌ ، اخبِرْنى عن عُتْبَة بن رَبيعةَ كَمْ سِنُّه؟ فذكر سِنًّا . وقال : أَخبِرْنى عن ماله فذَكَر مالاً . فقال له : وضعتَه . فقال أبو سفيان : بل رفعتَه . فقال له : إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذى مالٍ . قال : وكان الراهبُ أَشْيَبَ ، وأخبره أنّ الأمر لرجلٍ من قريش .

زعم أنه فهم ثغاء شاة

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حُدِّثْتُ عن عبد الرحمن بن أبى حمّاد المِنْقَرِىّ قال :

كان أُميّة جالساً معه قوم ، فمرّتْ بهم غنمٌ فثغَتْ(٣) منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرُون ما قالتِ الشاة ؟ قالوا لا . قال : إنّها قالت لِسَخْلتها : مُرِّى لايجىء الذئب

(١) رئىّ (بفتح الراء وقد تكسر) : جنىّ كانت العرب تزعم أنه يرى صاحبه كهانة وطبا ويلقى على لسانه شعرا .

(٢) لعله : «أحب إليه» . وانظر الخبر فى ص ١٢٦ (٣) ثغت الشاة : صاحت وصوّتت .

فيا كُلُك كما أكل أُخْتَك عامَ أوّلَ فى هذا الموضع. فقام بعض القوم إلى الراعى فقال له: أَخْبِرْنى عن هذه الشاة التى تَغَتْ ألها سَخْلَةٌ؟ فقال: نعم، هذه سخلتها. قال: أكانت لها عامَ أوّلَ سَخْلَةٌ؟ قال: نعم، وأكلها الذئب فى هذا الموضع.

قال الأصمعى: كل شعره فى بحث الآخرة

قال الزُّبَير وحدّثنى يحيى بن محمد عن الأَصْمَعِىّ قال: ذهب أُمَيّة فى شعره بعامّة ذِكْرِ الآخرة، وذهب عَنْـتَرَةُ بعامّة ذكر الحَرْب، وذهب عُمَر بن أبى ربيعة بعامّة ذكر الشباب.

جاءه طائران وهو نائم فشق أحدهما عن قلبه

قال الزبَيْر حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمِّلى (١) قال حدّثنى رجلٌ من أهل الكوفة قال:

١٨٩ / ٣

كان أميّة نائمًا فجاء طائران فوقع أحدُهما على باب البيت، ودخل الآخر فشَقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر؛ فقال له الطائر الآخر: أَوَعَى؟ قال نعم. قال: زَكَا؟ قال: أَبَى (٢).

خرج مع ركب إلى الشام فعرضت لهم جنية فاسترشد راهبا للوقاية منها

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابىّ عن ابن دَأْب قال:

خرج رَكْبٌ من ثَقيف إلى الشام، وفيهم أميّة بن أبى الصَّلْت، فلمّا قفَلوا راجعين نزلوا منزلًا لِيَتعشَّوْا بعَشَاء، إذ أَقبلتْ عَظَايةٌ (٣) حتى دَنَتْ منهم، فحَصَبها بعضُهم بشيءٍ فى وجهها فرجعتْ، وكَفَتُوا (٤) سُفْرَتَهم ثم قاموا يرحَلون مُمْسِين، فطلعتْ عليهم

---

(١) فى الأصول: «عمرو بن أبى بكر الموصلى». وانظر الحاشية رقم ١ فى الصفحة ١٢٣]

(٢) ورد هذا الخبر فى طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى (ص٦٧ طبع أوربا) مع زيادة فى العبارة واختلاف فى بعض الكلمات. وسيعيده المؤلف بتفصيل أوفى فى ص ١٢٧

(٣) العظاية: دويبة ملساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل، وهى أنواع كثيرة وكلها مقطة بالسواد، ومن طبعها أنها تمشى مشيا سريعا ثم تقف.

(٤) كذا فى أ، ء، م. وكفت الشىء: ضم بعضه إلى بعض. وفى سائر الأصول: «وكفوا». والسفرة: ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره.

عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ مُقَابِلٍ لهم تتوكّأ على عصًا ، فقالت : ما منعكم أن تُطْعِموا رَجِيمةَ[1] الجارية اليتيمة التى جاءتكم عَشِيَّة؟ قالوا : ومَنْ أنت؟ قالت : أنا أُمّ العَوّام، إمْتُ[2] منذ أعوام ؛ أمَا وربِّ العباد، لَتَفْتَرِقُنّ فى البلاد؛ وضربتْ بعصاها الأرض ثم قالت : بَطِّئِى إيابَهم، ونَفِّرِى رِكابَهم ؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِرْوَةِ كل بعير منها شيطانًا ما يُمْلَكُ منها شىءٌ، حتى آفترقتْ فى الوادى . فجمعناها فى آخر النهار من الغد ولم نَكَدْ[3] . فلمّا أنخناها لنَرْحَلَها طلعتْ علينا العجوزُ فضربتِ الأرضَ بعصاها ثم قالت كقولها الأوّل؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلا الغَدَ عَشِيّةً[4] . فلمّا أنخناها لنَرْحَلَها أقبلتِ العجوزُ ففعلتْ كفعلها فى اليومين ونفرت الإبلُ . فقُلْنا لأُميّة : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهَبُوا أنتم فى طلب الإبل ودَعُونى . فتوجّه إلى ذلك الكثيب الذى كانت العجوز تأتى منه حتى علاه وهَبَط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسةٌ وقناديل، وإذا رجلٌ مضطجعٌ معترض على بابها، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللِّحْية؛ فلمّا رأى أُمَيّةَ قال : إنّك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبُك؟ قال: من أُذنى اليسرى . قال فبأىّ الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجنّ؛ كِدت والله أن تكونَه ولم تفعل ؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قِبَل أُذنه اليمنى، ويأمره بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فحدّثه حديثَ العجوز؛ فقال: صدقتْ، وليست بصادقة ! هى آمرأةٌ يهودية من الجنّ هَلَكَ زوجُها منذ أعوام ، وإنّها لن تزال تصنعَ ذلك بكم حتى تُهْلِكَكم إنِ آستطاعت . فقال أُميّة : وما الحِيلة؟ فقال: جَمِّعوا ظَهْرَكم[5] ، فإذا جاءتكم ففعلتْ كما كانت تفعل فقولوا لها : سَبْعٌ من فوقٌ وسبعٌ من

---

(١) فى حـ : « رحيمة » بالحاء المهملة . (٢) آمت المرأة (من باب ضرب) : فقدت زوجها . (٣) فى الأصول : « تكد » بالتاء المثناة من فوق . (٤) فى الأصول : « إلى الغد » . (٥) الظهر : الركاب التى تحمل عليها الأثقال فى السفر، لحملها إياها على ظهورها .

أسفل، "بآسمك اللهم"، فلن تضرّكم. فرجع أميّة إليهم وقد جمعوا الظَّهْر. فلمّا أقبلتْ قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرّهم. فلمّا رأت الإبل لم تحرّك قالت: قد عرفتُ صاحبكم، وليبيضّنّ أعلاه، وليسودّنّ أسفله؛ فأصبح أميّة وقد برص في عذاريه واسودّ أسفله. فلمّا قدموا مكّة ذكروا لهم هذا الحديثُ؛ فكان ذلك أوّل ما كتب أهلُ مكّة "بآسمك اللهم" في كتبهم.

خبر الطائرين اللذين شق أحدهما صدره ومحاورتهما

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد ابن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عِمْران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزُّهْرىّ قال:

دخل يومًا أُميّة بن أبي الصَّلْت على أخته وهي تهيء[1] أَدَمًا لها، فأدركه النومُ فنام على سرير في ناحية البيت. قال[2]: فآنشقّ جانبٌ من السقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه؛ فشقّ الواقعُ صدره فأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائرُ الواقفُ للطائر الذي على صدره: أوَعى؟ قال: وَعَى. قال: أقَبِلَ؟ قال: أبَى. قال: فردّ قلبه في موضعه فنهض؛ فأتبعهما أُميّة طَرْفَه فقال:

لبّيكما لبيكما * هأنذا لديكما

لا بَرِيءٌ فأعتذِر، ولا ذو عَشيرةٍ فأنتصِر. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الأعلى: أوَعَى؟ قال: وَعَى. قال: أقَبِلَ؟ قال: أبى، ونهض؛ فأتبعهما بصره وقال:

لبّيكما لبيكما * هأنذا لديكما

---

(١) في حـ: «تهنأ». وفي اللسان (مادة خلق): «قالت فدخل عليّ وأنا أحلق أديمًا». والخلق: التقدير؛ يقال: خلق الأديم يخلقه خلقا، إذا قدره قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفا.

(٢) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «قالت» أي أخته.

لا مالٌ يُغْنِينِى، ولا عشيرةٌ تَحْمِينِى . فرجع الطائر فوقع على صــدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الأعلى : أَوَعَى؟ قال : وَعَى . قال : أَقَبِل ؟ قال : أَبى، ونَهَض؛ فأتبعهما بصره وقال :

لبَّيكما لبيكما * هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنِّعم ، محوطٌ من الريب . قال : فرجع الطائر فوقع على صـــدره فشقّه وأخرج قلبَه فشقّه؛ فقال الأعلى : أَوَعَى؟ فقال : وَعَى. قال : أَقَبِل؟ قال : أَبى. قال : ونَهَض، فأَتبعهما بصرَه وقال :

لَبَّيْكُما لبيكما * هأنذا لديكما

إنْ تَغْفِرِ اللَّهمَّ تَغْفِرْ جَمَّا * وأىُّ عبدٍ لك لا أَلَمَّا[1]

قالت أُخته : ثم ٱنطبق السَّقْفُ وجلس أُميّة يمسح صدرَه . فقلت : يا أخى، هل تجد شيئا؟ قال : لا ، ولكنّى أجد حَرًّا فى صَدْرِى . ثم أنشأ يقول :

ليتنى كنتُ قبــل ما قــد بدالى * فى قِنَــانِ[2] الجبــالِ أَرْعَى الوُعولَا

اِجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِك وٱحْذَر * غَــوْلَةَ الدَّهْرِ إنّ للدّهرِ غُــولَا

تصــديق النبىّ له فى شعره

حدّثنى محمد بن جرير الطبرىّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنى سَلَمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبة عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صَدَّق أميّةَ فى قوله :

رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمِينِــه * والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَــدُ[3]

---

(١) ألم : باشر اللم أى صغار الذنوب . (٢) القنان : أعالى الجبال ، واحدها قُنّة .

(٣) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٦٨) طبع مصر : «وقد جاء فى الخبر أن من الملائكة من هو فى صورة الرجال ، ومنهم من هو فى صورة الثيران ، ومنهــم من هو فى صورة النسور ، و يدل على ذلك تصديق النبىّ صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبى الصلت ... » وأورد هذا البيت .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «صَدَق»[١] .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحَرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف — وليس بالقاضي — عن الزُّهْرِيّ عن عُرْوةَ عن عائشة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بمثل هذا .

أنشد النبيّ بعض شعره فقال: «إن كاد أمية ليسلم».

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهَلَّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكْرِمة قال : أُنْشِدَ[٢] النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قولَ أُمَيَّةَ :

الحمدُ لله مُمْسانا ومُصْبَحَنا * بالخير صَبَّحَنا ربِّي ومَسَّانا

رَبُّ الحنيفة لم تَنْفَدْ خزائنُها * مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلْطانا

ألَا نَبِيٌّ لنا منّا فيُخبِرَنا * ما بعدَ غايتِنا من رأس مَحْيانا

بينا يُرَبِّيننا آباؤنا هلَكوا * وبينما نقتَني الأولادَ أَفْنانا

وقد عَلِمْنا لَوَ انّ العلمَ ينفعنا * أنْ سوف يَلْحَقُ أُخْرانا بأُولانا

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : " إنْ كاد أُمَيَّةُ لَيُسْلِمُ " .

شعره في عتاب ابنه وتوبيخه ١٩١/٣

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن مُعاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبي بكر، وحدّثنا خالدُ بن عُمارةَ :

---

(١) هذه الكلمة تتطلب أن يكون الكلام قبلها هكذا : وأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أمية كذا فقال صلى الله عليه وسلم : « صدق » . (٢) في سـ : « استنشدني » ، وفي ب : « أنشدني » .

أنّ أُمَيّة عَتَب على ابنٍ له فأنشأ يقول :

غَذَوْتُكَ مولوداً ومُنْتُكَ(١) يافعاً * تُعَلُّ بمــا أَجْنِي(٢) عليك وتَنْهَـلُ

إذا ليلةٌ نابَتْكَ بالشَّكْوِ(٣) لم أَبِتْ * لشَكْواكَ إلّا ساهرًا أَتَمَلْمَلُ

كأنّى أنا المطروقُ دونَك بالّذى * طُرِقتَ به دُونى فعَيْنِى تَهْمُلُ

تخافُ الرَّدَى نفسى عليك و إنّنى * لأَعلمُ أنّ المــوتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

فلمّا بلغتَ السِّنَّ والغــايةَ التى * إليها مَدَى ما كنتُ فيك أُؤَمِّلُ

جعلتَ جزائى غِلْظَــةً وفظاظةً * كأنّك أنت المُنْعِمُ المُتَفَضِّـلُ

محاورة بين أبى بكر الهــذلىّ وعكرمة فى شعره

قال الزبير قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ قال أبو بكر الهُــذَلىّ(٤) قال : قلتُ لعِكْرِمةَ : ما رأيتُ مَن يبلّغنا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال لأُمَيّة : "آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قلبُه" ؛ فقال : هو حقٌّ، وما الذى أنكرتم من ذلك ؟ فقلتُ له : أنكرنا قولَه :

والشمسُ تطلُع كلَّ آخرِ ليلةٍ * حمــراءَ مَطْلَعُ لَوْنِهـا مُتَورِّدُ

تأبَى فلا تبدو لنــا فى رِسْلِها(٥) * إلّا مُعَــذَّبةً وإلّا تُجْــلَدُ

فمــا شأنُ الشمس تُجْــلَد ؟ قال : والذى نفسى بيــده ما طلعتْ قَطُّ حتّى يَنْخَسها سبعون ألفَ مَلَكٍ يقولون لها : اُطْلُعى، فتقول : أأَطْلُعُ على قومٍ يعبدوننى من دون الله ! قال : فيأتيها شيطانٌ(٦) حين تستقبلُ الضِّياء يُرِيد أن يَصُدَّها عن الطُّلوع فتطلُع على قَرْنَيْه ، فيُحْرِقه الله تحتها . وما غَرَبتْ قَطُّ إلّا خَرَّتْ لله ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ

(١) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى (ص ٣٥٤ طبع أوروبا) : «وعلتك» . (٢) أجنى عليك : أكسب . ويجوز أن يكون من جنيت الثمرة جنيا وجناية . (عن شرح الحماسة للتبريزى) . وفيه رواية أخرى : « بمــا أدنى إليك » . (٣) كذا فى شرح ديوان الحماسة . وفى الأصول : « آبتك بالشجو » . (٤) كذا ورد فى جميع النسخ لفظ « قال » ، ولا لزوم له . (٥) الرسل هنا : الرفق والتؤدة . (٦) فى ب : « حتى يستقبل » .

يريد أن يَصُدّها عن السجود، فتغرُب على قَرْنيه فيُحْرِقه الله تحتها ؛ وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : " تطلُع بين قرنَيْ شيطان وتغرب بين قرنَيْ شيطان " .

تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية

حدّثني أحمد بن محمد بن الجَعْد[1] قال حدّثنا محمد بن عَبّاد قال حدّثنا سُفْيان ابن عُيَينة عن زِيَاد بن سَعْد أنّه سمِع آبن حاضر[2] يقول :

اختلف ابن عبّاس وعمرو بن العاصي عند معاوية ؛ فقال ابن عباس : ألَا أُغنيك ؟ قال بلى ! فأنشده :

والشمسُ تغرُب كلَّ آخرِ ليلةٍ * في عين ذِي خُلُبٍ[3] وثَأْطٍ حَرْمَدِ

أحاديثه وأحواله في مرض موته

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا عمّي عن مُصْعَب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال:

لمّا مرِض أميّة مَرَضَه الذي مات فيه، جعل يقول : قد دنا أجلي، وهذه المَرْضةُ مَنِيّتي، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ ، ولكن الشكّ يُدَاخِلُني في محمد . قال : ولمّا دنت وفاته أُغْمِي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول :

لَبَّيْكُما لبيكما * هأنذا لديكما

(١) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « أحمد بن محمد الجعد » . وهو من شيوخ أبي الفرج الذين يروى عنهم كثيرا في هذا الكتاب .

(٢) اسمه عثمان بن حاضر الحميرى ، ويقال : الأزدى أبو حاضر القاص . وقال عبد الرزاق : عثمان بن أبي حاضر (انظر تهذيب التهذيب في آسم عثمان) .

(٣) الخلب : الطين بلغة حمير . والثأط : الطين الحمأة (أى الأسود) ، وقيل : الطين حمأة كان أو غير حمأة . والحرمد : الأسود من الطين . ورواية هذا الشعر في اللسان مادة (ثأط) :

بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب أمر من حكيم مرشد

فأتى مغيب الشمس عند مآبها * في عين ذى خلب وثأط حرمد

وقد أورده صاحب اللسان لأمية ، ثم قال : وأورد الأزهرى هذا البيت مستشهدا به على الثأطة الحمأة ، وكذلك أورده ابن برّى وقال : إنه لتبّع يصف ذا القرنين .

لا مالٌ يَفْـدِينى ، ولا عشيرةٌ تُنْجِينى . ثم أُغمى عليـه أيضاً بعد ساعة حتى ظَنّ مَنْ حَضَره من أهله أنّه قد قَضَى ، ثم أفاق وهو يقول :

لَبَّيْكُما لبيكما * هأنذا لديكما

لا بَرِىءٌ فأعتذر، ولا قوىٌّ فأنتصر . ثم إنّه بقى يحدّث مَنْ حَضَره ساعةً، ثم أُغمى عليه مثل المرّتين الأُولَيَيْنِ حتّى يئسوا من حياته، وأفاق وهو يقول : ٥

لبيكما لبيكما * هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنِّعَم ،

إنْ تَغْفِرِ اللّهُـمَّ تغفرْ جَمّـا * وأىُّ عبـدٍ لك لا أَلَمّـا

ثم أقبـل على القوم فقال : قـد جاء وقتى ، فكونوا فى أُهْبتى ؛ وحدّثهم قليلًا حتّى يئس القوم من مَرَضه ، وأنشأ يقول : ١٠ ‏ ١٩٢ / ٣

كُلُّ عيشٍ وإنْ تطاولَ دَهْرًا * مُنْتَهى أمرِه إلى أن يزُولَا

ليتَنى كنتُ قبل ما قد بَدَا لى * فى رُءوس الجبـال أَرْعَى الوُعولَا

اِجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيك[1] واْحذَرْ * غَوْلَةَ الدّهرِ إنّ للدّهرِ غُولا

ثم قَضَى نَحْبَـه ، ولم يُؤْمِن بالنبىّ صلى الله عليه وسـلم . وقد قيل فى وفاة أُميّة غيرُ هذا . ١٥

لما بعث النبى هرب بابنتيه الى اليمن ثم مات بالطائف

أخبرنى عبد العزيز بن أحمد عمّ أبى قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت فى خبر أُميّة بن أبى الصَّلْت ، حين بُعِث النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أنه أخذ بِنْتَيْهِ وهرَب بهما الى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف ؛ فبينما هو يشرَب مع

(١) كذا فى سـ . وفى سائر الأصول : « عينك » .

إخوانٍ له فى قَصْر غَيْلانَ[1] بالطائف، وقد أودع آبنتَيْه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف، إذ سَقَط غرابٌ على شُرْفةٍ فى القصر فنَعَب نَعْبةً؛ فقال أُمَيّة: بفِيك الكَثْكَثُ! — وهو التُّراب — فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يقول إنّك إذا شَرِبتَ الكأس التى[2] بيدك مُتَّ، فقلتُ: بفِيك الكَثْكَث. ثم نَعَب نعبةً أُخرى، فقال أُمَيّة نحو ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: زَعَم أنّه يَقَع على هذه المَزْبَلة أسفلَ القصر، فيستثير عَظْمًا فيبتلعه فيَشْجَى به فيموت، فقلتُ نحو ذلك. فوقع الغرابُ على المَزْبَلة، فأثار العَظْمَ فشَجِىَ به فمات؛ فآنكسر أُمَيّة، ووضع الكأْس من يده، وتغيّر لونُه. فقال له أصحابه: ما أكثَرَ ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا! فألحُّوا عليه حتى شرب الكأس، فمال فى شِقٍّ وأُغْمِى عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بَرِىءٌ فأَعتذر، ولا قوىٌّ فأَنتصر، ثم خرجتْ نفسُه.

صـــوت

مِن المـائة المختـارة

تبلَتْ[3] فؤادَكَ فى المنامِ خَريدةٌ * تَشْفِى[4] الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ
كالمِسْكِ تَخْلِطُه بمـاءِ سَحابةٍ * أو عاتِقٍ[5] كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ

عَرُوضه من الكامل. الشعرُ لحسّان بن ثابت، والغناء لموسى بن خارِجةَ الكوفىّ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصر. وذكر حمّـاد عن أبيه أنّ فيه لحنًا لعَزّةَ المَيْلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممن خَدَم الخلفاء.

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتّب، وكان وفد على كسرى وحاوره فأُعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف؛ فكان أوّل قصر بنى بها. (راجع الأغانى ج ١٢ ص ٤٨، ٤٩ طبع بلاق). (٢) فى جميع الأصول: «الذى». (٣) تبلت فؤادك: أسقمته. والخريدة: الحيية. (٤) فى ديوان حسان: «تسق» وعلى هذه الرواية تكون الباء فى «ببارد» زائدة. (٥) العاتق هنا: الخمر القديمة التى حبست زمانا حتى عتقت وجادت، وقيل: هى التى لم يفض أحد ختامها كالجارية العاتق التى قد أدركت ولما تتزوج.

أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

نسبه من قبل أبويه وكنيته

هو حَسّان[1] بن ثابت بن المُنْذِر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عَدِىّ بن عمرو ابن مالك بن النَّجَّار، وآسمُه تَيْمُ اللهِ[2] بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزْرَج بن حارثةَ بن ثعلبة، وهو العَنْقاء بن عمرو؛ وإنما سُمِّىَ العنقاء لطُول عُنُقه. وعمرو هو مُزَيْقِياء بن عامر ابن ماء السماء بن حارثة الغِطْرِيف بن آمرئ القيس البِطْرِيق بن ثعلبــة البُهْلُول بن مازِن بن الازد، وهو ذرى — وقيل: ذِرَاء[3] ممدود — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك ابن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

قال مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِىّ فيما أخبرنا [به] الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَيْر عمّه قال: بنو عَدِىّ بن عمرو بن مالك [بن] النجّار يُسَمَّوْن بنى مَغَالةَ. ومغالةُ أُمّه[4]، وهى آمرأةٌ من القَيْن وإليها كانوا يُنْسَبون. وأُمّ حَسّان بن ثابت بن المنذر، الفُرَيْعةُ بنت خالد ابن قيس بن لَوْذان بن عبدوُدّ[5] بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرَج بن ساعِدةَ بن كعب بن الخزرج. وقيل: إنّ آسم النجّار تَيْمُ اللّات؛ وفى ذلك يقول حسّان بن ثابت:

وأُمُّ ضِرَارٍ تَنْشُدُ النَّاسَ وَالِهًا * أَمَا لِآبنِ تَيْمِ اللهِ ماذا أَضَلَّتِ

(١) هذا الاسم إن جعلته فعّالا من الحسن أجريته، وإن جعلته فَعلان من الحس (بالفتح) وهو القتل أو الحس بالشىء لم تجره. قال ابن سيده: وقد ذكرنا أنه من الحَسّ أو الحِسّ، وقال: ذكر بعض النحويين أنه فعّال من الحُسْن، وليس بشىء. (انظر اللسان مادة حسن). (٢) كذا فى أُسد الغابة فى ترجمة حسان. وفى سائر الأصول: «وهم تيم الله». وبنو النجار هم تيم الله بن ثعلبة. (٣) نقل صاحب شرح القاموس مادة أزد عن الشيخ عبد القادر البغدادى أن اسمه «دره» بكسر فسكون وآخره همزة، وعن أبى القاسم الوزير أنه دراء ككتّاب. (٤) كذا فى أكثر الأصول. وفى حـ: «أمة». (٥) فى تهذيب التهذيب طبع الهند: «الفريعة بنت خالد بن حبيش». وفى أُسد الغابة طبع بلاق: «الفريعــة بنت خالد بن خنيس». وفى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ١١١ طبع بلاق): «الفريعة بنت خنس».

يعنى ضِرَارَ بنَ عبد المُطَّلب، وكان ضَلَّ فنَشَدَتْه أُمُّه . وإنما سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَيْمَ اللهِ، لأنّ الأنصار كانت تنْسب إليــه ، فكَرِه أن يكون فى أنسابها ذكرُ اللّات .

ويُكْنَى(1) حَسّان بن ثابت أبا الوليد . وهو فَحْلٌ من فُحول الشعراء . وقد قيل : إنّه أشعر أهل المَدَر(2). وكان أحدَ المُعَمَّرِين من المُخَضْرَمِين، عُمِّر مائةً وعشرين سنةً : ستّين فى الجاهليّة وستّين فى الإسلام .

عاش حسان مائة وعشرين سنة

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عُبَيدةَ قال : عاش ثابتُ ابن المنذر مائةً وخمسين سنةً ، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة(3) . ومما يحقّق ذلك ما أخبرنى به الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمــد بن زهَير قال حدّثنى الزُّبير بن بكار قال حدّثنى محمد بن حسين(4) عن إبراهيم بن محمــد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زُرَارةَ عن حَسّان بن ثابت قال : إنّى لَغُلامٌ يَفَعةٌ ابنُ سبْع سنين أو ثمانٍ، إذا بيهودىّ بيثْرِب يَصْرُخ ذاتَ غَداةٍ : يا مَعشَر يهُود؛ فلما اجتمعوا إليه قالوا : ويلك ! مالكَ ؟ قال : طَلَع نجمُ أحمــدَ الذى يُولَد به فى هــذه الليلة . قال : ثم أدركه اليهودىّ ولم يُؤْمِن به . فهذا يدلّ على مُدّة عُمُره فى الجاهليّة ؛ لأنه ذكر أنه أدرك ليلةَ وُلِدَ النبى صــلى الله عليه وسلم ، وله يومئذ ثمــان سِنِينَ، والنبىّ

---

(1) ويكنى أيضا أبا الحُسَام، كما فى خزانة الأدب للبغدادى وأُسد الغابة، لمناضلته عن رسول الله صــلى الله عليه وســلم ولتقطيعه أعراض المشركين . ويكنى أيضا أبا عبد الرحمن . ويلقب بذى الأُكلة (بالضم) كما فى القاموس مادة أكل . (2) المدر (بالتحريك) : المدن والحضر . وفى ء، أ، م : « المدن » . (3) فى أُسد الغابة وتهذيب التهذيب والنجوم الزاهرة : أن عمر حسان مائة وعشرون سنة ، وكذلك عاش أبوه ثابت وجدّه المنذر وأبو جدّه حرام ، ولا يعرف فى العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم . (4) فى حـ : « محمد بن الحسن » .

صلى الله عليه وسلم بُعث وله أربعون سنةً، وأقام بمكة ثلاثَ عَشرةَ سنةً، فقَدِم المَدينةَ ولحسّان يومئذ، على ماذكره، سِتّون سنةً أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أسلم.

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى آبن أبى الزِّناد قال:

عُمِّر حسّان بن ثابت عشرين ومائةَ سنةٍ: سِتّين فى الجاهليّة، وستّين فى الإسلام. ٥

قال أخبرنى الحسن بن علىٍّ قال أخبرنى أحمد بن زُهَير قال حدّث سليمان بن حَرْب عن حمّاد بن زيد عن يَزِيد بن حازِم عن سليمان بن يَسَار قال:

رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلها بين عينيه.

كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى علىٌّ بن محمد النَّوْفَلِى عن أبيه قال: ١٠

كان حسّان بن ثابت يَخْضِب شاربَه وعَنْفَقَتَه[1] بالحِنّاء، ولا يَخْضِب سائرَ لِحْيته. فقال له آبنه عبد الرحمن: يا أبتِ، لِمَ تفعل هذا؟ قال: لأكونَ كأنّى أسدٌ والِغٌ فى دَمٍ.

فضل الشعراء بثلاث

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال:

فَضَل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعرَ الأنصار فى الجاهليّة، وشاعرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم فى النبوّة، وشاعرَ اليمن كلِّها فى الإسلام. ١٥

أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر

قال أبو عُبيدة: وأجمعتِ[2] العربُ على أنّ حسّان أشعر أهل المَدَر. أخبرنا بذلك أيضًا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن أبى عُبيدة قال:

(١) العنفقة: شعرات بين الشفة السفلى والذقن. (٢) كذا فى أسد الغابة. وفى جميع الأصول: «اجتمعت». ٢٠

اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المَدَر أهلُ يَثْرِب، ثم عبدُ القيس ثم ثَقِيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهل يَثْرِب حَسّان بن ثابت.

سأل أبا هريرة عن حديث فى شأنه فأجابه

أخبرنى حبيب بن نَصر المُهَلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زِيَاد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْرىّ عن سَعِيد بن المُسَيِّب قال:

جاء حَسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُرَيرَة، فقال: أَنْشُدُكَ اللهَ: أَسَمِعْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أَجِبْ عَنّى" ثم قال: "اللّهُمَّ أَيِّده بِرُوح القُدُس"؟ قال أبو هريرة: اللّهُمّ نعم.

كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش

أخبرنى حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا وَهْب بن جَرِير قال حدّثنا أبى قال سمعتُ محمد بن سِيرِينَ، قال أبو زيد وحَدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حَدّثنا عَوْف عن محمد بن سيرين قال:

كان يهجو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ رَهْطٍ[1] من قريش: عبد الله بن الزِّبَعْرَى، وأبو سُفْيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب، وعَمْرُو بن العاصى؛ فقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه: اهْجُ عنّا القومَ الذين قد هَجَوْنا. فقال علىٌّ رضى الله عنه: إنْ أَذِن لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعلتُ. فقال رجلٌ: يا رسول الله، ائذن لعلىّ كى يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال: "ليس هُنَاكَ" أو "ليس عنده ذلك"؛ ثم قال للأنصار: "ما يَمْنَع القَوْمَ الذين نَصَروا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - بسلاحهم أن يَنْصُرُوه بألسنتهم؟". فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطَرَف لسانه وقال: والله ما يَسُرّنى به مِقْوَلٌ[2] بين بُصْرَى وصَنْعاء. فقال: "كيف

(١) زاد فى أسد الغابة رابعا هو ضرار بن الخطاب. (٢) المقول: اللسان.

تهجوهم وأنا منهم"؟ فقال: إنّى أَسُلُّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعَرةُ من العَجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثةٌ من الأنصار: حَسّان بن ثابت، وكَعْبُ بن مالك، وعبدُ الله بن رَوَاحةَ. فكان حَسّان وكَعْبٌ يُعَارِضانِهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعيِّرانهم بالمَثَالِب، وكان عبد الله بن رَوَاحةَ يُعيِّرهم بالكفر. قال: فكان فى ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسّان وكعب، وأهوَنُ القول عليهم قولَ ٱبن رواحة. فلمّا أسلموا وفقِهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ٱبن رواحة.

استأذن النبىّ فى هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبى بكر

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمىّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيْرىّ وهو حاتم بن أبى صَغيرة[1] قال حدّثنا سِمَاكُ بن حَرْب قال:

قام حَسّان أبو الحُسَام فقال: يارسولَ الله، ٱئذَنْ لى فيه، وأخرج لسانًا له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شِئْتُ لَفَرَيْتُ به المَزَادَ[2]، ٱئذَنْ لى فيه. فقال: "ٱذْهَبْ إلى أبى بكر فَلْيُحَدِّثْك حديثَ القوم وأيّامهم وأحسابِهم ثم ٱهْجُهم وجبريلُ معك". قال أبو زيد قال ٱبن وَهْب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدّىّ عن البراء بن عازِبٍ وعن سِمَاك بن حَرْب — فأنا أشكّ: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعا — قال أبو زيد: وحدّثنا علىّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبى صَغيرةَ[1] عن سِمَاك بن حَرْب

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ٢ ص ٣١ طبع أوروبا) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ١٣٠ طبع الهند) والخلاصة طبع مصر؛ وهو مولى بنى قشير، وٱسم أبيه مسلم، وأبو صغيرة أبو أمه، وهو يروى عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب. (انظر الأنساب للسمعانى). وقد ورد هذا الاسم مضطربا فى جميع الأصول. (٢) المزاد: جمع مزادة، وهى التى يحمل فيها الماء، وهى ما فئم بجلد ثالث بين الجلدين ليتسع؛ سميت بذلك لمكان الزيادة.

بنحوه، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسودَ، فوضعه على طرف أرنبته، وقال: يا رسول الله، لو شئت لفريتُ به المزاد؛ فقال : "يا حسان وكيف وهو منّي وأنا منه"[1]؟ قال : والله لأسُلّنّه منك كما يُسَلّ الشعر من العجين ! قال : "يا حسان فأت أبا بكر فإنّه أعلم بأنساب القوم منك". فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسولُ الله صلى الله عليه ٥ وسلم؛ فقال : كُفّ عن فلانة واذكر فلانة . فقال :

هجوتَ[2] محمداً فأجبتُ عنه * وعندَ الله في ذاك الجزاءُ

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي * لعِرْض محمد منكم وِقاءُ

أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ * فشرُّكما لخيركما الفداء

٥/٤

لما بلغ قريشا شعر حسان اتهموا فيه أبا بكر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير[3] قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار ١٠ قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال :

لمّا أنشدتْ قريشٌ شعرَ حسّان قالت : إنّ هذا الشَّتْم[4] ما غاب عنه ابن أبي قُحافة .

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق[5] بن مُجَمِّع عن رجل من بني العَجْلان قال :

١٥ (١) يريد ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . (٢) وردت هذه الأبيات في السيرة لابن هشام (ص ٨٣٠ طبع أوربا) ضمن قصيدة مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء * إلى عذراء منزلها خلاء

على غير ترتيب الأغاني بذكر البيت الثالث بعد الأول وبزيادة بيتين بعده هما :

هجوت مباركا برا حنيفا * أمين الله شيمته الوفاء

٢٠ أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

ويليهما البيت «فإن أبي الخ» . وانظر هذا الشعر أيضا في صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٦٠ — ٢٦١ طبع بلاق) . (٣) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : «أخبرني الحسن بن علي قال قال ...» بتكرير كلمة «قال» . (٤) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه . (٥) لم نعثر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا والذي بها هو: «يعقوب بن مجمع» أو «يعقوب بن إسحاق بن زيد» ٢٥ كما في تهذيب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال . وفي لسان الميزان (ج ٦ ص ٣٠٢) : «يعقوب ابن إسحاق بن ابراهيم بن مجمع» ولعله هذا .

لمّـا بلغ أهلَ مكة شعرُ حسّان ولم يكونوا عَلِموا أنّه قولُه ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشِّعْرَ بعدَنا .

أسمعه آبن الزبعرى وضرار من هجوهما وفرّا فاستعدى عمر فردّهما فأنشدهما مما قال فيهما

قال الزُّبَير: وحدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثنا الزُّبَير آبن بَكّار قال حدّثنى محمد بن فَضَالَة عن أبيـه عن خالد بن محمد بن فَضَالَة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس قال (1) : ٥

نَهى عمرُ بن الخطّاب الناسَ أن يُنْشِـدوا شيئًا من مُناقضة الأَنصار ومُشْرِكى قُرَيْش، وقال : فى ذلك شَـتْمُ الحَىّ بالمَيِّت (2)، وتجديدُ الضغائن، وقد هَدَم الله أَمْرَ الجاهلية بما جاء من الإسـلام . فقدِم المدينـةَ عبدُالله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِىّ وضرَار ابن الخطّاب الفِهْرِىّ ثم المُحَارِبىّ، فنزلا على أبى أحمد بن جَحْش ، وقالا له : نُحِبُّ أن تُرْسِلَ إلى حَسّان بن ثابت حتّى يأتيَك، فنُنْشِدَه و يُنْشِدَنا ممـا قلنا له وقال لنا . ١٠
فأرسل إليه فجاءه ؛ فقال له : يا أبا الوليد، هذانِ أخَوَاك آبنُ الزِّبَعْرَى وضِرَارٌ قد جاءا أن يُسْمِعاكَ وتُسْمِعَهما ما قالاَ لك وقلتَ لهما . فقال آبن الزِّبَعْرَى وضِرَارٌ : نَعَمْ يا أبا الوليد، إن شِعْرَك كان يُحْتَمَلُ فى الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا، وقد أحببنا أن نُسْمِعَك وتُسْمِعَنا . فقال حسّان : أفتَبْدَآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : آبتدِئا ؛ فأنشـداه حتى فارَ فصار كالمِرْجَل غَضَباً، ثم آستويا على راحلتَيْهما يريدان ١٥
مكة ؛ فخرج حسّان حتى دخل على عُمَر بن الخطّاب فقصَّ عليـه قِصَّتَهما وقِصَّتَه . فقال له عمر : لن يَذْهَبا عنك بشىءٍ إن شاء الله، وأرسل مَنْ يَرُدُّهما، وقال له عمر: لو لم تُدْرِكْهما إلاّ بمكة فآرْدُدْهما علىّ . وخرجا فلمّا كانا بالرَّوْحاء (3) رجَع ضِرَارٌ إلى صاحبه بكُرْه، فقـال له يا بنَ الزِّبَعْرَى : أنا أعرِف عمر وذَبَّه عن الإسلام وأهله ،

(1) لم نعثر على خالد هذا فى كتب التراجم، وليس فى ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالدا، وقد أحصاهم ابن سعد فى الطبقات (ج ٥ ص ٥٨ — ٥٩ طبع أوروبا). على أن السند كله مضطرب ولم نوفق لتحقيقه . (2) فى أسـد الغابة : « وقال فى ذلك شتم الحىّ والميت الخ » . ٢٠
(3) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .

وأعرف حسّان وقلّةَ صَـبْره على ما فعلنا به، وكأنّى به قد جاء وشَكَا إليه ما فعلنا، فأرسلَ فى آثارنا وقال لرســوله : إن لم تَلْحَقْهُما إلّا بمكة فأرْدُدْهما علىّ؛ فأرْبَحْ بنا تَرْكَ العناء وأقِمْ بنا مكانَنا؛ فإنْ كان الذى ظننتُ فالرجوعُ من الرَّوْحاء أسهلُ منــه من أبعد منها، وإنْ أخطأ ظَنّى فذلك الذى نُحِبُّ ونحن من وراء المُضِىّ. فقال ٱبن الزِّبَعْرَى : نِعْمَ ما رأيتَ . قال : فأقاما بالرَّوْحاء، فما كان إلا كَرّ الطائرِ حتّى وافاهما رسول عمر فردّهما إليه؛ فدعا لهما بحسّان، وعُمَرُ فى جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسّان : أَنْشِدْهما مما قلتَ لهما ؛ فأنشـدهما حتّى فَرَغ ممـا قال لهما فوقف . فقال له عمر : أَفَرغْتَ ؟ قال نعم . فقال له : أَنْشَداك فى الخَلاء وأنشدتَهما فى الملا . وقال لهما عمر : إن شئتُما فأَقِيمَا، وإن شئتما فٱنصرفا. وقال لمن حَضَره : إنّى قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دَفْعاً للتضاغُن عنكم وبَثّ القبيح فيما بينكم، فأمّا إذ أَبَوْا فٱكتُبوه واحتفظوا به . فدوّنوا ذلك عندهم . قال خَلّاد بن محمد[1]: فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لَتُجَدِّده عندها إذا خافتْ بِلَاه .

شعر له فى هجو أبى سفيان بن الحارث

أخبرنا أحمد[2] بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان بن مُسْلِم قال حدّثنا عِمْران بن زيد قال : سمعتُ أبا إسحاق قال فى قصة حَسّان وأبى سُفْيان ابن الحارث نحوَ ما ذكره مما قدّمنا ذِكْرَه، وزاد فيه : فقال حسّان فيه :

وإنّ سَنَامَ المَجْــدِ من آلِ هاشمٍ * بنو بِنْتِ مَخْزومٍ[3]، ووالدُك العَبْـدُ

(١) لم نجد هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا . وقد تقدم فى سند هذا الخبر رجلان كل منهما يسمى خالد بن محمد ، فلعله أحدهما . (٢) فى الأصول : «محمد بن عبد العزيز» وظاهر جدّا أنه أحمد ابن عبد العزيز الجوهرى الذى يروى عن عمر بن شبة ، ويروى عنه كثيرا أبو الفرج . (٣) بنت مخزوم : يريد بها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهى أم عبد الله (أبى النبى صلى الله عليه وسلم) والزبير وأبى طالب أبناء عبد المطلب . ووالدك العبد : يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو أبو أبى سفيان المهجوّ وكانت أمه أمّ ولد .

وَمَنْ ولدتْ أبناءُ زُهْرةَ منكمُ[1] * كِرامٌ ولم يَلْحَقْ عجائزَكَ المجدُ
وإنّ آمرأً كانتْ سُمَيّةُ[2] أُمَّهُ * وسَمْراءُ[3] مغلوبٌ إذا بلَغ الجَهْدُ
وأنت هَجِينٌ[4] نِيطَ فى آل هاشمٍ * كما نِيطَ خَلْفَ الرّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ

فقال العبّاس : ومالى وما لحسّان ! يعنى فى ذكره نُتَيْلةَ[5]، فقال فيها :

وَلَسْتَ كَعبَّاسٍ ولا كابنِ أُمِّهِ[6] * ولكن هَجِينٌ ليس يُورِى له زَنْدُ ٥

أعانه جبريل فى مديح النبى

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا القَعْنَبِىّ قال حدّثنا مَرْوان بن مُعاوية قال حدّثنا إياس السُّلَمِىّ عن آبن بُرَيْدَةَ قال :

أعان جبريلُ عليه السلام حسّان بن ثابت فى مَدِيح النبىّ صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا .

مدحه النبى ومدح كعبا وعبد الله ابن رواحة

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيد بن ١٠ عامر قال حدّثنى جُوَيْرِيَة بن أسماء قال :

---

(١) يريد فى هذا البيت مدح آمنة أمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم وهالة أم حمزة وصفية ، وكلتاهما زهرية ؛ إذ هما ابنتا وهب بن عبد مناف بن زهرة . وقوله : « ولم يلحق عجائزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار ؛ إذ كانت أم أبى سفيان نفسه أم ولد وأم أبيه كذلك أم ولد . ورواية الديوان فى هذا البيت (ص ٩١ طبع ليدن) : ١٥

وما ولدت أفناء زهرة منكم * كريما ولم يقرب عجائزك المجد

(٢) كذا فى الديوان . وسمية هى أم الحارث بن عبد المطلب ، وأبوها موهب غلام لبنى عبد مناف . وفى الأصول : « ثيلة » بالثاء المثلثة وهو تحريف . (انظر شرح النووى على صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٠٠ طبع بلاق) . (٣) سمراء : هى أم أبى سفيان المهجو . (٤) الهجين : من أبوه عربىّ وأمه ليست بعربية . ونيط فى آل هاشم : نسب اليهم وليس منهم . يريد أنه ليس من خالصهم . ٢٠
(٥) كذا فى المعارف لابن قتيبة وشرح القاموس (مادة نتل)، وهى نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب أم العباس وضرار ابنى عبد المطلب ، وهى إحدى نساء بنى النمر بن قاسط . وفى الأصول « نثيلة » بالثاء المثلثة وهو تصحيف . (٦) يريد ضرار بن عبد المطلب .

بلغني أنّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أَمرتُ عبد الله بن رَوَاحة فقال وأَحْسَنَ، وأَمرتُ كَعْبَ بن مالك فقال وأحسن، وأمرتُ حسّان بن ثابت فَشَفَى وٱشْتَفَى" .

أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ٱبن وهْب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مَرْوان بن عثمان ويَعْلَى بن ٥ شَدّاد بن أَوْس عن عائشة قالت :

سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسّان بن ثابت الشاعر : "إنّ رُوحَ القُدُس لا يزال يُؤَيِّدك ما كافحتَ عن الله عز وجل وعن رسول الله" صلّى الله عليه وسلّم .

استنشده النبيّ وجعل يصغي اليه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا هَوْذَة بن خليفة قال حدّثنا عَوْف ١٠ ٱبن محمد قال :

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلةً وهو في سَفَرٍ : "أين حَسّان بن ثابت"؟ فقال حسّان : لَبَّيْكَ يا رسولَ الله وسَعْدَيْك . قال : "ٱحْدُ"، فجعل يُنْشِد ويُصْغِي إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائقٌ رَاحِلتَه حتّى كان رأسُ الراحلة يَمَسُّ الوَرِكَ حتّى فَرَغ من نشيده . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ١٥ "لَهَـذَا أَشَدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل" .

انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول فردّ عليه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ٱبن جُرَيْج قال أخبرنا زِيَاد بن أبي سَهْل قال حدّثني سعيد بن المُسَيِّب :

أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنْشِد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهره عمر ؛ فقال حسّان : قد أَنشدتُ[1] فيه مَنْ هو خيرٌ منك ؛ فٱنطلق عمر .

٢٠ (١) رواية صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٥٩ طبع بلاق) : «قد كنت أُنشد فيه من هو خير منك» .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطّيالسىّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزّهرىّ عن سعيد بن المسيّب :

أنّ عمر مرّ على حسان وهو يُنشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله وزاد فيه : وعلمتُ أنّه يريد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

٧/٤

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقىّ عن مُسْلِم بن يَسَار : ٥

أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنشد الشعرَ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بأُذُنه وقال : أرُغَاءً كرُغَاءِ البعير ! فقال حسّان : دَعْنا عنك يا عمر ! فوالله لتَعْلَمُ أنّى كنت أُنْشد فى هذا المسجد مَنْ هو خيرٌ منك فلا يُغيِّر علىّ ! فصدّقه عمر .

مدح الزبير بن العوام للومه قوما لم يحسنوا الاستماع له

حدّثنا محمد بن جرير الطبرىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبى وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة محمد بن موسى قال حدّثنى عبد الله بن مُصْعَب عن هشام بن عُرْوة عن فاطمة بنت المُنذر عن جدّتها أسماء بنت أبى بكر قالت : ١٠

مرّ الزُّبَير بن العَوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسّان بن ثابت يُنْشِدُهم من شِعْره وهم غيرُ نِشَاطٍ لِمَا يسمعون منه ، فجلس معهم الزُّبير فقال : مالى أراكم غيرَ آذِنين لِمَا تسمَعون من شعر ٱبن الفُرَيعة ! فلقد كان يَعْرِض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحْسِن ٱستماعه ويُجْزِل عليه ثوابَه ، ولا يشتغل عنه بشىء . فقال حسّان : ١٥

أقامَ على عهدِ النبىّ وهَدْيِهِ * حوارِيُّهُ[1] والقَوْلُ بالفعلِ يُعْدَلُ

(١) حوارىّ النبىّ صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوّام ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « إن لكل نبى حواريا وإن حوارىّ الزبير » . وفى رواية : « الزبير ابن عمّتى وحوارىّ من أمّتى » أى خاصّتى من أصحابى وناصرى . ٢٠

أقامَ علـى مِنْهاجِه وطَرِيقِــهِ * يُوالِى وَلِىَّ الحـقِّ والحـقُّ أعدل

هو الفارسُ المشهورُ والبَطَلُ الذى * يَصُولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ

إذا كَشَفتْ عن ساقِها الحربُ حَشَّها(١) * بأبيض سَباقٍ إلى الموتِ يُرقِلُ(٢)

وإنَّ امرأً كانتْ صَفيةُ أُمَّــهُ * ومِنْ أَسَدٍ فى بيتها لَمُــرَفَّلُ(٣)

٥ له من رسول الله قُرْبَى قريبــةٌ * ومِنْ نُصْرة الإسلامِ نصرٌ مُؤَثَّلُ

فكَمْ كُرْبةٍ ذَبَّ الزُّبيرُ بســيفه * عَنِ المصطفى واللهُ يُعْطِى فيُجْزِلُ

فما مثلُه فيهم ولا كانَ قبلَه * وليس يكون الدَّهْرَ ما دام يَذْبُلُ(٤)

ثناؤك خيرٌ من فِعــالِ مَعاشِرٍ * وفِعْلُك يابْنَ الهــاشمية أفضــلُ

تقـدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختاره النبىّ دونهما

أخبرنى أحمد بن عيسى العِجْلىّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأَعْلَى قال حدّثنا

١٠ ابن فُضَيْل عن مُجَالِد عن الشَّعْبىّ قال :

لمـا كان عامُ الأحزابِ(٥) وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا، قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : "مَنْ يَحْمِى أعراض المسلمين" ؟ فقـال كعب : أنا يا رسولَ الله ، وقال عبدالله ابن رَوَاحة : أنا يا رسول الله، وقال حَسّان بن ثابت : أنا يارسول الله؛ فقال : "نعمْ اُهْجُهم أنت فإنّه سَيُعِينُك عليهم رُوحُ القُدُس".

سبه قوم فى مجلس ابن عباس فدافع عنـه

١٥ أخبرنى أحمد بن عبد الرحمن(٦) قال حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثنا أبو داوُد قال حدّثنا حُدَيْج بن مُعاوية عن أبى إسحاق عن سَعيد بن جُبَيْر قال :

(١) حش الحرب : أسعرها وهيجها . (٢) الإرقال : ضرب من السير السريع؛ قال النابغة :
إذا استنزلوا للطعن عنهن أرقلوا * إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
(٣) المرفل : المعظم المسوّد . (٤) يذبل : اسم جبل فى بلاد نجد . (٥) الأحزاب :
٢٠ قريش وغطفان و بنو قريظة تألبوا على حرب النبىّ صلى الله عليه وسلم . (٦) كذا فى جميع الأصول .
والذى يروى عن عمر بن شبة كثيرا فى كتاب الأغانى هو أحمد بن عبد العزيز الجوهرى؛ فلعله هذا .

كنّا عند آبن عبّاس فجاء حسّان ، فقالوا : قد جاء اللّعين . فقال آبن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد نصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

حدّثنيه أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدثنا حُدَيج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جُبير قال :

جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : قد جاء اللعين حسّان من الشأم . فقال آبن عباس : ما هو بلعين ؛ لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه . ٥

قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمرو وشُرَيح بن النّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت : ٨/٤

لمّا قدم وفد بنى تميم وضع النبىّ صلى الله عليه وسلم لحسّان منبرًا وأجلسه عليه ، وقال : "إنّ الله ليؤيّد حسّانَ بروح القدس ما كافح[1] عن نبيّه" صلى الله عليه وسلم . ١٠

هكذا روى أبو زيد هــذا الخبر مختصرًا . وأتينا به على تمــامه ها هنا ؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه : أخبرنا به الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنــا الزّبير قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

قَدِم على النبىّ صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلًا ، فيهم الأقرع بن حابِس ، والزِّبرِقان بن بَدْر ، وعُطَارِد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، وانطلق معهم عُيَينة بن حِصْن ، فقدموا المدينةَ ، فدخلوا المسجدَ ، فوقفوا عند الحُجُرات ، فنادَوا بصوتٍ عالٍ جافٍ : أُخرُجْ إلينا يا محمد ؛ فقد جئنا لنُفاخِرك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥

(١) فى ح : « ما نافح » بالحاء المهملة ، وهما بمعنى واحد .

فجلس . فقام الأَقْرعُ بن حابِس فقال : والله إنّ مَدْحِي لَزَيْن، وإنّ ذَمّي لَشَيْن. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم " ذلك الله ". فقالوا : إنّا أكرمُ العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكرمُ منكم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام " . فقالوا : ايذَنْ لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس ، فقام عُطارِد بن حاجِب فقال :

الحمدُ لله الذى له الفضلُ علينا وهو أهلُه ، الذى جعلنا ملوكاً وجعلنا أعزَّ أهل المَشْرِق[1]، وآتانا أموالًا عِظَامًا نفعل فيها المعروفَ، ليس فى الناس مثلُنا ؛ ألسنا برءوس النّاس وذوى فَضْلهم ! فمَنْ فاخرنا فليَعْدُدْ مثلَ ما عَدَدْنا ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنّا نستحى من الإكثار فيما خوَّلنا الله وأعطانا . أقول هـذا ، فأْتُوا بقَوْلٍ أفضلَ من قولنا ، أو أمرٍ أبْيَنَ من أمرنا . ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شَمّاس فقال : الحمدُ لله الذى السمواتُ والأرضُ خَلْقُه ، قضَى فيهنّ أمرَه ووَسِع كُرْسِيَّه علمه[2] ، ولم يَقْضِ شيئًا إلّا من فضله وقُدْرته ؛ فكان من قدرته أنِ اصطفى من خَلْقِه لنا رسولًا أكرمَهم حَسَبًا وأصدقَهم حديثًا وأحسنَهم رأيًا ، فأنزل عليه كتابًا ، وأْتَمنه على خَلْقه ، وكان خِيرةَ الله من العالمين . ثم دعا[3] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان ، فأجابه مِن قومه وذوى رَحِمه المهاجرون أكرمُ الناس أنسابًا ، وأَصْبَحُ الناس وجوهًا ، وأفضلُ الناس فِعالًا . ثم كان أوّل مَن اتّبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار ؛

---

(١) فى الطبرى (ص ١٧١١ من القسم الأول طبع أوربا) : « وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة ... الخ » . (٢) كذا فى سيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبرى . وفى الأصول : « ووسع كرسيه وعلمه » بواو العطف . وقد وردت هاتان الخطبتان فى السيرة والطبرى باختلاف يسير عما هنا . (٣) فى سيرة ابن هشام والطبرى : « ثم دعا الناس إلى ... الخ » .

فنحن أنصارُ الله ووزراءُ رسولِه ، نُقَاتِل الناسَ حتى يُؤْمِنوا ويقولوا : لا إلهَ إلّا اللهُ . فَمَنْ آمن بالله ورَسُولِه مَنَع منّا مالَه ودمَه ، ومَنْ كَفَر بالله ورسوله جاهَدْناه فى الله ، وكان جهادُه علينا يسيرا . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزِّبْرِقان فقال :

نحنُ⁽¹⁾ الملوكُ فلا حَىٌّ يُقَارِبُنا * مِنّا المــلوكُ وفينا يُؤْخَذُ الرُّبُعُ⁽²⁾

تلك المكارمُ حُزْنَاها مُقَارَعةً * إذا الكِرَامُ على أمثالها اقترعوا

كَمْ قد نَشَدْنا مِنَ الأحيــاءِ كُلِّهِمُ * عنــد النِّهاب وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

ونَنْحَرُ الكُومَ⁽³⁾ عُبُطًا⁽⁴⁾ فى مَنَازلنــا * للنازلين إذا ما اسْتُطْعِمُوا شَبِعوا

ونحن نُطْعِم عنــد المَحْلِ ما أكلوا * من العَبِيط إذا لم يَظْهَرِ القَــزَعُ⁽⁵⁾

وننصر الناسَ تأتينا سَرَاتُهُــمُ * مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فتَمضِى ثم نُتَّبَعُ

فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى حسّان بن ثابت فجاء ، فأمره أن يُجِيبه .

فقال حسان :

إنّ الذوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ⁽⁶⁾ * قد بَيَّنُوا سُــنّةً لِلنّــاسِ تُتَّبَعُ

---

(١) ورد هذا الشعر فى ديوان حسان وسيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبرى (قسم ١ ص ١٧١٢ طبع أوربا) باختلاف عما هنا . (٢) كان من عادة العرب فى الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا ، أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه ، وذلك الربع يسمى المِرْباع . ورواية البيت فى السيرة والطبرى :

نحن الكرام فلا حىّ يعادلنا * منا الملوك وفينا تُنصب البِيَعُ

(٣) الكوم : جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام ، والأنثى كوماء . (٤) عبط الذبيحة عبطا : نحرها من غير داء ولا كسر وهى سمينة فتية . ويقال للناقة : عبيطة ، والجمع عبط (بضمتين) وقد تسكن عينه .

(٥) ورد هذا البيت فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة سدف) هكذا :

ونطعم الناس عنــد القحط كلهم * من السديف إذا لم يُؤْنَس القزع

والسديف : شحم السنام . والقزع : السحاب ، أى نطعم الشحم فى المحل . وفى الأصول : «الفرع» بالفاء والراء ، وهو تصحيف . (٦) ورد هذا الشعر أيضا فى السيرة (ص ٩٣٦ طبع أوربا) والطبرى (قسم ١ ص ١٧١٤ طبع أوربا) والديوان باختلاف يسير عما هنا .

يَرْضَى بها كلُّ مَنْ كانت سريرتُه * تقْوَى الإلٰه وبالأمر الذى شَرَعُوا
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ * أو حاولوا النَّفْعَ فى أشياعهم نَفَعُوا
سجيّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثَةٍ * إنّ الخلائقَ فاعلَمْ شرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَعُ[1] النّاسُ ما أوهتْ أكفُّهمُ * عند الدِّفاع[2] ولا يُوهُون ما رَقَعوا
إنْ كان فى الناسِ سبّاقون بعدَهُمُ * فكلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهم تَبَعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْيِ عِفَّتُهُمْ * لا يَطْمَعون ولا يُزْرِى بهم طَمَعُ[3]
ولا يَضَنُّونَ عن جارٍ بِفَضْلِهِمُ * ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ[4]
يَسْمُون للحرب تبدو وهى كالحةٌ * إذا الزَّعانفُ[5] من أظفارها خَشَعُوا
لا يَفْرَحون إذا نالوا عدوَّهُمُ * وإنْ أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
كأنّهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ[6] * أُسُودُ بِيشَةَ[7] فى أرساغها فَدَعُ[8]
خُذْ منهمُ ما أتَى عفْوًا[9] وإنْ منَعوا * فلا يَكُنْ هَمَّكَ الأمرَ الذى مَنَعُوا
فإنّ فى حَرْبِهم ــ فاتْرُكْ عداوتَهم ــ * سُمًّا يُخَاضُ[10] عليه الصَّابُ والسَّلَعُ
أكْرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله قائدُهُمْ * إذا تَفَرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

(١) كذا فى ا ، ء ، وديوانه (ص ٢٣ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : «يرفع» بالفاء .
(٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «الرقاع» . (٣) فى الديوان :
* لا يطبعون ولا يرديهم الطمع *
(٤) ورد هذا البيت فى ا ، ء . وذكر محرّفا فى م ، وسقط فى سائر النسخ .
(٥) الزعانف : أرذال النـاس . (٦) المكتنع : الدانى القريب .
(٧) بيشة : من عمل مكة مما يلى اليمن ، على خمس مراحل من مكة ، وفى وادى بيشة موضع مشجر كثير الأسد . وفى السيرة : «أسد بحَلْية ...» . وحلية : مأسدة بناحية اليمن .
(٨) الفدع : اعوجاج فى الرسغ . (٩) كذا فى ديوانه والسيرة . وفى الأصول : «... ما أتوا عفوا ... الخ» . (١٠) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : ضربان من الشجر مرّان .

أَهْــدَى لهمْ مِدَحِى قلبٌ يؤازِرُه * فيما أراد لسانٌ حائكٌ صَنَعُ

فإنّهم(١) أفضــلُ الأحيــاء كلِّهمُ * إنْ جَدّ بالناس جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا(٢)

فقام عُطَارِد(٣) بن حاجب فقال :

أتينــاك كيما يعلَم النــاسُ فضلَنا * إذا آجتمعوا وقتَ آحتضارِ المَوَاسِمِ

بأنّا فُروعُ النــاسِ فى كلِّ موطنٍ * وأنْ ليس فى أرض الحجاز كَدَارِمِ(٤)

فقام حسّان بن ثابت فقال :

مَنَعْنا رســولَ الله من غَضَبٍ له * على أَنْفِ راضٍ(٥) من مَعَــدٍّ وراغمِ

هَلِ المجدُ إلا السُّؤْدُدُ العَوْدُ(٦) والنَّدَى * وجاهُ المــلوكِ وآحتمالُ العظــائمِ

قال : فقال الأَقْرَع بن حابس : والله إنّ هذا الرجلَ لَمُــؤَتًّى(٧) له ! واللهِ لَشاعرُه أشــعرُ من شاعرِنا ، ولَخَطِيبُــه أخطبُ [من خطيبنا(٨)] ، ولَأصواتُهــم أرفعُ من أصــواتنا ! أَعطِنى يا محمد فأعطاه . فقال : زِدْنِى فزاده . فقال : اللّهمّ إنّه ســيد

(١) هذه رواية السيرة والديوان . وفى الأصول : « وإنهم » بالواو . (٢) كذا فى ديوانه طبع أوربا وسيرة آبن هشام والطبرى . ومعناه : مزحوا ، وهو أنسب للقام ، لمقابلته لقوله : « إن جدّ بالناس الخ » . قال أبو ذؤيب يصف حُمُرا :

فلبثن حينا يعتلجن بروضــة * فيجدّ حينا فى العلاج ويشمع

وفى الأصول وديوانه طبع مصر : « سمعوا » بالسين المهملة . (٣) الذى فى سيرة آبن هشام (ص ٩٣٧ طبع أوربا) أن هذا الشعر من قول الزبرقان بن بدر . (٤) دارم : أبو حىّ من تميم . (٥) فى الأصول : « على رغم أنف » . ورواية الديوان وسيرة آبن هشام :

نصــرنا وآوينا النبىّ محمدا * على أنف راض من معد وراغم

ورواية الطبرى :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا * على كل باغ من معدّ وراغم

(٦) العود : القديم . (٧) كذا فى الطبرى وسيرة ابن هشام . ومؤتّى له : مسهّل وميسر له . وفى الأصول : « لمؤثر له » تحريف . (٨) التكملة عن سيرة آبن هشام والطبرى .

العرب. فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

إسلام وإكرام النبي صلعم

ثم إن القوم أسلموا، وأقاموا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم، وقال: "أَمَا بقِيَ منكم أحد؟"، وكان عمرو بن الأَهْتَم في رِكَابهم، فقال قيس بن عاصم، وهو من رَهْطِه وكان مُشَاحِنًا له،: لم يبق منّا أحدٌ إلّا غلامٌ حديثُ السنّ في رِكَابنا؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مِثْلَ ما أعطاهم. فبلغ عمرًا ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأَهْتَم لقيس:

١٠/٤

مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْبَاء[1] تَشْتُمنِي * عند الرسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ
إنْ تُبْغِضونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ * والرومُ لا تَملِك البغضاءَ للعَرَبِ
فإنّ سُؤْدُدَنا[2] عَوْدٌ وسُؤْدُدكم * مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ

فقال له قيس:

لولا دفاعي كنتُم أَعْبُدًا * دارُكمُ الحِيرةُ والسَّيْلَحُونْ[3]

شعر حسان الذي يتسوّر به إيمانه بالرسل

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحَبِيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيى بن سَعيد عن أبي حَيَّان التَّيْمِيّ عن حَبِيب ابن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسْعَر عن سعد بن إبراهيم، قالوا:

---

(١) الهلباء: الاست. (٢) رواية هذا البيت في سيرة ابن هشام:

سدنا كم سؤددا رَهْوًا وسؤددكم * باد نواجذه مُقْعٍ على الذنب

والعجب من كل دابة: ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز.

(٣) السيلحون: موضع قرب الحيرة، وقيل: هو بين الكوفة والقادسية.

قال حسّان[1] بن ثابت للنبيّ صلى الله عليه وسلم :

صــــوت

شهــدتُ بإذن الله أنّ محمدًا * رسولُ الذى فوق السّموات من عَلُ

وأنّ أخا الأحقاف[2] إذ يعذُلونه * يقومُ بدين الله فيهم فيَعــدِلُ

وأنّ أبا يحيى ويحيى كلاهما[3] * له عَمَــلٌ فى دينــه متقبّلُ

وأنّ الذى عادى اليهودَ ٱبنَ مريمٍ * رسولٌ أتى من عند ذى العرش مُرسَلُ

وأنّ الذى بالجِزْع[4] من بطن نخــلةٍ * ومَنْ دونَها فِــلٌّ[5] من الخير مَعْزِلُ

— غنّى فى هــذه الأبيات مَعْبَد خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر من رواية يونس وغيره — فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " أنا أشهد معك " .

---

(١) نسب هذا الشعر فى اللسان (مادة فلل) الى عبدالله بن رواحة يصف العُزّى، وهى شجرة كانت تعبد، وذكر بيتين من هذا الشعر نذكرهما لاختلافهما فى بعض الألفاظ عما هنا، وهما :

شهدت ولم أكذب بأنّ محمدا * رسول الذى فوق السموات من علُ

وأن التى بالجزع من بطن نخــلة * ومن دانها فل من الخــير معزل

ثم أعقبهما بالجملة التفسيرية الآتية : « أى خال من الخير. ويروى « ومن دونها » ، أى الصنم المنصوب حول العزى » . (٢) هو هود عليه السلام ، وهو المشار اليه فى قوله تعالى : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) . والأحقاف هنا : واد بين عُمَان وأرض مَهْرة ، أو هو رمل فيما بين عمان وحضرموت ، أو رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن . (٣) يعنى بأبى يحيى زكريا عليه السلام .

(٤) الجزع : قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله . ورواية الديوان فى هذا البيت :

وأن التى بالسد من بطن نخلة * ومن دانها فل من الخير معزل

(٥) الفلّ : الذى لا خير عنده ، كالأرض الفل وهى التى لا نبت فيها ولا خير . (انظر التعليقات التى على ديوان حسان المطبوع بأوربا الذى أشرف على طبعه المستشرق الانجليزى جيب) . وبطن نخلة : موضع بين مكة والطائف .

أنكرت عليه عائشة شعرا له فى مدحها

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زُهَيْر بن حَرْب قال حدّثنى جرير عن الأعمش عن أبى الضُّحَى عن مَسْروق، وأخبرنى بها أحمد بن عيسى العِجْلىّ قال حدّثنا سُفْيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبى الضُّحَى عن مسروق قال :

دخلتُ على عائشة وعندها حَسَّانُ وهو يَرْثى بنتًا له[1]، وهو يقول :

٥ رَزانٌ[2] حَصَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَــةٍ * وتُصْبِحُ غَرْثَى[3] من لحُوم الغَوَافِلِ

فقالت عائشة : لكن أنت لستَ كذلك . فقلت لهـا : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُــمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ! فقـالت : أمَا تراه فى عذاب عظيم قد ذَهَب بصرُه !

أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى قال حدّثنا

١٠ ٱبن أبى أُوَيْس قال حدّثنى أبى ومالك بن الربيع بن مالك حدّثانى جميعا عن الرَّبيع ٱبن مالك بن أبى عامر عن أبيه أنه قال :

بينَا نحن جُلُوسٌ عند حَسّان بن ثابت ، وحسّان مضطجعٌ مُسْندٌ رِجْلَيه الى فَارِعٍ[4] قد رفعهما عليه، إذ قال : مَهْ ! أمَا رأيتم مامرَّ بكم الساعةَ؟ قال مالك : قلنا : لا والله، وما هو ؟ فقال حسّان : فَاخِتَةٌ[5] مَرَّتْ الساعةَ بينى و بين فارع فصدمتنى ، أو قال :

١٥ فزَحَمتنى . قال : قلنا : وما هى ؟ قال :

---

(١) رجعنا الى هذه القصيدة فى ديوانه فلم نجد فيها شيئا من الرثاء، وكلها فى مدح عائشة والاعتذار عما رماها به هو وغيره من الإفك . (راجع ديوانه صفحة ١٦٢ من هذا الجزء) وهى غير القصيدة التى رثى بها ابنته و إن كانت على قافيتها . (٢) رواية الديوان : « حصان رزان الخ » . وامرأة رزان اذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف وكانت رزينة فى مجلسها . وامرأة حصان (بفتح الحاء) : عفيفة بينة الحصانة .

٢٠ (٣) الغرثى : الجائعة ، أى إنها تصبح جائعة من لحوم الناس . والمراد أنها لاتغتابهم . (٤) فارع : اسم أُطم ، وهو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت . (٥) الفاختة : واحدة الفواخت ، وهى ذوات الأطواق من الحمام ؛ قيل لهـا ذلك للونها لأنه يشبه الفَخْت الذى هو ضوء القمر .

١١/٤

ستأتيكمُ غَدْوًا أحاديثُ جمّةٌ * فأصغُوا لها آذانكم وتسمَّعُوا

قال مالك بن أبى عامر : فصبّحنا من الغد حديثُ صِفّين .

سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعرا فبعث إليه بمال

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللّيث بن محمد عن الحنظلىّ عن أبى عَبْدة عن العلاء ابن جَزْء العنبرىّ قال :

بينا حسّان بن ثابت بالخَيْف وهو مكفوفٌ ، إذ زَفَر زفرةً ثم قال : ٥

وكأنّ حافرَها بكلّ خَمِيلةٍ (١) * صاعٌ يَكيلُ به شحيحٌ مُعْدِمُ

عارِى الأشَاجِعِ (٢) من ثَقِيفٍ أصلُه * عبدٌ ويزعمُ أنّه مِنْ يَقْدُمِ (٣)

قال : والمغيرة بن شعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول ، فبعث اليه بخمسة آلاف درهم . فقال : مَنْ بَعث بهذا ؟ قال (٤) : المُغيرة بن شُعْبة سمِع ما قلتَ . قال : واسَوْءتاه ! وقبلها . ١٠

استجار الحارث ابن عوف من شعره بالنبى

اخبرنى أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى الأصمعىّ قال :

جاء الحارث بن عوف بن أبى حارثة إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : أجِرْنى من شعر حسان ، فلو مُزِج البحرُ بشعْره لمزَجَه . قال : وكان السببُ فى ذلك — فيما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعىّ ، وأخبرنى به الحسن ابن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنى عمّى مُصْعَب — ١٥ أنّ الحارث بن عوف أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : ابْعَثْ معى

(١) الخميلة : الأرض السهلة التى تنبت ، شبه نبتها بخمل القطيفة . (٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل : هى عروق ظاهر الكف ، واحدها : أشجع . (٣) يقدم : أبو قبيلة ، وهو يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وهو يحتمل أن يكون بضم الميم ، فيكون علما منقولا عن جملة ، نحو * نبئت أخوالى بنى يزيد * وأن يكون بكسرها ، وبفتحها على أنه ممنوع من الصرف ، فيكون فيه إقواء . (٤) كذا فى جميع الأصول . وكان الأولى أن يكون « قيل » أو « قالوا » . ٢٠

مَنْ يدعو إلى دِينك وأنا له جارٌ . فأرسل معه رجلاً من الأنصار . فغَدَرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريَّ ، فقَدِم الحارثُ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنّب أحدًا في وجهه ، فقال : " ادْعُوا لى حسّان "؛ فدُعى له . فلمّا رأى الحارثَ أنشده :

٥ يا حَارِ مَنْ يَغْدُرْ بذِمّة جارِه * منكُمْ فإنّ محمّدًا لم يَغْدُرِ
إنْ تَغْدُروا فالغَدْرُ منكم شِيمةٌ * والغدرُ ينبُت فى أُصول السَّخْبرِ(١)

فقال الحارث : اكْفُفْه عنّى يا محمد ، وأُؤدّى إليك دِيَةَ الخُفارة(٢) ؛ فأدّى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَراء(٣)، وكذلك دِيةُ الخُفَارة ، وقال : يا محمد ، أنا عائذٌ بك من شَرّه ، فلو مُزِج البحرُ بشِعْره مزَجَه .

أنشد شعرا بلغ النبى فآلمه فضربه ابن المعطل وعوضه النبى

١٠ أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إبراهيم بن المُنذر قال حدّثنا عبد الله بن وَهْب قال أخبرنا العَطّاف بن خالد قال :

كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أُطُمه فارِع ، و يجلس معه أصحابٌ له و يَضَع لهم بِساطًا يجلسون عليه ؛ فقال يومًا ، وهو يرى كثرةَ مَنْ يأتى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من العرب فيُسْلِمون :

---

١٥ (١) السخبر : شجر إذا طال تدلت رءوسه وانحنت ، وقيل : هو شجر من شجر الثمام له قضب مجتمعة وجرثومة . وفى اللسان يقال : ركب فلان السخبر إذا غدر ، وذكر البيت .

(٢) الخفارة (مثلثة الخاء) : الذمام .

(٣) العشراء من النوق : التى مضى على حملها عشرة أشهر ، وقيل : ثمانية .

أرى الجلابيب[1] قد عزّوا وقد كثُروا * وابنُ الفُرَيعة أمسى بيضة[2] البلد

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "مَنْ لى بأصحاب البساط بفارع؟". فقال صفوان بن المعطّل: أنا لك يا رسول الله منهم؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه، فلما راوه عرفوا الشرّ فى وجهه ففرّوا وتبدّدوا، وأدرك حسّانَ داخلاً بيته، فضربه وفلق أليته. قال: فبلغنا أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم عوّضه وأعطاه حائطا[3]، فباعه من معاوية بعد ذلك بمالٍ كثير، فبناه معاوية قصرًا، وهو الذى يقال له: «قصر الدّارين». وقد قيل: إنّ صفوان بن المعطّل إنما ضرب حسّان لما قاله فيه وفى عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم من الإفك[4]؛ لأن صفوان هو الذى رمى أهلُ الإفك عائشة به.

(١) كذا فى أكثر الأصول، وهو الموافق لما فى الطبرى (ص ١٥٢٦ من القسم الأوّل) واللسان مادة «بيض» والتنبيه: (ص٧٦ طبع دار الكتب المصرية) والأضداد فى اللغة (ص١١٨ طبع بيروت). وقال البكرى فى التنبيه: «وكان المنافقون يسمون المهاجرين رضى الله عنهم الجلابيب». وفى اللسان: «أراد بالجلابيب سِفلة الناس وغثراءهم». وفى سه وتاج العروس شرح القاموس (ج ٥ ص ١٢) والديوان: «الخلابيس». وقال فى الشرح: «الخلابيس: الأخلاط من كل وجه». (انظر ديوانه المطبوع فى ليدن سنة ١٩١٠ ص ٩١). (٢) العرب تقول للرجل: هو بيضة البلد، يمدحونه بذلك؛ وتقول للآخر: هو بيضة البلد، يذمونه بذلك. والممدوح يراد به البيضة التى يحضنها الظليم ويقيها؛ لأن فيها فرخه. والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التى لا حافظ لها ولا يدرى لها أب وهى تريكة الظليم. قال الرّمانى: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة والبصرة فبيضة البلد مدح، وإذا نسب إلى البلاد التى أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم. (٣) الحائط: البستان. وفى كتاب التنبيه للبكرى: فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم عوضا: بيرحاء (وهى قصر بنى جُدَيلة اليوم بالمدينة) وسيرين (أمة قبطية وهى أم عبد الرحمن بن حسان رضى الله عنهما). وسيذكر المؤلف هذه الرواية فى ص ١٦٢ من هذا الجزء. (٤) يعنى أبو الفرج بالإفك هنا الحديث الذى تخرّصه قوم على عائشة رضى الله عنها، وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم كان يستصحب فيها عائشة؛ فحدث أنه أمر بالرحيل، وكانت عائشة منطلقة لبعض شأنها، فأمر بهودجها فحمل على بعيره، وظن القوم أنها فيه ولم تكن هناك. فلما رجعت عائشة الى الهودج ألفت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد ارتحلوا؛ فمكثت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل؛ فرجعها الى المدينة؛ فأرجف بها أناس ورموها بالإفك، وكان منهم حسان بن ثابت رضى الله عنه.

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبَةَ قال :

اعترض صَفْوان بن المُعَطَّل حسّان بن ثابت بالسَّيْف لِما قَذَفه به من الإفْك حين بلَغه ما قاله . وقد كان حسّان قال شِعْرًا يعرِّض بآبن المعطَّل و بمن أسلَم من العرب من مُضَر فقال :

٥

أمسَى الجَلابِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا * وآبنُ الفُرَيْعةِ أمسَى بَيْضَةَ البَلَدِ

قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنتُ صاحبَه * أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثُنِ الأَسَدِ

ما للقتيلِ الذى أعدُو فآخُذُه * من دِيَةٍ فيه أُعطِيها ولا قَوَدِ[1]

ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيَةً[2] * فيَغْطَئِلُّ[3] ويرْمِى العَبْرَ بالزَّبَدِ

١٠

يومًا بأغلبَ مِنِّى حين تُبْصِرُنى * بالسيف أفْرِى كفَرْيِ العارِضِ البَرِدِ[4]

فآعترضه صَفْوان بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنِّى فإنّنى * غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له ، ثم انتهى الأمر إلى النبى فآسترضاه

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا [آبن] حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمىّ :

١٥

أنّ ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس أخا بَلْحارث بن الخَزْرَج وَثَب على صَفْوان بن المعطَّل فى ضَرْبه حسّان فجمع يديه على عُنُقه ، فآنطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلَقِيَه عبدُ الله بن رَوَاحةَ فقال : ما هذا ؟ فقال : ألَا أُعَجِّبُكَ[5] ! ضَرَب

(١) القود : القصاص . (٢) فى ديوانه ص ٦٢ : « شاملة » . (٣) كذا فى ديوانه . واغطألّ الشىء : ركب بعضه بعضا . وفى حـ : «فيغضئل» بالغين والضاد المعجمتين . وفى سائر الأصول : «فيعضئل» بالعين المهملة والضاد المعجمة ، وكلاهما تحريف . والعبر : جانب النهر . وعبر الوادى : شاطئه وناحيته . (٤) العارض . السحاب المعترض فى الأفق . وسحاب برد (بكسر الراء) : فيه قرّ وبرد .

٢٠

(٥) يقال : عجّبه بالشىء ، اذا نبهه على التعجب منه .

حسّانَ بالسيف ! والله ما أَراه إلّا قد قتله . فقال له عبد الله بن رَواحة : هل علِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشىءٍ من هذا ؟ قال : لا والله . قال : لقد ٱجترأت ! أَطْلِق الرجلَ ، فأطلقه . ثم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فذَكر ذلك له ، فدعا حسّان وصَفْوان بن المعطّل ؛ فقال ابن المعطّل : يارسولَ الله ، آذانى وهجانى فضربتُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان : "ياحسّان أتَعِيبُ على قومى أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام ! " ، ثم قال : "أَحْسِنْ ياحسّان فى الذى أصابك" . قال : هى لك يا رسول الله .

إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى المَدَائنىّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار[1] عن بعض رجال بنى النجّار بمثل ذلك ، وزاد فى الشعر الذى قاله حسان زيادةً ، ووافقه عليها مُصْعَب الزُّبَيرىّ ، فيما أخبرنا به الحسن بن علىّ ، قال قال حدّثنا أحمد ابن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمى مُصعَب فى القِصّة ، فذكر أنّ فِتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يَسْقُون خيولَهم ، فغَضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر .

وذكر الزُّهْرِى ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعْد ، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبى قال حدّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبة عن ابن شِهَاب الزُّهْرِىّ أنّ هذا الخبر كان بعد غَزْوة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بنى المُصْطَلِق[2] . قال :

(١) كذا فى م وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أول ص ١٥٢٥ طبع أوربا) وهو الصواب ؛ لأنه يعنى محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة . وقد اضطربت بقية الأصول فى هذا السند ؛ ففى س : «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن ابن يسار» . وفى غيرها : «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن يسار» وكلاهما تحريف .

(٢) بنو المصطلق : بطن من خزاعة . والمصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ؛ وسمى بالمصطلق لحسن صوته ، وهو أوّل من غنى من خزاعة .

وكان فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له : سِنَان[1] ، ورجل من بنى غِفَار يقال له : جَهْجاه[2]؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفَرَسٍ له يومئذ يَسْقِيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فِتْيَةً من الأنصار، فتنازعوا فاقتتلوا ؛ فقال عبد الله بنُ أُبَىّ ابنُ سَلُولَ : هذا ما جَزَوْنا به، آويناهم ثم هم يُقاتلوننا ! وبلغ حسّانَ بن ثابت الذى بين جَهْجاه وبين الفِتْيَة الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام ــ وهذا الشعرُ من رواية مُصْعَب دون الزُّهْرِىّ ــ :

أمسى الجلابيبُ[3] قد عَزُّوا وقد كثُروا * وآبنُ الفُرَيعة أمسى بيضةَ البَلَدِ

يمشون بالقول سِرًّا فى مُهَادَنةٍ * تَهَدُّدًا لى كأنّى لستُ من أحَدِ

قد ثَكِلتْ أمُّه مَنْ كنتُ صاحبَه * أو كان مُنْتشِبًا فى بُرْثُنِ الأسَدِ

ما للقتيل الذى أسمو فأقتُلُه * من دِيَةٍ فيه أُعْطيها ولا قَوَدِ

ما البحرُ حين تَهُبُّ الريحُ شاميةً * فيَغْطَئِلُّ ويَرْمى العِبْرَ بالزَّبَدِ

يومًا بأغلبَ منّى حين تُبْصِرُنى * أفْرِى من الغَيْظ فَرْىَ العارِض البَرِدِ

أمّا قريشٌ فإنّى لستُ تارِكَهم * حتى يُنِيبُوا من الغَيّاتِ بالرَّشَدِ

(١) كذا فى سيرة آبن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا) والطبرى (ص ١٥١١ من القسم الأول طبع أوربا). وفى الأصول : «جعان» . وقد ساق ابن هشام والطبرى هذه القصة هكذا : «فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ؛ فغضب عبد الله بن أبىّ الخ» . (٢) هو جهجاه بن سعيد الغفارى ، كما فى الطبرى والمعارف لابن قتيبة (ص ١٦٥) . وفى سيرة آبن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا) : «جهجاه بن مسعود» . وفى أسد الغابة : «هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفارى من أهل المدينة» .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٥٦ من هذا الجزء . وانظر هذا الشعر فى الديوان وسيرة آبن هشام (ص ٧٣٨) وفيما تقدم من هذا الجزء (ص ١٥٧) تجده مختلفا عما هنا فى بعض ألفاظه .

ويتركوا اللّاتَ والعُزّى بمَعْزِلَةٍ * ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمَد

ويَشْهَدوا أنّ ما قال الرسولُ لهم * حقٌّ ويُوفُوا بعهد الله فى سَدَدِ (١)

أَبْلِغْ بَنِىّ بأنّى قد تركتُ لهم * من خير ما تَرَك الآباء للوَلَدِ

الدّارُ واسطةٌ والنخلُ شارعةٌ * والبِيضُ يَرْفُلْنَ فى القَسِّىِّ (٢) كالبَرَدِ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ياحسان نَفِستَ (٣) علىّ إسلامُ قومى " ٥

وأغضبه كلامُه . فغدا صفوان بن المعطَّل السُّلَمىّ على حسّان فضربه بالسيف .

وقال صفوان :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنّى فإننى * غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُه على صَفْوان فحبسوه ، ثم جاءوا سعدَ بن عُبَادةَ بن دُلَيْم بن حارثة بن

أبى حَزِيمةَ (٤) بن ثعلبة بن طَرِيف (٥) بن الخَزْرَج بن سَاعِدةَ بن كَعْب بن الخَزْرَج بن ١٠

حَارِثَةَ بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مُقْبِلٌ على نَاضِحه بين القَرْيَتَيْن ، فذكروا له

ما فعَل حسّان وما فعلوا ؛ فقال : أشاورتُم فى ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا

لا . فقعد إلى الأرض . وقال : وَا انْقِطاعَ ظَهْراه ! أتأخذون بأيديكم ورسولُ الله

صلى الله عليه وسلم بين ظَهْرانَيْكم ! ودعا بصَفْوان فأُتى به ، فكساه وخلّاه . فجاء

إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ كَسَاكَ ١٥

كساه الله " . وقال حسّان لأصحابه : احملونى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) السدد : القصد . (٢) القسىّ : ثياب من كتّان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر؛ نسبت الى قرية على ساحل البحر قريبا من تِنِّيس يقال لها القس (بفتح القاف وكسرها) .

(٣) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٤) كذا فى ح ، وهو الموافق لما فى القاموس (مادة حزم) وطبقات ابن سعد (ج ٥ قسم ٢ ص ١١٥) . وفى سائر الأصول : ٢٠ «خزيمة» بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف . (٥) كذا فى الطبقات . وفى الأصول : «ظريف» بالظاء المعجمة .

أَتَرْضَاه ففعلوا، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فردّوه. ثم سألهم حملوه إليه الثانية، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فانصرفوا به . ثم قال لهم : عُودوا بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له : قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يُعْرِض فلا نُبْرِمُه[1] بك. فقال : احملونى إليه هذه المرّةَ وحدَها، ففعلوا . فقال : يارسولَ الله، بأبى أنت وأُمّى! احْفَظْ قولى :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه * وعند الله فى ذاك الجزاءُ

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضِى * لِعرضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ

فرضِى عنه رسولُ الله صلى عليه وسلم ووَهَب له سِيرِينَ[2] أُختَ ماريةَ أمّ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيمَ . هذه رواية مُصعب[3] . وأمّا الزُّهْرِىُّ فإنّه ذكر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمّا بلغه ضربُ السُّلَمِىّ حسّانَ قال لهم : "خُذُوه فإنْ هلك حسّان فاقتلوه". فأخذوه فأسروه وأَوْثَقُوه، فبلغ ذلك سعدَ بنَ عُبادةَ، فخرج فى قومه إليهم فقال : أَرْسِلُوا الرجلَ ، فأَبَوْا عليه، فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم تُؤْذُونهم وتَشْتُمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم! أَرْسِلُوا الرجلَ، فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ، ثم أرسلوه. فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلّةً، ثم أرسله سعدٌ إلى أهله . فبلغنا أنّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم دخل المسجد لِيُصَلِّىَ فيه، فقال : "مَنْ كَسَاكَ كساه اللهُ من ثياب الجنّة" . فقال : كسانى سعد ابن عُبَادة . وذكر باقىَ الخبر نحوه .

---

(١) أبرمه هنا : أضجره وأملّه . (٢) كذا فى الأصول وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوربا) والطبرى (ص ١٥٢٨، ١٥٩١، ١٧٨١ قسم أوّل) والإصابة لابن حجر العسقلانى (ج ٨ ص ١١٨) والتنبيه للبكرى (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية)، وضبطها الزرقانى أيضا فى شرحه على المواهب (ج ٣ ص ٣٢٥ طبع بولاق) بقوله : «سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء» . وفى تاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢) ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤) : «شيرين» بالشين المعجمة . (٣) فى الأصول : «أبى مصعب» وهو تحريف .

وحدّثنى محمد بن جرير الطبرىّ قال حدّثنى ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عِوَضًا منها بيرحاء [1]، وهى قصرُ بنى حُدَيْلة [2] اليومَ بالمدينة، كانت مالًا لأبى طَلْحة [3] بن سَهْل تَصَدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه حسّانَ فى ضَرْبته، وأعطاه سِيرِينَ (أَمَةً قِبْطيّة) فولدتْ له عبدَ الرحمن بن حسّان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سُئل عن صَفْوان ابن المُعَطَّل، فإذا هو حَصُورٌ (لا يأتى النساء)؛ قُتل بعد ذلك شهيدًا. قال ابن إسحاق فى روايته عن يعقوب بن عُتْبة: فقال حسّان يعتذر من الذى قال فى عائشة :

شعره فى مدح عائشة والاعتذار عما رماها به

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ * وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوافِلِ
فإنْ كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتُمُ * فلا رفعتْ سَوْطِى إلىَّ أنامِلى
وكيفَ ووُدّى من قديمٍ ونُصْرَتى * لآلِ رسولِ الله زَيْنِ المَحافِلِ
فإنّ الّذى قد قِيلَ ليس بِلائطٍ [4] * ولكنّه قولُ امرئٍ [5] بِىَ ماحِلِ [6]

(١) فى النهاية لابن الأثير (مادة برح) : «هذه اللفظة كثيرا ما تختلف ألفاظ المحدّثين فيها، فيقولون : بيرحاء بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمدّ فيهما وبفتحهما والقصر، وهى اسم مال وموضع بالمدينة». (٢) كذا فى اللسان (مادة حدل) ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوروبا)، وتاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢ طبع أوروبا) وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوروبا). وقد جاء فى اللسان : «حديلة بضم الحاء وفتح الدال، هى محلة بالمدينة نسبت الى بنى حديلة بطن من الأنصار». وفى الأصول وكتاب التنبيه للبكرى (ص ٧٦) : «جديلة» بالجيم المعجمة، وهو تصحيف. (٣) كذا فى اللسان (مادة برح) ومعجم البلدان (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوروبا) وسيرة ابن هشام. وفى الأصول : «لطلحة» بدون «أبى» وهو تحريف. (٤) كتب فى حـ بين السطور بخط رفيع فوق هذه الكلمة تفسيرا لها : «لائق». وفى اللسان (مادة ليط) : «... أبو زيد : يقال : ما يليط به النعيم ولا يليق به، معناه واحد». (٥) رواية الديوان : *بك الدهر بل سعى امرئ بك ماحل*. (٦) محل به الى السلطان محلا ومحالا : كاده بسعاية إليه.

هجاء رجل بما فعل به ابن المعطل

قال الزبير وحدّثني محمد بن الضحّاك : أنّ رجلًا هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المُعَطّل فقال :

وإنّ ٱبنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ * أَذَلَّ قِيادَ رأسِك بالخِطَامِ[1]

سبه أناس فدافعت عنه عائشة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ٱبن جُرَيْج قال أخبرني محمد بن السائب عن أُمّه : أنّها طافتْ مع عائشة ومعها أُمّ حكيم وعاتكة : (ٱمرأتان من بني مخزوم). قالت : فٱبتَدَرْنا حَسّانَ نَشْتُمه وهو يطوف؛ فقالتْ : أَبْنَ الفُرَيْعةِ تَسُبَبْنَ ! قلنَ : قد قال فيك فبرّأكِ الله . قالت : فأين قولُه :

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه * وعند الله في ذاك الجَزاءُ

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي * لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَيْنة عن محمد بن السائب بن بَرَكَة عن أُمّه نحو ذلك، وزاد فيه : إني لأرجو أن يُدْخِله الله الجنّة بقوله .

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عِمْران عن سُفيان بن عُيينة وسَلْم بن خالد عن يوسف بن مَاهَك عن أُمّه قالت :

كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حَسّان فسَبَبْتُه؛ فقالت : بِئس ما قُلْتِ! أتَسُبِّينه وهو الذي يقول :

فإنّ أبي ووالده وعِرْضي * لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ

(١) الخطام : الحبل الذي يقاد به البعير .

فقلت: أليس ممن لَعَن اللهُ فى الدنيا والآخرة بما قال فيك؟ قالت: لم يَقُل شيئا، ولكنه الذى يقول:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ * وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ
فإنْ كان ما قد جاء عنّى قلتُه * فلا رفعتْ سَوْطِى إلىّ أناملى

٥ أخبرنى الحسن قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى مُصْعَب عَمّى قال حدّثنى بعضُ أصحابنا عن هشام بن عُرْوةَ عن أبيه قال:

كنتُ قاعدًا عند عائشة، فمُرّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنِلْتُ منه، فقالت: مَهْلًا! فقلتُ: أليس الذى يقول! قالت: فكيف بقوله:

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضِى * لِعرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

افتخاره بلسانه

١٠ أخبرنى الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنى أحمد بن سَلْمان عن سليمان بن حَرْب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب(١) عن محمد بن سِيرِين:

أنّ حسّان أخذ يومًا بطَرَف لسانه وقال: يارسولَ الله، مايسُرّنى أنّ لى به مِقْوَلًا(٢) بين صَنْعاءَ وبُصْرى(٣)، ثم قال:

لِسانى مِقْوَلٌ لا عيبَ فيه * وبَحْرِى ما تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

جبنه عن مناصرة صفية بنت عبد المطلب يوم الخندق

١٥ أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه قال:

---

(١) يريد أيوب بن أبى تميمة السختيانى، كما فى الخلاصة للخزرجى. (٢) كذا فى ب، حـ. والمقول: سيف دقيق له حد ماض. وفى الديوان (ص ٢): «لسانى صارم ... الخ». وفى سائر الأصول: «لسانى مقول». (٣) بصرى: اسم لموضعين: بصرى الشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران، وبصرى ببغداد وهى إحدى قراها قرب عكبراء.

٢٠

كانت صَفِيّةُ بنت عبد المُطّلب فى فارِع (حِصْنِ حسّان بن ثابت) ، يعنى يومَ الخَنْدَق . قالت : وكان حسّان معنا فيه والنساء والصِّبْيان . قالتْ : فمرّ بنا رجلٌ من يَهُودَ فجعل يُطِيف بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُرَيْظَةَ وقطعتْ ما بينها و بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ليس بيننا و بينهـم أحدٌ يدفع عنّا ، و رسولُ الله والمسلمون فى نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذْ أتانا آتٍ . قالت : فقلتُ : يا حسّان ، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطِيفُ بالحِصْن ، و إنّى والله ما آمَنُـه أن يَدُلّ على عَوْراتنا مَنْ و راءنا مِنْ يَهُودَ ، وقد شُغِل عنّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه ، فآنْزِلْ اليه فآقْتُلْه ؛ فقال : يَغْفِرُ اللهُ لكِ يا بنـةَ عبد المُطّلب ! لقـد عَرَفْتِ ما أنا بصاحب هـذا . قالت : فلمّـا قال ذلك ولم أرَ عنده شيئا آحْتَجَزْتُ[1] ثم أخذتُ عمـودًا ثم نزلتُ إليه من الحِصْن فضربتُـه بالعمود حتى قتلتُه ، فلمّـا فرغت منه رجعت الى الحصن ، فقلت : يا حسّان ، آنْزِلْ إليه فاسْلُبْه ؛ فإنّه لم يمنعنى من سَلْبِه إلّا أنّه رجلٌ . قال : مالى بِسَلْبِه من حاجةٍ يا بنتَ عبد المطّلب .

حديث ابن الزبير عن يوم الخنـدق وفى حديثه ما يؤكد جبن حسان

وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا علىّ بن صالح عن جَدّى عبد الله بن مُصْعَب عن أبيه قال :

كان ابن الزُّبير يحدِّث أنه كان فى فَارِعٍ (أُطُمِ حسّان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عُمَرُ بن أبى سَلَمَة . قال آبن الزُّبير : ومعنـا حسّان بن ثابت ضاربًا وَتِدًا فى آخر الأُطُم ، فإذا حَمَل أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المشركين حَمَـل على الوَتِد فضربه بالسيف ؛ و إذا أقبل المشركون آنحاز عن الوَتِد حتّى كأنه يُقاتل قِرْنًا ، يتشبّه بهم كأنّه يُرِى أنّه مُجاهِدٌ حين جَبُن . و إنّى لَأظلم آبنَ أبى سلمةَ

(١) يقال : احتجز بردائه ، إذا شدّه على وسطه .

١٦
٤

وهو أكبرُ منّى بسنتين فأقول له : تحمِلُنى على عُنقك حتّى أنظُرَ ، فإنّى أحملُك إذا نزلتُ . قال : فإذا حملنى ثم سألنى أن يركب قلتُ له : هذه المرّة أيضا . قال : وإنّى لأنظر إلى أبى مُعْلَماً بصُفْرة ، فأخبرتُها أبى بعدُ ، فقال : [أين كنتَ حينئذ؟ فقلتُ : على عُنُق ابن أبى سَلَمَة يحمِلُنى . فقال] (١) : أمَا والّذى نفسى بيده إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ليَجْمَع لى أبويه (٢) .

قال ابن الزّبير : وجاء يهوديٌّ يرتقى إلى الحصْن . فقالت صَفيّة له : أعْطِنى السيف ، فأعطاها . فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربتْه حتّى قتلتْه ، ثم احتزّتْ (٣) رأسه فأعطته حسّانَ وقالتْ : طَوِّحْ به ؛ فإنّ الرجلَ أقوى وأشدُّ رميةً من المرأة . تريد أن تُرْعِبَ به أصحابَه .

كان حسان مقطوع الأكحل

قال الزّبير : وحدّثنى عمّى عن الواقدىّ قال : كان أكْحَلُ (٤) حسّانَ قد قُطِع فلم يكن يَضْرِب بيده .

أنشد النبي شعرا فى شجاعته فضحك

قال الزّبير وحدّثنى علىّ بن صالح عن جَدّى أنّه سمِع أن حسّانَ بن ثابت أنشد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم :

لقد غدوتُ أمامَ القومِ مُنْتَطِقًا * بِصَارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطّاعِ
يَحْفِزُ (٥) عنّى نِجادَ السيفِ سابغةٌ (٦) * فَضْفَاضَةٌ (٧) مثلُ لَوْنِ النِّهْيِ بالقَاعِ

(١) هذه العبارة موجودة فى س وساقطة من سائر الأصول . (٢) يعنى أن النبي صلوات الله عليه كان يقول له : فداك أبى وأمى . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «اجتزت» بالجيم المعجمة . وما اخترناه أصوب فى هذا المقام ؛ لأن الحز قطع العنق ونحوه ، والجز للشعر والحشيش ونحوهما . (٤) الأكحل : عرق فى وسط الذراع ؛ قال ابن سيده : يقال له عرق النسا فى الفخذ ، وفى الظهر الأبهر ، ويسمى : عرق الحياة ونهر البدن . (٥) يحفز : يدفع . (٦) يقال : درع سابغة ، اذا كانت طويلة تامة . (٧) فضفاضة : واسعة . والنهى : الغدير . وفى الديوان (ص ٦٦ طبع أوروبا) ورد هذا الشطر هكذا : * تنفى الأنامل مثل النهى بالقاع *
وفسره فى (ص ٩٥) بقوله : « شبه الدرع فى بياضها واطرادها بالغدير » .

قال : فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ففطن حسّان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبنه .

قال النابغة : إنه شاعر والخنساء بكاءة

قال الزّبير وحدّثني محمد بن الحسن قال :

قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابغةَ بني ذُبيان ، فوجدتُ الخنساء بنتَ عَمْرو حين قامتْ من عنده ، فأنشدتُه ؛ فقال : إنّك لشاعرٌ ، وإنّ أُختَ بني سُلَيْم لَبَكّاءة .

سمعه الحطيئة ينشد فسأله وهو لا يعرفه فأجابه الحطيئة بما لم يرضه

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طَلْحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق قال أخبرني غير واحد من مَشايخي[1] :

أنّ الحُطَيْئةَ وقَف على حَسّان بن ثابت وحَسّانُ يُنْشِدُ من شعره ؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه : كيف تَسْمَع هذا الشعرَ يا أعرابيّ ؟ قال الحُطَيْئة : لا أرى به بأساً . فغضب حَسّان وقال : اسْمَعوا إلى كلام هذا الأعرابيّ ! ما كُنْيَتُك ؟ قال : أبو مُلَيْكة . قال : ما كنتَ قَطُّ أَهْوَنَ عليّ منك حين كُنّيتَ بآمرأةٍ ، فما آسمك ؟ قال : الحُطَيْئة فقال حَسّان : امْضِ بسلام .

اتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل فاشترى كل الخمر وأراقها

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ[2] قال حدّثنا عبد الله بن شَبِيب قال حدّثني الزُّبير ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني بعضُ القرشيين قال :

دخل حسّان بن ثابت في الجاهلية بيتَ خَمّارٍ بالشّأم ومعه أَعْشَى بكْر بن وائل ، فاشتريا خمرًا وشَرِبا ، فنام حَسّان ثم آنتبه ، فسَمِع الأعشى يقول للخمّار : كَرِه الشيخ

(١) في الأصول : «من مشايخه» .

(٢) الزرقي : نسبة الى بني زريق ، بطن من الأنصار ، وهم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الخزرجي . (راجع أنساب السمعاني) .

الغُرْمَ . فتَرَكه حسّانُ حتّى نام، ثم اشترى خمر الخمّار كلّها، ثم سَكَبها فى البيت حتّى سالتْ تحت الأعشى ؛ فعلِم أنّه سَمِع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسّان :

وَلَسْنَا بِشَرْبٍ فوقَهُمْ ظِلُّ بُرْدةٍ * يُعَدُّون للخَمّارِ تَيْساً ومِفْصَدَا[(١)]

ولٰكنّنا شَرْبٌ كِرامٌ إذا انْتَشَوْا * أهانوا الصَّرِيحَ والسَّدِيفَ المُسَرْهَدَا[(٢)]

كأنّهمُ ماتُوا زمانَ حَليمةٍ[(٣)] * فإنْ تأتِهِمْ تَحْمَدْ نِدامَتَهُمْ غَدَا[(٤)]

وإن جئتَهم ألفيتَ حولَ بيوتِهم * من المِسْك والجَادِيّ[(٥)] فَتِيتاً مُبَدَّدَا

تَرَى حولَ أثناءِ الزَّرابِيِّ[(٦)] ساقطاً * نِعَالاً وقَسُّوباً[(٧)] ورَيْطاً[(٨)] مُنَضَّدَا

وذا نُمْرُقٍ[(٩)] يَسْعَى ومُلْصِقَ خَدِّهِ * بديباجةٍ تَكْفافُها قد تَقَدَّدَا

(١) كذا فى أكثر من خمس نسخ مختلفة من ديوانه . والمفصد : آلة الفصد . يريد أنهم ملوك لا يفصدون التيس ويأكلون دمه . وفى الأصول : « ومقصدا » بالقاف وهو تصحيف . وفى أكثر نسخ الديوان : « للحانوت » بدل « للخمار » . (٢) رواية الديوان :

ملوك وأبناء الملوك اذا انتشوا * أهانوا الصبوح والسديف المسرهدا

والصريح : اللبن ذهبت رغوته . والسديف : لحم السنام، وقيل شحمه . والمسرهد : السمين من الأسنمة . (٣) فى ديوانه : * وتحسبهم ماتوا زمين حليمة * يقول : تراهم من سكرهم كأنهم موتى. وزمان حليمة، يشيربه الى أحد أيام العرب المعروفة ، وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغسانى . والعرب تضرب به المثل فى كل أمر متعالم مشهور ، وللشريف النابه الذكر، فتقول : « ما يوم حليمة بسر » . وحليمة هذه هى بنت الحارث بن أبى شمر . وسبب إضافة اليوم اليها أنها أخرجت طيبا فى مِركَن فطيبت به جيش أبيها الذى وجّه به الى المنذر . قال النابغة يصف سيوفا :

تُوُورِثْنَ من أزمان يوم حليمة * الى اليوم قد جُرِّبن كل التجارب

(انظر: لسان العرب مادة حلم ونهاية الأرب ج ٣ ص ١ د طبع دار الكتب المصرية) . (٤) ندامتهم : منادمتهم ومجالستهم . (٥) الجادىّ : الزعفران . (٦) الزرابى : الطنافس . وفى الصحاح : النمارق، الواحد من كل ذلك زربية (بفتح الزاى وسكون الراء) . وقد ورد هذا البيت فى اللسان مادة قسب وبعض نسخ الديوان هكذا :

ترى فوق أذناب الروابى سواقطا * نعالا وقسوبا وريطا معضدا

(٧) كذا فى ديوانه ولسان العرب . والقسوب : خفاف لا واحد له . وفى الأصول : « قسيا » . (٨) الريط : جمع ريطة ، وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، أو هى كل ثوب لين رقيق . (٩) النمرق والنمرقة : وسادة صغيرة يتكأ عليها ، وما يفترشه الراكب فوق الرحل، وهو المراد هنا . وفى بعض نسخ الديوان : * وذو نَطَف يسعى ملصق خده * والنطف : القرط . والتكفاف، لعله يريد به الخياطة الثانية بعد الأولى التى هى الشل . وتقدد : تقطع وبلى .

تعييره الحارث بن هشام بفراره عن أخيه وردّ الحارث عليه

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت فى وقعة بدر يفخر بها ويعيّر الحارث ابن هشام بفراره عن أخيه أبى جهل بن هشام . وفيها يقول :

صــوت

إنْ كُنْتِ كاذبةَ الذى حدّثتِنى * فنجوتِ منجَى الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأحبّةَ أنْ يُقاتلَ دونهم * ونجا برأسِ طِمِرّةٍ[1] ولجامِ

٥

— غنّاه يحيى المكىّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى . ولعزّة المَيْلاء فيه خفيفُ رملٍ بالبِنْصَر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر لموسى بن خارجةَ الكوفىّ — فأجاب الحارث ابن هشام ، وهو مشرك يومئذ ، فقال :

صــوت

اللهُ[2] يعلَم ما تركتُ قتالَهم * حتّى رَمَوْا فرَسى بأشقرَ[3] مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أقاتلْ واحدًا * أُقتلْ ولا يضرُرْ عدوّى مشهدى
ففررتُ منهم والأحبّةُ فيهمُ * طَمَعًا لهم بعِقاب يومٍ مُرْصَدِ

١٠

غنّى فيه إبراهيم الموصلىّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبِنْصَر، وقيل : بل هو لفُلَيح .

تمثل رتبيل بشعر حسان فأنشده الأشعث ردّ الحارث فأعجب به

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيعٌ قال حدّثنى سليمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال :

١٥

(١) الطمرة : الأنثى من الجياد . وهى المستفزة للوثب والعدو ، وقيل : الطويلة القوائم الخفيفة .
(٢) انظر هذه الأبيات فى أشعار الحماسة وسيرة ابن هشام (ص ٥٢٠ طبع أوربا) . (٣) الأشقر من الدم : الذى صار علقا ولم يعله غبار . وزبده : البياض الذى يعلوه .

لمّا صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبِيل[1]، تمثّل رُتْبِيل بقول حَسّان بن ثابت فى الحارث ابن هشام :

تَرَكَ الأحِبَّةَ أنْ يُقاتِلَ دونَهُمْ * ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولِجامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ماسمعتَ ماردّ عليه الحارثُ بن هشام ؟ قال : وما هو ؟ فقال قال :

اللهُ يعلَم ما تركتُ قتالَهم * حتى رَمَوْا فرسى بأشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أُقاتِلْ واحدًا * أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّىَ مَشْهَدى
فصددتُ عنهمْ والأحِبّةُ فيهمُ * طمعًا لهم بعقاب يوم مُرْصَدِ

فقال رُتْبِيل : يامعشرَ العرب ، حَسَّنتم كلَّ شىء حتى حسّنتم الفِرارَ .

ذكر الخبر عن غزاة بدر

أخبار غزاة بدر

حدّثنى بخبرها محمد بن جرير الطبرى فى المَغازى قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ قال حدّثنى محمد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِىّ وعاصم بن عُمَر بن قَتادةَ وعبدُ الله بن أبى بكر ويزيد بن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزبير وغيرُهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس، كلٌّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث، فاجتمع حديثُهم فيما سمعتُ من حديث بدر، قالوا :

(١) رتبيل (و يقال فيه زنبيل كما فى الطبرى وابن الأثير) : صاحب الترك، كان بنواحى سجستان، وقد غزاه فى سنة ٧٩ هـ عبيدالله بن أبى بكرة، وكان واليا بسجستان، وتوغل فى بلاده وأصاب منه غنائم وأموالا وهدم قلاعا وحصونا. وغزاه فى سنة ٨٠ هجرية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج، فدخل بلاده وأخذ منها الغنائم واستولى على الحصون . وكتب إلى الحجاج بذلك ويشير عليه ألا يتوغل فى البلاد؛ فأبى الحجاج ذلك وكتب له ثلاثة كتب يأمره فيها بمحاربته والتوغل فى بلاده؛ وكان من جراء ذلك أن خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج وبايعه الناس، وكان من أمرهما ما كان مما تراه مفصلا فى كتب التاريخ .

ندب النبي المسلمين للعير واستنفار أبي سفيان لقريش

لمّا سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سُفيان مُقْبِلًا من الشام ندَب المسلمين إليهم، وقال : "هٰذه عِيرُ قريش فيها أموالُهم فآخرُجوا إليها؛ فلعلّ الله أن يُنفِّلَكُموها"[1] . فآنتدب الناسُ، نخفّ بعضُهم وثقُل بعضهم؛ وذلك أنّهم لم يظنُّوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقَى حربا . وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من

١٨ / ٤

٥ الحجاز وجعل يتجسّسُ الأخبارَ[2]، ويسأل مَنْ لَقِيَ من الرُّكبان، تَخَوُّفًا على أموال الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الرُّكبان أنّ محمدا آستنفر أصحابَه لك ولعيرك، فحَذِرَ[3] عند ذلك فآستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفَاريّ فبعثه إلى مكّة وأمَره أن يأتي قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم ويُخبِرُهم أنّ محمدًا قد عرَض لها في أصحابه؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكّة .

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

١٠ قال ابن إسحاق : وحدّثني مَنْ لا أتّهمُ عن عِكْرِمة مولى آبن عبّاس ويزيد بن رُومان عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَير قال[4] : وقد رأتْ عاتكة بنت عبد المُطّلب قبل قدوم ضَمْضَم [مكّةَ][5] بثلاث [ليالٍ][5] رُؤْيَا أفزعتْها ، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب، فقالت : يا أخي، والله لقد رأيتُ الليلةَ رؤيا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخلَ على قومك [منها][5] شرٌّ أو مُصيبة، فآكتُمْ عنّي[6] ما أحدّثك . قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت :

١٥ رأيتُ راكبًا أقبل على بعيرٍ له حتى وَقَفَ بالأبْطح، ثم صرَخ بأعلى صوته : أنِ آنفِروا

(١) نفّله النفل ونفّله (بالتضعيف) وأنفله : أعطاه الغنيمة أو الهبة .

(٢) في حـ والسيرة : « يتحسس » (بالحاء المهملة) . والتجسس والتحسس كلاهما بمعنى واحد وهو تطلّب الأخبار والبحث عنها .

(٣) في السيرة (ص ٤٢٨ طبع أوروبا) : « فحذر » .

٢٠ (٤) الذي في السيرة : « عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا » . وعكرمة هذا هو عكرمة أبو عبد الله البربري مولى ابن عباس ويروى عنه .

(٥) الزيادة عن سيرة ابن هشام . (٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : « عليّ » .

يا آلَ غُدَرَ[1] لمصارعكم فى ثلاث؛ وأرى[2] الناسَ قد آجتمعوا إليه، ثم دخل المسجدَ والناسُ يتبعونه؛ فبينما هُم حولَه مَثَلَ به بعيرُه على ظهر الكعبة، ثم صرَخ بأعلى صوته: انْفِرُوا يا آلَ غُدَرَ لمصارعكم فى ثلاث، ثم مَثَل به بعيرُه على رأس أبى قُبَيْس فصرَخ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلتْ تَهْوِى، حتّى إذا كانت بأسفل الجبل آرْفَضَّتْ[3]، فما بَقِى بيتٌ من بيوت مكةَ ولا دارٌ من دُورها إلّا دخلتْها منها فِلْقة. قال العباس: إنّ هذه لَرؤيا، وأنتِ فآكتُميها ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العبّاس فلَقِى الوليدَ بن عُتْبة ابن ربيعة، وكان له صديقًا، فذكرها [له][4] وآستكتمه إيّاها؛ فذكرها الوليدُ لأبيه عُتْبة، ففشا الحديثُ [بمكة][4] حتى تحدثتْ به قريش. قال العبّاس: فغدوتُ أطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش قُعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة. فلمّا رآنى أبو جهل قال: يا أبا الفَضْل، إذا فرغتَ من طَوَافك فأَقْبِلْ إلينا؛ فلمّا فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم. فقال لى أبو جهل: يا بنى عبد المطّلب[5]، متى حَدَثتْ فيكم هذه النَّبِيّة؟! قال: قلتُ: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التى رأتْ عاتكة. قلت: وما رأتْ؟ قال: يا بنى عبد المطّلب، أَمَا رَضِيتم أن تتنبّأ رجالُكم حتى تتنبّأ نساؤكم! قد زعمتْ عاتكة فى رؤياها أنّها[6] قالت: انْفِروا فى ثلاث؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاثَ؛ فإن يكن ما قالتْ حقًّا فسيكون، وإن تَمْضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء نَكْتُبْ كتابًا عليكم أنّكم أكذبُ أهلِ بيتٍ فى العرب. قال العبّاس:

(١) غدر: كصرد، وأكثر مايستعمل فى النداء فى الشتم؛ فيقال للفرد ياغدر، وللجمع ياآل غدر. وقال ابن الأثير: غدر معدول عن غادر للبالغة. ويقال للذكر: غدر، والأنثى غَدار (كقطام)، وهما مختصان بالنداء فى الغالب. (٢) فى السيرة: «فأرى». (٣) ارفضت: تفرّقت.
(٤) الزيادة عن سيرة ابن هشام. (٥) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «يابنى عبد مناف». ولا يخفى أن عبد مناف جد عبد المطلب. (٦) فى سيرة ابن هشام: «أنه قال انفروا الخ» ويكون المراد بضمير المذكر الهاتف الذى رأته.

فوالله ما كان إليه منّى كبيرٌ إلّا أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئا . قال : ثم تفرّقنا . فلمّا أمسينا[١] لم تبقَ امرأةٌ من بنى عبد المُطَّلب إلّا أتتنى فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقَع فى رجالكم ، و يتناولَ النساءَ وأنت تسمَع ، ولم يكن عندك غِيَرٌ[٢] لشىءٍ ممّا سمعتَ ؟ ! قلتُ : قد والله فعلتُ ، ما كان منّى إليه من كبير ، وأيْمُ الله لأتعرّضَنّ له ، فإنْ عاد لأكفِينَّكُنّه[٣] . قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغْضَبٌ أرَى [أنّى[٤]] قد فاتنى منه أمرٌ أُحبُّ أن أُدْرِكه منه . قال : فدخلتُ المسجدَ فرأيتُه ، فوالله إنّى لأمشى نحوَه العرِضْنة[٥] ليعود لبعض ما كان فأُوقِعَ به . وكان رجلًا خفيفًا حديدَ الوَجْه حديدَ اللّسان حديدَ النَّظَر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ[٦] . قال : قلت فى نفسى : مالَه لعنه الله ! أكُلُّ هذا فَرَقًا أنْ أُشاتِمه ! فإذا هو قد سمِع ما لم أسمَعْ ، صوتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارىّ وهو يصرُخ ببطن الوادى [واقفًا على بعيره قد جدَّع بعيرَه وحوّل رَحْلَه وشقّ قميصه وهو يقول][٤] : يا معشرَ قريش اللَّطيمةَ[٧] [اللطيمةَ ![٤]] أموالُكم مع أبى سفيان بن حَرْب قد عرَض لها محمد فى أصحابه ، لا أرَى أنْ تُدرِكوها ! الغَوْثَ الغوثَ ! قال : فشغَلنى عنه وشغَله عنّى ما جاء من الأمر . قال : فتجهَّز النّاسُ سِراعًا ، وقالوا : لا يظُنّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كعِيرِ ابن الحضرَمىّ[٨] ! كلّا والله ليعلَمنّ غيرَ ذلك ! فكانوا بين رجلين : إمّا خارجٌ و إمّا باعث مكانَه رجلا . وأوعبتْ قريش فلم يتخلّف من

خروج قريش و إرسال أبى لهب العاصى بن هشام مكانه

١٩/٤

(١) فى السيرة : « أمسيت » . (٢) مصدر قولك : غار الرجل على امرأته غيرة وغَيْرًا . (٣) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « لأكفينكموه » وهو تحريف إذ الخطاب لجماعة الإناث . (٤) زيادة عن السيرة . (٥) يقال : فلان يمشى العرضنة والعرضنَى أى فى مشيته بغى من نشاطه . وفى السيرة لابن هشام : « إنى لأمشى نحوه أتعرّضه » . (٦) يشتدّ : يعدو . (٧) اللطيمة : العير تحمل الطيب و بز التجار . (٨) هو عمرو بن الحضرمى . وقد أورد ابن هشام فى السيرة (ص ٤٣٠) خبر هذه العير .

أشرافها أحدٌ إلا أبو لَهَب بن عبد المُطلب تخلّف فبعث مكانَه العاصىَ بن هشام ابن المُغيرة، وكان لَطَّ[1] له بأربعة آلاف درهم كانتْ له عليه، فأفلس[2] بها، فاستأجره بها على أن يُجْزِئ عنه بَعْثَه، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب. هكذا فى الحديث.
فذكر أبو عُبَيدة وابنُ الكلبىّ: أنّ أبا لهب قامَر العاصىَ بن هشام فى مائةٍ من الإبل، فقَمَره[3] أبو لهب، ثم عاد فقَمَره أيضًا، ثم عاد فقَمَره أيضا الثالثةَ، فذهب بكلّ ما كان يَمْلِكه. فقال له العاصى: أرى القِداحَ قد حالفتْك يا بنَ عبد المطّلب، هَلُمّ نجعلْها على أيّنا يكون عبدًا لصاحبه؛ قال: ذلك لك؛ فدَحَاها[4] فقَمَره أبو لهب، فأسْلَمه قينًا، وكان يأخذ منه ضريبةً. فلما كان يومُ بَدْرٍ وأخذتْ قريش كلَّ مَنْ لم يخرُج بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشَرَط له العِتْقَ؛ فخرج فقتَله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه.

رجع الحديث إلى وقعة بدر

قال محمد بن إسحاق: وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح:
أنّ أُميّةَ بن خَلَف كان قد أجمع القعودَ، وكان شيخًا [جليلاً جسيما][5] ثقيلا، فجاءه عُقْبةُ بن أبى مُعَيْط وهو جالسٌ فى المسجد بين ظَهْرانَىْ قومه بمِجْمَرةٍ يحملها، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ[6]، حتّى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علىّ، اسْتَجْمِرْ فإنّما أنت

وبخ ابن أبى معيط أمية بن خلف لإجماعه القعود فخرج

(١) كذا فى هامش تاريخ الطبرى (ص ١٢٩٥ من القسم الأوّل). ولط الغريم بالحق: ماطل فيه ومنعه، ولط حقه: جحده. وفى حديث طهفة: "لا تلطط فى الزكاة" أى لا تمنعها. وفى الأصول: «لاط» وهو تحريف. (٢) فى السيرة: «أفلس» بدون الفاء.
(٣) قمره: غلبه فى المقامرة. (٤) دحاها: رماها. والدحو: رمى اللاعب بالحجر أو الجوز وغيره. وذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الحجر الذى يريدون رميه، ثم يتنحون عنها قليلا ويرمون بالأحجار اليها؛ فإن وقعت الأحجار فى الحفرة غلب صاحبها وإن لم تقع فيها غُلب. وتسمى تلك الأحجار المداحى، واحدها: مِدحاة. (٥) الزيادة عن السيرة. (٦) المجمر: العود يُتبخر به.

من النساء ! قال : قبّحك الله وقبّح ماجئتَ به ! ثم تجهّز وخرج مع الناس . فلمّا فرغوا من جَهازهم وأجمعوا السيرَ، ذكروا ما [كان](1) بينهم وبين بنى بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة(2) من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتُوا من خَلْفِنا .

تخوف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم

قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى يزيد بن رُومان عن عُرْوة بن الزُّبير قال : لمّا أجمعتْ قريش المسيرَ ذكرتِ الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مَنَاة(3)، فكاد ذلك أن يُثَبِّطهم، فتبدّى لهم إبليسُ فى صورة سُرَاقة بن جُعْشُم المُدْلِجىّ، وكان من أشراف بنى كِنانة، فقال : إنّى جارٌ لكم مِنْ أن تأتيكم كِنانةُ [من خَلْفكم](1) بشىء تكرَهونه، فخرجوا سِرَاعا .

خروج النبىّ وعدد جيشه والطريق التى سلكها

وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بَلَغنى عن غير ابن إسحاق — لثلاثِ ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظَّم فى ثلاثمائة وبِضْعة عَشَرَ رجلًا من أصحابه . فاختُلِف فى مبلغ الزيادة على العشرة، فقال بعضُهم : كانوا ثلاثمائة وثلاثة عَشَرَ رجلًا . وكان المهاجرون يومَ بَدْرٍ سبعةً وسبعين رجلًا، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلا، وكان صاحبُ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان صاحبُ راية الأنصار سَعْدَ بن عُبَادَة .

---

(1) الزيادة عن السيرة . (2) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « كنانة بن الحارث» وهو تحريف . (3) كانت الحرب التى بين قريش وبين بنى بكر فى ابن لحفص بن الأخيف أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى، قتله بنو بكر بضجنان، وكان خرج يبتغى بها ضالة له، بإيعاز من سيدهم عامر ابن يزيد بن عامر بن الملوح، فثار للغلام أخوه مكرز بن حفص فقتل عامر بن يزيد بأن قتله وخاض بطنه بسيفه، ثم أتى به الكعبة ليلا فعلقه بأستارها . فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقا بأستار الكعبة فعرفوه، فقالوا : إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٤٣١ طبع أوربا) .

حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مُصْعَب بن المِقْدَام ، قال أبو جعفر وحدّثنى محمد بن إسحاق الأَهْوازىّ قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبَيرىّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال[(١)] :

٢٠
―
٤

كنّا نتحدّث أنّ عِدّة أصحاب بَدْرٍ على عِدّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهر — ولم يَجُزْ معه إلّا مؤمن — ثلاثمائةٍ وبِضْعةَ عشَرَ .

٥

قال ابن إسحاق فى حديثه عمّن روَى عنه : وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وجعل على السّاقة[(٢)] قَيْسَ بن أبى صَعْصَعةَ أخا بنى مَازِن بن النجّار، فى ليالٍ مضتْ من رمضان ، فسار حتّى إذا كان قريبًا من الصّفْراء بعَث بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِىّ حليفَ بنى ساعِدةَ وعَدِىّ بن أبى الزَّغْباء حليفَ بنى النجّار إلى بدرٍ يتجسّسانَ[(٣)] له الخبرَ عن أبى سُفيان بن حَرْبٍ وغيرِه ، ثم ارتحلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقدّمهما . فلمّا استقبل الصّفْراءَ، وهى قريةٌ بين جبلين، سأل عن جبلَيْها ما أسماهما؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح ، وللآخر هذا مُخْرِئ ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار ، وبنو حُرَاق (بطنان من غِفَار) ؛ فكَرِههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمرورَ بينهما ، وتفاءَل[(٤)] بأسميهما وأسماءِ أهاليهما ، فتركَهما والصفراءَ يسارًا ، وسلَك ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له ذَفِرَان فخرج منه ، حتّى إذا كان ببعضه نَزَل ، وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمنَعوا عِيرَهم ؛ فاستشار النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الناسَ وأخبرهم

١٠

استشارة النبىّ لأصحابه وتأييد الأنصار له

١٥

(١) كذا فى الأصول . ولعله : « قالا » . (٢) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٣) فى حـ : «يتحسان» . (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٤) تفاءل هنا بمعنى تطير . والفأل يكون فيما يحسن ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء . وفى الحديث عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "لا عدوى ولا طِيرَةَ ويعجبنى الفأل الصالح" . والفأل الصالح : الكلمة الحسنة . وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحا ومنه ما يكون غير صالح .

٢٠

عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المِقْدادُ بن عمرو فقال : يارسولَ الله، امضِ لِمَا أمرك الله فنحن معك . والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهَبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنّا هاهُنا قاعدون، ولكن اذهَبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنّا معكما مُقاتلون مُعْلِمُون[1]. فوالّذى بعثَك بالحقِّ لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد[2] — يعنى مدينةَ الحبشة — لجالدنا معك حتّى تَبْلُغَه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير .

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبىّ قال حدّثنى إسماعيلُ بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المُخَارِق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال :

شَهِدتُ من المِقْداد مَشْهَدًا لَأَنْ أكونَ صاحبَه أحَبُّ إلىّ ممّا فى الأرض من كلِّ شىء ، كان رجلاً فارسا، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غَضِب ٱحمارّتْ وَجْنتاه، فأتاه المِقْدادُ على تلك الحال ، فقال : أَبْشِرْ يا رسول الله، فوالله لا نقولُ لك كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى : اذْهبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذى بعثَك بالحقِّ لنكونن بين يديك ومِنْ خَلْفك وعن يمينك وشِمالك أو يَفْتَحَ اللهُ تبارك وتعالى .

(١) أعلم نفسه : وسمها بسيما الحرب كعلّمها . (٢) برك الغماد (بفتح الباء وكسرها ، وبكسر الغين وضمها وقيل مثلث الغين) ، اختلف فيه فقيل : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر، وقيل : موضع فى أقصى أرض هَجَر ، وقيل : بلد باليمن ، وقيل غير ذلك . وورد فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) ما يؤيد التفسير الذى ذكره أبو الفرج . وورد أيضا فى معجم ما استعجم للبكرى (ص ١٤٨) ما نصه : « ... وفى حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا الى الحبشة ، حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة ... الخ » .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أشيروا علىّ أيها الناس". وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم كانوا عَدَدَ الناس، وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا بُرَآء من ذِمامك حتّى تصيرَ إلى دارنا، فإذا وصلتَ فأنت فى ذِمامنا، نَمنعُك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا. فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألّا تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرتَه إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عَدُوّه، وأنْ ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ فى غير بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سَعْدُ بن مُعاذ : والله لكأنك تُريدنا يا رسولَ الله. قال : "أجل". قال : فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشهِدْنا أنّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فامْضِ بنا يا رسولَ الله لِمَا أردت [فنحن معك][1]. فوالذى بعثك بالحقّ لو استعرضتَ[2] بنا هذا البحرَ وخُضْتَه لخَضْناه معك ما يتخلّف منّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقَى بنا عدوًّا غدًا. إنّا لَصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ[3] عند اللقاء، لعل الله تعالى أن يُرِيَك [منّا][1] ما تقَرّ به عينُك؛ فسِرْ بنا على بركة الله. فسُرّ[4] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [بقول سعد][1] ونَشّطه ذلك؛ ثم قال : "سِيرُوا على بركة الله وأبشِروا؛ فإنّ الله قد وعدَنى إحدى الطائفتين[5]، والله لكأنّى أنظر إلى مصارع القوم". ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرانَ[6]، وسَلَك على ثَنَايا يُقال لها

---

(١) زيادة عن السيرة. (٢) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضا. (٣) يقال : رجل صَدْق اللقاء، وقوم صُدْق (بالضم)، ومثاله فرس وَرْد وأفراس وُرْد. (انظر اللسان مادة صدق).

(٤) فى الأصول : «فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه ذلك». وما أثبتناه عن السيرة والكشاف للزمخشرى فى تفسير سورة الأنفال. (٥) يشير الى قوله تعالى فى سورة الأنفال : (وإذ يَعِدُكُمُ اللهُ إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون أنّ غيرَ ذاتِ الشَّوْكةِ تكونُ لكم ويريدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماته ويقطعَ دابرَ الكافرين). والطائفتان هما العير وهم ركب أبى سفيان، والنفير وهم أهل مكة الذين نفروا لمساعدته.

(٦) ذفران : واد قرب وادى الصفراء.

الأَصَافِر[1]، ثم انحطّ منها على بلد يقال له الدَّبَّة[2]، ثم ترك الحَنَّانَ[3] بيمين، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل، ثم نزل قريبًا من بَدْرٍ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه — قال الطبرىّ[4] قال محمد بن إسحاق : حدّثنى محمد بن يحيى بن حَبَّانَ — حتّى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبرانى ممن[5] أنتما. فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "إذا أَخبرتَنا أخبرناك". فقال : أَوَ ذاك بذاك ؟ فقال "نعم". قال الشيخ : فإنّه بلغنى أنّ محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإنْ كان صَدَقنى الذى أخبرنى، فهم اليومَ بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم). وبلغنى أنّ قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذى حدّثنى صَدَقنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به قريش). فلمّا فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نحن من ماء"، ثم انصرف الشيخ عنه. قال يقول الشيخ : ما من ماء ؟ أمِنْ ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه. فلما أمسى بعث علىَّ بن أبى طالب، رضى الله عنه، والزبيرَ بن العوّام، وسَعْدَ بن أبى وَقّاص فى نَفَرٍ من أصحابه إلى بَدْرٍ يلتمسون له الخبر عليه — قال محمد بن إسحاق: حدّثنى يزيد ابن رُومانَ عن عُرْوَةَ بن الزُّبير : — فأصابوا رَاوِيةً[6] لقريش فيها أَسْلَمُ غلامُ

نزول النبىّ قريبا من بدر وسؤاله شيخا عن قريش

أرسل النبى نفرا من أصحابه الى بدر يلتمسون له الخبر

قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش ومعرفة أخبارهم منهما

(١) الأصافر : جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة ؛ سميت بذلك لأنها هضبات صفر. (٢) الدبة : موضع قرب بدر. (٣) كذا فى السيرة ومعجم البلدان لياقوت. وفى جميع الأصول : « ثم نزل الحيان » وهو تحريف. (٤) كذا فى الطبرى والسيرة. وفى جميع الأصول وردت هذه العبارة هكذا : « قال الطبرى : قال محمد بن إسحاق حدّثنى محمد بن إسحاق حدّثنى محمد بن يحيى ابن حبان ... الخ ». ومحمد بن إسحاق المكرر هنا شخص واحد، وهو محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة الذى ينقل عنه الطبرى والذى يروى عن محمد بن يحيى بن حبان. (راجع تهذيب التهذيب وتراجم من روى عنهم محمد بن إسحاق المطبوع بليدن). (٥) كذا فى السيرة والطبرى. وفى الأصول : « من ». (٦) يراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب.

بنى الحجّاج ، وعَرِيضٌ[1] أبو يَسَار غلامُ بنى العاصى بن سعيد ، فأتَوْا بهما رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّى . فسألوهما[2] فقالا : نحن سُقَاةٌ لقريش بعثونا نَسْقيهم من الماء . فكرِه القومُ خبرَهما ورجَوْا أن يكونا لأبى سُفْيان فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما[3] قالا : نحن لأبى سفيان، فتركوهما . وركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلّم ، ثم قال : " إذا صَدَقاكم ضربتموهما ، فإذا كَذَباكم تركتموهما، صَدَقَا والله إنّهما لقريش . أخبِرانى أين قريش" ؟ قالا : هم وراء [هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى — و][4] الكثيبُ : العَقَنْقَل — فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "كَمِ القومُ" ؟ قالا : لا ندرى . قال : "كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم" ؟ قالا : يومًا تِسْعًا ويومًا عَشْرًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القوم ما بين التِّسعمائة[5] والألف " . ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فمَنْ فيهم من أشراف قريش" ؟ قالا : عُتْبةُ بن رَبيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام، وحَكِيمُ بن حِزَام، ونَوْفَلُ بن خُوَيْلِد، والحارثُ بن عامر بن نَوْفَل، وطُعَيْمةُ بن عَدِىّ ، والنَّضْرُ بن الحارث، وزَمَعَة[6] بن الأَسْوَد، وأبو جهل بن هشام، وأُمَيّةُ بن

(١) كذا فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٦) والطبرى (ص ١٣٠٣ من القسم الأوّل . وفى الأصول : «غريض بن يسار» بالعين المعجمة . (٢) كذا فى الطبرى والسيرة . وفى الأصول : «فقالوا» . (٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه . وفى حديث عائشة أنها كانت تصوم فى السفر حتى أذلقها الصوم أى أجهدها وأذابها وأقلقها . (٤) التكملة عن الطبرى والسيرة . (٥) الفصيح فى العدد المضاف أن يعرف المضاف إليه ، ويجوز بعضهم تعريف الطرفين . أما تعريف الأوّل دون الثانى فغير صواب . وعلى هذا يحمل ما ورد من الأحاديث من هذا النوع على أنه مروى بالمعنى . على أن بعضهم خرجه بتقدير مضاف نكرة ، فيقول فى مثل ما هنا : «بين التسع تسع مائة» . (٦) ضبطه صاحب المغنى فى أسماء رجال الحديث المطبوع بهامش تقريب التهذيب (ص ١٠١ طبع الهند) بالعبارة هكذا : «زمعة بزاى وميم مفتوحتين وعين مهملة وأكثر الفقها ، والمحدّثين يسكنون الميم ، والدموده ... الخ» . وقال صاحب القاموس . «وزمعة بالفتح ويحرّك» . وضبطه الفيومى فى المصباح بفتح الميم ، ثم قال : «والمحدّثون يقولون : زمعة بالسكون ، ولم أظفر به فى كتب اللغة» . وفى شرح المواهب اللدنية (ج ٣ ص ٢٧١) قال : «زمعة بزاى فميم فعين مهملة مفتوحات» . وقال ابن الأثير : «وأكثر ما سمعنا أهل الحديث والفقهاء يقولونه بسكون الميم . وقول المصباح : لم أظفر بالسكون فى كتب اللغة قصور ؛ فقد قدّمه القاموس ثم حكى الفتح ؛ فظاهره أن السكون أكثر لغة» .

٢٢ / ٤

خَلَف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج، وسُهَيل بن عمرو، وعمرو بن وُدّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : "هذه مكة قد رمتْ إليكم أفلاذَ كَبِدها" .

قال ابن إسحاق : وقد كان بَسْبَسُ بن عمرو وعَدىّ بن أبى الزَّغْباء مضيا حتى نزلا بدرًا فأناخا إلى تَلٍّ قريبٍ من الماء، ثم أخذا شَنًّا (٢) يستقيان فيه، ومَجْدىّ بن عمرو الجُهَنىّ على الماء، فسمع عَدىٌّ وبَسْبَسٌ جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان (٣) على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتى العيرُ غدا أو بعد غدٍ فأعمَلُ لهم ثم أَقْضيك الذى لك . قال مَجْدىٌّ : صَدَقْتِ، ثم خَلَّص بينهما. وسَمِع ذلك عدىٌّ وبَسْبَس فجلسا على بَعيرَيْهما ثم انطلقا حتى أَتَيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سَمِعا . وأقبل أبو سُفيان قد تقدّم العيرَ (٤) حَذِرًا حتى ورد الماءَ، فقال لمجدىّ بن عمرو : هل أحسستَ أحدًا ؟ قال : ما رأيتُ أحدًا أُنْكِره، إلّا أنّى رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُنَاخَهما فأخذ من أبعار بعيرَيْهما ففتّه فإذا فيه النَّوَى، فقال : هذه والله علائفُ يَثْرِب ! فرجع إلى أصحابه سريعًا فصرَف (٥) وَجْهَ عيره عن الطريق [فساحَلَ بها (٦)] وترك بدرًا يَسَارًا، ثم انطلق حتّى أسرع .

قدم أبو سفيان الى بدر متجسسا ثم اتجه بالعير نحو الساحل

رؤيا جهيم بن أبي الصلت

وأقبلت قريش، فلمّا نزلوا الجُحْفَةَ (٧) رأى جُهَيْمُ بن أبى الصَّلْت بن مَخْرَمةَ بن عبد المُطَّلِب بن عبد مَنَاف رُؤْيَا، فقال : إنّى رأيت فيما يرى النائم، وإنّى

(١) فى الأصول : « قالوا وقد كان بسبس الخ » ، والتصويب عن السيرة . (٢) الشنّ : القربة الخلق الصغيرة . (٣) يقال : لزم فلان غريمه ، اذا تعلق به . (٤) كذا فى صلب الطبرى (ص ١٣٠٥ قسم أوّل طبع أوربا) . وفى الأصول : « حين تقدم » . وفى سيرة ابن هشام : « حتى تقدم » وكلتا الروايتين أشير اليها فى هامش الطبرى . (٥) فى الطبرى والسيرة : « فضرب » .
(٦) زيادة عن السيرة . وساحل بها : اتجه بها نحو الساحل . (٧) الجحفة (بالضم) : ميقات أهل الشام ، وكانت قرية جامعة ، على اثنين وثمانين ميلا من مكة ، وكانت تسمى مَهْيَعة فنزل بها بنو عَبيل وهم إخوة عاد ، وكان أخرجهم العماليق من يثرب ، فجاءهم سيل الجُحاف فأجحفهم ؛ فسميت الجحفة .

لَبيْنَ النائم واليَقْظان إذْ نظرتُ إلى رجلٍ أقبَـلَ على فَرَسٍ ومعـه بعيرٌ له ثم قال: قُتِل عُتْبةُ بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأُميّةُ بن خَلَف، وفلانٌ وفلان — فعدّد رجالًا ممن قُتِل يومئذٍ من أشراف قريش — ورأيتُه ضرَب فى لَبّة[1] بعيره ثم أرسله فى العسكر، فما بَقِى خِباءٌ من أخبية العسكر إلّا أصابه نَضْحٌ من دمه. قال: فبلغتْ أبا جهل فقال: وهـذا أيضا نبيٌّ آخَرُ من بنى عبد المطّلب! سيعلم غدًا مَنِ المقتول إنْ نحن التقينا. ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عِيرَه، أرسل إلى قريش: إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورِجالَكم[2] وأموالكم فقد نجّاها الله فارْجِعوا. فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نَرِدَ بدرًا — وكان بدرٌ مَوْسِمًا من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سُوقٌ كلَّ عام — فنُقيم عليه ثلاثًا، ونَنْحَرُ الجُزُرَ ونُطْعِم الطعامَ ونسقى الخمور، وتَعْزِف علينا القِيَان، وتسمَع بنا العربُ [بمسيرنا وجمعنا][3]، فلا يزالون يَهابُوننا أبدًا، فامْضُوا. فقال الأَخْنَس بن شَرِيق ابن عمرو بن وَهْب الثَّقَفِىّ، وكان حليفًا لبنى زُهْرةَ، وهم بالجُحْفة: يا بنى زُهرة قد نَجّى اللهُ لكم عِيرَكم وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرَمةَ بن نَوْفَل، وإنّما نَفَرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بى جُبْنَها[4] وارجِعوا؛ فإنّه لا حاجةَ بكم فى أن تخرُجوا فى غير ضَيْعةٍ لما يقول هذا (يعنى أبا جهل)؛ فلم يَشْهَدْها زُهْرِىّ، وكان فيهم مُطاعا. ولم يكن بَقِى من قريش بطنٌ إلّا نَفَر منهم ناسٌ، إلّا بنى عَدِىّ بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد. فرجعتْ بنو زُهْرةَ مع الأَخْنَس بن شَرِيق، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحد. ومضى القوم. وقد كان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين بعض قريش محاورةٌ، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بنى هاشم — وإنْ خرجتم معنا — أنّ هواكم

(١) اللبة: المنحر وموضع القلادة من الصدر كاللبب. (٢) فى السيرة لابن هشام: «رجالكم» بالجيم المعجمة. (٣) زيادة عن السيرة. (٤) كذا فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨) وتاريخ الطبرى (ص ١٣٠٧ من القسم الأول). وفى الأصول: «فاجعلوا بى جبنها» وهو تحريف.

نالى بوجهل
رجوع بنى زهرة
اتهام قريش لبنى هاشم

[الخ] محمد؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع. وأمّا ابنُ الكلبيّ فإنه قال فيما حُدِّثتُ[1] عنه: شَخَص طالبُ بن أبى طالب إلى بَدْرٍ مع المشركين، أُخْرِجَ كَرْهًا، فلم يُوجَد فى الأَسْرى ولا فى القَتْلَى ولم يرجع إلى أهله، وكان شاعرًا، وهو الذى يقول:

يا رَبِّ إمّا يَغْـزُوَنّ طـالِبْ * فى مِقْنَبٍ[2] من هـذه المَقَانِبْ

فَلْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ * ولْيَكُنِ المغلوبَ غيرَ الغالبْ

٢٣ / ٤

٥

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادى

قال: ومضت قريشٌ حتّى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادى خَلْفَ العَقَنْقَل. وبطنُ الوادى، وهو يَلْيَل[3]، بين بَدْرٍ وبين العقنقل: الكثيب الذى خَلْفَه قريشٌ. والقَلِيب ببدر من العُدْوة الدُّنْيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة. وبعث اللهُ عزّ وجلّ السماءَ، وكان الوادى دَهْسًا[4]، فأصاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم [وأصحابَه منها][1] ما لَبَّدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ، وأصاب قريشًا منها ما لم يَقْدِروا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يبادرهم إلى الماء حتّى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به.

١٠

أشار الحباب بن المنذر على النبيّ برأى فاتبعه

قال ابن إسحاق: فحدّثنى عشرة رجالٍ[5] من بنى سَلِمَة ذكروا أنّ الحُبَابَ بن المُنْذِر بن الجَمُوح قال: يارسولَ الله، أرأيتَ هذا المنزلَ، أمنزلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ ليس لنا

١٥

(١) الزيادة عن السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨ طبع أوربا). (٢) المقنب: جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هى دون المائة. (٣) يليل (بتكرير الياء المفتوحة): اسم واد يدفع فى بدر. وفى معجم ما استعجم (فى الكلام على رضوى): «ووادى يَنْبُع يليل يصب فى غَيْقة». وفى الأصول: «تليل» بالتاء المثناة من فوق فى أوّله، وهو تصحيف. (٤) الدهس: هو كل لين سهل لايبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولاطين كالدَّهاس، وقيل أيضا: الأرض السهلة يثقل فيها المشى. (٥) فى السيرة: «قال ابن إسحاق: فحدّثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا الخ».

٢٠

أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأى والحرب والمَكيدة ؟ قال : " بل هو الرأى والحرب والمكيدة " . فقال : يا رسولَ الله ، إنّ هـذا ليس لك بمنزل ، فانهَض
من مياه القوم فننزلَه ، ثم نُعوِّر(١) ما سواه من القُلُب ثم نبنىَ
ءُ نُقاتِلَ القومَ فنشربَ ولا يشربوا . فقال رسولُ الله صلى الله
تَ بالرأى " . فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ومَنْ معه ٥
ن ماءٍ من القوم فنزل عليه ، ثم أَمَر بالقُلُب فعُوِّرَتْ(٢) وبَنَوْا
ى نزل عليه فمُلِئَ ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى محمد بن أبى بكر أنّ سعدَ بن مُعَاذ قال : يا رسول الله ، نَبْنِى لك عَرِيشًا من جريدٍ فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك ، ثم نَلْقَى عدوّنا ؛ فإن نحن أعزّنا الله وأظهَرَنا على عدوّنا كان ذلك(٣) ما أحببنا ، وإن كانت الأُخرى جلستَ ١٠
على ركائبك فلَحِقْتَ بمن وراءنا من قومنا ؛ فقد تخلّف عنك أقوامٌ يا نبىّ الله ما نحن بأشدَّ حُبًّا لك منهم ، [ولو ظنّوا(٤) أنّك تلقَى حربًا ماتخلّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك] . فأثنى [عليه](٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

إقبال قريش دعاء النبىّ عليها

ثم بُنِى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ وأقبلتْ . فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصوّبُ(٦) من العقنقل ١٥
— وهو الكثيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى قال : " اللّهُمّ هٰذى قريشٌ قد أقبلتْ بخُيَلائها وفَخْرها تُحَادُّك وتكذّب رسولَك . اللّهمّ فنَصْرَكَ الذى وعدتَنى . اللّهمّ فأَحِنْهُم(٧)

---

(١) كذا فى الطبرى والسيرة . وعوّر العين أو القليب : طمّه وردمه . وفى الأصول : « نغوّر » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف . (٢) كذا فى السيرة والطبرى . وفى الأصول : «فغوّرت» بالغين المعجمة . (٣) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «ذلك مما» . (٤) زيادة عن السيرة ٢٠
وتاريخ الطبرى . (٥) الزيادة عن السيرة (ج ١ ص ٤٤٠ طبع أوروبا) . (٦) التصوّب : الانحدار من علو . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . وحان الرجل : هلك . وأحانه الله : أهلكه .

الغـداة » . وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ورأى عُتْبةَ بن ربيعةَ فى القوم على جمل له أحمرَ : « إنْ يَكُنْ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يُطيعوه يَرْشُدوا » . وقد كان خُفَاف [بن إيماء][1] بن رَحَضة الغِفَارىّ ، أو أبوه[2] أيْمَا ابن رَحَضةَ ، بعث إلى قريش حين مرُّوا به ابنًا له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إنْ أحببتم أن نُمِدّكم[3] بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا . فأرسلوا [إليه][1] مع ابنه : أنْ وَصَلتْك رَحِمٌ ! فقد قضيتَ الذى عليك . فلَعَمْرى لئن كنّا إنّما نُقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم][1] ، ولئن كنّا نُقاتل الله كما يزعُم محمد فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ . فلمّا نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتّى وردوا الحوضَ حوْضَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « دَعُوهم » . فما شَرب منهم رجلٌ إلّا قُتِل يومئذ ، إلّا ما كان من حَكِيم ابن حِزَامٍ فإنّه لم يُقتَل ، نجا على فرس له يقال له الوَجيه ، وأسلمَ بعـد ذلك فحَسُنَ إسلامُه ؛ فكان إذا اجتهد [فى][1] يمينه قال : والذى نجّانى من يوم بَدْرٍ .

عرض خفاف بن إيماء معونتـه على قريش

٢٤ / ٤

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاقُ بن يَسَارٍ وغيرُه من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا :

بعثت قريش عمير ابن وهب متجسسا فأخبرهم بما روعهم

لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَيْر بن وَهْبٍ الجُمَحىّ فقالوا : احْزُرْ[4] لنا أصحابَ محمد ؛ فاستجال بفرسه حولَ العسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلًا أو ينقُصونه ، ولكن أمهِلُونى حتّى أنظر : أللقَوْمِ كَمِينٌ أو مَدَدٌ . قال : فضرب فى الوادى حتى أمعنَ ، فلم ير شيئا ، فرجع فقال : لم أرَ شيئًا ، ولكن قد رأيتُ

(١) الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبرى . (٢) فى الأصول : « أخوه » . والتصويب عن السيرة وتاريخ الطبرى . و إيماء بكسر الهمزة مع المدّ أو بفتحها مع القصر . ورحضة بالتحريك أو بالفتح ، أو بالضم ، أقوال فيه . (انظر شرح القاموس مادة رحض) . (٣) كذا فى السيرة . وفى الأصول والطبرى : « أمدّكم » . (٤) الحزر : التخمين والتقدير .

يا معشر قريش الوَلَايَا[1] تحمل المنايا ! نَوَاضِحُ[2] يثرب تحمل الموت الناقع ! قومٌ ليس لهم مَنَعة ولا ملجأٌ إلّا سيوفُهم . والله ما أرى أن يُقْتَل رجلٌ منهم حتّى يقتلَ رجلًا منكم ! فإذا اصابوا منكم أعدادَهم ، فما خيرُ العَيْش بعد ذلك ! فَرَوْا رأيَكم . فلمّا سمع حكيم بن حِزَامٍ ذلك مشى فى الناس فأتى عُتْبةَ بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد ، إنّك كبيرُ قريش الليلةَ وسيِّدُها والمطاعُ فيها ، هل لك إلى أمرٍ لا تزالُ تُذْكَرُ منه بخيرٍ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : تَرْجِع بالناس وتَحْمِل دَمَ حليفك عمرو بن الحَضْرَمىّ . قال : قد فعلتُ ، أنت على ذلك شهيدٌ ، إنما هو حليفى فعلىّ عقلُه[3] وما أُصيبَ من ماله ؛ فأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيّةِ[4] فإنّى لا أخشَى أن يَسْحَرَ الناسَ غيرُه (يعنى أبا جهل بن هشام) .

ن حكيم بن حزام حديث بدر لمروان بن الحكم

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنا غمامةُ[5] بن عمرو السَّهْمِى قال حدّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليَرْبُوعىّ عن أبيه عن سعيد بن المُسَيَّب قال :

بينا نحن عند مَرْوانَ بنِ الحَكَم إذ دخل عليه حاجبُه فقال : هذا أبو خالدٍ حَكِيمُ ابنُ حِزَامٍ . قال : إيذَنْ له . فلمّا دخل حَكِيمُ بن حِزَام ، قال : مرحبًا بك يا أبا خالد ، اُدْنُ ؛ فحَال له مَرْوان عن صَدْرِ المجلس حتّى كان بينه وبين الوِسادة ، ثم استقبله مروانُ فقال : حَدِّثنا حديثَ بَدْرٍ . قال : خرجْنا حتّى إذا نزلنا الجُحْفَةَ رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قُرَيش بأَسْرِها ، فلم يَشْهَدْ أحدٌ من مشركيهم بدرًا ؛ ثم خرجْنا حتّى نزلنا العُدْوةَ التى

(١) الولايا : جمع ولية ، وهى البرذعة أو ما تحتها . (٢) النواضح : جمع ناضح . والناضح : البعير يستق عليه ، ثم استعمل فى كل بعير وإن لم يحمل الماء . (٣) العقل : الدية .

(٤) قال ابن هشام : الحنظلية أم أبى جهل ، وهى أسماء بنت مُخَرِّبة أحد بنى نهشل بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . (٥) كذا فى الأصول بالغين المعجمة . وقد ذكر الطبرى (قسم أوّل ص ١٣١٣) هذا القصة بهذا الإسناد ، وفيه : « عمامة بن عمرو السهمى » بالعين المهملة . وفى هامشه فى الصفحة نفسها نقلا عن نسخة أخرى : «غمامة» بالغين المعجمة كما فى الأصول . وفى القسم الثالث من الطبرى (ص ٢٦٨) : «عثامة بن عمرو السهمى» . وفى هامشه فى الصفحة نفسها نقلا عن نسختين أخريين : «غمانة» بالغين و «عثامة» بالعين والثاء . ولم نعثر على هذا الاسم فى كتب التراجم حتى نستطيع ترجيح أحد هذه الأسماء .

قال الله عزّ وجلّ؛ لجئتُ عُتْبَةَ بن ربيعة فقلتُ: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهبَ بشَرَف هذا اليومِ ما بَقِيتَ؟ قال: أفعلُ ماذا؟ قال: قلتُ: إنّكم لا تطلبون من محمد إلّا دَمَ واحدٍ: (ابن الحضرمىّ) وهو حليفُك، فتحمَّلْ دِيَتَه فيرجعَ الناسُ. قال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل دِيتَه، فاذهَبْ إلى ابن الحَنْظَلِيّة (يعنى أبا جهل) فقل له: هل لك أن ترْجِع اليومَ بمن معك عن ٱبن عمِّك؟ فجئتُه فإذا هو فى جماعةٍ من بين يديه ومِنْ ورائه، فإذا ٱبنُ الحضرمىّ واقفٌ على رأسه وهو يقول: قد فسختُ عَقْدِى من بنى عبد شمس، وعَقْدِى إلى بنى مخزوم. فقلتُ له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليومَ عن ٱبن عمِّك بمن معك؟ قال: أمَا وجد رسولًا غيرَك؟ قلتُ: لا، ولم أكن لأكونَ رسولًا لغيره. قال حكيم: فخرج مُبادِرًا إلى عُتْبة وخرجتُ معه لئلا يفوتنى من الخبر شىء، وعُتْبةُ يتّكئ على إيماء بن رَحَضَة الغِفَارىّ، وقد أهدَى إلى المشركين عشرَ جزائرَ، فطلَع أبو جهل والشرُّ فى وجهه، فقال لعُتْبة: انتَفَخَ سَحْرُك[1]! فقال عُتْبة: فستعلم. فسَلَّ أبو جهل سيفَه فضرب به مَتْنَ فرسه؛ فقال إيماء بن رَحَضَة: بئس المُقَامُ هذا! فعند ذلك قامت الحربُ.

٢٥ / ٤

رجع الحديث إلى ٱبن إسحاق

نصح عتبة بن ربيعة قريشا بالرجوع فأبى أبو جهل

ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيبًا، فقال: يامَعْشَرَ قريش، والله ما تصنَعون بأن تَلْقَوْا محمدا وأصحابَه شيئا! والله لئن أصبتموه، لا يزال الرجلُ منكم ينظُر فى وجه رجلٍ يكره النظرَ إليه، رجلٍ قَتَلَ ابنَ عَمِّه أو ابنَ خاله أو رجلًا من عشيرته، فٱرجِعُوا وخَلُّوا بين محمد وبين سائر العرب؛ فإن أصابوه فذلك الذى أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم[2]

(١) يكنى بانتفاخ السحر عن مجاوزة القدر، ولكنه هنا كناية عن الجبن؛ وذلك أن الجبان يملأ الخوف جوفه فينتفخ سحره. والسحر: الرئة وما حولها مما يعلق به الحلقوم فوق السرة.

(٢) فى ح: «ألفاكم ولم تعرضوا منه لما تريدون».

ولم تعدموا منه ما تريدون. قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل[1] درعا له من جرابها وهو يهيئها[2]، فقلت له : يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا (الذى قال)؛ فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه . كلا والله ! لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه؛ وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور[3]، وفيهم ابنه قد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى فقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك[4] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف[5] ثم صرخ : وا عمراه ! واعمراه ! فحميت الحرب، وحقب[6] أمر الناس، واستوسقوا[7] على ماهم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة بن ربيعة . ولما بلغ عتبة قول أبى جهل : «انتفخ سحره» قال : سيعلم مصفر الاست من انتفخ سحره: أنا أم هو ! ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه فلم يجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ؛ فلما رأى ذلك اعتجر[8] على رأسه ببرد له . وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره

أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل

(١) نثل : أخرج . (٢) كذا فى م ، وهو الموافق لما فى السيرة والطبرى . وفى سائر الأصول : «عن جرابها» . (٣) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم . (٤) كذا فى السيرة وتاريخ الطبرى . والخفرة : الذمة والعهد . وفى الأصول : «حقوقك» . (٥) كذا فى م والسيرة والطبرى . وفى القاموس : «واكتشفت المرأة لزوجها : بالغت فى التكشف له عند الجماع» . فلعله يريد أنه أشرف على شىء عال أو نحو ذلك حتى انكشف للناس ثم صرخ فيهم . وفى سائر الأصول : «فاكتنف» ، وهو تحريف . (٦) حقب أمر الناس : فسد . (٧) استوسقوا : اجتمعوا . (٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبيّ من قتلهم

تَشْخَبُ رجلُه دمًا نحوَ أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يُريد أن يُبرّ يمينَه، وأتبعه حمزةُ فضربه حتّى قتله فى الحوض. ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبةَ بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبةَ، حتّى إذا نَصَل[1] من الصَّفّ دعا إلى المُبارزة، فخرج إليه فِتْيةٌ مِنَ الأنصار ثلاثةُ نفرٍ، وهم: عَوْف[2] ومُعوِّذ ابنا الحارث، وأمُّهما عَفْراء، ورجلٌ آخر يقال: هو عبد الله بن رَوَاحةَ[3]؛ فقالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: رَهْطٌ من الأنصار. قالوا: مالنا بكم حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "قُمْ يا حمزةُ بنَ عبد المطّلب، قُمْ يا عُبَيدةُ ابنَ الحارث، قم يا علىّ بن أبى طالب". فلمّا قاموا ودَنَوْا منهم، قالوا: مَنْ أنتم؟ فقال عُبيدة: عُبَيْدةُ[4]، وقال حمزة: حمزة، وقال علىٌّ: علىّ. قالوا: نعمْ أكفاءٌ كِرَامٌ. فبارز عُبَيدةُ بنُ الحارث، وكان أسنَّ القوم، عُتْبَةَ بن ربيعة؛ وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة؛ وبارز علىٌّ الوليدَ بن عُتْبَة. فأمّا حمزةُ فلم يُمْهِلْ شيبةَ أنْ قتله. و[أمّا][5] علىٌّ فلم يُمْهِل الوليدَ بن عُتْبَة أنْ قتله. واختلف عُبَيدةُ وعُتْبةُ بينهما بضربتين كلاهما أَثْبَتَ[6] صاحبَه؛ فكرّ حمزة وعلىٌّ على عتبة بأسيافهما فذَفَّفا[7] عليه فقتلاه، واحتملا صاحبَهما عُبيدة، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطعتْ رِجْلُه ومُخُّه يَسيل. فلمّا أتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ألستُ شهيدًا يا رسولَ الله؟

٢٦ / ٤

(١) كذا فى سيرة ابن هشام. ونصل: خرج. وفى الأصول والطبرى: «فصل» بالفاء.
(٢) كذا فى م، وهو الموافق لما فى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٣ طبع أوربا) وتاريخ الطبرى (ص ١٢١٠، ١٢١٢، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٣٦ من القسم الأوّل طبع أوربا) وطبقات ابن سعد. وفى الأصول: «عوذ» بالذال المعجمة فى آخره، وهو قول لبعضهم فى اسمه حكاه ابن عبد البر فى الاستيعاب وابن حجر فى الإصابة. (٣) كذا فى السيرة. وفى الأصول والطبرى: «يقال له عبد الله بن رواحة». ولا يخفى ما بين التعبيرين من خلاف. (٤) فى ح، ب: «نحن». (٥) زيادة عن م والسيرة والطبرى. (٦) أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح. (٧) ذفف على الجريح: أجهز عليه.

قال " بلى " . فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حيًّا لعلِم أنّى بما قال أحقُّ منه حيث يقول :

ونُسْلِمُه[1] حتّى نُصَرَّعَ حولَه * ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عاصمُ بن عُمَر بن قَتَادَةَ : أنّ عُتْبَةَ بن ربيعة قال للفِتْيةِ من الأنصار حين انتسبوا له : أكفاءٌ كِرامٌ، إنما نُريد قومنا . ثم تزاحفَ الناسُ ودنا بعضُهم من بعض — وقد أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [أصحابَه[2]] ألّا يحملوا حتى يأمُرَهم ، وقال : " إن اكتنفكم القومُ فانْضَحُوهم بالنَّبْل " — ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَرِيش معه أبو بكر .

وكانت وَقْعةُ بدرٍ يومَ الجمعة صَبِيحةَ سبعَ عَشْرةَ من شهر رمضان ، قال ابن إسحاق : كما[3] حدّثنى أبو جعفر محمد بن علىّ بن الحسين .

تعديل النبى لصفوف أصحابه وقصة سواد بن غزية

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابنُ حُمَيد[4] قال حدّثنا سَلَمةُ قال قال لى محمد بن إسحاق حدّثنى حَبّان[5] بن واسع بن حَبّان عن أشياخ من قومه :

(١) هذا البيت من قصيدة أبى طالب التى مطلعها :

خليلىّ ما أُذنى لأوّل عاذل * بصغواء فى حق ولا عند باطل

وقبل هذا البيت :

كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمدا * ولمّا نُطاعن دونه ونُناضل

ونبزى : نُغْلَب ونقهر ، وهو على تقدير النفى . ومحمد نصب على نزع الخافض ، أى لا نغلب عليه . ونسلمه (بالرفع) معطوف على نبزى أى لا نسلمه . وقد ورد هذا البيت فى اللسان مادة (بزا) هكذا :

كذبتم وحق الله يبزى محمد * ... ... الخ

ومعناه ، كما فى اللسان ، يُقهر ويستذل . وهو على تقدير النفى أيضا . (٢) زيادة عن السيرة والطبرى .

(٣) كذا فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى . وفى الأصول : «قال ابن إسحاق فحدّثنى الخ» وهو خطأ .

(٤) كذا فى الطبرى وتهذيب التهذيب ، وهو محمد بن حميد بن حيان التميمى أبو عبد الله الرازى أحد شيوخ ابن جرير الطبرى وممن رووا عن سلمة بن الفضل . وفى الأصول : « أبو أحمد » وهو خطأ .

(٥) كذا فى السيرة (ص ٤٤٤ طبع أوروبا) ، وهو حبان بن واسع بن حبان بن منقذ أحد شيوخ محمد ابن إسحاق (راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٧٠ ، وكتاب من روى عنهم محمد بن إسحاق ص ٩ طبع ليدن) . وفى الطبرى : « حبان بن واسع بن حبان بن واسع » . وفى جميع الأصول : « واسع حبان ابن واسع » .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدر، وفى يده قِدْح[1] يُعَدِّل به القومَ، فمرّ بسَوَاد بن غَزِيّة[2] حليف بنى عَدِىّ بن النجّار وهو مُسْتَنْتِل[3] من الصفّ، فطعَن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى بطنه بالقِدْح، ثم قال: "اسْتَوِ يا سواد بن غزيّة". فقال: يا رسول الله، أوجعتَنى! وقد بعثك الله بالحقّ، فأَقِدْنى.

٥ قال: فكشَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن بطنه وقال: "اسْتَقِدْ"؛ فاعتنقه وقبّل بطنَه. فقال: "ما حَمَلك على هذا يا سَوّاد"؟ فقال: يارسول الله، حضر ماترى، فلم آمَن الموتَ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسّ جِلْدى جلدَك؛ فدعا له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بخير وقال له خيرا. ثم عدّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الصفوف، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيرُه، ورسولُ الله

١٠ صلّى الله عليه وسلّم يُناشد ربَّه ما وَعَده من النصر، ويقول فيما يقول: "اللّهمّ إنْ تَهْلِكْ هذه العصابة اليومَ — يعنى المسلمين — لا تُعْبَد بعد اليوم"، وأبو بكر يقول: يا نبىَّ الله خَلِّ بعضَ مُناشدتك ربَّك؛ فإنّ اللهَ مُنجِزٌ لك ما وعدك.

دعاء النبىّ يوم بدر

حدّثنا محمد بن جَرِير قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبىّ قال حدّثنا عبد الله بن المُبَارَك عن عِكْرِمة بن عَمّار قال حدّثنى سِمَاكٌ الحَنَفىّ قال سمعتُ ابنَ عبّاس يقول:

١٥ حدّثنى عمر بن الخطاب قال:

لمّا كان يومُ بدر ونظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المشركين وعِدّتِهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثلاثمائة، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول: "اللّهمّ

(١) القدح (بالكسر): السهم قبل أن ينصل ويراش. (٢) ورد هذا الاسم هكذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣١٩ قسم أول) وأسد الغابة (ج ٢ ص ٣٧٤) وطبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٧٢ من القسم الثانى). وفى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٤، ٥٠٤ طبع أوربا) قال ابن هشام فى الموضعين:

٢٠ «ويقال سَوّاد بن غزية». وفى الإصابة (ج ٣ ص ١٤٨ طبع مصر) فى الكلام على سواد بن غزية: «المشهور أنه بتخفيف الواو، وحكى السهيلى تشديدها». (٣) كذا فى س، والطبرى والسيرة. ونتل من بين الصف واستنتل: تقدّم. وفى سائر الأصول: «استنثل» بالثاء المثلثة.

أَنْجِزْ لى ما وعدتنى . اللّهُمّ إن تَهْلِكْ هذه العِصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَدْ فى الأرض"، فلم يَزَل كذلك حتى سَقَط رداؤُه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاكَ يا نبيَّ الله ، بأبى أنت وأُمّى ، مناشدتُك لربّك ، سَيُنْجِزُ لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ[(1)] ﴾ . ٥

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن وَكِيع قال حدّثنا الثَّقَفِىّ (يعنى عبدَالوهّاب) عن خالد عن عِكْرِمة عن ابنِ عبّاس :

أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال وهو فى قُبّتِه[(2)] يومَ بدرٍ "اللّهُمّ أسألُك عهدَك ووَعْدَك . اللّهمّ إن شئتَ لم تُعْبَدْ بعد اليوم" . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حَسْبُك يا نبىّ الله ، فقد ألححتَ على رَبّك ، وهو فى الدِّرْع ؛ فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعةُ أَدْهَى وأَمَرُّ ﴾ . ١٠

٢٧ / ٤

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

أخذت النبىّ سنة ثم انتبه مبشرا بالنصر ومحرّضا على القتال

قال : وقد خَفَق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَفْقةً وهو فى العَرِيش ، ثم انتبه فقال : "يا أبا بكر أتاك نَصْرُ الله ، هذا جبريلُ آخذٌ بعِنَانِ فَرَسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْعُ[(3)]" . قال : وقد رُمِى مِهْجَعٌ مولى عُمَر بن الخطّاب بسهمٍ فقُتِل ، فكان أوّلَ قتيلٍ من المسلمين . ثم رُمِى حارثةُ بن سُرَاقةَ أحدُ بنى عَدِىّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض [بسهمٍ فأصاب نَحْرَه[(4)]] فقُتِل . ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الناس فحرّضهم ونَفَّل كلَّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : "والذى نَفْسى بيده لا يُقاتلهم ١٥

(١) مردفين : متتابعين بعضهم فى إثر بعض . (٢) كذا فى تاريخ الطبرى . والمراد بالقبة العريش الذى نصب له . وفى الأصول : « فى فتية » وهو تحريف . (٣) النقع : الغبار . ٢٠
(٤) زيادة عن السيرة .

استهانة أصحاب النبي بالموت في سبيل حسن الثواب

اليومَ رجلاً فيُقتَلَ صابرًا مُحتسبًا مُقبِلاً غيرَ مُدْبِرٍ إلا أدخله اللهُ الجنّة". فقال عُمَيْر ابن الحُمَام أخو بنى سَلِمَة وفى يده تَمَراتٌ يأكلها : بَخٍ بَخٍ ! أمَا بينى وبين أن أدخلَ الجنّةَ إلّا أن يقتلنى هؤلاء! قال: ثم قَذَف التَّمَراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتلَ القومَ حتى قُتِل، وهو يقول :

رَكْضاً إلى اللهِ بغيرِ زَادِ * إلّا التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ
والصَّبْرَ فى اللهِ على الجِهَادِ * وكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
* غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ *

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا ٱبن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ قال حدّثنا محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عُمَر بن قَتَادَةَ :

١ أنّ عَوْفَ بنَ الحارث، وهو ابنُ عَفْرَاء، قال: يا رسولَ الله، ما يُضْحِك الربَّ من عبده ؟ قال : "غَمْسُه يَدَه فى العدوّ حاسرا"؛ فنزَع دِرْعاً كانت عليه فقذَفها، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتِل .

التقاء الفريقين وهزيمة المشركين

حدّثنا محمد قال حدّثنا ٱبن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ عن ابن إسحاق قال وحدّثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِىّ عن عبد الله بن ثَعْلَبة بن صُعَيْر العُذْرِىّ حليف بنى زُهْرَةَ قال:

١ لمّا ٱلتقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعضٍ [1]، قال أبو جهل : اللّهمّ أقْطَعُنا للرَّحِم وآتانا بما لا يُعرَف فأَحِنْهُ الغَداةَ؛ فكان هو المُسْتَفْتِحَ على نفسه . ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ حَفْنَةً من الحصباء وٱستقبل بها قريشا، ثم قال: "شاهتِ الوجوهُ" ثم نَفَحهم [2] بها ، وقال لأصحابه : "شُدُّوا"؛ فكانتِ الهزيمةُ، فقتَلَ اللهُ مَنْ قَتَلَ من صَناديد قريش، وأَسَرَ مَنْ أَسَرَ منهم. فلمّا وضع القومُ أيديَهم

٢ (١) كذا فى م والسيرة . وفى باقى الأصول : «ودنا بعضهم من بعضهم» . (٢) نفحهم : ضربهم .

يأمِنرون — ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَرِيش، وسعدُ بن مُعاذ قائمٌ على باب العريش الذى فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مُتَوَشِّحًا بالسيف فى نَفَرٍ من الأنصار، يحرُسون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، يخافون عليه كَرّةَ العَدوّ — رأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما ذُكِرَ لى — فى وجه سعد بن مُعاذ الكراهـةَ فيما يصنع الناس؛ فقال له : "كأنك كَرِهْتَ ما يصنع الناس" ! قال : أجَلْ يا رسولَ الله! كانت أوّلَ وَقعـةٍ أوقعها الله عزّ وجلّ بأهل الشِّرْك؛ فكان الإثخانُ فى القَتْـل أعجَبَ إلىّ مِنَ استبقاء الرجال .

نهى النبىّ عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين مع قريش

حدّثنـا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ عن محمد بن إسحاق قال، وحدّثنى العَبّاس بن عبد الله بن مَعْبَد[1] عن بعض أهله عن ابن عبّاس :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه يومئذ : "إنّى قد عرفتُ أنّ رجالًا من بنى هاشم [وغيرهم][2] قد أُخرِجوا كُرْهًا لاحاجةَ لهم بقتالنا؛ فمَنْ لَقِىَ منكم أحدًا من بنى هاشم فلا يقتُلْه، ومَنْ لَقِىَ أبا البَخْتَرِىّ [بن هشام] بن الحارث فلا يقتُلْه، ومَنْ لَقِىَ العبّاسَ بن عبد المُطّلب — عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلا يقتُلْه، فإنّما خرج مُسْتَكْرَهًا". قال : فقال أبو حُذَيفةَ بن عُتْبةَ بن ربيعة : أيُقتَلُ آباؤُنا وأبناؤنا وإخوانُنا[3] وعشيرتُنا ونترك العبّـاس! والله لئن لَقِيتُه لَأُلْحِمَنّه[4] السيفَ! فبلغتْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم، فجعل يقول لعُمَر بن الخطّاب : "يا أبا حَفْص أمَا تسمعَ إلى قول أبى حُذَيفةَ يقول أضرب وجهَ عمّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - بالسيف". فقال عمر : يا رسولَ الله، دَعْنى فَلأَضْرِبَنّ عُنُقَه بالسيف، فوالله لقد نافقَ . قال

(١) كذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٢٣ من القسم الأوّل طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٤٦ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ١٢٠ طبع الهند). وفى الأصول : «مصعب» وهو تحريف .
(٢) زيادة عن م والسيرة والطبرى . (٣) فى السيرة : «وإخوتنا» .
(٤) لأجعلن لحمه طعاما للسيف . وفى الأصول : «لألجمنه» .

عمر : والله إنه لأوّلُ يومٍ كنّانى فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأبى حفص .
قال: فكان أبو حُذَيفةَ يقول :ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ ولا أزالُ
منها خائفًا إلّا أن تُكفِّرها عنّى الشهادة؛ فقُتل يومَ اليمامة [شهيدا][1] . قال : وإنّما
نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن قتل أبى البَخْترِىّ، لأنه كان أكفَّ القومِ
٥ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بمكة ، كان لا يُؤذيه ولا يبلُغه عنه بمكة
شىءٌ يكرَهُه، وكان ممن قام فى نَقْض الصحيفة التى كتبتْ قريش على بنى هاشم وبنى
المُطَّلب . فلَقيه المُجَذَّر بن ذِياد البَلَوىّ[2] حليفُ الأنصار من بنى عَدىّ، فقال المجذَّر
ابن ذِياد لأبى البَخْترِىّ : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قد نهى عن قتلك ،
ومع أبى البخترىّ زميلٌ له خرج معه من مكة ، وهو جُنادةُ بن مُلَيحةَ بن زُهَير
١٠ ابن الحارث بن أَسد — وجُنادة رجلٌ من بنى ليث. واسم أبى البَخْترِىّ العاصى
ابن هشام بن الحارث بن أَسَد — قال : وزميلى ؟ فقال المجذَّر : لا والله ما نحن
بتاركى زميلك؛ ما أمَرنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلّا بك وحدَك. قال : واللهِ
إذًا لأموتن [أنا][1] وهو جميعا ! لا تحدّثُ عنّى نساءُ قريش بين أهل مكة أنّى
تركتُ زميلى حرصًا على الحياة . فقال أبو البَخْترِىّ حين نازله المُجَذَّر وأبَى إلّا القتال[3]
١٥ وهو يرتجز :

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أكيلَه[4] * حتّى يموتَ أو يرى سبيلَه

(١) زيادة عن م والسيرة والطبرى . (٢) كذا فى الطبرى وسيرة ابن هشام وطبقات
ابن سعد (ج ٣ ص ٩٨ من القسم الثانى طبع أوربا) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٣٠٢) والمشتبه فى أسماء
الرجال للذهبى (ص ٤٦٤) وشرح القاموس مادة ذود. وورد فيه : « والمجذر بن ذياد بالكسر ويقال
٢٠ ذَيّاد ككتّان، والأول أكثر» . وفى الأصول « زياد » بالزاى . وفى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٧) :
« ويقال المجذر بن ذئاب» . (٣) كذا فى م والسيرة . وفى سائر الأصول : « القتل » .
(٤) فى سيرة ابن هشام : « زميله » .

فاقتتلا ، فقتله المُجَذَّر بن ذِياد . ثم أتى المجذَّر بن ذِياد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : والّذى بعثك بالحق ، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيك به ، فأبى إلّا القتالَ ، فقاتلتُه فقتلته .

الرحمن بن وأمية بن خلف

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه ، قال : وحدّثنيه[1] أيضا عبدُ الله بن أبى بكر وغيرُهما عن عبد الرحمن بن عَوْف قال :

كان أُمَيّةُ بن خَلَف لى صديقًا بمكة . قال : وكان اسمى عبدَ عَمْرو ، فسُمِّيتُ حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكة . قال : وكان يلقانى بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرَغِبتَ عن اسمٍ سمّاك به أبوَاك ؟ فأقول نعم ؛ فيقول : فإنّى لا أعرف الرحمن ، فاجعلْ بينى و بينك شيئا أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبنى بٱسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعانى : يا عبدَ عمرو ، لم أجبه . فقلت : اجعلْ بينى و بينك يا أبا علىّ ما شئت . قال : فأنت عبدُ الإلٰه . فقلت نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبدَ الإلٰه فأُجيبه فأتحدّث معه . حتى إذا كان يومُ بَدْرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع علىٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعى أدراعٌ قد سلبتُها وأنا أحملها . فلمّا رآنى قال : يا عبدَ عمرو ، فلم أُجبه . فقال : يا عبدَ الإلٰه ، قلت نعم . قال : هل لك فىّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قلتُ : نعم ، هَلُمَّ إذًا . فطرحتُ الأدراعَ من يدى وأَخذتُ بيده و بيد ٱبنه علىٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أمَا لكم حاجةٌ فى اللبن[2] ؟ ثم خرجتُ أمشى بينهما .

(١) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « حدّثنى » . (٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

مقتل أمية خلف وآبنه

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن[1] عن سعْد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن عن[2] أبيه عن عبد الرحمن بن عَوْف قال:

قال لى أُميّةُ بن خَلَف وأنا بينه وبين آبنه آخذ بأيديهما : ياعبدَ الإله ، مَن الرجلُ المُعْلَمُ[3] منكم بريش نَعامةٍ فى صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزةُ بن عبد المُطّلب . قال : ذلك الذى فَعَل بنا الأفاعيل . قال عبدالرحمن : فوالله إنّى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى — وكان هو الذى يعذّب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رَمْضاءِ مكة[4] إذا حَميتْ فيُضْجعه على ظهره ، ثم يأمر[5] بالصخرة العظيمة فتُوضَع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد ؛ فيقول بلالٌ : أَحدٌ أَحدٌ — فقال بلالٌ حين رآه : رَأْسُ الكُفْر أُميّةُ بن خَلَف ، لانجوتُ إن نَجَوَا ! قال : قلتُ : أىْ بلالُ ، أبأسيرَىّ ! قال : لانجوتُ إن نَجَوَا ! قلت : أىْ بلالُ ، أبأسيرَىّ تُسمعُ[6] يا بنَ السوداء ! قال : لانجوتُ إن نَجَوَا ! ثم صرَخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رَأْسُ الكفر أُميّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نَجَوَا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المَسَكَة[7] وأنا أَذُبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضَرَب رِجْلَ آبنه[8] فوقَع ، وصاح أُميّة

(١) كذا فى الطبرى . وفى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى أن عبدالواحد بن أبى عون يروى عن سعد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . وقد ورد فى الأصول : «... أبى عون بن سعيد بن إبراهيم الخ» وهو خطأ .
(٢) كذا فى م وسيرة ابن هشام والطبرى . وفى سائر الأصول : « عن أبيه عبد الرحمن » وهو خطأ .
(٣) كذا فى م والسيرة والطبرى . وفى سائر الأصول : « المتعلم » .
(٤) كذا فى م والسيرة والطبرى . وفى سائر الأصول : « رمضاء بمكة » .
(٥) كذا فى م والسيرة . وفى سائر الأصول : « يأتى » .
(٦) كذا فى م . والتسميع : التشهير ؛ يقال : سمّع بالرجل ، اذا أذاع عنه عيبا وندّد به وشهره وفضحه . وفى ج والطبرى : « أى بلال تسمع يابن السوداء » . وفى سائر الأصول : «أى بلال أتسمع يابن السوداء» .
(٧) هذا فى م والسيرة والطبرى . والمسكة (بالتحريك) : السوار . وفى سائر الأصول : « السكة » وهو تحريف .
(٨) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « قال : فضرب رجل أمية فوقع الخ » .

صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ . قال قلت : انجُ بنفسك ولا نَجاءَ[1] ! فوالله ما أغْنِي عنك شيئا . قال : فهَبَروهما[2] بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِم اللهُ بلالًا ! ذَهَب بأدْراعِى وفَجَعنى بأسيرى .

قتال الملائكة فى غزوة بدر

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن آبن عباس قال حدّثنى رجلٌ من بنى غِفار[3] قال :

أقبلتُ أنا وآبنُ عمٍّ لى حتى أَصعدنا فى جبلٍ يُشْرِف بنا على بَدْر، ونحن مشركان ننتظر الوَقْعة على مَنْ تكون الدَّبْرة[4] ، فننْهَب مع من ينْهَب . فبينا نحن فى الجبل إذ دنتْ منّا سحابةٌ ، فسَمِعْنا فيها حَمْحَمةَ الخيل، وسمعتُ قائلًا يقول : أَقْدِمْ[5] حيْزُومُ . قال : فأمّا ابن عمّى فانكشف قِناعُ قَلْبه[6] فمات مكانه . وأمّا أنا فكِدْتُ أَهْلِك ، ثم تماسكتُ .

قال محمد بن إسحاقُ حدّثنى أبى إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بنى مَازِن بن النجّار عن أبى داودَ المازِنىّ ، وكان شَهِد بدرًا ، قال :

إنّى لأتْبَعُ رجلًا من المشركين يوم بَدْرٍ لأضربه ، إذ وَقَع رأسُه قبل أن يصلَ إليه سيفى ، فعلمتُ أنه قد قَتَله غيرى .

---

(١) فى السيرة : «انج بنفسك ولا نجاء به» . (٢) هبروهما : قطعوهما . (٣) كذا فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى . وفى الأصول : «بنى عفان» . (٤) الدبرة (بالفتح) : العاقبة ؛ يقال : لمن الدبرة أى الدولة والنصر والظفر، وعلى من الدبرة أى الهزيمة . (٥) أقدم حيزوم : أمر بالإقدام ، وهو التقدّم فى الحرب ، والإقدام : الشجاعة . وقد تكسر همزة «إقدم» فيكون أمرا بالتقدّم لا غير ، والصحيح الفتح من أقدم . وحيزوم : اسم فرس جبريل عليه السلام . (انظر ابن الأثير واللسان «ادة قدم وحزم») . (٦) قناع القلب : غشاؤه ، تشبيها بقناع المرأة .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصرىّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَيْر قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن العلاء بن كَثير عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرمة عن أبى أمامة بن سَهْل بن حُنيف قال:

قال لى أبى : يا بُنَىّ ، لقد رأيتُنا يوم بَدْر وإنّ أحدنا لَيُشيرُ إلى المُشْرِك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيفُ .

لباس الملائكة يوم بدر وحنين

٣٠/٤

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد قال، وحدّثنى الحسن بن عُمَارَة قال أخبرنا سَلَمةُ عن الحَكَم بن عُتَيْبة[1] عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال :

كانت سِيمَا الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضا قد أرسلوها على[2] ظهورهم، ويومَ حُنَيْنٍ عمائمَ حُمْرًا، ولم تُقاتل الملائكةُ فى يومٍ من الأيّام سوى يومِ بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مَدَدًا وعَدَدًا ولا يضربون .

مقتل أبى جهل ابن هشام

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُميد قال حدّثنا سَلَمةُ قال، قال محمد وحدّثنى ثَوْر بن زيد[3] مولى بنى الدِّيل[4] عن عِكْرِمةَ مولى ابن عبّاس عن ابن عباس، قال وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر، قالا : كان مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلِمةَ يقول :

لمّا فرَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بأبى جهل أن يُلْتَمَس فى القَتْلَى، وقال: "اللّهُمَّ لا يُعْجِزنّك". وكان أوّلُ مَنْ لقى أبا جهل مُعاذَ بن عمرو بن الجَمُوح، قال : سمعتُ القوم، وأبو جهل فى مثل الحَرَجة[5]، وهم يقولون : أبو الحَكَم

(١) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى وتهذيب التهذيب. وفى الأصول : «عيينة» وهو تصحيف.

(٢) كذا فى السيرة. وفى الأصول : «فى».

(٣) فى الأصول : «يزيد» والتصويب عن تهذيب التهذيب والطبرى.

(٤) كذا فى م. وفى سائر الأصول : «ابن الديل».

(٥) الحرجة بالتحريك : مجتمع شجر ملتف كالغيضة، والجمع : حَرَج وحِراج.

لا يُخْلَص إليه . فلمّا سمعتها جعلتُها من شأنى، فعَمَدتُ نحوَه، فلمّا أمكننى حملتُ عليه، فضربته ضربةً أطَنَّتْ(١) قدمَه بنصف ساقه، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلّا كالنواة تَطيح من تحت مِرْضَخة(٢) النَّوَى حين يُضْرَب بها. قال : وضربنى ٱبنه عِكْرِمةُ على عاتقى فطرح يدى، فتعلّقتْ بجلدةٍ من جنبى، وأجهضنى القتالُ عنها؛ فلقد قاتلتُ عامّةَ يومى و إنّى لأسحبُها خلفى، فلمّا آذتْنى جعلتُ عليها رجلى ثم تمطّيتُ بها حتى طرحتُها . قال : ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى كان فى زمن عثمان بن عفّان . قال: ثم مرّ بأبى جهل، وهو عَقيرٌ(٣) مُعوِّذ بن عفْراء، فضربه حتّى أثْبته(٤)، فتركه وبه رمَقٌ، وقاتل معوذ حتى قُتِل . فمرّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْتَمَس فى القتْلَى ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : " انْظُروا إنْ خَفِى عليكم فى القتْلَى إلى أثر جُرح بركبته؛ فإنّى ٱزدحمتُ أنا وهو يومًا على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان [ونحن غلامان](٥) وكنت أشَبَّ — أو أشَفَّ — منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه نخُدِش [فى](٥) إحداهما خَدْشًا لم يَزَل أثرُه فيها بعدُ(٦)". فقال عبد الله بن مسعود : فوجدتُه بآخر رَمَق فعرفتُه ، فوضعتُ رجلى على عُنقه . قال : وقد كان ضَبَثَ(٧) بى مَرّةً بمكة فآذانى ولَكَزنى، ثم قلتُ : هل أخزاكَ اللهُ

(١) أطنت : قطعت . (٢) كذا فى الطبرى . وفى النهاية لابن الأثير : « شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ » جمع مرضخة ؛ وهى حجر يرضخ به النوى . والرضخ : الكسر . وفى الأصول : « مرضة النوى » . ورض الشىء : دقه وجرشه . (٣) كذا فى م والسيرة والطبرى . والعقير : المجروح . وفى سائر الأصول : « عفير » بالفاء ، وهو تصحيف . (٤) أى جرحه جراحة لا يتحرك معها ولا يقوم . (٥) زيادة عن م والسيرة . (٦) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « بعده » . (٧) ضبث بالشىء ضبثا : قبض عليه بكفه .

يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزانى! أَعْمَدُ[1] من رجلٍ قتلتموه! لمن الدَّبْرَةُ اليومَ؟ قال: قلت: لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم.

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ عن محمد قال: زعم رجالٌ من بنى مخزوم أنّ ابن مسعود كان يقول: قال لى أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِىَ الغنم مُرْتَقًى صعبًا؛ ثم احتززتُ رأسه، ثم جئتُ به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: يا رسولَ الله، هذا رأسُ عدوّ الله أبى جهل. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "آللهِ الذى لا إله غيرُه"! ـ وكانت يمينَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ قلت: نعم واللهِ الذى لا إلهَ غيرُه، ثم ألقيتُ رأسَه بين يَدَىْ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ قال: فحَمِد اللهَ.

تكليم النبى أصحاب القليب بعد موتهم

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى يزيدُ بن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزُّبَيْر عن عائشةَ قالت: لمّا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقَتْلَى أن يُطْرَحُوا فى القَلِيبِ طُرِحوا فيها إلّا ما كان من أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ، فإنّه انتفخ فى دِرْعه فملأها؛ فذهبوا بهِ ليُخْرِجوه فتَزَايَلَ، فأقرّوه[2] وألقَوْا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة. فلمّا ألْقَوْهم فى القَلِيب، وقف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: "يا أهلَ القَلِيبِ هَلْ وجدتُمْ ما وَعَدَكم رَبُّكم حقًّا فإنى وجدتُ ما وعدنى ربّى حقًّا". فقال له أصحابُه: يا رسولَ الله، أتكلِّمُ قومًا

٣١/٤

(١) أعمد: أى أعجب. قال أبو عبيد: معناه هل زاد على سيد قتله قومه! هل كان إلا هذا! أى إن هذا ليس بعار. يريد أن يهوّن على نفسه ما حل به من الهلاك، وأنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه. وقال شمر: هذا استفهام أى أأعجب من رجل قتله قومه! قال الأزهرى: كان الأصل أأعمد الخ خففت إحدى الهمزتين. والمراد بالدبرة: الدولة والظفر كما مرّ فى الحاشية رقم ٤ ص ١٩٨ من هذا الجزء.

(٢) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «فأفروه» بالفاء، وهو تصحيف.

موتى؟ قال: "لقد عَلِموا أنّ ما وعدهم رَبُّهم حَقٌّ". قالت عائشة: والناسُ يقولون: «لقد سَمِعُوا ما قلتُ لهم»، و إنما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: "لقد عَلِموا".

قال ٱبن إسحاق وحدّثنى حُمَيْدٌ الطويلُ عن أنَس بن مالك قال:

لمّا سمِع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يقول من جَوْف الليل: "يأهلَ القليبِ يا عُتْبةُ بن ربيعةَ و ياشيبةُ بن ربيعة و يا أبا جهل بن هشام — فعدّد منْ كان منهم فى القليب — هل وجدتُم ما وَعَدكم ربُّكم حقًّا فإنّى قد وجدتُ ما وعدنى ربّى حقًّا" قال المسلمون: يا رسولَ الله، أتُنادى قومًا قد جَيَّفُوا! فقال: "ما أنتمْ بأَسْمَعَ لِما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبونى".

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى بعض أهل العلم: أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم قال هٰذه المقالةَ قال: "يأهلَ القَليب بئس عشيرةُ النبيّ كنتم لنبيّكم! كذّبتمونى وصدّقنى الناسُ، وأخرجتمونى وآوانى الناسُ، وقاتلتمونى ونصرنى الناسُ". ثم قال: "هل وجدتُم ما وَعَدكم ربُّكم حقًّا" للمقالة التى قالها. ولمّا أمَر بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلْقَوْا فى القليب، أُخِذ عُتْبةُ فسُحِبَ إلى القليب، فنظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فيما بلغنى، إلى وجه أبى حُذَيْفةَ بن عُتْبةَ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: "يا أبا حُذَيْفةَ لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء" أو كما قال. قال فقال: لا والله يا رسولَ الله ما شَكَكتُ فى أبى ولا فى مَصْرَعه، ولكنّى كنتُ أعْرِف من أبى رأيًا وفضلًا وحلمًا، فكنتُ أرجو أن يَهْـدِيَه اللهُ إلى الإسلام، فلمّا رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجوله، أحزنَنى ذلك[1]. قال: فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له بخير وقال له خيرا.

(١) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «فلما رأيت ما أصابه ذكرت .... لحزننى ذلك».

اختلاف المسلمين على الفيء

ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمر بما في العسكر مما جمع الناسُ فجُمِع، واختلف المسلمون فيه: فقال مَنْ جمعه: هو لنا، وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم نفّل كلَّ امرئٍ ما أصاب. فقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لنحنُ شغَلْنا القومَ عنكم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين (١) كانوا يحرُسون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مخافةَ أن يُخالِف (٢) إليه العدوّ: والله ما أنتم بأحقّ منّا، ولقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ ولّانا الله ومنحَنا أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخُذ المتاعَ حين لم يكن دونه مَن يَمْنعُه، ولكن خِفْنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كرّةَ العدوّ، فقُمْنا دونه، فما أنتم بأحقّ به منّا.

مقتل النضر بن الحارث

قال ابن إسحاق وحدّثني عاصم بن عُمَر بن قتَادةَ ويزيد بن رُومَانَ: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جمع الأسارَى من المشركين، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً، وكان من القتلَى مثلُ ذلك، وفي الأسارى عُقْبةُ بن أبي مُعَيْط، والنَّضْرُ بن الحارث ابن كَلَدَة، حتّى إذا كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالصَّفْراء، قُتِل النَّضْرُ بن الحارث بن كَلَدة، قتَلَه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أسر وعتاب النبيّ لها في ذلك

قال محمد بن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سعْد (٣) بن زرارة قال:

(١) كذا في السيرة. وفي الأصول: «فقال». (٢) أي مخافة أن يأتيه العدوّ في غيبة أصحابه. (٣) في الأصول: «أسعد» وهو خطأ؛ والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج٣ص١٣٨ من القسم الثاني طبع أوربا). قال ابن سعد ما نصه: «وكان لأسعد بن زرارة من الولد حبيبة مبايعة، وكبشة مبايعة، والفريعة مبايعة؛ وأمهم عميرة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن يزيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، ولم يكن لأسعد بن زرارة ذكر وليس له عقب إلا ولادات بناته هؤلاء، والعقب لأخيه سعد بن زرارة».

٣٢
―
٤

قُدِم بالأسارى حين قُدِم بهم ، وسَوْدةُ بنتُ زَمْعةَ (زوجُ النبي صلّى الله عليه وسلّم) عنـد آل عَفْراءَ فى مَنَاحَتِهم على عَوْف ومُعَوِّذ ٱبنى عفراء ، وذلك قبلَ أن يُضْرَبَ عليهنّ الحجاب. قال: تقول سَوْدةُ : واللهِ إنّى لعندهم إذْ أُتِينا، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِى بهم ، فرُحْتُ إلى بيتى ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ، وإذا أبو يَزِيدَ سُهَيْلُ بنُ عمرو فى ناحية الحُجْرة مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحَبْـل . قالت : فوالله ما ملكتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلتُ : يا أبا يزيد ، أَعْطَيْتُمْ بأيديكم ، ألَا مُتُّمْ كِرَامًا ! فوالله ما أَنْبهنى إلّا قولُ رسـول الله صلّى الله عليه وسـلّم من البيت : "يا سَوْدة أعَلَى اللهِ وعلى رسولِه" ! قالت فقلت: يا رسولَ الله، والذى بَعَثـك بالحقّ ما ملكتُ نفسى حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عُنُقـه بحَبْـل أن قلتُ ما قلت .

إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر .

قال محمد بن إسحاق : وكان أوّلُ مَنْ قَدِم مكةَ بمُصاب قريش، الحَيْسُمانَ[1] ابنَ عبد الله بن إيَاس بن ضُبَيْعَةَ بن رُومَان بن كعب بن عمرو الخُزَاعىّ . قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عُتْبةُ بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هِشَام ، وأُمَيّةُ بن خَلَف، وزَمْعةُ بن الأَسْوَد، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجّاج. قال : فلمّا جعل يُعَدِّد أشرافَ قريش قال صَفْوانُ بن أُمَيّـةَ وهو قاعدٌ فى الحِجْر : واللهِ إن يَعْقِلُ هذا فسَلُوه عنّى . قالوا : ما فعل صَفْوان بن أميّة ؟ قال : هو ذلك جالس فى الحِجْر ، وقد واللهِ رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا .

(١) كذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٣٨ من القسم الأوّل طبع أوروبا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٦٠) وشرح القاموس مادة «حسم» . وفى الأصول : «الحيثمان» بالثاء المثلثة ، وهو تحريف . ثم ذكر الطبرى خلافا فى نسب الحيسمان هذا فقال : «وقال الواقدىّ : الحيسمان بن حابس الخزاعى» . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٨٠) : «الحيسمان بن عمرو» . وفى أسد الغابة : «الحيسمان بن إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن» . وذكر فى الإصابة فى نسبه أقوالا كثيرة، فراجعها .

أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته

قال محمد بن إسحاق حدّثنى حُسَين بن عبد الله بن عُبَيْد الله بن عبّاس عن عِكْرِمَة[1] مولى ٱبن عبّاس قال :

قال أبو رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المُطَّلب ، وكان الإسلامُ قد دَخَلَنا أهلَ البيت ، [فأسلم العبّاس][2] وأسلمتْ أمّ الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العبّاس يَهَاب قومَه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتُم إسلامَه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لَهَب عدوُّ الله قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانَه العاصىَ بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك صَنَعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلّا بعث مكانَه رجلًا . فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أهل بَدرٍ من قريش ، كَبَته الله وأخزاه ، وَوَجَدْنا فى أنفسنا قوّةً وعزًّا ؛ وكنتُ رجلًا ضعيفًا ، وكنتُ أعملَ القِدَاحَ أنْحَتُهَا فى حُجْرة زَمْزَم ؛ فوالله إنّى لجالسٌ فيها أنْحَتُ القِدَاحَ ، وعندى أُمّ الفضل جالسة وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسقُ أبو لَهَبٍ يجُرّ رِجْلَيْه[3] يسير حتى جلس على طُنُب الحُجْرة ، فكان ظهرُه إلى ظهرى . فبينَا هو جالس إذ قال الناسُ : هذا أبو سُفْيان بن الحارث بن عبد المُطَّلب قد قَدِم ؛ فقال أبو لهب : هَلُمَّ إلىّ يا ٱبنَ أخى ، فعندك لعَمْرى الخبر . فجلس إليه والنّاسُ قيامٌ عليه . فقال يا ٱبنَ أخى أخْبِرْنى كيف كان أمْرُ الناس ؟ قال : لا شىءَ والله ، إنْ كان إلّا أنْ لَقيناهم فَمَنَحْنَاهم أكتافَنا يقتلُون ويأسِرون كيف شاءوا . وَٱيْمُ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناسَ ، لَقِينا رجالًا بِيضًا على خَيْلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض ما تُلِيق[4] شيئًا ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحُجْرة بيدى ، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة ! فرفع أبو لَهَبٍ

(١) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى سائر النسخ : « عن عكرمة بن إسحاق مولى ابن عباس » تحريف .

(٢) الزيادة عن السيرة .

(٣) فى السيرة : « بشرّ » .

(٤) ما تليق شيئا : ما تبق على شىء ؛ يقال : هذا سيف لا يليق شيئا أى لا يمر بشىء إلا قطعه . وفى ب ، حـ : « ما تلين » ؛ وهو تحريف .

يدَه فضرب وجهى ضربةً شديدة. قال : فساورتُه فاحتملنى فضرب بى الأرض، ثم برَك علىّ يضربنى، وكنتُ رجلاً ضعيفا؛ فقامت أُمّ الفضـل إلى عمود من عُمُد الحُجْرة فأخذته فضربته به ضربةً ، فشجّت فى رأسه شَجّةً مُنْكَرَة وقالت : أتَسْتَضْعفه أنْ غاب عنه سيِّده ! فقام مُوَلِّيًا ذليلا . فوالله ما عاش فيها إلّا سبعُ ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة(1) فقتلته؛ فلقد تركه آبناه ليلتين أو ثلاثًا لا يَدْفنانه حتّى أنْتَن فى بيتـه — وكانت قريش تتّقى العَدَسـةَ كما يُتَّقَى الطاعون — حتى قال لهما رجلٌ من قريش وَيْحكما! لا تَسْتَحيِيان أنّ أباكما قد أنتن فى بيته لا تُغَيِّبانه ! فقالا : نخشى هذه القَرْحة . قال : فآنْطَلِقا فأنا معكما . فما غسّلوه إلّا قَذْفًا بالمـاء عليه من بعيـد ما يَمَسُّـونه ؛ فاحتملوه فدفنـوه بأعلى مكّة على جدار ، وقذفوا عليـه الحجارةَ حتّى واروْه .

العباس بن عبد المطلب وتألم النبى لأسره

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى العبّاس بن عبد الله بن مَعْبَد عن بعض أهله عن الحَكَم ابن عُتَيْبَةَ عن ابن عبّاس قال :

لـمّا أمسى القومُ من يوم بَدْرٍ، والأسارى محبوسون فى الوَثَاق ، بات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساهرا أوّلَ ليلته . فقال له أصحابه : يا رسـول الله، مالك لا تنام؟ فقال : " سمعتُ تَضَوُّرَ العبّاس فى وثاقه "؛ فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه؛ فنام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال آبن إسحاق وحدّثنى الحسن بن عُمَارَة عن الحكم بن عُتَيْبَةَ عن ابن عبّاس قال: كان الذى أَسَر العبّـاس أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بنى سَلِمَة، وكان رجلاً مجموعا، وكان العبّاس رجلا جسيما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليَسَر :

(1) العدسة : بثرة قاتلة تخرج بالبدن .

" كيف أسَرْتَ العبَّاسَ يا أبا اليَسَر " ؟ فقال : يا رسول الله ، أعانني عليه رجلٌ ما رأيتهُ قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم " .

طلب منه النبي الفداء، وأخبره عن أمواله بمكة

قال ابن إسحاق عن الكلبيّ (١) عن أبي صالح عن ابن عبّاس :

٥ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انتُهِي به إلى المدينة : " يا عبّاس افْدِ نَفْسَك ، وابنَ أخيك عَقيل بن أبي طالب ، ونوفلَ ابن الحارث ، وحليفَك عُتْبةَ بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر ؛ فإنك ذو مال " . فقال : يا رسول الله ، إنّي كنتُ مُسْلمًا ولكنّ القومَ استكرهوني . فقال " الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكُر حقًّا فالله يَجْزِيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد

١٠ كان علينا ؛ فافْدِ نفسك " . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أوقيةً من ذهب . فقال العبّاس : يا رسول الله ، احْسُبْها لي في فِدائي . قال : " لا ، ذلك شيء أعطاناه الله منك " . قال : فإنّه ليس لي مال . قال قال : " فأين المالُ الذي وضعته بمكة حين خرجتَ من عند أُمّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ ، ثم قلت لها إن أُصِبْتُ في سَفْرتي هذه فللفَضْل كذا ولعبد الله كذا ولِقُثَم كذا

١٥ ولعُبَيد الله كذا " ؟ قال : والذي بعثَك بالحقّ ما علِم هذا أحدٌ غيري وغيرُها ، وإنّي لأعلم أنّك رسولُ الله . ففَدَى العبّاسُ نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه .

---

(١) كذا في أكثر الأصول والطبري . وفي س : « عن ابن الكلبي » ، والذي يروي عنه ابن إسحاق ، كما في الأنساب للسمعاني ، هو محمد بن السائب الكلبي . ومحمد هذا يسميه الرواة كثيرا "الكلبي" . وفي بعض الأحيان "ابن الكلبي" . وأما هشام ابنه فيعرف بالكلبي قولا واحدا ، ولم نعرف أن ابن إسحاق

٢٠ روى عنه .

فدت زينب زوجها أبا العاصى فردّ عليها النبي الفداء

قال آبن إسحاق : وحدّثنى يحيى[1] بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيــه عن عائشةَ قالت :

لمّـا بَعَث أهلُ مكةَ فى فِدَاء أَسْرَاهم، بعثتْ زينبُ بنت رسول الله صــلّى الله عليه وسلّم فى فداء أبى العاصى بن الربيع بمال، و بعثت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجةُ أدخلتْها بها على أبى العاصى حين بَنَى عليها . فلمّا رآها رسول الله صــلّى الله عليه وسلّم رَقَّ لها رِقّةً[2] شــديدة وقال : "إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا عليها الذى لهـا فآفعلوا"! فقالوا : نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذى لها .

٤ — الأسود بن ... لأولاده

قال آبن إسحاق : حدّثنى يحيى بن عَبّاد عن أبيه قال :

ناحتْ قريش على قَتْلاَها، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمدا [وأصحابه][3]، فيَشْمَتُوا بكم ، ولا تبعثوا فى فِداء أَسْرَاكم حتى تَسْتَأْنُوا[4] بهم ، لا يتأرّب[5] عليكم محمد وأصحابُه فى الفِداء . قال : وكان الأَسْوَد بن المُطَّلِب[6] قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده: زَمَعَــةُ[7] وعَقيلٌ والحارث بنو الأســود، وكان يُحبّ أن يبكى على بَنِيه . فبينـا هو

---

(١) كذا فى م والسيرة (ص ٤٦٥) والطبرى (قسم أوّل ص ١٣٤٧) وفيما سيأتى فى هذه الصفحة فى جميع الأصول . وفى سائر الأصول هنا : «محمد بن عباد» . ومحمد بن عباد هذا هو أخو يحيى بن عباد، ولم تعرف لابن إسحاق رواية عنه . (٢) كذا فى السيرة لابن هشام (ص ٤٦٥ طبع أوروبا) . وفى الأصول : « فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة الخ» ولعل هــذا تكرار من الناسخ . (٣) زيادة عن س . (٤) كذا فى الطبرى (قسم ١ ص ١٣٤٢) والسيرة (ص ٤٦١) . واستأنى : تربص وانتظر . وفى ب ، حـ : « حتى يستأنسوا بهــم » . وفى س : « حتى تيأسوا منهــم » . (٥) كذا فى الطبرى . ويتأرب : يتأبى ويتشــدّد . وفى السيرة واللسان مادة أرب : « لا يأرب » . وأرب : تشــدّد . وفى الأصول : «ولا يتأوب» بالواو . (٦) كذا فى السيرة وهو الموافق لما فى حماسة أبى تمام (ص ٣٩٧ — شرح التبريزى طبع أوروبا) والاشــتقاق لابن دريد . وفى الأصــول والطبرى : «ابن عبد يغوث» وهو خطأ . (٧) انظر الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من هذا الجزء .

كذلك إذ سمع نائحةً فى الليـل ، فقـال لغلامه وقد ذهب بصرُه : أُنْظُرْ هل أُحِلَّ النَّحيب؟ وهل بكت قريش على قتلاها؟ لعلِّى أبكى على أبى حَكيمة (يعنى زَمْعةَ) ؛ فإنّ جَوْفى قد احترق . فلمّا رجع إليه الغلامُ قال : إنما هى امرأةٌ تبكى على بعيرٍ لها أضلَّته ؛ فذلك حين يقول الأَسْوَد :

أتبكى أنْ أضلَّ لها بعيرٌ * ويَمْنَعُها البكاءُ من الهُجودِ (١)

ولا تَبْكِى على بكْرٍ ولَكِنْ (٢) * على بَدْرٍ تَقَاصَرتِ الجُدُودُ (٣)

على بَدْرٍ سَراةَ (٤) بنى هُصَيْصٍ * ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبى الوَلِيدِ

وبَكِّى (٥) إنْ بَكَيْتِ على عَقيلٍ * وبَكِّى حارثًا أَسَدَ الأُسودِ

وبكِّيهم ولا تُسْمِى جميعًا * فما لأبى حَكيمةَ من نَديدِ

ألَا قد ساد بَعْدَهُمُ رجالٌ * ولولَا يومُ بَدْرٍ لم يَسُودُوا

---

(١) ورد هذا البيت فى حماسة أبى تمام والسيرة ص ٤٦٢ والطبرى هكذا :

أتبكى أن يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود

وذكر معه فى الحماسة الثانى والأخير من هذه الأبيات ، وهما البيتان المتفقان معه فى حركة الروى .

(٢) فى الحماسة والطبرى والسيرة : « فلا ... ... الخ » . (٣) البكر : الفتىّ من الإبل . وتقاصرت الجدود أى تواضعت الحظوظ . يريد أنه يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس . وتقاصرت : تفاعلت من القصور والعجز، كأنها تبارت فى القصور . ويحتمل أن تكون من القصر الذى هو ضد الطول ، وتكون كلمة "على" من "على بدر" موضوعة موضع الباء ؛ كما يقال : هم على ماء كذا وهم بماء كذا . وقال أبو هلال : تقاصرت الجدود : عثرت . والعاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر . والعثار فى الجدّ مثل ، وكذلك التقاصر . ويجوز أن يقال : إنه أراد بالجدود الأعمار أى إنه قتل من قتل من المشركين فذهب بهم عز قريش ، أى لا تبكى على بكر وابكى على من تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا . (عن شرح الحماسة للتبريزى باختصار) . (٤) سراة : جمع سرى وهو السيد الكريم . (٥) بكّاه بالتضعيف مثل بكاه المخفف .

رثاء هند بنت عتبة أباها

ومما قيل فى بَدْرٍ من الشِّعر وغُنِّىَ به قولُ هند بنت عُتْبَةَ ترثِى أباها:

صــــوت

مَنْ حَسَّ(1) لى الأَخَوَيْنِ كالْ * غُصْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُمَا(2)

قَرْمَانِ(3) لا يَتَظالَمَا * نِ ولا يُـرامُ حِمَاهُمَا

وَيْـلِى على أَبَوَىَّ والْ * قَـبْرِ الذى وَارَاهُمَا

لا مِثْـلَ كَهْلِى فى الكُهُو * لِ ولا فَتًى كَفَتَاهُمَا

— ذكر الهشامىّ أنّ الغناء لآبن سُرَيج رملٌ، وفى الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض — وتمـام هذه الأبيات :

أَسَـدَانِ لا يَتَـذَلَّلا * نِ ولا يُـرامُ حِماهمـا

رُمْحَـيْنِ خَطِّيَّيْنِ فى * كَبِدِ السماءِ تراهمـا

ما خَلَّفَـا إذ وَدَّعا * فى سُـودَدٍ شَرْواهمـا(4)

سـادًا بغـير تَكَلُّفٍ * عَفْـوًا يَفِيضُ نَدَاهُمـا

مفاطنتها الخنساء بعكاظ وشعرهما فى مصابهما

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحارث بن أبى أُسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الوَاقِدىّ ، وأخبرنى آبن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدىّ عن عبد الرحمن بن أبى الزِّنَاد قال :

لمّـا كانت وَقْعةُ بَدْرٍ، قُتِل فيها عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، والوليدُ بن عتبة ؛ فأقبلتْ هنـد بنت عُتبة تَرْثِيهم، وبَلَغها تَسْوِيمُ(5) الخنساءِ هَوْدَجَها فى المَوْسِم

(1) حس من باب نصر كأحس . (2) أصل راهما : رآهما ؛ نخففت فيه الهمزة على حدّ : «لاهناك المرتع» ؛ فاجتمعت ألفان ، لحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين . (انظر اللسان مادة رأى) .
(3) القرم : السيد العظيم . (4) شرواهما : مثلهما . (5) سوّم الشىء : جعل له سومة وعلامة ليعرف بها و يتميز .

ومُعاظمتُها العربَ بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأَخَوَيْها صَخْرٍ ومُعاوية ، وأنّها جعلتْ تَشْهَد المَوسِمَ وتبْكيهم ، وقد سوّمت هودجَها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبةً ، وأنّ العربَ قد عرفتْ لها بعضَ ذلك . فلمّا أُصيبتْ هندُ بما أُصيبتْ به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظمُ من الخنساء مصيبةً ، وأمرتْ بهودجها فسُوِّمَ براية ، وشهِدَتِ الموسمَ بعُكَاظ ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : اقْرِنوا جَمَلى بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلمّا أن دنتْ منها ، قالت لها الخنساء : مَنْ أنتِ يا أُخَيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عُتْبَةَ أعظمُ العرب مصيبةً ، وقد بلغنى أنّك تُعَاظِمين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تُعَاظِمينَهم ؟ فقالتِ الخنساء : بعَمْرو بن الشَّريد ، وصَخْرٍ ومُعَاويةَ ابنَى عمرو ، وبِمَ تُعَاظِمينَهم أنتِ ؟ قالت : بأبى عُتْبَةَ بنِ ربيعة ، وعَمِّى شيبةَ بنِ ربيعة ، وأخى الوليد . قالت الخنساء : أوَ سَوَاءٌ هُمْ عندكِ ؟ ثم أنشدتْ تقول :

أُبَكِّى أبى عَمْراً بعينٍ غَزِيرَةٍ * قليلٌ إذا نام الخَلِىُّ هُجُودُها
وصِنْوَىَّ لا أَنْسَى مُعَاويةَ الذى * له من سَرَاةِ الحَرَّتين(١) وُفودُها
وصخراً ، ومَنْ ذا مثلُ صخرٍ إذا غَدَا * بساهمةِ الآطالِ(٢) قُبّاً يَقُودُها
فذلكِ يا هندُ الرَّزِيَّةُ فاعْلَمِى * ونيرانُ حَرْبٍ حين شَبَّ وَقُودُها

---

(١) الحرّة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة . والمراد بالحرّتين : حرة بنى سليم وحرة بنى هلال بالحجاز . أى هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيا يلم بها .

(٢) كذا فى ديوان الخنساء (طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٥) . والساهمة : الدقيقة . والآطال : جمع إطل (بالكسر وبكسرتين) وهو الخاصرة . وفى م : « بسلهبة الآطال » والسلهبة : من الخيل الطويلة على وجه الأرض . وفى سائر الأصول : « الأبطال » وهو تحريف . وفى نسخة مخطوطة من الديوان محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٧٠ أدب ص ٨٦) : « بساهمة الأبصار قب » . والقب : جمع أقب أو قباء ، وهى الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن .

فقالت هندٌ تُجيبها :

أَبكّى عَمِيدَ الأَبْطَحَيْنِ[١] كِلَيْهِما * وحامِيَهما من كل باغٍ يُرِيدها

أَبِى عُتْبةُ الخَيْراتِ وَيْحَكِ فَاعْلَمِى * وشَيْبةُ والحامى الذِّمارَ وليدُها

أولئك آلُ المَجْدِ من آلِ غالبٍ * وفى العِزِّ منها حين يَنْمِى عَدِيدُها[٢]

وقالت لها أيضا يومئذ :

مَنْ حَسَّ لِى الأَخَوَيْنِ كَالْـ * غُصْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُما

لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى بعض القُرَشِيِّين قال:

قَدِم عبدُ الله بن جعفر على معاوية وافدًا ، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا آبنُ جعفر يشرَب النَّبِيذَ ، ويسمَع الغناء ، ويُحَرِّك رأسَه عليه . فجاء مُعاويةُ مُتَغَيِّرًا حتّى دخل على آبن جعفر، وعَزَّة المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة فى كِوَاء[٣] البيت يُضِىء بها البيتُ، تُغَنِّيه على عُودها :

تَبَلَتْ[٤] فُؤادَكَ فى الظلامِ خَرِيدةٌ * تَشْفِى الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسّامِ

و بين يديه عُسٌّ[٥] ، فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لَتَشْرَبَنَّ منه ، فإذا عسلٌ مجدُوحٌ[٦] بمِسْك وكافور . فقال : هذا طَيِّبٌ ، فما هذا الغِناء؟ قال : هذا شعرُ حَسّانَ بن ثابت فى الحارث بن هشام. قال : فهل تُغَنِّى بغير هذا ؟

(١) عميد القوم : سندهم وسيدهم . وتريد بالأبطحين : بطحاء مكة وسهل تهامة . وأصل الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . (٢) عديدها : جموعها . (٣) كواء البيت : منافذه وثقوبه، واحدها كُوَّة . وفى م : «كسر البيت» . وفى سائر الأصول : «كذا البيت» بالدال المهملة ، وهو تحريف . (٤) ورد هذا البيت فى ديوان حسان (طبع أوربا ص٣) هكذا :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة * تسقى الضجيع ببارد بسام

وتبلت فؤادك : أسقمته وذهبت به . (٥) العس (بالضم) : القدح الكبير . (٦) مجدوح : مخلوط .

قال : نعم، بالشعر الذى يأتيك به الأعرابىّ الجافى[1] الأَدْفَر، القبيحُ المَنْظَر، فيُشافهُك به، فتُعطيه عليه ، وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فاعطيه هذه الحَسَنة الوجه ، اللّيِّنة اللمْس ، الطيبة الريح ، فترتّله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكُكَ رأسَك ؟ قال : أَرْيَحِيّةٌ أجِدُها إذا سمعت الغناء ، لو سُئلتُ عندها لأَعْطيتُ، ولو لَقِيتُ لأَبْلَيْتُ. فقال معاوية : قَبَّح اللهُ قوماً عَرَّضونى لك. ثم خرج وبعث اليه بصِلَةٍ .

٣٦
―
٤

صــــوت

من المائة المختارة

عمر بن أبى ربيعة ونعم

أَيُّها القلبُ لا أراكَ تُفيقُ * طَالَمَا قد تَعَلَّقَتْكَ العُلُوقُ[2]

مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حبيبٍ قريباً * فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيقُ

قُضِيَ الحُبُّ بيننا فالتقينا * وكِلانا إلى اللّقاء مَشُوقُ

الشعر فى البيت الأوّل والثالث لعُمَر بن أبى ربيعة ، والبيت الثانى ليس له ، ولكن هكذا غُنِّى ؛ وليس هو أيضا مُشَاكلًا لحكاية ما فى البيت الثالث . والغناء لِبَابَوَيْه[3] الكُوفىّ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبى ربيعة فى آمرأة من قريش، يقال لها نعم، كان كثيرَ الذِّكر لها فى شعره . أخبرنى بذلك محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أبى عبد الله التَّيمىّ عَنِ القَحْذَمىّ والمَدَائنىّ . قال : وهى التى يقول فيها :

* أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ *

---

(١) الجافى : الغليظ فى المعاشرة . والأدفر (بالدال المهملة) : النتن . (٢) يريد به ما علقه من كلف الحب وجهده . (٣) فى الأصول : «لباتويه» بالتاء المثناة ، وهو تصحيف .

قال: وكانت تُكْنَى أُمَّ بَكْر، وهى من بنى جُمَح . وتمامُ هذه الأبيات على ما حكاه ابن المَرْزُبان عمّن ذكرتُ :

فالتَقَينا ولم نَخَف ما لَقِينا * ليلةَ الخَيف ، والمُنَى قد تَشُوقُ[1]

وجرى بيننا بِجِدٍّ وصلا * قُلَّبٌ حُوَّلٌ أريبٌ رفيقُ[2]

لا تَظُنِّى أنّ التَراسُلَ والبَذْ * لَ لكلّ النساء عندى يَلِيقُ

هل لكِ اليومَ إنْ نأتْ أُمُّ بَكْرٍ * وتولّتْ إلى عَزَاءٍ طريقُ

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حُدِّثت عن محمد بن حُمَيْد عن عبد الله ابن سَوَّار القاضى عن بِشْر بن المُفَضَّل قال :

بلغ عُمَرَ بنَ أبى ربيعة أنّ نُعْمًا اغتسلتْ فى غَدِيرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرَب منه حتى جَفَّ .

أخبرنى محمد بن خَلَف قال : قال محمد بن حَبِيبَ الراوية :

بلَغنى أنّ نُعْمًا استقبلتْ عمرَ بن أبى ربيعة فى المسجد الحرام، وفى يدها خَلُوقٌ[3] من خَلُوق المسجد ، فمسحتْ به ثوبه ، ومضتْ وهى تضحك؛ فقال عمر :

أدخل اللهُ ربُّ موسى وعيسى * جَنّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلَانى خَلُوقَا

مسحتْه من كَفِّها فى قميصى * حين طافتْ بالبيت مَسْحًا رَفِيقَا

غَضِبَتْ أنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ * ليس يَعْرِفْنَنِى سَلَكْنَ طريقَا

وأرى بينها وبين نساء * كنتُ أَهْذِى بِهِنّ بَوْنًا سَحِيقَا

وهذا البيت الأوّل ممّا عِيب على عمر .

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى م وجميع نسخ ديوانه : «تسوق» بالسين المهملة .

(٢) القلّب الحوّل : المحتال البصير بتقليب الأمور . (٣) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة؛ لأن أعظم أجزائه من الزعفران .

ومما غُنِّى فيه من تَشْبِيب عُمَر بنُعْم هذه :

صـــوت

دِينَ[1] هذا القلبُ مِنْ نُعْمِ * بِسَــقَامٍ[2] ليس كالسُّقْمِ
إنّ نُعْمًا أَقصدتْ[3] رجلًا * آمِنًا بالخَيف إذ تَرْمِى
بِشَتِيتٍ[4] نَبْتُــه رَتِــلٍ * طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
وبِوَحْفٍ[5] مائــلٍ رَجِلٍ * كعناقيـدَ مِنَ الكَرْمِ

ومنهـا :

صـــوت

خَلِيـلَىَّ ارْبَعَـا[6] وسَـلَا * بِمَغْـنَى الحَىِّ قد مَثَـلَا
بأعلَى الوادِ[7] عنـــد البئـ * ـرِ هَيَّـجَ عَـبْرةً سَــبَلَا[8]
وقـد تَغْـنَى به نُعْـمٌ * وكنت بوَصْلِها جَــذِلَا

---

(١) دين : جوزى وكوفئ . (٢) كذا فى اللسان (مادة دين) . وفى الأصـول : «وسقام» بواو العطف . وورد هذا البيت فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (ص ٥٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١١ هـ وطبع أوربا ص ٨٤) هكذا :

قد أصاب القلب من نعم * سُقْمُ داء ليس كالسقم

(٣) أقصده : أصابه فقتله . (٤) الثغر الشتيت : المفلَّج، وهو أن يكون بين أسنانه تباعد . ورتل (وزان كتف وسبب) : مستو حسن التنضيد . (٥) الوحف : الشعر الكثيف المسودّ . والرجل من الشعر (بفتح الراء وكسر الجيم، ومثله الرجل بفتح الراء والجيم) : ما كان بين السبوطة والجعودة . (٦) اربعا : أقيما . ومغنى الحىّ : محل إقامتهم . ومثل : قام وانتصب . (٧) الوادى : كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام يكون مسلكا للسيل ومنفذا . وربما اكتفى فيه بالكسرة عن الياء ؛ كما قال أبو الرُّبَيس التغلبى :

لا صلحَ بينى فاعلموه ولا * بينكم ما حملت عاتقى
سيفى وما كنا بنجـد وما * قرقرَ قُمْرُ الواد بالشاهق

(٨) سبل (بالتحريك) : اسم المصدر من أسبل المطر والدمع اذا هطلا ؛ ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع اذا وصف به .

لَيَالِىَ لا نُحِبُّ لنـــا * بعَيْشٍ قــد مضَى بَدَلَا

وتَهْــوَانَا ونَهْــوَاهــا * ونَعْصِى قَوْلَ مَنْ عَذَلَا

وُتْرِســـلُ فى مُلَاطَفةٍ * ونُعمِلُ نحوَها الرُّسُــلَا

غنّاه الهذلىّ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيــل الأوّل بالسبّابة فى مجــرى الوُسْطَى عن إسحاق. وفيه لآبن سُرَيج لحنانِ: رَمَلٌ بالبِنْصَر فى مجراها عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثانى ثقيــلٍ، ولسُلَيْم خفيفُ رملٍ، جميعًا عن الهشامىّ. قال: ويقال: إنّ اللحنَ المنسوب إلى سُلَيم لِحَكَمٍ[(١)] الوادِىّ.

ومنها من قصيدة اوّلها :

لقــد أرسلتْ نُعْمٌ إلينا أَن آئْتِنَــا * فأَحبِبْ بها من مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبِ

يُغَنَّى منها فى قوله :

صـــــوت

فقلتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السيفَ وآشْتَمِلْ * عليه بِرِفْقٍ وآرْقُبِ الشمسَ تَغْرُبُ

وأَسْرِجْ لِىَ الدَّهْماءَ وآعْجَلْ بِمِمْطَرِى[(٢)] * ولا تُعْلِمَنْ حَيًّا مِنَ النّاس مَذْهَبِى[(٣)]

فلمّا آلتقينــا سَــلَّمتْ وتَبسَّمتْ * وقالتْ مقالَ المُعْرِض المُتَجَنِّبِ

أَمِنْ أجــلِ واشٍ كاشِحٍ[(٤)] بنَميمــةٍ * مَشَى بيننا صَدَّقْتَــــه لم تُكَذَّبِ

وقَطَّعْتَ حبلَ الوصلِ منّا، ومَنْ يُطِعْ * بذِى وِدِّه قولَ المُؤَرِّشِ[(٥)] يُعْتَبِ

(١) فى م : « لسليمان » . وفى سائر الأصول : « لسليم الوادى » . (٢) الممطر والممطرة (بكسر الميم فيهما) : ثوب من صوف يلبس فى المطر يتوقى به منه . (٣) هذه رواية الديوان فى هذا الشطر . وفى الأصول :

* ولا يعلمن حىّ من النــاس مذهبى *

وفى هذه الأبيات اختلاف يسير عما فى الديوان . (٤) الكاشح : العدوّ المضمر للعداوة ؛ لأنه يطوى كشحه على العداوة أو لأنه يتباعد عنك و يوليك كشحه . (٥) أرّش بين القوم : أفسد . وفى س : « المحرش » . والمحرّش : الذى يغرى بعض القوم ببعض .

صـــوت

ما بالُ أهلِك يا رَبابُ * خُزْراً(1) كأنّهمُ غِضابُ

إن زُرْتُ أهلَكِ أوْعَدُوا * وتَهِرّ دونَهمُ الكلابُ

عروضه من الكامل(2). الشعر لعَلَس ذى جَدَنٍ الحِمْيَرىّ، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه. والغناء لطُوَيْس، ولحنُه المختار خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر.

نسب علس ذى جدن وأخباره

نسبه وسبب لقبه

هو عَلَسُ بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِىّ بن مالك ابن زيد الجُمهور(3) بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أعز(4) بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر ابن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر. ولُقِّب ذا جَدَنٍ لحسن صوته — والجَدَن: الصوت بلغتهم — ويقال: إنه أوّل من تَغَنّى باليمن.

٣٨
—
٤

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ وأبى مِسْكين قالا: إنّما سُمِّى ذا جَدَنٍ لحسن صوته.

(1) خزرا: جمع أخزر. والأخزر: الذى ينظر بلحظ عينه.

(2) هو من مجزوء الكامل المرفّل.

(3) فى نهاية الأرب (ج ٢ ص ٣٠٨ طبعة أولى) عند كلامه على نسب أحد ولد الهميسع بن حمير: «... زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدىّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو ... الخ» ويلاحظ أن بين سياق النسبين خلافا.

(4) فى نهاية الأرب (ص ٣٠٩): «ابن زهير بن أيمن بن الهميسع». وفى كتاب العبر لابن خلدون (ج ٢ ص ٥١ طبع بلاق): «زهير بن أيمن بن الهميسع».

قبره بصنعاء وآثاره

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنا علىُّ بن الصَّبّاح عن ٱبن الكَلْبىّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذى الشَّعَار الهَمْدانىّ عن حَيّان بن هانئ الأَرْحَبِىّ عن أبيه قال :

أخبرنى رجلٌ من أهل صَنْعاء : أنّهم حفَروا حفيرًا فى زمن مَرْوان ، فوقفوا على أَزَجٍ[1] له بابٌ ، فإذا هم برجلٍ على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب ، وعند رأسه لَوْحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : « أنا عَلَس ذو جَدَنٍ القَيْلُ ، لخليلى منّى النَّيْل ، ولعَدُوّى منّى الوَيْل . طلبت فأدركتُ وأنا ٱبن مائة سنةٍ من عمرى ، وكانتِ الوَحْشُ تأْذَنُ[2] لصوتى . وهذا سيفى ذو الكَفّ عندى ، ودِرْعى ذاتُ الفُروج و رُمْحِى الهِزَبْرِىّ ، وقوسى الفَجْواء[3] ، وقَرَنى[4] ذاتُ الشرّ ، فيها ثلاثمائة حَشْر ، من صَنْعة ذى نَمِر[5] ، أعددت ذلك لدفع الموت عنّى فخاننى . » قال : فنظرْنا فإذا جميعُ ذلك عنده . ووجدت هذا الخبر عن ٱبن الكلبىّ فى بعض الكتب من غير رواية ٱبن عَمّار ، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبرًا ، وعليه مكتوبٌ تحت شاربِه[6] بالمُسْنَد[7] : « بِٱستِ ٱمرئٍ كنتَ فى يده فلم يَنْتَصِر » .

انقضت أخباره .

---

(١) عبارة القاموس وشرحه مادّة أزج : « الأزج محركة : ضرب من الأبنية » . وفى الصحاح والمصباح واللسان : الأزج : بيت يبنى طولا و يقال له بالفارسية أوستان . (٢) تأذن كفرح : تسمع . يشير بذلك الى جمال صوته . (٣) القوس الفجواء : هى التى يبين وترها عن كبدها ، ومثل الفجواء القَجّاء والمنفجة . (٤) القرن : الجعبة . والحشر : الدقيق من الأسنّة . (٥) ذو نمر : واد بنجد فى ديار بنى كلاب . (انظر معجم ياقوت فى نمر ، وكتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه فى « ذى نمر ») . (٦) للسيف شاربان وهما ، كما قال ابن شميل ، أنفان طويلان أسفل القائم ، أحدهما من أحد الجانبين والآخر من الجانب الآخر ، وتحتهما الغاشية . والشارب والغاشية يكونان من حديد وفضة وأدم . (٧) المسند : خط حمير ، وهو موجود بكثرة فى الحجارة وقصور اليمن ، وترى صورته فى كتاب منتخبات فى أخبار اليمن (ص ٢ ٥ طبع ليدن) وكتاب تاريخ الأدب للرحوم حفنى ناصف بك (ج ١ ص ٥٠ طبع مصر) .

أخبار طُوَيْس ونسبه [1]

أوّل من صنع الهزج والرمل واشتهر بالهزج

طُوَيْسٌ لقبٌ، واسمه طاوُس [2]، مولى بنى مخزوم. وهو أوّلُ مَنْ غنّى الغناءَ المُتْقَنَ من المخنَّثين . وهو أوّلُ مَن صنع الهَزَجَ والرَّمَلَ فى الإسلام . وكان يقال : أحسنُ الناسِ غناءً فى الثَّقيل ٱبنُ مُحْرِز ، وفى الرمَل ٱبنُ سُرَيْج، وفى الهزج طُوَيْس . وكان الناس يَضْرِبون به المَثَل، فيقال : « أَهْزَجُ من طُوَيس » .

غنى أبان بن عثمان بالمدينة فطرب وسأله عن عقيدته وعن سنه وعن شؤمه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن ٱبن الكلْبىّ عن أبيه وأبى مِسْكين، قال إسحاق : وحدّثنى المدائنىّ والهَيْثَم بن عَدِىّ عن صالح بن كَيْسان :

أنّ أبَانَ بن عثمان وفَد على عبد الملك بن مَرْوان، فأمّره على الحجاز؛ فأقبل حتّى إذا دنا من المدينة تلقّاه أهلُها، وخرج إليه أشرافُها، فخرج معهم طُوَيْس؛ فلمّا رآه سلّم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ، إنّى كنتُ أعطيت اللهَ عهدًا لئن رأيتُك أميرًا لأَخْضِبَنّ يدىّ إلى المِرْفَقين ، ثم أَزْدُو [3] بالدُّفّ بين يديك ، ثم أَبْدَى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذى جَدَن الحِمْيَرىّ :

ما بالُ أهلِك يا رَبابُ * خُزْرًا كأنّهم غِضابُ

قال : فطَرِب أبَان حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له : حَسْبُك يا طاوُس — ولا يقول له : يا طُوَيْس لِنُبْلِه فى عينه — ثم قال له : اجْلِسْ فجلَس . فقال له أبان : قد زعموا أنّك كافر . فقال : جُعِلتُ فِداءَك ! والله إنّى لأَشْهَدُ أنْ لا إلهَ

---

(١) تقدمت لطويس ترجمة أخرى فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (صفحة ٢٧ — ٤٤) . وقد ذكرنا هناك ماقد يكون سببا فى تكرار الترجمة، و بينا سبب عدم ضمنا إحدى الترجمتين إلى الأخرى . (٢) تقدم فى ترجمته فى الجزء الثالث من هذا الكتاب أن اسمه عيسى بن عبد الله . (٣) أزدو : أضرب .

إلا اللهُ وأنّ محمدًا رسولُ الله، وأصلّى الخمسَ، وأصوم شهرَ رمضان، وأحُجّ البيت. فقال: أفأنت أكبرُ أم عمرو بن عثمان؟ — وكان عمرٌو أخا أبان لأبيه وأمّه — فقال له طويس: أنا والله، جُعلتُ فداءك، مع جلائل[1] نساء قومى، أُمسكُ بذُيولهنّ يومَ زُفّتْ أُمُّك المباركةُ إلى أبيك الطيّب[2]. قال: فآستحيا أبان ورَمَى بطَرْفه إلى الأرض.

٣٩ / ٤

وأخبرنى بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا العُتْبِىّ عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطُوَيس. وزاد فيها أنّ طُوَيْسًا قال له: تَدْرِى أيّها الأمير! قال: وما نَذْرُك؟ قال: نذرتُ إنْ رأيتُك أميرًا فى هذه الدار أنْ أغَنّىَ لك وأزْدُو بدُفّى بين يديك. فقال له: أَوْفِ بنَذْرِك؛ فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾. قال: فأخرجَ يديه مخضوبتين، وأخرج دُفّه وتَغَنّى:

* ما بالُ أهلِك يارَبابُ *

وزاد فيه: فقال له أبان: يقولون: إنّك مشئوم، قال: وفوق ذلك! قال: وما بلَغ من شُؤْمك؟ قال: وُلِدتُ ليلةَ قُبِض النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، وفُطِمْتُ ليلةَ مات أبو بكر رضى الله عنه، وآحتلمتُ ليلةَ قُتِل عُمَر رضوانُ الله عليه، وزُفّتْ الىّ أهلى ليلةَ قُتِل عثمانُ رضى الله عنه. قال: فآخرُجْ عنّى عليك الدَّبارُ[3].

أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثنى مُصْعَب بن عثمان عن نَوفَل بن عُمَارةَ قال:

(١) كذا فى حـ، ط، ى. وفى سائر النسخ: «حلائل» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.
(٢) قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج٣ ص ٢٤٢) بعد أن ساق هذه القصة: «انظر الى حذقه ورقة أدبه كيف لم يقل أمك الطيبة الى أبيك المبارك». وفسر ذلك الجاحظ فى كتابه الحيوان (ج ٤ ص١٩) فقال: «ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك لم يحسن ذلك؛ لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما تصل به من الكلام، وقد قال الشاعر: * والطيبون معاقد الأزر * وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول وجدتها طيبة، يريد طيبة الكوم (الوطء) لذيذة نفس الوطء».
(٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى م: «الدمار» ومعناهما: الهلاك.

خرج يحيى بن الحَكَم[1] وهو أمير على المدينة ، فبَصُر بشخص بالسَّبخة مما يلى مسجدَ الأحزاب ، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلَس ، فآستراب به ، فوجّه أعوانه فى طَلَبه ؛ فأُتِى به كأنه آمرأةٌ فى ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو مُمْتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ . فقال له أعوانه : هذا آبن نُغَاش[2] المُخَنَّث . فقال له : ما أُحْسَبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئا ، اقرأْ أُمَّ القرآن . فقال : يا أبانا لو عرفت أمّهنّ عرفتُ البناتِ . فقال له : أتَهزَأُ بالقرآن لا أمّ لك ! وأمر به فضُرِبتْ عُنُقه . وصاح فى المخنّثين : مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة[3] درهم . قال زَرَجُون المخنّث : فخرجتُ بعد ذلك أريد العالِيَةَ ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبنى ، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَماتِ قومٍ آنَسُ بهم ، ففتحتُه ودخلتُ ، فإذا بطُوَيْسٍ قائمٌ فى يده الدُّفُّ يتغنّى ؛ فلمّا رآنى قال لى : إيه يا زَرَجون ! قتَل يحيى بنُ الحَكَم ابنَ نُغَاش[4] ؟ قلتُ نعم . [قال][5] : وجعَل[6] فى المخنَّثين ثلاثمائة درهم ؟ قلتُ نعم . فآندفع يُغنِّى :

ما بالُ أهلكِ يا ربابُ ＊ خُزْرًا كأنّهمُ غضابُ

إن زرتُ أهلكِ أوعدوا ＊ وتَهِرّ دونهمُ كلابُ

ثم قال لى : وَيْحَكَ ! أفَمَا جعلَ فىّ زيادةً ولا فَضَّلنى عليهم فى الجُعْلِ بفضلى [شيئا][7] .

(١) ساق المؤلف هذا الخبر فى الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٢٩ من هذه الطبعة) منسوبا لأخيه مروان ، وكلاهما ولى المدينة . (٢) فى الخبر السابق بالجزء الثالث : «النغاشى» . (٣) فى الخبر السابق : «عشرة دنانير» . (٤) فى ب ، سـ : «قال ابن نغاش» بزيادة «قال» . ولا يستقيم معها السياق . (٥) زيادة فى ط ، ء . (٦) فى ب ، سـ : «أوجعل» بهمزة الاستفهام . على أن الاستفهام مفهوم من سياق الكلام . (٧) زيادة عن م ، سـ .

مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر

أخبرني محمد بن عمرو العَتّابي[1] قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان — ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف[2] — قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفيّ قال حدّثني حُسين بن دَحْمان الأشْقَر قال :

كنتُ بالمدينة، فخَلَا لى الطريق وَسَطَ النهار، فجعلتُ أتغنّى :

ما بالُ أهلكِ يا رَبابُ * خُزْرًا كأنّهمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوْخةٌ[3] قد فُتِحتْ، وإذا وجهٌ قد بدا تَتْبَعه لِحيةٌ حمراء، فقال : يا فاسقُ أسأتَ التأدية، ومنعتَ القائلةَ، وأذعتَ الفاحشةَ ؛ ثم اندفع يُغَنّيه، فظننتُ أنّ طُوَيْسًا قد نُشِر بعينه[4] ؛ فقلت له : أصلحَك اللهُ ! مِنْ أين لك هذا الغِناءُ ؟ فقال : نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أتبَعُ المُغنّين وآخُذ عنهم، فقالت لى أُمّى : يا بُنَيّ إنّ المُغَنِّى إذا كان قبيحَ الوجه لم يُلْتَفَتْ إلى غِنائه، فدَعِ الغِناءَ واطلُبِ الفقه ؛ فإنه لا يضرّ معه قبحُ الوجه . فتركتُ المُغنّين واتّبعتُ الفقهاء، فبلَغ الله بى عزّ وجلّ ما ترى . فقلتُ له : فأعِدْ جُعِلتُ فداءك ! قال : لا ولا كَرامةَ ! أتريد أن تقول : أخذتُه عن مالك بن أَنَس ! وإذا هو مالكُ بن أنس ولم أعلم .

(١) كذا فى ط، ء . وفى حـ : «محمد بن عمرو العباسى القرشى» . وفى ب، سـ : «محمد ابن عمر العباسى القرشى» . وفى م : «محمد بن العمرو الغنائى القرشى» . وقد بحثنا عنه فى إنباه الرواة للقفطى ومعجم الأدباء لياقوت وتاريخ ابن خلكان ونزهة الألبا لابن الأنبارى وبغية الوعاة للسيوطى وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى، فلم نجده حتى نرجح إحدى هذه الروايات . (٢) هذه الجملة المعترضة ساقطة من ء، ط . (٣) الخوخة : البويب، أو الباب الصغير فى الباب الكبير . (٤) كذا فى حـ، سـ، م . وفى باقى الأصول : «يغنيه» بصيغة الفعل المضارع .

صوت
من المائة المختارة

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ * ـشِ أمسى دارسًا خَلَقَا
وقفتُ به أُسائلُه * ومرّت عِيسُهم حِزَقَا[1]
عَلَوْا بك ظاهرَ البَيْدا * ءِ والمحزونُ قد قَلِقَا

حديث النبي عن انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة

— ذات الجيش : موضع . ذكر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ جيشًا يغزو الكعبة ، فيُخْسَف بهم إلّا رجلًا واحدًا يُقْلَب وجهُه إلى قَفَاه ، فيرجع إلى قومه كذلك ، فيخبرهم الخبر . حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجَعدىّ قال حدّثنا محمد ابن بَكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقةَ قال سمعتُ نافعَ[2] بن جُبَيْر ابن مُطْعِم يقول حدّثتني عائشةُ قالت :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : "يغزو جيشٌ الكعبةَ حتى إذا كانوا بِبَيْداءَ من الأرض خُسِفَ بأوّلهم وآخرِهم" . قالت عائشة : فقلت يا رسولَ الله ، كيف يُخْسَفُ بأوّلهم وآخرهم وفيهم سِوَاهم ومَنْ ليس منهم ؟ قال : "يُخْسَفُ بأوّلهم وآخرهم ثم يُبْعَثُون على [قَدْرِ][3] نِيّاتهم" — الشعر للأحْوَص ، والغناءُ في هذا اللحن المختار للدّلَال المخنّث وهو أحد مَنْ خَصَاه ابن حَزْم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المخنّثين . والخبرُ في ذلك يُذْكَرُ بعدُ . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر في الأوّل والثالث . ولإسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرّمل عن يونس والهشاميّ وغيرهما . وفيه رملٌ يُنْسَبُ إلى ابن سُرَيْج ، وهو مما يُشَكُّ في نسبته إليه . وقيل : إنّ خفيف الرّمَل لابن سُرَيْج ، والرّمل لمالك . وذكر حَبَش أنّ فيه للدّلَال خفيفَ ثقيلٍ بالبِنْصَر أيضا .

(١) حزقا : جماعات ، واحده حزقة .
(٢) كذا في أكثر الأصول ، وهو الموافق لما في الطبرى وتهذيب التهذيب . وفي ى ، ط : «نافع بن حسن بن معظم» وهو تحريف .
(٣) الزيادة عن م ، ء .

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

اسم الأحوص ولقبه ونسبه

هو الأحوص . وقيل : إنّ اسمه عبد الله، وإنّه لُقِّب الأحوصَ لحَوَص[1] كان فى عينيه . وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح — واسم أبى الأقلح قيس — بن عُصَيمة بن النُّعمان بن أُمَيّة بن ضُبَيْعة بن زيد بن مالك بن عوف ابن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس . وكان يقال لبنى ضُبَيْعة بن زيد فى الجاهلية : بنو كَسِر الذَّهَب . وقال الأحوص حين نُفِى إلى اليمن :

بَدّل الدهرُ من ضُبَيْعة عَكًّا[2] * جيرةً وهو يُعقِب الأبدالا

سبب تسمية جده عاصم حمى الدبر

وكان جدّه عاصمٌ يقال له حَمِيّ الدَّبْر، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بَعَثه بَعْثًا، فقتله المشركون ، وأرادوا أن يصلُبوه فحمتْه الدَّبْر، وهى النَّحْل، فلم يقدروا عليه ، حتى بعث اللهُ عزّ وجلّ الوادىَ[3] فى الليل فاحتمله فذهب به . وفى ذلك يقول الأحوصُ مفتخرًا :

وأنا[4] ابنُ الذى حَمَتْ لحمَه الدَّبْـ * ـرُ قتيلِ اللِّحْيانِ[5] يومَ الرَّجيع

قصة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذى أرسل معهم

حدّثنا بالخبر فى ذلك محمد بن جَرير الطَّبَرىّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ بن الفَضْل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمَر بن[6] قَتادةَ قال :

(١) الحوص (بالتحريك وبابه كفرح) : ضيق فى مؤخر العينين أو فى إحداهما .

(٢) عك : قبيلة من قحطان باليمن .

(٣) الوادى : كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام ، والمراد هنا : السيل الذى يجرى فيه .

(٤) صحح العلامة الشنقيطى بقلمه بهامش نسخته من كتاب معجم ما استعجم للبكرى (المحفوظ بدار الكتب المصرية طبع أوربا تحت رقم ٢ جغرافيا ص ١٠٤) كلمة «وأنا» بكلمة «وأبى» .

(٥) لحيان (بفتح اللام وكسرها) : حىّ من هذيل .

(٦) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «عن قتادة» . والصواب فى حـ ؛ لأن الذى فى تهذيب التهذيب والخلاصة أن عاصم بن عمر لم يرو عن جدّه قتادة بل روى عن أبيه عمر .

٤١/٤

قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أُحُد رَهْطٌ من عَضَل والقَارة[1]، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّ فينا إسلامًا وخيرًا، فابْعث معنا نفرًا من أصحابك، يُفقِّهونا[2] في الدِّين، ويُقرِئونا[2] القرآن، ويعلِّمونا[2] شرائعَ الإسلام؛ فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معهم نفرًا ستّةً[3] من أصحابه: مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ حليفَ حمزة بن عبد المُطّلب، وخالدَ بن البُكَيْر حليفَ بني عَدِيّ بن كَعْب، وعاصمَ بن ثابت بن أبي الأَقْلَح أخا بني عَمْرو بن عَوْف، وخُبَيبَ بن عديّ أخا بني جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عمرو ابن عَوْف، وزيدَ بن الدَّثِنَة[4] أخا بني بَياضةَ بن عامر، وعبدَ الله بن طارِق حليفًا[5] لبني ظَفَر من بَلِيّ، وأمَّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [عليهم][6] مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَد،

(١) قال القسطلاني في شرح البخاري (ج ٦ ص ٣٧٣ طبع بلاق): «عضل: بطن من الهون ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ينسبون إلى عضل بن الديش. والقارة: بطن من الهون ينسبون إلى الديش المذكور. أو القارة: أكمة سوداء، كأنهم نزلوا عندها فسموا بها». وقد ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ١١٠): أن الهون وعضل والقارة إخوة لهذيل وفسر أسماءهم. وسأل الأخفش المبرد عنهما فقال: «هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم». (راجع الكامل ص ٦٣٢ طبع أوروبا). (٢) كذا في حـ بحذف النون مجزوما في جواب الطلب. وفي سائر الأصول بإثبات نون الرفع، على أن تكون الجملة صفة لنفر. (٣) وردت هذه الأسماء مضطربة في بعض الأصول. وما أثبتناه عن ط، ب. وهو الموافق لما في الطبري (قسم أوّل ص ١٤٣٢ طبع أوروبا) والسيرة لابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوروبا). وقد ذكرت هذه الأسماء في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٧٥ طبعة أولى) وشرح القاموس (مادة رجع) كما هنا بزيادة سابع هو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لأمه. إلا أنه ذكر بدل معتب بن عبيد هذا في شرح القاموس «مغيث بن عبيدة» وهو تحريف. (٤) الدثنة: بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة والنون المفتوحة المشددة ثم تاء تأنيث، قال ابن دريد: من قولهم: دثن الطائر اذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه. (انظر الاشتقاق ص ٢٧٢ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٢ ص ٨٠ طبع بلاق). (٥) كذا في حـ، م. وهو الموافق لما في الطبري والسيرة. وفي سائر الأصول: «حلفاء» وهو تحريف. (٦) زيادة عن م.

خرجوا مع القوم، حتّى إذا كانوا على الرَّجيع (ماء لهُذَيل بناحية من الحجاز من صَدر الهَدْأة)[1] غدرُوا بهم[2]، واستصرَخُوا عليهم هُذَيلاً، فلم يُرَع القومُ وهم فى رحالهم إلّا بالرِّجال فى أيديهم السيوفُ قد غَشُوهم؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القومَ؛ فقالوا: [إنّا][3] والله ما نُريد قتلَكم، ولكنّا نُريد أن نُصيبَ بكم شيئاً من أهل مكّة، ولكم عهدُ الله وميثاقُه ألّا نقتلكم. فأمّا مَرْثَدُ بن أبى مَرْثَد، وخالدُ بن البُكَير، وعاصمُ بن ثابت بن أبى الأَقْلَح فقالوا: إنّا والله لا نَقْبَلُ من مُشْرِك عهداً ولا عقداً أبداً! فقاتَلُوهم حتّى قتلوهم جميعاً. وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة، وخُبَيبُ بن عَدِىّ، وعبدُ الله بن طارق فلانُوا ورَقُّوا ورَغِبوا فى الحياة وأَعْطَوْا بأيديهم[4]؛ فأَسَرُوهم، ثم خرجوا بهم إلى مكّةَ لِيَبيعُوهم بها؛ حتّى إذا كانوا بالظَّهْران[5] انتزع عبدُ الله بن طارق يدَه من القِرَان[6]، ثم أخذ سيفَه واستأخر عن القوم، فرَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه، فقَبرُه[7] بالظَّهْران. وأمّا خُبَيبُ بن عَدِىّ وزيد بن الدَّثِنَّة، فقَدِموا بهما مكّة فباعوهما. فابتاع خُبَيباً حُجَيرُ بن أبى إهَاب التَّميمىّ حليفُ بنى نَوْفَل لعُقْبةَ بن الحارث بن عامر بن نَوْفَل — وكان حُجَيرٌ أخا الحارث بن عامر بن نَوْفَل لأُمّه — ليقتلَه بأبيه[8]. وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفْوانُ

---

(١) فى معجم ما استعجم للبكرى: «ماء لهذيل لبنى لحيان منهم بين مكة وعُسْفان بناحية الحجاز... الخ».

(٢) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى نقلا عن ابن إسحاق. وضبط البكرى «الهدأة» بالعبارة فقال: «بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة بعدها همزة مفتوحة». وفى جميع الأصول: «الهدة» بدون همز. وفى السيرة وتاريخ الطبرى: «صدور الهدأة». وفى س، ح: «حدود» بالدال المهملة، وهو تحريف. والهدأة: موضع بين عسفان ومكة. (٣) زيادة عن ء، ط، م. (٤) أعطوا بأيديهم: انقادوا. (٥) الظهران: واد بين مكة وعسفان. (٦) القران: الحبل. (٧) فى ط، ء: «فقبروه». (٨) كذا فى: ح: م، وهو الموافق لما فى السيرة والطبرى. وفى سائر الأصول: «بابنه» وهو تحريف؛ لأن الذى قتله خبيب يوم بدر هو الحارث بن عامر بن نوفل والد عقبة، كما يجىء بعد فى حديث أبى كريب.

ابن أُمَيَّة ليقتله بأُمَيَّة بن خَلَف أبيه . وقد كانت هُذَيل حين قُتِل عاصمُ بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلَافةَ بنت سَعْد بن شُهَيْد[1]، وكانت قد نَذَرتْ حين قَتَل عاصمٌ ابنَها[2] يومَ أُحُد لئن قَدَرتْ على رأس عاصمٍ لَتَشْرَبَنّ فى قِحْفِه[3] الخَمر، فمنعتْه الدَّبْر. فلمّا حالت بينهم و بينه قالوا : دَعُوه حتى يُمْسِيَ ، فتذهب عنــه فنأخذه . فبعث الله عزّ وجلّ الوادىَ فآحتمل عاصمًا فذهب به. وكان عاصمٌ قد أعطى الله عزّ وجلّ عهدًا لا يَمَسَّه مشركٌ أبدًا ولا يَمَسّ مشركًا أبدًا تَنَجُّسًا[4] منه . فكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يقول حين بلَغه أن الدَّبْر مَنعتْه : «عجبًا لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن! كان عاصم نَذَر ألّا يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسّ مشركًا أبدًا فى حياته ، فمنَعَه الله بعد مماته كما آمتنع منه فى حياته ! » .

رواية أخرى عن البعث ومصيره

قال محمد بن جَرير : وأمّا غير آبن إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السَّرِيَّة غيرَ الذى قَصَّه غيرُه :

من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيْب قال حدّثنــا جعفر بن عَوْن العَمْرِىّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عُمَر[5] أو عمرو بن أَسِيد عن أبى هُرَيرة :

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ق ٢ ج ٣ ص ٣٣ طبع أوربا) وتاريخ الطبرى وسيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكرى . وفى الأصول : «سهيل» وهو خطأ . (٢) فى معجم ما استعجم : «ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد أم مسافع والجلاس ابنى طلحة ، وكان عاصم قتلهما يوم أحد فنذرت... الخ» . وفى طبقات ابن سعد أنها جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة . (٣) القحف (بالكسر) : العظم الذى فوق الدماغ . (٤) يقال : فلان يتنجس إذا فعل فعلا يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج ويتحنث إذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرج والحنث . (٥) كذا فى تاريخ الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٤ طبع أوربا) وقد ذكره صاحب تهذيب التهذيب فى اسم عمرو بن أبى سفيان بن أسـيد وأورد اسمه أيضا فى «عمر» وأحاله على «عمرو» ، وهـذا يفيد ترجيحه اسم «عمرو» ، كما أنه أثبت فى ترجمة أبى هريرة رواية عمرو بن أبى سـفيان بن أسيد عنه . وفى حـ : «عن عمر أو عمرو بن أسـد» . وفى سائر الأصول : «عمرو بن عمرو بن أسـد» وهما تحريف ؛ لأنه لم يوجد فى أسماء الرواة من تسمى بهذا الاسم .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عشرةَ رهْطٍ، وأمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت ابن أبى الأَقْلَح، فخرجوا، حتّى إذا كانوا بالهَـدْأة ذُكِروا لحىٍّ من هُذَيْل يقال لهم بنو لَحْيان، فبعثوا إليهم مائةَ رَجُلٍ رامياً، فوجدوا مأْكَلَهم حيث أكلوا التَّمْر، فقالوا: نَوَى يَثْرِب! ثم ٱتَّبَعُوا آثارَهم، حتّى إذا أَحَسَّ بهم عاصمٌ وأصحابُه ٱلتجئوا إلى جبل، فأحاط بهم الآخَرُون فٱستنزلوهم، وأَعْطَوْهُم العهدَ. فقال عاصم: والله لا أنزِل على عهدِ كافرٍ، اللّهُمَّ أَخْبِرْ نَبِيَّك عنّا. ونَزَل إليهم ابن الدَّثِنَّة البَيَاضىّ، وخُبَيْبٌ، ورجلٌ آخَر، فأطلق القومُ أوتارَ قِسِيِّهم، ثم أَوْثَقُوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة، فقال: هذا والله أوّلُ الغَدْر، والله لا أَتْبَعكم، فضربوه وقتلوه، وانطلقوا بخُبَيْب وٱبن الدَّثِنّة إلى مكّة، فدفعوا خُبَيْباً إلى بنى الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبد مناف، وكان خبيبٌ هو الذى قتل الحارثَ بأُحُد. فبينما خُبَيْبٌ عند بناتِ الحارث، ٱستعار من إحدى بنات الحارث مُوسَى لِيَسْتَحِدّ بها[(١)] للقَتْل، فما راعَ المرأةَ ولها صَبِىٌّ يدرُج إلّا خُبَيْبٌ قد أجلس الصبىَّ على فَخِذه والمُوسَى بيده، فصاحتِ المرأة؛ فقال خُبيب: أتحسَبِينَ أنّى أقتُله! إنّ الغَدْرَ ليس من شأننا. قال: فقالت المرأة بعدُ: ما رأيت أسيرًا قَطُّ خيرًا من خُبَيْب، لقد رأيته وما بمكّة من ثَمَرةٍ وإنّ فى يده لَقِطْفًا من عِنَبٍ يأكُله، إنْ كان إلّا رزقًا رَزَقه الله خُبَيْباً. وبَعَثَ حىٌّ من قُرَيْش إلى عاصمٍ ليُؤْتَوْا من لحمه بشىء، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثارٌ[(٢)] بأُحُد، فبعَث الله عليه دَبْرًا فحمتْ لحمَه

(١) يستحدّ: يحلق شعر عانته. قال فى اللسان مادة حدد: «وفى حديث خبيب أنه استعار موسى استحدّ بها لأنه كان أسيرا عندهم وأرادوا قتله، فاستحدّ لئلا يظهر شعر عانته عند قتله». ومنه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرقوا النساء ليلا فقال: «أمهلوا كى تمتشط الشَّعِثة وتستحدّ المُغِيبة». قال أبو عبيد: «وهو استفعال من الحديدة يعنى الاستحلاق بها، استعمله على طريق الكناية والتورية».

(٢) كذا فى أكثر النسخ. وآثار: جمع ثأر على القلب. وفى حـ: «أوتار» جمع وتر، وهو الجناية التى يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى.

فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئا. فلمّا خرجوا بخُبَيب من الحَرَم ليقتلوه، قال: ذَرُونِى أُصَلِّ ركعتين، فتركوه فصلَّى ركعتين ــ فجرتْ سُنّةً لمن قُتِل صَبْرًا أن يُصلِّىَ ركعتين ــ ثم قال: لولا أن يقال جَزِعَ لَزِدْتُ، وما أُبَالِى:

* عَلَى أىِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعِى[1] *

ثم قال:

وذلك فى ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ[2] * يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

اللّهمَّ أَحْصِهِم عَدَدًا[3]، وخُذْهُم بِدَدًا. ثم خرج به أبو سِرْوَعَةَ[4] بن الحارث بن عامر ابن نَوْفَل بن عبد مَنَاف فضربه فقتله.

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيْب قال حدّثنا جعفر بن عَوْن عن إبراهيم ابن إسماعيل، قال وأخبرنى جعفر بن عمرو بن أُمَيَّة عن أبيه عن جدّه:

---

(١) هذا الشطر من قصيدة نسبها ابن هشام فى السيرة (ص ٦٤٣ طبع أوربا) لخبيب هذا، ومطلعها:

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

(٢) فى ذات الإله: فى طاعته وطلب رضاه وثوابه. والأوصال: جمع وِصل وهو العضو. والشلو (بكسر الشين المعجمة وسكون اللام): الجسد. وممزع: مقطع. (٣) أحصهم: أهلكهم بحيث لا تبق من عددهم أحدا. وخذهم بددا: قال ابن الأثير: يروى بكسر الباء، جمع بِدّة وهى الحصة والنصيب، أى اقتلهم حصصا مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه، ويروى بالفتح من التبديد أى متفرّقين فى القتل واحدا بعد واحد. (٤) أبو سروعة (بكسر السين المهملة وفتحها، كما فى شرح القسطلانى على صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٧٦ طبع بلاق): كنية عقبة بن الحارث النوفلى القرشى الصحابى، وهو الذى قتل خبيب بن عدى. وقال فى القاموس مادّة سرع: «وأبو سروعة، ولا يكسر وقد تضم الراء، عقبة ابن الحارث الصحابى». قال شارحه: «وفى التكملة: وأصحاب الحديث يقولون: أبو سروعة بكسر السين، وقد ضبطه النووى بالوجهين، ثم قال: وبعضهم يقول: أبو سروعة مثال فَرُوقة وركوبة، والصواب ما عليه أهل اللغة».

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليــه وسلّم بعثه وحدَه عيناً إلى قُرَيْش . قال : فجئتُ إلى خَشَبة خُبَيْبٍ وأنا أتخوّف العيونَ، فرَقِيتُ فيها، فحللتُ خُبَيْباً فوقَع إلى الأرض، فآنتبذتُ[1] غيرَ بعيدٍ، ثم التفتُّ فلم أَرَ لخبيبٍ أثراً، فكأنّمـا الأرضُ آبتلعتْه، فلم تَظْهَرْ لخبيبٍ رِمّةٌ حتّى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة، فإنّ صَفوانَ بن أُمَيّةَ بعثَ[به][2] — فيما حدّثنا آبن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ عن ابن إسحاق — [مع][2] مولًى له يقال له نِسْطَاس إلى التَّنْعيم ، فأخرجه من الحَرَم ليقتله ؛ وآجتمع [إليــه][2] رهطٌ من قريش فيهم أبو سُفْيان بن حَرْب ؛ فقــال له أبو سفيان حين قُدِّم لِيُقْتَلَ : أَنْشُدُكَ اللهَ يازيد ، أتُحِبُّ أنّ محمّدًا عنــدنا الآن مكانَك فنَضْرِب عُنُقَه وأنّك فى أهلك ؟ فقال : والله ما أُحِبُّ أنّ محمّدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبُه شوكةٌ تُؤْذِيه وأنا جالس فى أهلى ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحدًا يُحِبُّ أحدًا كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمدًا ! ثم قتله نِسْطَاس .

نزول عبـــد الله وأبى أحمـد آبنى جحش من المهاجرين على عاصم بن ثابت

أخبرنى أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبِىّ[3] قال حدّثنا محمد ابن فُلَيح عن موسى بن عُقْبةَ عن ابن شِهَاب[4] قال :

(١) كذا فى الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٦ طبع أوربا) . وانتبذ : تنحى . وفى حـ ، م : «فآستدرت» . وفى سائر الأصول : «فاشتددت» . (٢) الزيادة عن الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٧) .
(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « محمد بن القاسم » . والذى فى تهـذيب التهذيب أن الذى روى عن محمد بن فليح هو محمد بن إسحاق المسيبى . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، ى : «أبى شهاب» ، وهو تحريف . وفى تهذيب التهذيب أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهرى ، وهو الذى روى عنه موسى بن عقبة .

نزل عبد الله وأبو أحمد آبنا جَحْش[1]، حين قَدِما مُهاجِرَيْنِ، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان .

شعر لعاصم بن ثابت وكنيته

وقال عاصم :

أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَدِ[2] * ومُجْنأٌ من جلد ثورٍ أَجْرَدِ

٤٣ / ٤

وذكر لنا الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير أنّ عاصمًا ، فيما قيل ، كان يُكْنَى أبا سُفْيان . قال : وقال في يوم الرَّجيع :

أنا أبو سُفْيانَ مِثْلِي رَامَا[3] * أَضْرِبُ كَبْشَ العارضِ[4] القَدَّامَا

كنية الأحوص واسم أمه وبعض صفاته

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله[5] عن إسماعيل ابن إبراهيم بن عُقْبَةَ عن عمّه قال :

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر أبو محمد الأسدى . وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو وأخوه أبو أحمد صحابيان ، وأختهما زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم . (انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٣ ص ١٣١ طبع بلاق) . (٢) كذا فى حـ ، وهو الموافق لما فى سيرة ابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوربا) . وفى م :

أبو سليمان وصنع المقعد * ومجنأ من جلد ثور أجلد

وفى سائر الأصول : « أبو سليمان وضيع المقعد» . والمقعد : فرخ النسر، وريشه أجود الريش ، وقيل : المقعد : النسر الذى قُشب له (خلط له السم فى اللحم) حتى صيد فأخذ ريشه . وقيل : المقعد : اسم رجل كان يريش السهام . والمجنأ : الترس الذى لا حديد به . يريد : أنا أبو سليمان ومعى سهام راشها المقعد ، وترس من جلد قوى ، فما عذرى إذا لم أقاتل . (٣) فى السيرة :

أبو سليمان ومثلى راما * وكان قومى معشرا كراما

ولم يذكر فى السيرة أن عاصما تكنّى بأبى سفيان . (٤) فى ب ، س : « العارضى » تحريف . والكبش : الرئيس . والعارض : الجيش تشبيها له بالسرب العظيم من الجراد فى انتشاره، أو بالسحاب . والقدّام (بفتح القاف وضمها مع تشديد الدال) والقدّيم (بكسر القاف) : السيد ومن يتقدّم الناس بالشرف . (٥) كذا فى ى، ط ، م ، وهو الصواب ؛ لأن الذى روى عن إسماعيل بن إبراهيم هو إسماعيل بن عبد الله كما فى الطبقات لابن سعد (ح ٥ ص ٣١٠) وتهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٧٢) . وفى سائر الأصول : « عن عبد الله » تحريف .

كُنية الأحْوص أبو محمد . وأُمُّه أُثَيْلَة بنت عُمَير بن مَخْشِىّ(1) ؛ وكان أحمرَ أحْوصَ العينين .

قال الزبير فحدّثنى محمد بن يحيى قال :

قَدِم الفَرَزْدَقُ المدينةَ ، ثم خرج منها ، فسُئل عن شُعَرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرَيْن وعَجِبتُ لهما : أحدُهما أَخْضَرُ يسكن خارجاً من بُطْحَانَ(2) (يُريد ابنَ هَرْمَةَ) ؛ والآخر أحمرُ كأنّه وَحَرَةٌ على بُرُودةٍ فى شعره (يريد الأحْوَص) . والوَحَرَةُ(3) : يَعْسُوبٌ أحمرُ ينزل الأنبار(4) .

هجاؤه لابنه

وقال الأحوصُ يهجو نَفْسَه(5) ويذكر حَوَصَه :

أَقْبِحْ به من وَلَدٍ وأَشْقِحِ(6) * مِثْلِ جُرَىِّ الكلب لم يُفَقِّحِ(7)

إنْ يَرَ سُوءاً لم يقُمْ فينبَحِ * بالبابِ عند حاجةِ المُسْتَفْتِحِ

قال الزُّبَير : ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِه غيرُ رجلين .

---

(1) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : « محشى » بالحاء المهملة . (2) بطحان (بضم الأوّل وسكون الثانى أو بفتح الأوّل وكسر الثانى) : واد بالمدينة ، وهو أحد أوديتها الثلاثة : العقيق و بطحان وقناة . (انظر القاموس وشرحه مادة بطح) ومعجم البلدان (فى بطحان) .

(3) كذا فى ى ، ط . وفى سائر الأصول : « قال : والوحرة يعسوب الخ » . وكلمة «قال» غير محتاج اليها هنا فى الكلام . (4) كذا فى أكثر الأصول . والأنبار، كما فى ياقوت ، : حدّ بابل ؛ سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن ، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها ، وكان يقال لها الاهراء . فلما دخلتها العرب عرّبتها فقالت الأنبار . وهذا التفسير الذى ذكره المؤلف للوحرة غريب ؛ إذ أجمعت كتب اللغة التى بين أيدينا على أن الوحرة (بالتحريك) : دويبة تشبه سام أبرص ، وقال الجوهرى : الوحرة بالتحريك : دويبة حمراء تلزق بالأرض . وفى حـ : « يلزم البثار » . (5) لعل هاهنا سقطا ؛ فانه يهجو بهذا الشعر ابنه لا نفسه . (6) أثبتنا هذين البيتين كما رواهما الجاحظ فى كتابه الحيوان (ج ١ ص ٢٥٤ طبع الحلبى) وقد قال : إنه هجا بهما ابنه . وقد وردا فى ب ، سـ هكذا :

أسمج به من ولد وأقبح * مثل جرى الكلب لم يفقح

يشر سوءا لم يقم فينبح * بالباب عند حاجة المستفتح

وفى ى ، ط : « يسرى شوا مالم يقم فينبح » . وفى م : « بشر سوء لم يقصر فينبح » .

(7) يقال : فقّح الجرو وفقح (بالتضعيف) ، وذلك أوّل ما يفتح عينيه وهو صغير .

طبقته فى الشعر عند ابن سلام ورأى أبى الفرج فيه

قال الزُّبير : وجعل محمدُ بن سَلّام الأحوصَ، وابنَ قيس الرُّقَيّات، ونُصَيبًا، وجَميلَ بن مَعْمَرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قَيْس(١)، وبعد نُصَيْب. [قال أبو الفرج](٢) : والأحْوَصُ، لولا ما وَضَع به نَفْسَه من دَنِيء الأخلاق والأفعال، أَشَدُّ تقدُّما منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرُّواة ؛ وهو أسمح طبعًا، وأسهلُ كلامًا، وأَصَحُّ معنًى منهم ؛ ولشِعْره رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم. وكان قليل المُروءة والدِّين، هَجَّاءً للناس، مَأْبونًا فيما يُرْوَى عنه.

جلد سليمان بن عبد الملك إياه والسبب فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثنى أبو عُبَيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه :

أنّ السبب فى جَلْد سُليمانَ بن عبد الملك(٣)، أو الوليد بن عبد الملك إيّاه ونَفْيِه له، أنّ شهودا شهِدوا عليه عنده أنه قال : إذا أخذتُ جَرِيرِى(٤) لم أُبالِ أىَّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحًا أو منكوحًا أو زانيًا. قالوا(٥) : وانضاف إلى ذلك أنّ سُكَيْنَةَ

---

(١) كذا فى س، ب، حـ. وفى ط، ى ورد هذان الاسمان بتقديم الثانى على الأوّل. وفى م وردا هكذا : «بعد ابن قيس وقبل نصيب». وقد ورد فى طبقات الشعراء لمحمد بن سلام المذكور (ص١٣٧ طبع ليدن) أن شعراء الطبقة السادسة هم : عبيد الله بن قيس الرقيات، والأحوص، وجميل، ونصيب. (٢) زيادة عن م. (٣) فى م : «فى ضرب ابن حزم». وابن حزم هذا هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كان عاملا لسليمان بن عبد الملك على المدينة.

(٤) الجرير : الزمام، وهذا كناية عن إطلاق مراحه. وفى الحديث أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله زمامه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خلوا بين جرير والجرير" أى دعوا له زمامه. وفى حـ، م : «صريرى». وفى سائر الأصول : «صريرى»، وهما تحريف.

(٥) فى ى، ط : «قال».

بنت الحسين رضى الله عنهما فخرتْ يومًا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ففاخرها بقصيدته التى يقول فيها :

* ليس جهلٌ أتيته ببديع *

فزاده ذلك حنقًا عليه وغيظًا حتّى نفاه .

فخرت سكينة بالنبىّ فأجابها بجدّه وخاله

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة :

أنّ الأحوصَ كان يومًا عند سُكَينة ، فأذّن المؤذّن ، فلمّا قال : أَشْهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلّا اللهُ ، أَشْهَدُ أنّ محمدًا رسولُ الله ، فخَرتْ سُكَينةُ بما سَمِعتْ ؛ فقال الأحوص :

فخَرتْ وانْتمتْ فقلتُ ذَرِينى * ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ
فأنا ابنُ[1] الذى حَمَتْ لَحْمَه الدَّبْـ * ـرُ قتيلِ اللِّحيان يومَ الرَّجيعِ
غَسَّلتْ خالىَ الملائكةُ الأبْـ * ـرارُ مَيْتًا طُوبَى له من صَريعِ

قال أبو زيد : وقد لَعَمْرى فخَر بفخرٍ لو على غيرِ سُكَيْنَة فخَر به ! وبأبى سُكينة صلّى الله عليه وسلّم حمتْ أباه الدَّبْرُ[2] وغَسّلتْ خالَه الملائكةُ .

٤٤ / ٤

هجاؤه لابن حزم عامل المدينة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن يحيى عن أيُّوب بن عُمَر عن أبيه قال :

لمّا جاء ابن حَزْم عَمَلَه من قِبَل سُليمانَ بن عبد الملك على المدينة والحجّ ، جاءه ابنُ أبى جَهْم بنِ[3] حُذَيفة وحُمَيْد بن عبد الرحمن بنِ عَوْف وسُرَاقةُ ، فدخلوا عليه

(١) نبهنا فيما تقدّم أن المرحوم الأستاذ الشنقيطى صحح هذه الكلمة بـ « وأبى ابن الذى ... » .

(٢) كذا فى حـ . وفى أكثر الأصول : « لحمه » . (٣) كذا فى ط ، ء ، وهو الموافق لما فى تاريخ الطبرى ، وهو أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى ، كما فى تهذيب التهذيب . وفى ب ، س ، حـ : « ابن أبى جهم حذيفة » بدون ذكر « ابن » وهو خطأ . وفى م : « ابن خذيفة » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

فقالوا له : إيه يا بنَ حَزم! ما الذى جاء بك؟ قال : استعملنى والله أميرُ المؤمنين على المدينة على رَغْم أَنْفِ من رَغِمَ أنفُه . فقال له ابنُ أبى جهم : يا بنَ حزم، فإنّى أوّلُ مَنْ يَرْغَمُ من ذلك أنفُه . قال فقال ابن حزم : صادقٌ ، والله يُحبّ الصّادقين . فقال الأحوص :

سليمانُ إذْ وَلّاكَ رَبُّك حُكْمَنا * وسُلْطانَنا فاْحكُمْ إذا قلتَ وآعْدِلِ
يَؤُمُّ حَجيجَ المسلمين آبنُ فَرْتَنَى * فهَبْ ذاكَ حَجًّا ليس بالمُتَقَبَّلِ

فقال ابنُ أبى عَتِيق[1] للأحوص : الحمدُ لله يا أحوص، إذْ لم أَحُجَّ ذلك العامَ بنعمة ربِّى وشُكره . قال : الحمدُ لله الذى صَرَف ذلك عنك يا بنَ أبى بكرٍ الصِّدّيق، فلم يُضْلِلْ دِينَك، ولم تَعْنِ[2] نَفْسك، وتَرَ ما يَغيظُك ويَغيظ المسلمين معك .

وفد على الوليد وتعرض للخبازين فأمر عامل المدينة بجلده

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه موسى بن عبد العزيز قال :

وَفَد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وآمتدحه، فأنزله منزلًا، وأمر بمَطْبَخه أن يُمَال عليه ؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعَيْب بن عبد الله بن عمرو بن العاصى، فكان الأَحْوَصُ يُراوِد وُصَفاءَ للوليد خَبّازِين عن أنفسهم[3] ويُريدهم أن يفعلوا به . وكان شُعَيْبٌ قد غَضِب على مولًى له ونَحّاه . فلمّا خاف الأحوصُ أن يَفْتَضِح بمُراودته الغلمانَ، اندسَّ لمولَى شُعَيب ذلك فقال : ادْخُل على أمير المؤمنين فآذْكُرْ له أنّ شُعَيبًا أرادك عن نفسك ، ففعل المولى . فآلتفت الوليدُ إلى شُعَيب

---

(١) أبو عتيق : لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر . (٢) كذا فى حـ ، م . وعنّى نفسه وأعناها : أنصبها وكلفها ما يشق عليها . وفى سائر الأصول : « وتنر نفسك » . (٣) فى جميع الأصول : « على أنفسهم » .

فقال : ما يقول هذا؟ فقال : لكلامه غَوْرٌ[1] يا أميرَ المؤمنين، فاشْدُدْ به يَدَكَ يَصْدُقْك. فشدّد عليه، فقال : أَمَرنى بذلك الأَحْوَص. فقال قيّم الخبّازين : أصلحك الله ! إنّ الأَحوص يُرَاوِد الخبّازين عن أنفسهم. فأرسل به الوليدُ إلى ابن حَزْم بالمدينة، وأَمَره أن يَجْلِدَه مائةً، ويَصُبَّ على رأسه زيتًا، ويُقِيمَه على البُلُسِ[2]؛ ففعل ذلك به. فقال وهو على البُلُس أبياته التى يقول فيها :

ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها[3] * إلّا تُشَرِّفُنى وتَرْفَعُ[4] شانى

شعره الذى أنشده حين شهر به

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى أَيُّوب بن عمر قال أخبرنى عبد الله بن عِمْران بن أبى فَرْوَة قال :

رأيتُ الأَحوصَ حين وَقَفه ابنُ حَزْم على البُلُس فى سوق المدينة وإنّه لَيَصيح ويقول :

ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها * إلّا تعظِّمُنى وترفع شانِى
وتَزولُ حين تَزولُ عن مُتَخَمِّطٍ[5] * تُخْشَى بَوادِرُه على الأَقرانِ
إنّى إذا خَفِىَ اللِّئامُ[6] رأيتَنى * كالشمس لا تَخْفَى بكلّ مكان

(١) أى فى كلامه معنى خفىّ غير واضح. (٢) البلس (بضمتين) : جمع بلاس كسحاب، وهى غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه. ومن دعائهم : «أرانيك الله على البلس». (٣) فى ط، ء : «أعيا». وفى ديوان الحماسة :

ما تعترينى من خطوب ملمّة * إلا تشرفنى وتعظم شانى

وأوّل الأبيات فيه :

إنى على ما قد علمت محسَّد * أنمى على البغضاء والشنآن

(٤) فى ط، ء : «وتعظم». (٥) المتخمط : المتكبر. (٦) فى طبقات ابن سلام الجمحى : «إنى إذا جُهل ... الخ».

شعره في هجو ابن حزم

٤٥ / ٤

قال : وهجا الأحوص ابن حزم بشعر كثير، منه :

أقول وأبصرت ابن حزم بن فرتنى * وقوفا له بالمأزمين[1] القبائل

ترى فرتنى كانت بما بلغ ابنها * مصدقة لو قال ذلك قائل

ـ أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن أبي عبيدة قال: كل أمة يقال لها فرتنى.

٥ وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : فرتنى[2]: الأمة بنت الأمة ـ قال الزبير :

فقال ابن حزم حين سمع قول الأحوص فيه «ابن فرتنى» لرجل من قومه له علم :

أنحن من ولد فرتنى ؟ أو تعرفها[3] ؟ فقال : لا والله ! قال : ولا أنا أعلم والله ذلك !

ولقد عضهني[4] به، ولو كانت ولدتني لم أجهل ذلك .

قال الزبير : وحدثني عمي مصعب عن عبد الله بن محمد بن عمارة قال :

١٠ فرتنى : أم لهم في الجاهلية من بلقين[5]، كانوا يسبون بها، لا أدري ما أمرها،

قد طرحوها من كتاب النسب، وهي أم خالد [بنت خالد][6] بن سنان بن وهب بن

لوذان الساعدية أم بني حزم .

---

(١) المأزمان، كما في ياقوت: جبلا مكة. قال أهل اللغة: هما مضيقا جبلين. وقيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وفيه أقوال غير هذا. (٢) وفرتنى: المرأة الفاجرة والأمة. ذهب

١٥ ابن جني الى أن نونه زائدة، وجعله سيبويه رباعيا. (٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أو نعرفها» بالنون. (٤) كذا في أكثر الأصول. وعضهني: بهتني أي رماني بالزور والبهتان وقال فيّ ما لم يكن. وفي م: «عضبني» والعضب: الشتم والتناول. (٥) بلقين بفتح فسكون: حيّ من بني أسد كما قالوا: بلحارث وبلهجيم، وأصلها بنو القين. قال ابن الجواني: «العرب تعتمد ذلك فيما ظهر في واحده النطق باللام، مثل الحارث والخزرج والعجلان، ولا يقولون ذلك فيما لم تظهر

٢٠ لامه، فلا يقولون بلنجار في بني النجار؛ لأن اللام لا تظهر في النطق بالنجار فلا تجوّزه العربية ولم يقل في الأنساب». (٦) هذه العبارة ساقطة في حـ، وقد وردت في م: «ابن خالد».

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجُشُون[(١)]: أنّ الأحوص قال لابن حَزْم :

لَعَمْرِى لقد أجرى ابنُ حَزْمِ بن فَرْتَنَى * إلى غايةٍ فيها السِّمَامُ المُثَمَّلُ[(٢)]

وقد قلتُ مهلاً آلَ حَزْمِ بن فَرْتَنَى * ففى ظُلْمِنا صابٌ[(٣)] مُمَرٌّ وحَنْظَلُ

وهى طويلة . وقال أيضا : ٥

أَهْوَى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبتْ * يومًا وأُهْدِى لها نُصْحِى وأَشْعارِى

ولو وردتُ عليها الفَيْضَ[(٤)] ماحَفَلتْ * ولاشَفَتْ[(٥)] عطشى من مائه الجارى

لا تَأْوِيَنَّ[(٦)] لحَزْمِىٍّ رأيتَ به * ضُرًّا ولو طُرِحَ[(٧)] الحَزْمِىُّ فى النارِ

الناخِسِينَ[(٨)] بمَرْوانٍ بذِى خُشُبٍ * والمُقْحِمِينَ على عثمانَ فى الدارِ

(١) الماجشون ذكره القاموس (فى مادّة مجش) بضم الجيم . وقال شارحه : «و يكسر الجيم و يفتح فهو إذًا مثلث» . ثم نقل عن حاشية المواهب اللدنية أنه «بكسر الجيم وضم الشين» . وقال : «وعلى كسر الجيم وضم الشين اقتصر النووى رحمه الله فى شرح مسلم والحافظ ابن حجر فى القريب» . واقتصر السمعانى فى الأنساب أيضا على كسر الجيم . وهو معرّب ماه كون . ومعناه الورد ، أو الأبيض المشرب بحمرة ، أو لون القمر . (٢) المثمل : السم المقوّى بالسَّلَع وهو شجر مرّ . وقال ابن سيده : وسم ممثَّل : طال إنقاعه وبقى . وقال الأزهرى : وترى أنه الذى أُنقع فبقى وثبت . (٣) الصاب : عصارة شجر مرّ ، وقيل : هو شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن ، وربما نزت منه نزية (قطرة) فتقع فى العين كأنها شهاب نار ، وربما أضعف البصر . وممرّ ، من أمرّ الشيء فهو ممرّ اذا كان مرّا .

(٤) الفيض : نهر بالبصرة . (٥) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «سقت» .

(٦) أوى لفلان : رحمه ورق له . والرواية فيما تقدّم (ج ١ ص ٢٦ من هذه الطبعة) «لا ترثين» كما فى ح هنا . (٧) فى ب، س : «ولو أُلقى» . وفى الجزء الأوّل : «ولو سقط» .

(٨) الناخسين بمروان ، يريد الطاردين لمروان والمزعجين له ؛ يقال : نخسوا بفلان اذا نخسوا دابته من خلفه وطردوه حتى سيروه فى البلاد . وتفسير «ذى خشب» وقصة طرد مروان مذكوران فى الجزء الأوّل (ص ٢٣ وما بعدها من هذه الطبعة) .

دفع عنه بنو زريق قدحهم

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى جماعةٌ من مشايخ الأنصار :

أنّ ابن حَزْم لمّا جلَد الأحوصَ [و] (1) وَقَفه على البُلُس يضربه، جاءه بنو زُرَيق (2) فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البُلُس. فقال فى ذلك — قال ابن الزبير: أنشدنيه عبدُ الملك بن الماجشون عن يوسف بن أبى سَلَمة الماجشون — :

٥

إمّا تُصِبْنى المَنَايَا وهْىَ لاحقةٌ * وكلُّ جَنْبٍ له قــد حُمَّ مُضْطَجَعُ

فقـــد جَزَيتُ بنى حَزْمٍ بظُلْمِهِمُ * وقد جزيتُ زُرَيقًا بالّذى صنعوا

قـومٌ أبَى طَبَعُ (3) الأخلاقِ أوّلَهُمْ * فهُمْ على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا

وإنْ أُنَاسٌ وَنَوْا عن كلِّ مَكْرُمَةٍ * وضاق باعُهُمُ عن وُسْعِهِمْ وَسِعوا

إنّى رأيتُ غداةَ السُّوق مَحْضَرَهُمْ * إذْ نحنُ ننظر ما يُتْلَى ونَسْتَمِعُ

١٠

لقاه ابن حزم الى دهلك وشعره فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عُمَر بن أبى بكر المؤمّلى (4) قال حدّثنى غيرُ واحدٍ من أهل العلم :

أنّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوصَ فى الخُنْث (5)، وطاف به وغرّبه إلى دَهْلَك (6) فى مَحْمِلٍ (7) عُرْيانًا . فقال الأحْوَصُ وهو يُطَاف به :

---

(1) التكملة عن م . (2) بنو زريق : خلق من الأنصار ، وهم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجىّ ، اليـه يرجع كل زرقى ما خلا زُرَيق بن ثعلبة طيّ . (انظر القاموس وشرحه مادة زرق) .

١٥

(3) الطبع (بالتحريك) : الدنس والعيب ، وكل شين فى دين أو دنيا فهو طَبَع . وأصـله من الوسخ والدنس يغشيان السيف ، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح . (4) فى حـ : « الموصلىّ » وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من هذا الجزء .

(5) كذا فى أكثر الأصول . والخنث (بالضم) : اسم من التخنث . وفى ب، سـ : «الخبث» بالباء وهو تصحيف . (6) دهلك (بفتح أوّله وسكون ثانيـه ولام مفتوحة وآخره كاف) :

٢٠

اسم أعجمىّ معرب ، وهى جزيرة فى بحر القـلزم ، فى طريق المسافرين فى بحر عيذاب الى اليمن ، بينها وبين اليمن نحو ثلاثين ميلا ، وهى ضيقة حرجة حارّة ، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها .

(7) فى ط ، ى : « فى محمل عرى » . وكانت تكون هذه الرواية جميلة لو أنها كانت : على فرس عُرْى أو على دابة عرى .

* ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبةٍ أُبْلَى بها *

الأبيات . وزاد فيها :

إنّى على ما قد تَرَوْن محسَّد * أنْمِى على البَغضاءِ والشَّنَآنِ

أصبحتُ للأنصارِ فيما نابَهم * خَلَفًا وللشُّعَراء من حَسّانِ

٤٦

قال الزُّبير : ومما ضُرِب[1] فيه أيضا قولُه :

٥

شَرُّ الحَزاميِّينَ ذو السِّنّ منهمُ * وخيرُ الحَزاميِّين يَعْدِلُه الكَلْبُ

فإنْ جئتَ شيخًا من حِزَامٍ وجدتَه * من النُّوكِ والتقصير ليس له قلبُ

فلَوْ سَبَّنِى عَوْنٌ إذًا لَسَبَبْتُه * بشِعرِى أو بعضُ الأُولَى جَدُّهُمْ كَعْبُ

ـــ عَوْن ، يعنى عَوْنَ بن محمد بن علىّ بن أبى طالب عليه رضوان الله . وكعب ، يعنى كَعْبَ بن لُؤَىّ ـــ

١٠

أولئك أكفاءٌ لبيتى بيوتُهم * ولا تستوى الأَعْلاثُ والأقْدُحُ القُضْبُ[2]

أعانه فتى من بنى جحجبى فدعا عليه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن ثابِتٍ الأنصارىّ عن محمد بن فَضَالةَ قال :

كان الأحوص بن محمد الأنصارىّ قد أوسع قومه هجاء فلاهم شرًّا ، فلم يبقَ له فيهم صديقٌ ، إلّا فتًى من بنى جَحْجَبَى[3] . فلمّا أراد الأحوص الخروجَ إلى يزيد بن عبد الملك ، نَهَض الفتى فى جَهَازه وقام بحوائجه وشَيَّعه ؛ فلمّا كان بِسقَايةِ سليمانَ وَركِب الأحوصُ مَحْمِلَه ، أقبل على الفتى فقال : لا أَخْلَفَ اللهُ عليك بخير ! فقال :

١٥

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ومما صرف فيه» . (٢) الأعلاث من الشجر : القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ والبيس ، واحدها علث بالكسر . والأقدح : جمع قِدْح وهو السهم قبل أن يراش وينصل . والقضب : كل شجر سبطت أغصانه وطالت ، وما قطع من الأغصان للسهام أو القسىّ . (انظر القاموس وشرحه مادتى علث وقضب) . (٣) جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس وهو جدّ أُحيحة بن الجُلَاح اليثربى : حى من الأنصار ثم من الأوس . (انظر القاموس وشرحه مادة جحجب) .

٢٠

مَهْ! غفر اللهُ لك ! قال الأحوص : لا واللهِ أو أُعلِّقها حربا ! يعنى قُباءَ[1] وبنى عمرو ابن عَوْف .

هجا معن بن حميد الأنصاري فعفا عنه ثم هجا ابن أبي جرير فأهانه وهدده

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسّان بن عبد الحميد :

٥ أقبل الأحوصُ حتّى وقف على مَعْن بن حُمَيْد الأنصاريّ ، أحد بنى عمرو ابن عوف بن جَحْجَبَى، فقال :

رأيتُك مَزْهُوًّا كأنّ أباكُمُ * صُهَيْبَةَ أمسى خيرَ عَوْف مُرَكَّبا
تُقِرُّ بكم كُوثَى[2] إذا ما نُسِبْتُمُ * وتُنكِركم عَمْرُ بن عَوْف بن جَحْجَبَى
عليكَ بأدنى الخَطْبِ إنْ أنت نِلْتَهُ * وأَقْصِرْ فلا يَذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهَبا

١٠ فقام إليه بنوه ومَوَاليه؛ فقال : دَعُوا الكلب ، خَلُّوا عنه، لا يَمَسّه أحدٌ منكم؛ فانصرَف . حتّى إذا كان عند أحجار المِرَاءِ بقُبَاءَ لَقِيَه ابن أبي جرير أحد بنى العَجلان ، وكان شديدًا ضابطا[3]؛ فقال له الأحوصُ :

إنّ بقومٍ سَوَّدُوكَ لَحاجةً * إلى سَيِّدٍ لو يَظْفَرون بسَيِّدِ

فألقى ثيابَه وأخذ بحَلْق الاحوص ، ومع الأحوص راويتُه ، وجاء النّاسُ ١٥ [ليخلِّصوه][4]، فحلف لئن خَلَّصه أحدٌ من يديه ليأخُذَنّه وليَدَعَنّ الأحوص؛ فخنقه حتى آسترخَى، وتركه حتى أفاق،ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ، لئن سُمِع[5] أو سَمِعتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفى أُريد بها نَفْسَك ولو كنتَ

(١) كذا بالأصول . (٢) كوثى : محلة بمكة لبنى عبد الدار . (٣) ضابط : شديد البطش والقوّة والجسم . (٤) زيادة عن م . (٥) كذا فى م . وفى ط :
٢٠ « لئن سمعت هذا البيت ... » . وفى سائر الأصول : « كل مملوك لى حر إن سمع أو سمعت ... » .

تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويتــه فقال : إنّ هــذا مجنون، ولم يسمع هذا البيتَ غيرُك؛ فإيّاك أن يسمَعه منك خَلْق .

لقى عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فلم يهشا له ثم تهدداه إن هجاهما

أخبرنى الحَـرَمىّ والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى بعض أصحابنـا :

أنّ الأحوص مرّ بعَبّاد بن حَمْزَةَ بن عبد الله بن الزُّبَيْر ومحمد بن مُصْعَب بن الزُّبير بخَيمتَىْ أُمّ مَعْبَد[1]، وهما يُريدان الحَجّ مَرْجِعَه من عند يَزِيدَ بن عبد الملك، وهو على نَجيبٍ له فارِهٍ ورَحْل فاخرٍ وبِزّة مرتفعة، فحدّثهما أنّه قَدِم على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأَخْدَمه[2]؛ فلم يَرَهما يَهَشّان لذلك، فجعل يقول : خَيْمتَىْ أُمّ مَعْبَد، عَبّاد ومحمد، كأنه يَرُوض القوافىَ للشعر يُريد قولَه . فقال له محمد بن مُصْعَب : إنّى أراك فى تهيئة شـعر وقوافٍ وأراكَ تُريد أن تهجوَنا! وكلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ[3] لئن هجوتَنا بشىء إنْ لم أضرِبْك بالسيف مجتهدًا[4] على نفسك . فقال الأحوصُ : جعلنى الله فـداكَ ! إنّى أخاف أن تُسْمِعَ هذا فىّ عدوًّا فيقول شـعرًا يهجوكما به فينْحَلُنيه[5]، وأنا أبرئكما الساعةَ، كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبدًا .

٤٧/٤

أراد أن يصحب محمد بن عباد فى طريقه الى مكة فأبى محمد

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عَمّى مُصْعَب قال حدّثنا الزبير ابن خُبَيْب[6] عن أبيه خُبَيْب بن ثابت قال :

(١) خيمة أم معبد ويقال بئر أم معبد : موضع بين مكة والمدينة نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته ومعه أبو بكر رضى الله عنه، وقصته مشهورة . قالوا : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل مساحلا حتى انتهى الى قديد فانتهى الى خيمة منتبذة ، وذكروا الحديث، وسمع هاتف ينشد :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ❋ رفيقين قالا خيمتى أم معبد

(٢) أخدمه : وهب له خادما . (٣) فى الأصول : «وكل مملوك له» . (٤) الاجتهاد : بذل الوسع والمجهود فى طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد بمعنى الطاقة . فلعل معنى قوله : «مجتهدا على نفسك» : باذلا ما فى وسعى وطاقتى فى القضاء على نفسك . (٥) نحله القول : نسبه اليه وهو لم يقله . (٦) كذا فى المشتبه للذهبى (ص ١٤٧) وفهرس الطبرى . وفى الأصول : «حبيب» بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

خرجنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير إلى العُمْرة ، فإنّا لَبِقُرْب قُدَيْد[1]
إذ لَحِقَنا الأحوصُ الشاعر على جملٍ برَحْل ؛ فقال: الحمدُ لله الّذى وفّقكم لى[2]، ما أُحبُّ
أنّكم غيرُكم ، وما زلتُ أُحرِكُ فى آثاركم مذ رُفِعتم لى[3]؛ فقد ازددت بكم غِبْطةً . فأقبل
عليه محمد، وكان صاحبَ جِدٍّ يكره الباطلَ وأهلَه ، فقال: لكنّا والله ما اغتبطْنا بك
ولا نُحبُّ مُسايرتَك، فتقدّمْ عنّا أو تأخّرْ. فقال : والله ما رأيتُ كاليوم جوابًا ! قال:
هو ذاك . قال: وكان محمد صاحبَ جِدّ [يكره الباطلَ وأهلَه][4]، فأشفقنا ممّا صنع،
ومعه عِدّةٌ من آل الزبير[5]، فلم يقدرْ أحدٌ منهم أن يَرُدّ عليه . قال: وتقدّم الأحوصُ،
ولم يكن لى شأنٌ غيرَ أن أعتذرَ إليه . فلمّا هَبَطْنا من المُشَلَّل[6] على خيمتَىْ أُمّ مَعْبد
سمعتُ الأحوصَ يُهمهِم[7] بشىء، فتفهّمتُه فإذا هو يقول : خيمتَىْ أُمّ معبد ، محمد ،
كأنّه يهىءُ القوافى ؛ فأمسكتُ راحلتى حتّى جاءنى محمد، فقلتُ : إنّى سمعتُ هذا
يهىّءُ لك القوافىَ ، فإمّا أذنتَ لنا أن نعتذرَ إليه ونُرْضِيَه ، وإمّا خلّيتَ[8] بيننا وبينه
فنضربه[9]؛ فإنّا لا نُصادفُه فى أَخْلَى من هذا المكان. قال: كلّا ! إنّ سعد بن مُصْعَب
قد أخذ عليه ألّا يهجوَ زُبَيريًّا أبدًا، فإن فعل رجوتُ أن يُخْزِيَه الله ، دَعْه .

(١) قال ياقوت فى معجمه : « قديد بالتصغير : اسم موضع قرب مكة . قال ابن الكلبى : لما رجع تُبّع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديدا فهبت ريح قلّت خيم أصحابه ، فسمى قديدا » . وقال فى اللسان مادّة قدد : « قديد : ماء بالحجاز وهو مصغر، وورد ذكره فى الحديث ؛ قال ابن سيده : وقديد موضع ، وبعضهم لا يصرفه ويجعله اسما للبقعة » . (٢) وفقكم لى : جعلكم تصادفوننى وتلاقوننى . وفى اللسان (مادة وفق) : « و يقال : وَفِقْت له ووُفِّقت له ووَفِقْته ووَفِقَنى ، وذلك إذا صادفنى ولقينى » .
(٣) رفع لى الشىء : أبصرته من بعد . (٤) زيادة عن ط ، م ، ء .
(٥) فى ط ، م ، ء : « من ولد الزبير » . (٦) المشلل (بالضم فالفتح وفتح اللام المشدّدة) : جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر . (انظر ياقوت فى المشلل) .
(٧) الهمهمة : الكلام الخفىّ ، وقيل : الهمهمة : تردّد الزئير فى الصدر من الهمّ والحزن ؛ يقال : همهم الأسد ، وهمهم الرحل ، اذا لم يبين كلامه . (٨) فى الأصول : « وإما أن خليت » زيادة «أن» . (٩) فى ط ، م ، ء : «فضربناه» .

هجا سعد بن مصعب فلما أراد ضربه حلف له ألا يهجو بيرا فتركه

قال الزُّبير : وأمّا خبرُه مع سَعْد بن مُصْعَب ، فحدّثنى به عَمِّى مُصْعَب قال أخبرنى يحيى بن الزُّبير بن عَبّاد أو مُصْعَب بن عثمان — شكٌّ : أيُّهما حدّثه — قال:

كانت أَمَةُ الملك بنت حَمْزةَ بن عبد الله بن الزُّبير ، تحت سعد بن مُصْعَب ابن الزُّبير ، وكان فيهم مأتمٌ ، فاتّهمته بامرأةٍ ، فغارتْ عليه وفضحته . فقال الأحوص يُمازحه :

وليس بسَعْدِ النّارِ مَنْ تزعُمونه * ولكنّ سَعْدَ النارِ سعدُ بن مُصْعَبِ

ألم تَرَ أنّ القومَ ليلةَ نَوْحِهِمْ * بغوْهُ فألفوْهُ على شرِّ مَرْكَبِ

فما يَبتغى بالغَىِّ لا دَرَّ دَرُّه * وفى بيته مثلُ الغَزَالِ المُرَبَّبِ

— قال : وسعدُ النار رجلٌ يقال له سعد حضنة ، وهو الذى جدّد لزياد بن عُبَيْد الله[1] الحارثىّ الكتّابَ الذى فى جدار المسجد ، وهو آياتٌ من القُرآن أحسَبُ أنّ منها ﴿ إنّ اللهَ يأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِى القُرْبَى وينْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْىِ ﴾ . فلمّا فرغ منه قال لزياد : أَعطِنى أَجْرى . فقال له زياد : انتظرْ ، فإذا رأيتَنا نعمل بما كتبتَ ، فخُذْ أجرك — .

قال : فعمِلَ سعدُ بن مُصْعَبٍ سُفْرةً ، وقال للأحْوَص : اذْهَبْ بنا إلى سَدّ عُبَيد الله بن عمر نتغدَّ عليه ، ونشرَبْ من مائه ، ونَستنقِعْ فيه ؛ فذهب معه . فلمّا صارا إلى الماء ، أمر غِلمانَه أن يَربِطوه وأراد ضربَه ، وقال : ما جَزِعتُ من هجائك إيّاى ، ولكن ما ذِكْرُكَ زوجتى ؟ ! فقال له : يا سَعْدُ، إنك لتعلم أنّك إن ضربتَنى لم أكفُف عن الهجاء ، ولكن خيرٌ لك من ذلك أَحلِفُ[2] لك بما يُرضيك ألّا أهجوَك ولا أحدًا من آل الزُّبير أبدًا ؛ فأحلفَه وتركه .

(١) كذا فى م ، وهو الموافق لما فى الطبرى . وفى حـ : « لعبيد الله بن زياد الحارثى » . وفى أكثر الأصول : «لزياد بن عبد الله» . (٢) سياق الكلام يقتضى وجود «أن» المصدرية ، فهى إذًا محذوفة مقدرة .

هجا مجمع بن يزيد فسبه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنى مُصعبٌ عمّى عن مُصعب بن عثمان قال :

قال الأحْوَص لمُجَمِّع بنِ يزيدَ بنِ جارِيةَ [1] :

وجُمِّعْتَ من أشياءَ شتَّى خبيثةٍ * فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعَا

٥ فقال له مجمِّع : إنّى لا أُحسن الشعرَ ، ثم أخذ كُرْنافةً [2] فغمَسها فى ماءٍ فغاصتْ ، ثم رفَع يده عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تصنع خالاتُك السَّوَاحِرُ .

طلب من أم ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرض بها فى شعره

أخبرنى الحَرَمىّ قال وحدّثنا الزّبير قال :

كانت آمرأةٌ يقال لها أُمّ لَيْث آمرأةَ صِدْقٍ [3] ، فكانت قد فتحتْ بينها و بين جارةٍ لها من الأنصار خوخة ، وكانت الأنصاريّة من أجمل أنصاريّةٍ خُلِقتْ .

١٠ فكلَّم الأحْوَصُ أمَّ ليثٍ أن تُدخله فى بيتها يكلِّم الأنصاريّةَ من الخَوْخة التى فتحتْ بينها و بينها ، فأبت ؛ فقال : أمَا لأُكافئنّك ، ثم قال :

هيهاتَ منكَ بنو عَمْرٍو ومَسْكَنُهمْ * إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِينَ [4] أو حَلَبَا

قامتْ تراءَى وقد جَدّ الرحيلُ بنا * بين السَّقيفةِ والباب الذى نُقِبَا

إنى لَمَانِحُها ودِّى ومُتّخِذٌ * بأُمّ لَيْثٍ إلى معروفِها سَبَبَا

١٥ فلمّا بلغتِ الأبياتُ زوجَ المرأة، سَدّ الخوْخة ؛ فاعتذرت إليه أُمّ ليث ، فأبى أن يقبَل ويُصَدّقَها . فكانت أُمّ لَيْث تدعو على الأحوص .

---

(١) مجمع ، بضم أوله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة . وجارية ، بالجيم والراء والياء المثناة من تحت كما فى تهذيب التهذيب فى اسم مجمع . وقد ورد هذا الاسم فى الأصول : «حارثة» بالحاء والراء والثاء المثلثة ، وهو تصحيف . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بكسر الكاف وضمها) ، وهو أصول الكرب التى

٢٠ تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) إذا قلت : رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت الصاد ، وإن نعتّ به فتحتها . (٤) قنسرين (بكسر القاف وفتح النون مشدّدة) : كورة بالشأم بالقرب من حلب ، وهى أحد أجناد الشام . فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة .

وعده مخزومى أن يعينه عند الوليد ثم أخلف

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى أبى قال :

ركب الأَحْوَصُ إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضَرْب ابن حَزْم إيّاه، فلقيَه رجل من بنى مخزوم يقال له محمد بن عُتْبة، فوعَده أن يُعينه. فلمّا دخل على الوليد قال : وَيْحَك! ما هذا الذى رُميتَ به يا أحوص؟ قال : والله يا أمير المؤمنين، لو كان الذى رمانى به ابنُ حزم من أمر الدِّين لاجتنبتُه، فكيف وهو من أكبر معاصى الله! فقال ابنُ عُتْبة : يا أمير المؤمنين، إنّ من فضل ابن حزم وعَدْله كذا وكذا، وأثنى عليه. فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر (١) :

وكنتَ كذئب السَّوْءِ لمّا رأى دَمًا ✻ بصاحبه يوماً أحالَ (٢) على الدَّمِ

شكاه أهل المدينة فنفى إلى دهلك ثم استعطف عمر ابن عبد العزيز فلم يعطف عليه

فأمّا خبره فى بقيّة أيّام سليمانَ بن عبد الملك وعُمَر بن عبد العزيز، فأخبرنى به أبو خَليفةَ الفَضْلُ بن الحُبَاب [الجُمَحِىّ] (٣) قال حدّثنا عَوْنُ بن محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبى عمّن حدّثه عن الزُّهْرِىّ، وأخبرنى به الطُّوسِىّ والحَرَمِىّ بن أبى العلاء قالا : حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عَمّى مُصْعَب عن مُصْعَب بن عثمان قال :

كان الأَحْوَصُ يَنْسُب بنساءٍ ذواتِ أخطار من أهل المدينة، ويتغنّى فى شعره مَعبدٌ ومالك، ويَشِيع ذلك فى الناس، فنُهِى فلم يَنْتَهِ، فشُكِىَ إلى عامل سليمانَ بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتابَ فيه إليه، ففعل ذلك. فكتب سليمانُ إلى عامله يأمُره أن يضربه مائةَ سَوْط ويُقيمه على البَلَس للناس، ثم يُصيِّره إلى دَهْلَك (٤)، ففعل ذلك به، فثَوَى هناك سُلْطانَ (٥) سليمانَ بن عبد الملك. ثم وَلِى عُمَر

---

(١) هو الفرزدق. (٢) أحال على الدم : أقبل عليه. ومثله قول الشاعر :

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ✻ بصاحبه يوما دما فهو آكله

(٣) زيادة عن س، ح. (٤) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (راجع ياقوت).

(٥) يريد : مدة سلطانه.

ٱبنُ عبد العزيز، فكتب إليه يستأذنه فى القدوم ويمدحه، فأبى أن يأذن له. وكتب فيما كتب إليه به :

٤٩/٤

أيا راكبًا إمّا عرَضتَ فبلِّغَنْ * هُديتَ أميرَ المؤمنين رسائلى

وقُلْ لأبى حَفْصٍ إذا ما لقِيتَهُ * لقد كنت نَفّاعًا قليلَ الغوائلِ

٥ وكيف ترى للعيش طِيبًا ولَذّةً * وخالُك أمسى مُوثَقًا فى الحبائل!

— هـذه الأبيات من رواية الزُّبَيْر وحده، ولم يذكرها ابنُ سَلّام — قال : فأتى رجالٌ من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه، وقالوا له : قد عرفتَ نَسَبَه وموضعَه وقديمَه، وقد أُخْرِجَ إلى أرض الشِّرْك، فنطلب إليك أن تَرُدَّه إلى حَرَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودارِ قومه. فقال لهم ١٠ عمر : فمَنِ الذى يقول :

فما هُوَ إلّا أن أَرَاها فُجَاءَةً * فأُبْهَتَ حتّى ما أكادُ أُجيبُ

قالوا : الأحوص. قال : فمن الذى يقول :

أَدُورُ ولولا أنْ أَرى أمَّ جعفرٍ * بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ[1]

وما كنتُ زَوّارًا ولٰكنّ ذا الهوى * إذا لم يزرْ لا بُدَّ أن سيَزُورُ

١٥ قالوا : الأحوص. قال : فمن الذى يقول :

كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ غادِيةٍ[2] * أو دُمْيةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ

اللهُ بينى وبين قَيِّمِها * يَفِرُّ منّى بها وأَتَّبِعُ

(١) هذا البيت لعروة بن حزام العذرى، كما ذكره المؤلف فى ترجمته ضمن شعره، وكما ذكره ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء، لا للأحوص. (٢) الصبير : السحاب الأبيض الذى يُصَبِّر بعضه ٢٠ فوق بعض درجا. والغادية : السحابة تنشأ غدوة.

قالوا : الأحوص . قال : بَلِ اللهُ بين قَيِّمها و بينه . قال : فمن الذى يقول :

ستَبْقَى لها فى مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا[1] * سريرةُ حُبٍّ يومَ تُبْـلَى السَّرَائر

قالوا : الأَحْوَص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذ لمشغولٌ ، واللهِ لا أرُدُّه ما كان لى سلطان . قال : فمكث هناك بقيّةَ ولاية عُمَرَ وصَدْراً من ولاية يزيدَ بن عبد الملك .

غنت حبابة يزيد ابن عبد الملك بشعر فلما علم أنه للأحوص أطلقه وأجازه

قال : فبينا يزيدُ وجاريته حَبَابةُ ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعر الأحوص ، قال لها : مَنْ يقول هـذا الشعر؟ قالت : لا وعينيك ما أدرى ! — قال : وقد كان ذهب من الليل شَطْرُه — فقال : ٱبعثوا إلى ٱبن شِهَابٍ الزُّهْرِىّ ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك . فأُتِىَ الزُّهْرِىُّ فقُرِع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعاً إلى يزيد . فلمّا صعِد إليه قال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم نَدْعُك إلّا لخير ، ٱجلِسْ ، مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد ياأمير المؤمنين . قال : ما فَعَل ؟ قال : قد طال حَبْسُه بدَهْلَك . قال : قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفلَه . ثم أمر بتَخْلِيَة سبيله ، ووَهَب له أربعمائة دينار . فأقبل الزُّهْرِىّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرهم بذلك .

قصيدته التى يعاتب بها عمر بن عبد العزيز على إدنائه زيد بن أسلم و إقصائه له

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد ابن زيد الأنصارىّ قالا :

لمّا وَلِى عُمَرُ بن عبد العزيز الخلافةَ أدْنَى زيدَ بن أَسْلَمَ ، وجفا الأَحْوَصَ . فقال له الأحوص :

ألستَ أبا حَفْصٍ هُـدِيتَ مُخَبِّرِى * أفِى الحقِّ أَنْ أُقْصَى و يُدْنَى ٱبْنُ أَسْلَمَا

فقال عمر : ذلك هو الحق .

---

(١) فى الشعر والشعراء (ص ٣٣٠ طبع أوربا) : « ستُبْلَى لكم » .

قال الزُّبير: وأنشدنيها عبدُ الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون:

ألا صِلَةُ الأرحامِ أدنَى إلى التُّقَى * وأظهرُ فى أكفائه لو تَكَرَّمَا (١)

فما تركَ الصُّنْعُ الذى قد صنعتَه * ولا الغيظُ منّى ليس جِلْدًا وأعظُمَا

وكنّا ذوى قُرْبَى لديك فأصبحتْ * قرابتُنا ثَدْيًا أَجَدَّ مُصَرَّمَا (٢)

٥ وكنتَ وما أمّلْتُ منك كبارقٍ * لَوَى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّما

وقد كنتَ أَرْجَى الناسِ عندى مَوَدَّةً * ليالىَ كان الظنُّ غَيْبًا مُرَجَّما

أَعُدُّك حِرْزًا إن جَنيتُ ظُلامةً * ومالًا ثَرِيًّا حين أحمِلُ مَغْرَمَا

تَدارَكْ بعُتْبَى عاتبًا ذا قَرابةٍ * طَوَى الغيظَ لم يَفْتَحْ بسُخْط له فَمَا

قيل إنه دس إلى حبابة الشعر الذى غنت يزيد به فأطلقه وأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: كتب إلىّ إسحاق بن إبراهيم

١٠ أنّ أبا عُبيدة حدّثه:

أنّ الأحوص لم يَزَلْ مقيمًا بدَهْلَك حتّى مات عمرُ بن عبد العزيز، فدَسّ إلى حَبَابةَ فغنّتْ يزيدَ بأبيات له — قال أبو عُبيدة: أظنُّها قولَه:

صوت

أيُّهذا المُخَبِّرى عن يزيدٍ * بصَلاحٍ فِدَاكَ أهلى ومالى

١٥ ما أُبالى إذا يزيدُ بَقِى لى * مَنْ تَوَلَّتْ به صُروفُ الليالى

لم يجنِّسه. كذا جاء فى الخبر أنها غنّته به، ولم يذكر طريقته. قال أبو عُبيدة: أُراه عَرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يَقْدِرْ أن يصرّح مع بنى مَرْوان — فقال: مَنْ

(١) فى ط: «وأظهر فى أكفائه». (٢) كذا فى ء، ط والشعر والشعراء. وثدى أجدّ: يابس لا لبن به. ومصرّم: منقطع اللبن. وفى ب، س: «أحذ» بالحاء والذال

٢٠ المعجمة، وهو تصحيف.

يقول هذا؟ قالت : الأحوص، وهوّنتْ أمرَه، وكلّمته فى أمانه فأمّنه. فلمّا أصبح حضر فاستأذنت له، ثمّ أعطاه مائةَ ألفِ درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ عن صالح ابن حسّان :

أتى الأحوصَ دسَّ إلى حبابة، فغنّتْ يزيدَ قولَه :

كريمُ قُرَيْشٍ حين يُنْسَبُ والذى * أقرّتْ له بالمُلْكِ كهْلاً وأمْرَدَا
وليس وإن أعطاك فى اليوم مانعًا * إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافه غَدَا (١)
أهان تِلادَ المالِ فى الحمد إنّه * إمامُ هُدًى يجرى على ما تَعَوَّدا
تَشرَّفَ مجدًا من أبيه وجدّه * وقد ورِثا بُنْيانَ مجدٍ تَشَيَّدا (٢)

فقال يزيد : ويلكِ يا حَبابةُ! مَنْ هذا مِن قريش؟ قالت: ومَنْ يكون! أنت هو يا أميرَ المؤمنين . فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يمدَح به أميرَ المؤمنين، فأمر به أميرُ المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَك، وأمر له بمالٍ وكُسْوة.

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى بعضُ أهل العلم قال :

أخبره يزيد بن عبد الملك بأنه معجب بشعر له فى مدحهم

دخل الأحوصُ على يزيدَ بن عبد الملك وهو خليفةٌ، فقال له يزيدُ : والله لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرْمة، ولا توسَّلتَ بدالَّة ، ولا جدّدتَ لنا مَدْحًا (٣) ، غيرَ أنك مُقْتَصِرٌ على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنتَ مُستوجبًا بالجزيل الصِّلَةَ منّى حيث تقول :

وإنّى لأستحييكمُ أنْ يقودَنى * إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ

(١) كذا فى ح ، م . وفى سائر الأصول : « أضعاف إعطائه » . (٢) فى م : « مشيدا » وفى ى ، ط : « وشيدا » . (٣) كذا فى الأمالى لأبى علىّ القالى (ج ١ ص ٦٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصول : «ولم تضر بنا بدالة ولم تجدّد لنا مديحة ... الخ» .

وأنْ أجتَدِى للنفع غيرَك منهمُ * وأنت إمامٌ للرعيّــة مَقْنَعُ[1]

قال : وهذه قصيدةٌ مدَح بها عمرَ بن عبد العزيز .

لما ولى يزيد بعث اليه فأكرمه فمدحه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرىّ قال حدّثنى عمر بن موسى بن عبد العزيز قال :

٥ لمّا وَلِى يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأُقْدِمَ عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم . فلمّا قَدِم قُبَاءَ صَبَّ المالَ على نِطْع ودعا جماعةً من قومه، وقال : إنّى قد عَمِلتُ لكم طعامًا . فلمّا دخلوا عليه كشَف لهم عن ذلك المال، وقال : ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ .

٥١/٤

قال الزُّبَير : وقال فى يزيدَ بن عبد الملك يمدَحه حينئذ بهذه القصيدة :

١٠ صَرَمتْ حَبْلَك الغداةَ نَوَارُ * إنّ صَرْمًا لكلّ حبلٍ قُصَارُ[2]

وهى طويلة، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سائلًا فإنّ يزيدًا * مَلِكٌ مِنْ عَطائه الإكثارُ

عَــمَّ معروفُه فعزّ به الدِّيـ * ـنُ وذَلّتْ لمُلْكه الكُفّارُ

وأقامَ الصِّراطَ فابتهج الحـ[3] * ـقُّ منيرًا كما أنار النّهارُ

١٥ ومن هذه القصيدة بيتان يُغنَّى فيهما، وهما :

صــوت

بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه * كان فيه من مَشْيِه آثارُ

إنّ أَرْوَى إذا تذكّر أَرْوَى * قلبُه كاد قلبُه يُسْتَطارُ

(١) رجل مقنع (بفتح الميم) : يقنع به ويرضى برأيه وقضائه . (٢) القصار : الغاية .

٢٠ (٣) فى ح، م : « فانتهج » بالنون بدل الباء . وعلى هذه الرواية يكون الفعل مبنيا للفعول .

غنّت فيه عَرِيبُ لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وذكر ابنُ المكىّ أنه لجدّه يحيى .

بعث يزيد إليه وإلى ابن حزم فأراد أن يكيد عنده لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمّى مُصْعَبٌ عن مُصْعَب بن عثمان قال :

حَجّ يزيدُ بن عبد الملك فتزوّج بنتَ عَوْن بن محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وأَصْدَقها مالًا كثيرا؛ فكتب الوليدُ بن عبد الملك إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزْم : إنّه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيدَ بن عبد الملك قد تزوّج بنتَ عَوْن بن محمد ابن علىّ بن أبى طالب وأَصْدَقها مالًا كثيرا، ولا أُراه فعل ذلك إلّا وهو يراها خيرًا منه، قَبَّح الله رأيَه ! فإذا جاءك كتابى هذا فادْعُ عونًا فاَقْبِض المالَ منه، فإنْ لم يدفعه إليك فاضربْه بالسِّياط حتى تَسْتَوْفِيَه منه ثم افْسَخْ نِكاحَه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَوْن بن محمد وطالَبه بالمال . فقال له : ليس عندى شيءٌ وقد فرّقته . فقال له أبو بكر : إنّ أمير المؤمنين أمَرنى إن لم تدْفَعه إلىّ كلّه أن أضربك بالسِّياط ثم لا أرفعها عنك حتى أَستوفيَه منك . فصاح به يزيد : تعالَ إلىّ ، فجاءه؛ فقال له فيما بينه وبينه : كأنّك خَشِيتَ أن أُسْلِمَك إليه ، ادْفَعْ إليه المالَ ولا تُعَرِّضْ له نفسك؛ فإنّه إنْ دفعه إلىّ رددتُه عليك ، وإن لم يَرُدَّه علىّ أخلفتُه عليك ، ففعل . فلمّا وَلِى يزيدُ بن عبد الملك ، كتب فى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم وفى الأحوص ، فحُملا إليه ، لِمَا بين أبى بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضرَب الأحوص وغَرَّبه إلى دَهْلَك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز، وعمر إذ ذاك على المدينة . فلمّا صارا بباب يزيدَ أُذِنَ للأحوص، فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يَخْفِضْهما حتى خرج الغلمانُ بالأحوص مُلَبَّبًا[1] مكسور الأنف، وإذا هو لمّا دخل على يزيد

(١) ملببا : مأخوذا بتلابيبه ، وهو أن يجمع ثيابه عند صدره ونحره ثم يجر منها .

قال له : أصلحك الله ! هذا ٱبنُ حَزْم الذى سفَّه رأيك وردّ نكاحَك . فقال يزيد : كذبتَ ! عليك لعنةُ الله وعلى مَنْ يقول ذلك ! اكسِروا أنفَه ، وأمَر به فأُخرِج مُلبَّباً .

قصته مع عبد الحكم ابن عمرو الجمحى

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمَحىّ[1] قال :

٥٢ / ٤

كان عبدُ الحَكَم[2] بن عمرو بن عبد الله بن صَفْوان الجُمَحىّ قد ٱتّخذ بيتاً فجعل فيه شِطْرَنْجاتٍ ونَرْدَاتٍ وقِرْقاتٍ[3] ودفاترَ فيها من كلّ علم ، وجعل فى الجدار أوتاداً ، فمَنْ جاء علّق ثيابَه على وَتِدٍ منها ، ثم جرّ دفتراً فقرأه ، أو بعضَ ما يُلعَب به فلعِب به مع بعضهم . قال : فإنّ عبد الحكم يوماً لَفِى المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحنّاطين ، بابِ بنى جُمَحَ ، عليه ثوبان مُعَصْفَرانِ مَدْلُوكان وعلى أُذنه ضِغْثُ[4] رَيحانٍ وعليه رَدْعُ[5] الخَلُوق ، فأقبل يَشُقّ النـاسَ حتى جلَس إلى عبد الحَكَم بن عمرو بن عبد الله ، فجعل مَنْ رآه يقول : ماذا صُبَّ عليه من هذا ! ألم يجِدْ أحدًا يجلس إليه غيرَه ! ويقول بعضهم : فأىّ شىء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ مِنْ أن يَجبَه مَنْ يقعُد إليه ! فتحدّث إليه ساعةً ثم أهْوَى فشبّك يدَه فى يد عبد الحكم وقام يَشُقّ المسجدَ حتّى خرج من باب الحنّاطين — قال عبد الحكم : فقلت فى نفسى : ماذا سلَّط اللهُ علىّ منك ! رآنى معك نصفُ الناس فى المسجد ونصفُهم فى الحنّاطين — حتّى دخلَ مع عبد الحكم بيتَه ، فعلّق رداءَه على وَتِدٍ وحَلّ أزرارَه وٱجترّ الشِّطْرَنْجَ

(١) فى ح ، م : « عمر » . (٢) فى ح ، م : « عبد الحكيم » .

(٣) النردات : جمع نرد وهو ما يعرف اليوم "بالطاولة" . والقِرقات : جمع قِرْق وهى لعبة للصبيان يخطّون بها أربعة وعشرين خطا مربعة ، كل مربع منها داخل الآخر ، ويصفون بين تلك المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة . (٤) الضغث : كل ما ملأ الكف من النبات . (٥) الردع : اللطخ بالزعفران . والخلوق : ضرب من الطيب ، وقيل : الزعفران .

وقال : مَنْ يلعَب ؟ فبينَا هو كذلك إذ دخل الأَبْجَرُ المُغَنِّى، فقال له : أَىْ زِنْدِيقُ ما جاء بك إلى ها هنا ؟ وجعل يشتُمه ويُمَازِحه. فقال له عبد الحكم : أتشتُم رجلًا فى منزلى ! فقال : أتعرفه ؟ هذا الأحوص. فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه. وقال له : أمّا إذ كنتَ الأحوصَ[1] فقد هان علىّ ما فعلتَ.

عبد الملك بن مروان أهل المدينة وتمثل بشعر له

أخبرنى الطُّوسىّ والحَرَمىّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثنى حُمَيْد بن عبد العزيز عن أبيه قال :

لمّا قَدِم عبدُ الملك بن مَرْوانَ حاجًّا سنة خمس وسبعين، وذلك بعد ما اجتمع النّاسُ عليه بعامين، جلس على المنبر فشَتَمَ أهلَ المدينة ووبَّخهم، ثم قال : إنّى والله يأهلَ المدينة قد بلوتُكم فوجدتكم تَنْفَسُون القليلَ وتحسُدون على الكثير، وما وجدتُ لكم مثلًا إلّا ما قال مُخَنَّثُكم وأخوكم الأَحْوَصُ :

وكَمْ نزلتْ بى من خُطُوبٍ مُهِمّةٍ * خَذَلْتُمْ عليها[2] ثمّ لم أتخشّعِ

فأَدْبَرَ عنّى شَرُّها لم أُبَلْ[3] بها * ولم أَدْعُكُمْ فى كَرْبِها المُتَطَلِّعِ

فقام إليه نَوْفَلُ بن مُسَاحِق فقال : يا أميرَ المؤمنين، أقْرَرْنا بالذَّنْب وطلبنا المعْذِرةَ، فعُدْ بحِلْمك، فذلك ما يُشْبِهنا منك ويُشْبِهُك منّا؛ فقد قال مَنْ ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين :

وإنّى لَمُسْتَأْنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم * وإنْ لم تقولوا فى المُلِمّاتِ دَعْدَعِ[4]

أُؤمّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم * وشيكًا وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ

(١) كذا فى م. وفى سائر النسخ : « فقال اذا كنت ... الخ ». (٢) فى م : « ... خطوب ملمة * صبرت عليها ... ». (٣) أُبل : أصله أبالى، فحذف آخره للجازم، ثم حذفت حركة اللام تخفيفا كما تحذف نون يكون بعد الجازم، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين.

(٤) هذه كلمة تقال للعاثر، ومعناها : دع العثار وقم وانتعش واسلم، وقد تجعل اسما كالكلمة وتعرب؛ قال الشاعر : لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر * ولا لابن عم ناله العثر دَعْدَعَا

أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه

أخبرنى الحَرَمىّ والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن الضحّاك عن المُنْذر بن عبد الله الحِزَامىّ :

أنّ عِرَاكَ(1) بن مالك كان من أشدّ أصحابِ عمر بن عبد العزيز على بنى مَرْوانَ فى آنتزاع ما حازوا من الفَىْء والمَظالم من أيديهم. فلمّا وَلِى يزيدُ بن عبد الملك وَلّى عبدَ الواحد بن عبد الله النَّصْرى(2) المدينةَ، فقرّبَ عِرَاكَ بن مالك وقال : صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطَع أمرًا دونه، وكان يجلس معه على سَريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك : أنِ آبْعَثْ مع عِرَاكِ بن مالك حَرَسيًّا حتى يُنْزِلَه أرضَ دَهْلَكَ وخُذْ من عِرَاكٍ حَمُولَتَه. فقال لِحَرَسىٍّ بين يديه وعِرَاكٌ معه على السرير : خُذْ بيد عِرَاكٍ فآبْتَعْ من ماله راحلةً ثم تَوَجَّهْ به نحو دَهْلَكَ حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففعل ذلك الحرسىّ . قال : وأَقْدَم الأحوصَ ؛ فمدحه الأحوصُ ؛ فأكرمه وأعطاه . قال : فأهلُ دَهْلَكَ يأثُرُون الشعرَ عن الأحوص، والفقهَ عن عِرَاكِ ابن مالك .

كاد له الجراح الحكمى بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلب وأهانه

أخبرنى أبو خليفةَ الفَضْلُ بن الحُبَاب عن محمد بن سَلّام عن أبى الغَرّاف(3) عمن يَثِق به قال :

بَعَث يزيدُ بن عبد الملك حين قُتِل يزيدُ بن المُهَلَّب فى الشعراء، فأَمر بهجاء يزيد ابنِ المُهَلَّب، منهم الفرزدقُ وكُثَيِّرٌ والأَحْوَص. فقال الفرزدق : لقد آمتدحتُ بنى

(1) هو عراك بن مالك الغفارى التابعى، مات فى ولاية يزيد بن عبد الملك. وقد ورد هذا الاسم محرّفا فى أكثر الأصول. (2) كذا فى حـ، م. وهو الموافق لما فى الخلاصة (ص ٢٤٧) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ٤٣٦) والأنساب للسمعانى. و بنتسب كما هو مذكور فى الأخيرين إلى نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن مالك بن عوف. وقد أصلح المرحوم الأستاذ الشنقيطى نسخته بما صو بناه. وفى ب، س : « البصرى » وهو تصحيف. (3) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ : « أبو العوام » وهو تحريف. وأبو الغراف هذا من شيوخ ابن سلام.

المهلَّب بمدائح ما آمتدحتُ بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلى أن يُكَذِّب نفسه على كِبَر السِّنّ، فَلْيُعفِنى أميرُ المؤمنين؛ قال : فأعفاه . وقال كُثَيِّرٌ : إنّى أكْرَه أن أُعَرِّض نفسى لشعراء أهلِ العراق إن هجوتُ بنى المهلَّب . وأمّا الأحوص فإنّه هجاهم . ثم بَعَث به يزيدُ بن عبد الملك إلى الجرّاح بن عبد الله الحَكَمىّ وهو بأَذْرَبيجانَ، وقد كان بلغ الجرّاحَ هجاءُ الأحْوَص بنى المُهَلَّب، فبعث إليه بِزِقٍّ من خَمْرٍ فأُدخِلَ منزلَ الأحوص، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتْ منزلَه فصبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رُءوس النـاس فأَتَوْا به الجرّاحَ، فأَمَر بحَلْقِ رأسه ولِحيته، وضرب به الحدَّ بين أوجه الرجال، وهو يقول : ليس هكذا تُضْرَبُ الحدود ؛ فجعل الجرّاح يقول : أَجَلْ ! ولكن لِمـا تعلَم. ثم كتب إلى يزيدَ بن عبد الملك يَعْتَذِر فأغْضَى له عليها .

رأى أبى الفرج فيه واستدلاله على هذا الرأى

قال أبو الفرج الأصبهانىّ : وليس ماجرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضِّ منه فى شعره، ولكنّا ذكرنا من كلِّ مايُؤْثَرعنه مايُعرَف به حالُه من تَقَدُّم وتأخُّر، وفضيلةٍ ونَقْص ؛ فأمّا تفضيلُه وتقدُّمه فى الشعر فمُتَعَـالَم مشهور ، وشِعْرُه يُنْبِئ عن نفسه ويَدُلّ على فضله فيه وتَقَدُّمه وحُسْنِ رَوْنَقه وتَهَذُّبه وصَفائه .

رأى الفرزدق وجرير فى نسيبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز[1] قال حدّثنى عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدُب الهُذَلىّ قال حدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيْل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال :

سمعتُ بالفـرزدق وجَرير على باب الحَجّاج، فقلتُ : لو تَعَرّضتُ آبنَ أُختنا ! فآمتطيتُ إليه بعيراً، حتى وجدتُهما قبل أن يَخْلُصا[2]، ولكلِّ واحدٍ منهما شيعةٌ؛ فكنتُ

(١) كذا فى ى ، ط ، م ، وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة المـاجشون . وفى سائر الأصول : « قال حدّثنا عبـد العزيز » وفيه حذف ؛ لأن الزبير بن بكار روى عن عبـد الملك ولم يرو عن أبيه .

(٢) يخلصا : يصلا ؛ يقال : خلص فلان الى كذا اذا وصل اليه .

فى شيعة الفرزدق ؛ فقام الآذِن يومًا فقال : أين جرير ؟ فقال جرير : هذا أبو فِراس ؛ فاظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأسَرَّتْه . فقال الآذِن : أين الفرزدق ؟ فقام فدخل . فقالوا لجرير : أتُنَاوِئه وتُهاجيه وتُشاخصُه ، ثم تُبَدِّى عليه فتأبَى وتُبَدِّيه ؟ ! قضيتَ له على نفسك ! فقال لهم : إنّه نَزْرُ القول ، ولم يَنْشَبْ[1] أن يَنْفَد ماعنده وما قال فيه فيُفاخِرَه ويرفَع نفسَه عليه ؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واْستُحْسِن . فقال قائلهم : لقد نظرت نَظَرًا بعيدا . قال : فما نَشِبُوا أنْ خرَج الآذنُ فصاح : أين جرير ؟ فقام جرير فدخل . قال : فدخلتُ ، فإذا ما مدَحه به الفرزدق قد نفِد ، وإذا هو يقول :

أينَ الذين بِهِمْ تُسامِى دارِمًا[2] * أَمْ مَنْ إلى سَلَفَىْ[3] طُهَيَّةَ تجعلُ

قال : وعِمامتُه على رأسه مثل المِنْسف[4] ، فصِحتُ من ورائه :

هذا ٱبنُ يوسُفَ فاعلَموا وتفَهَّموا * بَرِحَ الخفَاءُ فليس حين تَناجِى
مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ[5] النِّفاقِ عليكمُ * أَمْ مَنْ يَصُولُ كصَوْلَة الحَجّاجِ
أَم مَنْ يَغارُ على النِّساء حفيظةً * إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرَةِ الأزواجِ
قُلْ لِلْجَبانِ إذا تأخَّر سَرْجُهُ * هل أنتَ من شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجِى

قال : وما تشبيبها ؟ وطرِب : فقال جرير :

---

(١) لم ينشب : لم يلبث . وهذا اللفظ عند العرب عبارة عن السرعة . وأصله من نشب العظم فى الحلق والصيد فى الحبالة . أى لم يعلق به شىء يمنعه من ذلك . (٢) دارم : اسم قبيلة . (٣) فى ب ، س : «سفلى طهية» وهو تحريف . والتصويب عن بقية الأصول والنقائض (ص ١٨٣) . وطهية : بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ، فولدت له أباسود وعوفا وجشيشا ، فغلبت على بنيها فنسبوا إليها . (٤) المنسف : الغربال الكبير . (٥) المطلع : المأتى ؛ تقول : من أين مُطَّلَع هذا الأمر ، أى من أين مأتاه .

لَجَّ الهَــوَى بفُــؤادِكَ المِلْجاجِ (١) * فَٱحْبِسْ بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْدَاجِ

وأَمَرَّها ، أو قال : أمضاها . فقال : أَعْطُوه كذا وكذا ، فٱستقللت ذلك . فقال الهُذَلىّ : وكان جريرٌ عربيًّا قَرَوِيًّا ، فقال للحجّاج : قد أمر لى الأمير بما لم يُفْهَمْ عنه ، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمر به الأمير ! فدعا كاتباً وٱحتاط فيه بأكثر من ضِعْفه ، وأعطى الفرزدقَ أيضا . قال الهُذَلىّ : فجئتُ الفرزدقَ فأمر لى بستّين دينارًا وعبدٍ ، ودخلتُ على رُوَاته فوجدتُهم يُعَدِّلون ما ٱنحرف من شعرِه ، فأخذتُ من شعره ما أردتُ . ثم قلتُ له : يا أبا فِرَاس ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدى ٱبن المَرَاغة . قلت : فمَنْ أنْسَبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

لِى ليلتانِ فليــلةٌ مَعْسُولةٌ * أَلْقَى الحبيبَ بها بِنَجْمِ الأَسْــعُدِ

ومُرِيحــةٌ هَمِّى علىَّ (٢) كأنّنى * حتّى الصَّباح مُعَــلَّقٌ بالفَرْقَدِ

قلتُ : ذاك الأحوص . قال : ذاك هو . قال الهذلىّ : ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطانى صاحبى أَسْتَخْرِجُ به منه ؛ فقال : كم أعطاك ٱبنُ أُخْتِك ؟ فأخبرته . فقال : ولك مثله ؛ فأعطانى ستين دينارا وعبدا . قال : وجئتُ رُوَاتَه وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد (٣) ، فأخذتُ منــه ما أردت ، ثم قلتُ : يا أبا حَزْرَةَ ، مَنْ أنْسَبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

(١) الملجاج : اللجوج . وقد ورد هذا البيت فى الأمالى (ج ٣ ص ٤٣ طبع دار الكتب المصرية) وديوانه المطبوع والمخطوط هكذا :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج * فانظر بتوضح باكر الأحداج

وتوضح : موضع معروف فى بلاد بنى يربوع . والأحداج : جمع حدج وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . يريد ، على هذه الرواية ، هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك ، فارم بطرفك نحو توضح . (٢) مريحة : من أراح الإبل إذا ردّها إلى المراح من العشىّ ، والمراد أنها تسوق إليه همه . (٣) السناد : كل عيب يوجد فى القافيــة قبل الروىّ ، وفسره ابن ســيده بأنه المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروىّ . (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٤٣ من الجزء الأوّل والحاشية رقم ١ ص ٣٤٨ من الجزء الثانى من هذه الطبعة) .

يا ليتَ شِعْرِى عَمَّنْ كَلِفْتُ به * من خَثْعَمٍ إذ نَأَيْتُ ما صَنَعُوا
قومٌ يَحُلُّون بالسَّدِيرِ(1) وبالْ * حِيرَةِ منهم مَرْأًى ومُسْتَمَعُ
أَنْ شَطَّتِ الدارُ عن دِيارِهِمُ * أأمسكوا بالوِصال أم قَطَعُوا
بل هُمْ على خَيْرِ ماعَهِدْتُ وما * ذٰلكَ إلّا التأميلُ والطَّمَعُ

٥ قلتُ : ومَنْ هو ؟ قال : الأحوص . فآجتمعا على أن الأحوص أنسبُ الناس .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التى يقول فيها الأحوص :

* لى ليلتان فليلةٌ معسولةٌ *

وأوّل ما يُغَنَّى به فيها :

١٠ صوت

يا للرِّجالِ لِوَجْدِكَ المُتَجَدِّدِ * ولِمَا تُؤَمِّلُ من عَقِيلةَ فى غَدِ
ترجو مَواعِدَ بَعْثُ آدمَ دونها * كانتْ خَبَالًا للفؤاد المُقْصَدِ
هل تذكُرِن عَقِيلُ أو أَنْساكِهِ * بَعْدِى تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفْسِدِ
يومى ويومَكِ بالعَقِيقِ إذِ الهَوَى * منّا جميعُ الشَّمْلِ لم يَتَبَدَّدِ
١٥ لى ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ * ألقَى الحبيبَ بها بنَجْمِ الأسْعَدِ
ومُريحةٌ هَمِّى علىَّ كأنّنى * حتّى الصباحِ مُعلَّقٌ بالفَرْقَدِ

عروضه من الكامل . يقال : يا للرّجال(2) ويا لِلرِّجال بالكسر والفتح .
وفى الحديث أنّ عمر رضى الله عنه صاح لمّا طُعِن : يالَلّهِ يالِلْمسلمين . وقوله

55/4

(1) السدير : نهر بالحيرة ، وقيل : السدير : قصر فى الحيرة من منازل آل المنذر . (أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٣٧ ج ٢ من هذه الطبعة) . (2) لام الاستغاثة تفتح مع المستغاث وتكسر مع المستغاث لأجله . فإذا دخلت على ضمير ، مثل يالك ، فتحت دائما ، وكسرت مع ياء المتكلم ، واحتمل الكلام حينئذ الأمرين .
٢٠

« فى غد »، يريد فيما بعد وفى باقى الدهر؛ قال الله سبحانه : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ . والخَبَل والخَبَالُ : النُّقْصان من الشىء . والمُخَبَّل ، أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل . والمعسولة : الحُلْوة المشتهاة — .

الشعر للأحوص . والغناء فى البيت الأوّل والثانى لمالك خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن الهشامى وحَبَش . وفى الثالث والرابع لسليمان[1] أخى بَابَوَيْهِ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفى الخامس والسادس لحنٌ لابن سُرَيج ذكره يونس ولم يجنّسه . وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ لمَعْبَد فى الأبيات كلها لحنًا وأنه من صحيح غنائه، ولم يُجَنِّسه .

سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعر له

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَةَ قال : بلغنى أنّ ابنًا للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأة شريفة ، وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال حدّثنى إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسَةَ[2] بن سعيد بن العاصى قال أخبرنى أَشْعَبُ[3] بن جُبَيْر قال :

حضرتِ امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر، فقالت له : أتروى قولَ أبيك :

لى ليلتان فليلةٌ معسولةٌ * ألقَى الحبيبَ بها بنجم الأسْعُدِ
ومُرِيحةٌ هَمِّى علىّ كأنّنى * حتّى الصباح معلّق بالفَرْقَدِ

(١) فى م : « لسليم » . (٢) كذا فى ى، ط، م . وفى سائر النسخ : « إبراهيم بن زيد بن عنبسة » ، وهو تحريف . (٣) كذا فى ب، حـ، م . وفى سائر النسخ : « أشعث » وهو تصحيف .

قال نعم . قالت : أتدرى أىّ الليلتين التى يبيت فيها معلّقا بالفَرْقَد؟ قال : لا والله. قالت : هى ليلةُ أُمِّك التى يبيت معها فيها . قال إبراهيم فى خبره: فقلتُ لأشعب : يا أبا العلاء ، فأىٌّ ليلتيه المعسولة ؟ فقال :

سَتُبْدِى لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيــكَ بالأخبـار مَنْ لم تُزَوِّدِ

هى ليلة الإسراف [1] ، ولا تسأل عمّا بعدها .

ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص

أخبرنى عبد العزيز ٱبن بنت المـاجشون قال :

أُنشِدَ ٱبن جُنْدَب قولَ الأحوص :

لى ليلتانِ فليلةٌ معســولةٌ * ألقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُريحــةٌ هَمِّى علىّ كأنّنى * حتّى الصباح معلّق بالفَرْقَدِ

فقال : أمَا إنّ الله يعـلم أنّ الليلةَ المُرِيحةَ هَمِّى لَأَلَذُّ الليلتين عندى . قال الحَرَمىّ ابن أبى العلاء : وذلك لِكَلَفِه بالغَزَل والشَّوْق والحنين وتَمَنِّى اللقاء .

من هى عقيلة التى شغف بها الأحوص

وللأحوص مع عَقيلةَ هذه أخبارٌ قد ذُكِرتْ فى مواضعَ أُخَر . وعقيلة ٱمرأةٌ من وَلَد عَقيـلِ بن أبى طالب رضى الله عنه . وقـد ذكر الزُّبَيرعن ٱبن بنت المـاجشون عن خاله أنّ عَقيلة هذه هى سُكَيْنةُ بنت الحُسَين عليهما السلام، كَنَى عنها بعقيلة .

أعجب أبو عبيدة ابن محمد بن عمار ببيت له وحلف لا يسمعه إلا جرّ رسنه

اخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المُؤَمِّلى : أنّ إنساناً أَنْشد عند إبراهيم بنِ هشَامٍ وهو والى المدينة قولَ الأَحْوَص :

إذْ أنتِ فينا لِمَنْ يَنْهاكِ [2] عاصيةٌ * وإذْ أَجُرُّ إليكم سـادرًا رَسَنِى

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « ليلة الاشراف » بالشين المعجمة .

(٢) كذا فى حـ ، م ، وقد اتفقت عليها الأصول فيما بعد . وفى سائر النسخ هنا : «يهواك» .

٥٦/٤

فوثب أبو عُبَيدةَ بن عَمّار بن ياسِر(١) قائمًا ثم أرْخى رداءه ومضى يمشى على تلك الحال ويَجُرّه حتى بلغ العِرْضَ(٢) ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنُك ؟ فقال : أيها الأمير ، إنى سَمِعتُ هذا البيتَ مَرّةً فأعجبنى ، فحلفتُ لا أسمَعُه إلا جَرَرْتُ رَسَنِى .

نسبة هذا البيت وما غُنِّى فيه من الشعر ٥

صــوت

سَقْيًا لِرَبْعِك من رَبْعٍ بِذِى سَلَمٍ * ولِلزَّمانِ به إذ ذاكَ من زَمَنِ
إذْ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرُّ إليكم سادِرًا رَسَنِى

عروضه من البسيط . غنَّى ابن سُرَيْج فى هذين البيتين لحنًا من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحنًا من الثقيل الأوّل بالسبّابة فى مجرى(٣) الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حَبَشٌ(٤) أنه للغَرِيض . ١٠

كان حماد الراوية يفضله على الشعراء فى النسيب

أخبرنى أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلّام عن سالم بن أبى السَّحْاء وكان صاحب حَمّادٍ الراوية :

أنّ حمّادًا كان يُقَدِّم الأَحْوَص فى النَّسيب .

هجا رجلا فاستعدى عليه الفرزدق وجريرا فلم ينصراه فعاد فصالحه

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عمر بن أبى سلمان عن يوسف ابن أبى سليمان بن عَنْبَرة(٥) قال : ١٥

(١) نسبه الى جده لشهرته ؛ فان أبا أبى عبيدة محمد بن عمار بن ياسر .
(٢) العرض (بالكسر) : الوادى فيه زروع ونخل ؛ يقال : أخصبت أعراض المدينة ؛ وهى قراها التى فى أوديتها . ويراد به هنا مكان بعينه . (٣) فى حـ : « بالسبابة فى مجرى الوسطى » .
(٤) فى ط ، ء : « يونس » . (٥) فى حـ : « عنترة » . ٢٠

هجا الأحوصُ رجلًا من الأنصار من بنى حَرامٍ يقال له ٱبن بِشير، وكان كثيرَ المال؛ فغَضِب من ذلك، فخرَج حتّى قَدِم على الفرزدق بالبَصْرة وأهدى إليه والطفه[1]، فقبِل منه، ثم جلسا يتحدّثان؛ فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أَقْدَمَك؟ قال: جئتُ مستجيرًا بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجانى. قال: قد أجارك الله منه وكفاكَ مُؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذى هجانى. فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذى يقول:

ألَا قِفْ بِرَسْمِ الدّارِ فاسْتَنْطِقِ الرّسْمَا * فقَدْ هاجَ أحزانى وذَكَّرَنى نُعْمَا[2]

قال بلى. قال: فلا والله لا أهجو رجلا هذا شِعْره. فخرج ٱبن بشير فآشترى أَفْضَلَ من الشّراء الأوّل من الهدايا، فقَدِم بها على جرير، فأخذها وقال له: ما أَقْدَمَك؟ قال: جئتُ مستجيرًا بالله وبك من رجلٍ هجانى. فقال: قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاكَ، أين أنت عن ٱبن عمِّك الأَحْوَص بن محمد؟ قال: هو الذى هجانى. قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذى يقول:

تَمَشَّى بِشَتْمِى فى أَكَارِيسِ[3] مالكٍ * تُشِيدُ به كالكَلْبِ إذ يَنْبَحُ النَّجْمَا
فما أنا بالمَخْسُوسِ فى جِذْمِ[4] مالكٍ * ولا بالمُسَمَّى ثم يَلْتَزِمُ الإسْمَا
ولكنّ بيتِى إنْ سألتَ وجدتَه * تَوَسَّطَ منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْمَا

قال: بلى والله. قال: فلا والله لا أهجو شاعرا هذا شعره. قال: فآشترى أفضل من تلك الهدايا وقَدِم على الأحوص فأهداها إليه وصالَحَه.

---

(١) ألطفه: أكرمه وبرّه بطرف التحف، والاسم "اللطف" بالتحريك. (٢) وردفى بعض الأصول: «نعمى» بالياء فى آخره؛ وقد سموا «بنعم» «ونعمى». (٣) أكاريس: جمع الجمع لكرس وهو هنا الجماعة من الناس. (٤) الجذم: الأصل.

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صــــوت

ألا قِفْ بِرَسْمِ الدّار فاستنطِقِ الرَّسْمَا * فقد هاجَ أحزانى وذكَّرنى نُعْمَى
فبِتُّ كأنّى شاربٌ من مُدامةٍ * إذا أذهبتْ هَمًّا أتاحتْ له هَمَّا

غنّاه إبراهيم المَوْصِلىّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشَامىّ . وذكر عبد الله ٥
ابن العبّاس الرَّبِيعى أنّه له .

٥٧ / ٤

أنشد أبو السائب المخزومى شعرا له فطرب ومدحه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال:
قال لى أبو السائب المخزومىّ : أنشِدْنى للأحوص ؛ فأنشدتُه قوله :

قالتْ وقلتُ تَحَرَّجِى وصِلِى * حَبْلَ آمرئٍ بوصالكم صَبِّ
وَاصِلْ إذًا بَعْلِى فقلتُ لها * الغَدْرُ شىءٌ ليس من ضَرْبِى[1] ١٠

صــــوت

ثِنْتَانِ لا أدنو لِوَصْلِهما[2] * عِرْسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ[3]
أمّا الخليلُ فلستُ فاجعَه * والجارُ أوصانى به رَبِّى
عُوجُوا كذا نَذْكُرْ لغانِيةٍ * بعضَ الحديثِ مَطِيَّكم صَحْبِى
وَنَقُلْ لها فِيمَ الصُّدودُ ولَمْ * نُذْنِبْ بَلَ آنتِ بَدَأْتِ بالذَّنْبِ ١٥
إنْ تُقْبِلى نُقْبِلْ ونُنْزِلكم * مِنّا بدار السَّهْلِ والرُّحْبِ
أو تُدْبِرِى تَكْدُرْ مَعِيشَتُنا * وتُصَدِّعِى مُتَلائِمَ الشَّعْبِ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «شعبى» . (٢) فى ب، سـ : «بوصلهما» تحريف .
(٣) جار الجنب بالفتح : اللازق بك الى جنبك .

— غنّى فى «ثنتان لا أدنو» والذى بعده ٱبنُ جامع ثقيلًا أوّلَ بالوسطى. وغنّى فى «عُوجُوا كذا نذكر لغانية» والأبياتِ التى بعده ٱبنُ مُحْرِزٍ لحنًا من القَدْر الأوسطِ من الثقيل الأوّل مطلقًا فى مجرى البِنْصَر — قال : فأقبل علىّ أبو السائب فقال : يآبنَ أخى ، هذا والله المُحِبُّ عينًا لا الذى يقول :

٥ وكنتُ إذا خليلٌ رامَ صُرْمِى * وجدتُ وراءَ منفَسَحًا عريضًا

اِذْهَبْ فلا صَحِبك اللهُ ولا وسَّع عليك (يعنى قائلَ هذا البيت) .

سأل المهدى عن أنسب بيت قالته العرب فأجاب رجل من شعره فأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنا خالد بن وَضَّاح قال حدّثنى عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صَفْوان الجُمَحىّ قال :

حملتُ دَيْنًا بعسكر المَهْدِىّ ، فركب المهدىّ بين أبى عُبَيْد الله وعُمَرَ بن بَزِيع ، ١٠ وأنا وراءه فى مَوْكبه على بِرْذَوْنٍ قَطُوفٍ (١) ؛ فقال : ما أَنْسَبُ بيتٍ قالته العرب ؟ فقال له أبو عُبَيد الله : قولُ امرئ القيس :

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلا لِتَضْرِبى * بسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

فقال : هذا أعرابىٌّ قُحٌّ . فقال عمر بن بَزِيع : قولُ كُثَيِّر يا أمير المؤمنين :

أُرِيدُ لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلِّ سَبِيلِ

١٥ فقال : ما هذا بشىء ، وما لَه يُريد أن يَنْسَى ذِكْرَها حتى تَمَثَّلَ له ! فقلتُ : عندى حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك ! قال : الْحَقْ بى . قلتُ : لا لَحَاقَ بى ، ليس ذلك فى دَابَّتى . قال : احْمِلُوه على دابّة . قلتُ : هـذا أوّلُ الفَتْح ؛ فحُمِلْتُ على دابّة ، فلَحِقْتُ . فقال : ما عندك ؟ فقلتُ : قولُ الأَحْوَص :

(١) القطوف : الدابة التى تبطئ فى سيرها .

إذا قلتُ إنّى مُشْتَفٍ بِلقائها * فحُمّ التلاقِى بيننا زادنى سُقْمَا

فقال : أحسنَ والله! اقْضُوا عنه دَيْنَه ، فقُضِى عنّى دَيْنى .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

٥٨/٤ منها الشعر الذى هو[1] :

أريد لأنسى ذِكْرَهَا فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلِّ سبيلِ ٥

صــــوت

ألا حَيِّيَا لَيْـلَى أجَدّ رَحيلِى * وآذَنَ أصحابى غَدًا بِقُفُولِ

ولم أرَ من لَيْلَى نَوالًا أعُدُّهُ * ألَا رُبَّمَا طالبتُ غيرَ مُنِيلِ

أُريد لأنسى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

وليس خَليلِى بالمَلُولِ ولا الذى * إذا غِبْتُ عنه باعَنِى بخليلِ ١٠

ولكنْ خَليلِى مَنْ يَدُومُ وِصَالُهُ * ويَحْفَظُ سِرِّى عند كلِّ دَخيلِ

عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر . والغناء فى ثلاثة الأبيات الأُوَل لإبراهيم، ولحنُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصَر . ولابنه إسحاق فى :

* وليس خليلى بالمَلُول ولا الّذى *

ثقيلٌ آخَرُ بالوسطى . ١٥

حديث ابن سلام عن كثير وجميل

أخبرنى أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام، وأخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير عن محمد بن سَلّام قال :

كان لِكُثَيِّرٍ فى النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مُقَدَّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا، ولكُثَيِّرٍ من فنون الشّعر ما ليس لجميل. وكان كُثَيِّرٌ راويةَ جميل، وكان جميلٌ

(١) كذا فى ب . وفى سـ : « الذى هو أوّله » . وفى سائر النسخ : « الذى أوله » . ٢٠

صادقَ الصَّبابة والعِشق، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق، وكان يتقوّل . قال : وكان الناس يستحسنون بيت كُثَيِّر فى النَّسيب :

أُريد لأنسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى ليلَى بكلِّ سبيلِ

قال : وقد رأيتُ مَنْ يُفَضِّل عليه بيتَ جميلٍ :

٥ خليلَيّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما * قتيلًا بَكَى من حُبِّ قاتِلِه قَبْلِى

حديث ابن مصعب الزبيرى عن كثير

قرأت فى كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلَاذُرِىّ : وذكر إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصِلىّ أنّ عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيرىّ كان يومًا يذكُر شعرَ كُثَيِّر ويَصِفُ تفضيلَ أهل الحجاز إيّاه، إلى أن انتهى إلى هــذا البيت . قال إسحاق : فقلتُ له : إنّ الناس يَعيبُون عليه هذا المعنى ويقولون : ما لَه يُريد أن ينسَاها ! فتبسّم ابنُ مُصْعَبٍ ثم قال :

١٠ إنّكم يأهلَ العراق لَتقُولون ذلك .

سئل كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب

أخبرنى أحمد بن عبــد العزيز الجَوْهَرِىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرِىّ (١) قال حدّثنى الهِزَبْرِىّ (٢) قال :

قيل لكُثَيِّر : ما أنسبُ بيتٍ قلتَه؟ قال : الناس يقولون :

أُريد لأنسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى ليلَى بكلِّ سبيل

١٥ وأنسبُ عندى منه قولى :

وقُل أُمَّ عَمْرٍو داؤه وشفاؤه * لديها وريّاها الشِّفاءُ مِنَ الخَبْلِ (٣)

وقد قيل : إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيْثِىّ .

(١) فى م : « الزبيرى » . (٢) فى ط ، ى ، م : « الهديرى » .
(٣) كذا فى ط ، ى ، م . ولعله من القصيدة التى منها :

٢٠ خليلىّ فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

وفى سائر الأصول : * لديها وريّاها إليه طبيب *

محرز بن جعفر
ـب الشعر فى
ـار واستشهد
ـر صاحبهم
لأحوص

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عثمان — قال الحَرَمىّ: أحْسَبُه ابنَ عبد الرحمن المخزومىّ — قال حدّثنا إبراهيم بن أبى عبد الله قال:

قيل لمُحْرِز بن جعفر: أنتَ صاحبُ شِعْرٍ، ونَراك تَلْزَم الأنصار، وليس هناك منه شىء؛ قال: بلى والله، إنّ هناك لَلشِّعْرَ عَيْنَ الشِّعْرِ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبُهم الأحوص الذى يقول:

٥٩ / ٤

يقولون لو ماتت لقد غاض حُبُّهُ * وذلك حِينُ الفاجعـاتِ وحِينِى
لَعَمْرُك إنّى إنْ نُجِمَّ وفاتُها * بِصُحْبَةِ مَنْ يَبْقَى لَغَيْرُ ضَنِينِ

وهو الذى يقول:

وإنّى لِمكْرَامٌ لسـادات مالكٍ * وإنّى لِنَوْكَى مالكٍ لَسَبُوبُ
وإنّى على الحِلْمِ الذى من سَجِيّتى * لَحَمّالُ أضْغانٍ لهُنّ طَلُوبُ

ما قاله الأحوص
من الشعر فى مرض
موته

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى عَمِّى مُصْعَبٌ قال حدّثنى يحيى ابن الزُّبَير بن عَبَّاد بن حَمْزَةَ بن عبد الله بن الزُّبَير، قال الزُّبير وحدّثنى علىُّ بن صالح عن عامر بن صالح:

أنّ الأحوص قال فى مَرَضه الذى مات فيه — وقال عامر بن صالح: حين هرَب من عبد الواحد النَّصْرىّ إلى البَصْرة —:

يا بِشْرُ يا رُبَّ محزونٍ بمَصْرَعنا * وشَـامِتٍ جَذِلٍ ما مَسَّـهُ الحَزَنُ
وما شَمَاتُ امْرِئٍ إنْ ماتَ صاحبه(١) * وقـد يَرَى أنّه بالموت مُرْتَهَنُ
يا بِشْرُ هَبِّى فإنّ النَّـوْمَ أرّقَهُ * نَأْىٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوَطَنُ

(١) فى ط، م: «قد مات».

ذكر الدَّلَال وقصته حين خُصِيَ ومَنْ خُصِيَ معه والسبب فى ذلك وسائر أخباره

اسمه وكنيته وولاؤه

الدَّلَالُ آسمه نَاقِد[1]، وكُنيته أبو زَيْد[2]. وهو مَدَنِيٌّ مولَى بنى فَهْم .

وأخبرنى علىُّ بن عبد العزيز عن آبن خُرْدَاذْبَهْ قال :

قال إسحاق : لم يكنْ فى المُخَنَّثِين أحسنُ وجهًا ولا أنظفُ ثوبًا ولا أظرفُ من الدَّلَال . قال : وهو أحدُ مَنْ خَصَاه آبنُ حَزْمٍ . فلمّا فُعِل ذلك به قال : الآن تَمَّ الخُنْث .

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عبد الله مصعب الزُّبيرىّ قال :

الدَّلَالُ مولَى عائشةَ بنت سعيد بن العاص .

كان ظريفا صاحب نوادر وكان يغنى غناء كثير العمل

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عبد الله مصعَب الزُّبيرى قال :

كان الدَّلَالُ من أهل المدينة، ولم يكن أهلُها يعُدُّون فى الظُّرَفاء وأصحابِ النوادر من المخنّثين بها إلّا ثلاثةً : طُوَيْس، والدَّلَالُ، وهِنْبٌ[3]؛ فكان هِنْبٌ أقدمَهم، والدلالُ أصغرَهم . ولم يكن بعد طُوَيْسٍ أظرفُ من الدَّلَال ولا أكثرُ مُلَحًا .

(١) كذا فى شرح القاموس (مادة دلل) ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٢١٥) . وفى ﺳ، م : «نافد» بالفاء والدال المهملة . وفى باقى الأصول : «نافذ» بالفاء والدال المعجمة . (٢) كذا فى شرح القاموس ونهاية الأرب . وفى جميع الأصول : «أبو يزيد» . (٣) كذا فى ب، ﺳ . وفى شرح القاموس (مادة هنب) أن النبى صلى الله عليه وسلم نفى مخنثين أحدهما «هيت» والآخر «ماتع» . قال إنما هو «هنب» فصحفه أصحاب الحديث . وقال الأزهرى : رواه الشافعى وغيره «هيت»، وأظنه صوابا . وقد ورد فى المشتبه : «هيت» . وقد ورد هذا الاسم فى باقى الأصول مضطربا .

قال إسحاق : وحدّثنى هشام بن المُرِّيّة عن جَرير، وكانا نديمين مدنيَّين، قال: ما ذكرتُ الدَّلاَلَ قطُّ إلاّ ضَحِكتُ لكثرة نوادره . قال : وكان نَزْرَ الحديث، فإذا تكلّم أضحك الثَّكْلَى، وكان ضاحكَ السنّ، وصَنْعَته نَزْرةٌ جيِّدة، ولم يكن يُغَنِّى إلاّ غناءً مُضْعَفًا، يعنى كثيرَ العمل .

ل المدينة رون به

قال إسحاق : وحدّثنى أَيُّوب بن عَبَايَةَ قال :

شَهِدتُ أهلَ المدينــة إذا ذكروا الدَّلالَ وأحاديثَه، طوّلوا رقابَهم ونَخَروا به؛ فعلمتُ أنّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه .

ن يلازم النساء

قال وحدّثنى ٱبن جامــع عن يونسَ قال :

كان الدَّلاَل مُبْتَلًى بالنِّساء والكَوْن معهنّ ، وكان يُطْلَبُ فلا يُقْدَرُ عليه، وكان بديعَ الغناء صحيحَه حَسَنَ الجِرْم[1] .

، لقبـــه ، توسطه بين الرجال والنساء

قال إسحاق وحدّثنى الزُّبَيرى قال :

إنّمــا لُقِّبَ بالدَّلال لِشَكْله[2] وحُسْنِ دَلّه وظَرْفه وحَلاوةِ مَنْطقه وحُسْنِ وجهــه وإشارته . وكان مشغوفًا[3] بمخالطة النِّساء ووَصْفِهنّ للرجال . وكان مَنْ أراد خِطْبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يَصِف له النساءَ واحدةً فواحدةً حتّى ينتهىَ إلى وصف ما يُعْجِبه؛ ثم يتوسّط بينه وبين من يُعْجِبه منهنّ حتّى يتزوّجها؛ فكان يُشَاغِل كلَّ مَنْ جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء .

٦٠ / ٤

(١) كذا فى أكثر الأصول . والجرم بالكسر هنا : الصوت أو جهارته . وفى م ونهاية الأرب (حـ ٤ ص ٢١٦) : « الجــزم » والجزم : وضع الحــروف مواضعها فى بيانٍ ومهل .

(٢) الشكل (بالكسر) : الدل . والشكل (بالفتح) : الهيئة والمذهب . (٣) فى ى ، حـ ، م : « مشعوفا » بالعين المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد . وقد قرئ بهما فى قوله تعالى : (قد شغفها حبا) .

قال إسحاق وحدّثنى مُصْعَب الزُّبَيرى[1] قال :

أنا أعلمُ خَلْقِ الله بالسبب الذى من أجله خُصِى الدَّلَال؛ وذلك أنه كان القادمُ يَقْدَمُ المدينةَ، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيُدَلُّ على الدَّلَال؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لى مَنْ تعرف من النساء للتزويج؛ فلا يزال يَصِفُ له واحدةً بعد واحدة حتّى ينتهى إلى ما يُوافق هواه؛ فيقول : كيف لى بهذه؟ فيقول : مَهْرُها كذا وكذا؛ فإذا رَضِى بذلك أتاها الدَّلَال، فقال لها : إنّى قد أَصبتُ لكِ رجلًا من حاله وقصّته وهَيْئته ويَساره ولا عهدَ له بالنساء، وإنما قَدِم بلدَنا آنفًا؛ فلا يزال بذلك يُشَوِّقها ويُحَرِّكها حتّى تُطيعه؛ فيأتى الرجلَ فيُعْلِمه أنه قد أَحكم له ما أراد. فإذا سُوِّىَ الأمرُ وتزوّجته المرأة، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخلَ بك، والليلة موعدُه، وأنت مُغْتَلِمةٌ شَبِقة جامّةٌ[2]؛ فساعةَ يدخل عليك قد دَفَقتِ عليه مثل سَيْل العَرِم، فيَقْذَرُكِ ولا يُعَاوِدُكِ، وتكونين من أشأم النّساء على نفسك وغيرك. فتقول : فكيف أصنع؟ فيقول : أنتِ أعْلَمُ بدواء حِرِكِ ودائه وما يُسَكِّن غُلْمَتَكِ. فتقول : أنت أَعْرَفُ. فيقول : ما أَجِدُ له شيئًا أَشْفَى من النَّيْك. فيقول لها : إن لم تَخَافِى الفضيحةَ فآبعثى إلى بعض الزُّنوج حتّى يقضىَ بعضَ وَطَرِك ويَكُفَّ عاديةَ حِرِك؛ فتقول له : ويلَك! ولا كلّ هذا! فلا تزال المُحاورة بينهما حتّى يقولَ لها : فكما جاء علىَّ أقوم[3]، فأُخَفِّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوجُ. فتفرَح المرأة فتقول : هذا أمرٌ مستور، فيَنِيكها؛ حتّى إذا قضى لَذَّته منها، قال لها : أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيبَ، وبَقِيتُ أنا. ثم يجىء إلى الزوج فيقول له : قد واعدتُها

---

(١) اشتمل هذا الخبر على ألفاظ صريحة فى الفحش، وقد آثرنا إبقاءه كما هو آحتفاظا بكيان الأغانى الذى يعدّ من أجل مصادر التاريخ والأدب العربى. (٢) يقال : جم الفرس وغيره، اذا ترك الضراب فتجمع ماؤه. (٣) فى م : «فكما حكم علىَّ أقوم».

أن تدخل عليك الليلة، وأنت رجلٌ عَزَبٌ(١)، ونساءُ المدينــة خاصّةً يُرِدْنَ المُطاولةَ فى الجماع، وكأنّى بك كما تُدخله عليهـا تُفرغ وتقوم، فتُبْغِضُك وتَمْقُتُك ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتَها الدنيا، ولا تنظر فى وجهك بعدها . فلا يزال فى مثل هذا القول حتّى يعـلم أنّه قد هاجتْ شَهْوته؛ فيقول له : كيف أعمل؟ قال : تطلُب زِنْجيّــةً فتَنِيكها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسْــكُنَ غُلْمتُك؛ فإذا دخلتَ الليلةَ إلى أهلك لم تجد أمرَك إلّا جميلا . فيقول له ذاك : أعوذُ بالله من هذه الحال، أزناً وزنجيّة! لا والله لا أفعل! فاذا أكثر محاورتَه قال له : فكما جاء علىّ قُمْ فنِكْنى أنا حتّى تَسْكُنَ غُلْمتُك وشَــبَقُك؛ فيفرَح فيَنِيكه مَرّةً أو مرّتين . فيقول له : قــد استَوَى أمرُك الآن وطابت نفسك، وتدخل على زوجتك فتَنِيكها نَيْكًا يملؤها سرورًا ولذّة . فيَنِيكُ المرأةَ قبل زوجها، ويَنِيكُه الرجلُ قبل آمرأته . فكان ذلك دأبَه، الى أن بلغ خبره سليمان آبن عبــد الملك، وكان غَيُورًا شديد الغَيْرة، فكَتَب بأن يُخْصَى هو وسائرُ المخنّثين [بالمدينة ومكة](٢)، وقال : إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسِدونهنّ . فورد الكتّابُ على آبن حَزْم فخصاهم . هذه رواية إسحاق عن الزُّبيرى . والسبب فى هذا أيضًا مختلفٌ فيه، وليس كلُّ الرواة يَرْوُون ذلك كما رواه مُصْعَب .

رواية أخرى فى السبب الذى خصى من أجله الدلال وسائر المخنثين بالمدينــة

فممّا رُوِى من أمرهم ما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ — وهذا الخبر أصحُّ ما رُوِى فى ذلك إسنادًا — قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبّةَ عن مَعْن بن عيسى، هكذا رواه الجوهرىّ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غَسّان قال : قال آبن جَنَاح حدّثنى مَعْنُ بن عيسى عن عبــد الرحمن بن أبى الزِّنَاد عن أبيه وعن محمد بن مَعْنٍ الغِفَارىّ(٣) قالا :

(١) فى م : «غريب عزب» . (٢) زيادة عن م . (٣) فى ى، ط : «عن أبيه محمد ابن معن الغفارى» وهو تحريف؛ إذ أن أبا عبدالرحمن هذا هو عبد الله بن ذكوان المعروف بأبى الزناد .

كان سبب ما خُصِى له المخنَّثون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان فى نادية[1] له يَسْمُر ليلةً على ظهر سَطْح، فتفرق عنه جلساؤه، فدعا بوَضُوء فجاءت به جاريةٌ له. فبينا هى تَصُبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثًا، فلم تَصُبّ عليه؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه، فإذا هى مُصْغية بسمعها إلى ناحية العَسْكَر، وإذا صوتُ رجل يغنّى، فأنصتَ له حتى سمع جميعَ ما تغنّى به. فلمّا أصبح أذن للناس، ثم أجرى ذِكْرَ الغناء فليّن فيه حتى ظنّ القومُ أنه يَشتهيه ويريده، فأفاضُوا فيه بالتّسهيل وذِكْرِ مَنْ كان يسمَعه. فقال سليمان: فهل بقى أحد يُسمَع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندى يا أمير المؤمنين رجلانِ من أهل أَيْلةَ مُجيدان مُحْكِمان. قال: وأين منزلُك؟ فأومأ إلى الناحية التى كان الغناء منها. قال: فابعَثْ إليهما، ففعل. فوجد الرسولُ أحدَهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسْمُك؟ قال: سُمَير، فسأله عن الغناء، فاعترف به. فقال: متى عهدُك به؟ قال: الليلةَ الماضية. قال: وأين كنتَ؟ فأشار إلى الناحية التى سَمِع سليمانُ منها الغناء. قال: فما غنّيت به؟ فأخبره الشعرَ الذى سمعه سليمانُ. فأقبل على القوم فقال: هَدَر الجملُ فضَبِعتِ[2] الناقةُ، ونَبَّ التّيْسُ فشَكِرَت الشاةُ، وهدَر[3] الحمامُ فزافتِ[4] الحمامةُ، وغنّى الرجلُ فطَرِبتِ المرأةُ، ثم أمر به فخُصِى. وسأل عن الغناء أين أصلُه؟ فقيل: بالمدينة فى المخنّثين، وهم أئمّته والحُذّاقُ فيه. فكتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارىّ، وكان عاملَه عليها، أنِ اخْصِ مَن قِبَلَك[5] من المخنّثين المغنّين — فزعَم موسى بن جعفر بن

(١) كذا فى م. والنادية: مؤنث النادى وهو مجلس القوم ومتحدثهم. وفى سائر النسخ: «بادية» بالباء الموحدة. (٢) ضبعت الناقة: اشتهت الفحل. ونبّ التيس: صاح عند الهياج. وشكرت الشاة: امتلأ ضرعها، ويكنى بذلك عن حنينها. (٣) فى م: «هدل»، والهديل: كالهدير، وقيل هو صوت الذكر خاصة. (٤) زافت الحمامة: تبخترت فى مشيتها بين يدى الذكر وأقبلت عليه ناشرة جناحيها وذنباها. (٥) ذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ١ ص ٥٥ طبع مصر): أن الذى أمر بخصاء المخنثين هو هشام ابن عبد الملك، وأن الذى تولى ذلك هو عثمان بن حيّان والى المدينة. ثم ساق بعد ذلك طرفا من القصة.

أبى كثير قال أخبرنى بعض الكُتّاب قال : قرأت كتابَ سليمان فى الديوان، فرأيتُ على الخاء نقطةً كتمرة العَجْوة. قال : ومَنْ لا يعلم يقول : إنه صَحّف القارئُ، وكانت أَحْصِ — قال : فتتبّعهم ابنُ حزم فخَصَى منهم تسعةً؛ فمنهم الدَّلالُ، وطَرِيفٌ[1]، وحَبِيبٌ نَوْمةُ الضُّحَى . وقال بعضهم حين خُصِى : سَلِم الخاتن والمختون . وهذا كلام يقوله الصبيّ إذا خُتِن .

قال : فزعم ابن أبى ثابت الأعرج قال أخبرنى حماد بن نَشِيط الحَسَنىّ قال : أقبلْنا من مكة ومعنا بَدَراقُس[2] وهو الذى خَتَنهم، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم، فنزلنا على حبيبِ نَوْمةِ الضُّحَى، فاحتفل لنا وأكرمنا. فقال له ثابت[3] : مَنْ أنت؟ قال : يابن أخى أتجهلُنى وأنت وَلِيتَ خِتانى ! أو قال : وأنت ختنتَنى. قال : واسوءتاه! وأيُّهم أنت؟ قال أنا حَبيب . [قال ثابت :][4] فاجتنبتُ طعامَه وخفتُ أن يسمنى . قال : وجعلتْ لِحيةُ الدّلَال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأمّا ابن الكلبىّ فإنه ذكر عن أبى مِسْكين ولَقِيطٍ أن ايمَن كتب بإحصاء من فى المدينة من المخنّثين ليعرفهم، فيُوفِد عليه مَنْ يختاره للوِفادة؛ فظَنّ [الوالى][4] أنه يُريد الخصاء، فخصاهم .

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى أبو أيُّوب المدينىّ قال حدّثنى محمد بن سلّام قال حدّثنى ابن جُعْدُبة، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدينىّ عن ابن جُعْدُبة واللفظُ له :

أنّ الذى هاج سليمانَ بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنّثين، أنّه كان مستلقِيًا على فراشه فى الليل، وجاريةٌ له إلى جنبه، وعليها غِلالةٌ ورداءٌ

(١) فى ط، م : « طريفة » . (٢) كذا ورد هذا الاسم مضبوطا فى ط .
(٣) لم يتقدّم لثابت هذا ذكر فى الكلام . ولعله اسم آخر لبدراقس أو اسم غلامه الذى كان يعينه .
(٤) زيادة يقتضيها السياق .

مُعَصْفَران، وعليها وِشاحان من ذهب، وفى عُنُقها فصلان من لؤلؤ وزَبَرْجَد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفا(١)، وفى عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْلِىّ يغنّى، فلم يفكِّر سليمان فى غِنائه شُغْلاً بها وإقبالاً عليها، وهى لاهيةٌ عنه لا تجيبه مُصْغيةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحوّل وجهه عنها مُغْضَبا، ثم عاد الى ما كان مشغولا عن فهمه بها، فسمع سُمَيْرًا يغنّى بأحسن صوت وأطيب نغمة :

صـــوت

محجوبة سَمِعتْ صوتى فأَرّقها * من آخر اللَّيل حتّى شَفَّها السَّهَرُ(٢)
تُدْنِى على جِيدها ثِنْيَىْ(٣) مُعَصْفَرةٍ * والحَلْىُ منها على لَبّاتها خَصِرُ
فى ليلة النصف مايدرى مُضَاجِعُها * أوجهُها عنده أبهى أم القمرُ
— ويروى : * أوجهُها ما يَرى أم وجهُها القمرُ * —
لَوْ خُلِّيَتْ لَمَشتْ نَحْوِى على قَدَمٍ * تكاد من رِقّةٍ للشى تَنْفَطِرُ

— الغناء لسُمَيْر الأَيْلِىّ رملٌ مطلق بالبنصر عن حَبَش . وأخبرنى ذُكَاء وجه الرُّزّة أنّه سمع فيه لحنًا للدّلال من الثقيل الأوّل — فلم يَشْكُكْ سليمان أنّ الذى بها مما سمعتْ ، وأنّها تهوَى سُمَيرا ؛ فوجّه مِنْ وقته مَنْ أحضره وحبسه ، ودعا لها بسيف ونِطْع ، وقال : والله لَتَصْدُقِنّى أو لأضرِبَنّ عنقك ! قالت : سَلْنِى عمّا تريد . قال : أخبرينى عمّا بينك وبين هذا الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قطّ ، وأنا جاريةٌ مَنْشَئِى الحجاز ، ومن هناك حُمِلْتُ إليك ، ووالله

---

(١) فى م : « مشعوفا » بالعين المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد . (٢) فى ط : «حتى طلها السحر» . وفى المحاسن والأضداد ص ٢٩٣ : «لما بلها السحر» . (٣) كذا فى ء، ط، م . وفى ح : « ثنى » . وفى سائر النسخ : « ثنى » وكلاهما تصحيف .

ما أعرف بهـذه البلادِ أحدًا سواك . فرقّ لها، وأحضر الرجلَ فسأله ، وتلطّف له فى المسألة ، فلم يجد بينه وبينها سبيلا ، ولم تَطِبْ نفسه بتخليته سَوِيًّا[1] فخصاه ، وكتب فى المخنّثين بمثل ذلك . هذه الرواية الصحيحة .

أسف ابن أبى عتيق لخصاء الدلال

وقد أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال : قيـل للوليد بن عبد الملك : إنّ نساء قريش يدخل عليهنّ المخنّثون بالمدينـة ، ٥ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يدخل عليكنّ هؤلاء" . فكتب إلى آبن حَزْم الأنصارىّ أنِ آخْصِهم ، فخصاهم . فمرّ آبن أبى عَتيـق فقال : أَخَصَيتم الدَّلَال ! أمَا والله لقد كان يُحْسِن :

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ * ـشِ أمسَى دارسًا خَلَقَا
تأبّد[2] بعـد ساكنـه * فأصبح أهـلُه فِرَقَا ١٠
وقفتُ به أُسـائلُه * ومَرّتْ عِيسُهم حِزَقَا[3]

ثم ذهب ثم رجع ، فقال : إنما أعنى خَفيفَه ، لستُ أعنى ثَقِيلَه .

أسف الماجشون لذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الوَاقدىّ عن آبن الماجُشُون : أنّ خليفةَ صاحبَ الشُّرطة لمّا خُصِى المخنّثون مرّ بأبيه[4] الماجشون وهو فى حَلْقته ، فصاح به : تعالَ ، فجاءه ، فقال : أَخَصَيتم الدَّلَال ؟ قال نعم . قال : ١٥ أمَا إنّه كان يُجِيد :

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيـ * ـش أمسى دارسًا خَلَقَا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه ، ثم قال : أستغفر الله ! إنما أعنى هزجَه لا ثقيلَه .

---

(١) سويا : كاملا . (٢) تأبد : توحش . (٣) حزقا : جماعات . (٤) فى الأصول : «مرّ بابن الماجشون» وهو تحريف ؛ إذ الذى كان يعجبه الدلال ويستحسن غناءه و يدنيه ويقرّبه هو الماجشون ٢٠ لا آبنه . وآبن الماجشون هذا لم ير الدلال ، و إنما تحدّث اليه عنه أبوه . (انظر ص ٢٨٠ من هذا الجزء) .

٦٣ / ٤

أضحك الناس في الصلاة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني حمزة النوفلي قال :
صلى الدلال المخنث إلى جانبي في المسجد ، فضرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد ، فرفعنا رءوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعا بذلك صوته : سبح لك أعلاي وأسفلي ؛ فلم يبق في المسجد أحد إلا فتن وقطع صلاته بالضحك .

طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء وكان يكرهه

٥ أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن المدائني عن أشياخه :
أن عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غنتك جاريتي فلانة :

لمن ربع بذات الجيـ * ـش أمسى دارسا خلقا

لما أدركت دكانك(١) . فقال : جعلت فداك ، قد وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . فقال عبد الله : يا غلام ، مر فلانة أن تخرج ؛ فخرجت معها عودها . فقال عبد الله : إن هذا الشيخ يكره السماع . فقالت : ويحه ! لو كره الطعام ١٠ والشراب كان أقرب له إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة؟ فقالت : إنهما ربما قتلا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله غني :

لمن ربع بذات الجيـ * ـش أمسى دارسا خلقا

فغنت ، فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول :

١٥ * هذا أوان الشد فاشتدي زيم *

ويحرك رأسه ويدور حتى وقع مغشيا عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

غنى الدلال الغمر ابن يزيد فطرب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال :
مر الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجا ، فغناه الدلال :

---

(١) الدكان : بناء يسطح أعلاه ويجلس عليه كالمصطبة في مصر . أي لأصابك من عنائها ما يعوقك
٢٠ عن أن تصل إلى المكان الذي تجلس فيه . وفي حـ ، م : " ذكاتك " .

بانتْ سُعادُ وأمسى حَبلُها آنْصَرَما * وآحتلَّتِ الغَمْرَ[1] فالأجراعَ[2] من إضَما[3]

فقال له الغَمْر : أحسنتَ والله ، وغلبتَ فيه آبنَ سُرَيج ! فقال له الدَّلال : نعمةُ الله علىّ فيه أعظمُ من ذلك . قال : وما هى ؟ قال : السُّمْعة ، لا يسمَعه أحدٌ إلّا عَلِم أنه غناء مُخنَّثٍ حقًّا .

نسبة هذا الصوت :

صـــوت

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها آنصرما * واحتلّتِ الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَمَا

إحْدَى بَلِيٍّ[4] وما هامَ الفؤادُ بها * إلّا السَّفاهَ وإلّا ذُكْرةً حُلُمَا

هَلّا سألتِ بنى ذُبْيانَ ما حَسَبِى * إذا الدُّخَانُ تَغَشَّى[5] الأشمطَ البَرَمَا

الشعر للنابغة الذُّبيانىّ . والغناء للدَّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن الهشامى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنصر لمَعْبَد عن عمرو بن بانةَ[6] . وفيه لآبن سُرَيج ثقيلٌ أوّل

(١) تقدّم فى الجزء الأوّل (ص ٤٩ من هذه الطبعة) : «الغور» . والغمر : الماء الكثير ، أو بئر قديمة بمكة ، أو موضع بينه وبينها يومان . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ ، م : «فالأجزاع» بالزاى المعجمة . والأجراع : جمع جرع وهو مفرد أو جمع جرعة وهى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . (٣) إضم (بكسر ففتح) : واد بجبل تهامة ، وهو الوادى الذى فيه المدينة . وقد ورد هذا البيت فى ديوان النابغة الذبيانى هكذا :

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * واحتلت الشرع فالأجزاع من إضما

وشَرْع : قرية على شرقىّ ذَرَة فيها مزارع ونخيل على عيون ، وواديها يقال له رخيم . والأجزاع : جمع جزع بالكسر — وقال أبو عبيدة : اللائق به أن يكون مفتوحا — : منعطف الوادى . وفى تاج العروس (أضم) :

* واحتلت الشرع فالحبتين من إضما *

والحبت : المتسع من بطون الأرض . (انظر القاموس وشرحه و ياقوت فى هذه المواد) .

(٤) بلىّ كغنىّ : قبيلة من قضاعة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة (بالكسر والضم) : نقيض النسيان . (٥) تغشّى : تلبّس . والأشمط : الذى خالطه الشيب . وخص الأشمط لأنه أجزع للبرد من الشاب فهو يتغشى النار قبله . والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله .

(٦) فى م : «ثقيل أوّل بالبنصر» .

بالبنصر عن حَبَش . وفيه لنَشيطٍ ثانى ثقيلٍ بالبنصر عنه . وذكر الهشامىّ أنّ لحن مَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل، وذكر حمّاد أنّه للغَرِيض . وفيه لجَمِيلةَ ودَحْمانَ لحنان، ويقال : إنهما جميعا من الثقيل الأوّل .

احتكم اليه شيعى ومرجى

أخبرنى الحُسَين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المَدَائنىّ قال :

٥

اختصم شِيعِىٌّ ومُرْجِئٌ[1]، فجعلا بينهما أوّلَ مَنْ يَطْلُع، فطلَع الدّلّال، فقالا له : أبا زَيْد، أيُّهما خيرٌ : الشِّيعىّ أم المُرْجِئ ؟ فقال : لا أدرى إلّا أنّ أعلاىَ شِيعىّ وأسفلى مُرْجِئ !

هرب من المدينة الى مكة
٦٤
٤

قال إسحاق قال المَدَائنىّ وأخبرنى أبو مِسْكِينٍ عن فُلَيْح بن سليمان قال :

كان الدّلّال ملازمًا لأُمّ سعيد الأسلميّة وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبى العاصى، وكانتا من أَمْجَنِ النِّساء، كانتا تخرُجان فتركَبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلَاخِيلُهما . فقال مُعاوية لمَرْوان بنِ الحَكَم : اِكْفِنى بنتَ أخيك، فقال : أفعل . فاستزارها، وأمر ببئرٍ فحُفِرتْ فى طريقها، وغُطِّيتْ بحَصِيرٍ، فلمّا مشتْ عليه سقطتْ فى البئر فكانت قبرَها . وطُلِب الدّلّال فهرَب إلى مكة . فقال له نساء أهلِ مكة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا ! فقال : والله ما قتلهنّ إلا الحُكَّاك[2] . فقلن : اعْزُبْ أخزاك الله، ولا أدنى بك [دارًا، ولا آذانا بك][3]! قال : فمَنْ لكُنّ

١٠

١٥

---

(١) المرجئة : جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وكانوا يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهم فرق أربع : مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة . (انظر الملل والنحل للشهرستانى ص ١٠٣ طبع أوربا) . (٢) كذا فى ء، ط، م . وفى سائر النسخ : «ما قتلهنّ أحد إلا الحكاك» . (٣) زيادة عن س، م .

٢٠

بعـدى يدلّ على دائكنّ و يعلم موضع شِفائكنّ ؟ والله ما زنيتُ قطُّ ولا زُنِى بى، وإنّى لأشتهى ما تشتهى نساؤكم ورجالكم .

كان الماجشون يقرب الدلال ويستحسن غناءه

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن ابن الماجشُون قال :

كان أبى يُعجبه الدَّلال ويستحسن غناءه ويُدْنيه ويُقرّبه ، ولم أره أنا ، فسمعتُ أبى يقول : غنّانى الدَّلال يومًا بشعر مجنون بنى عامر ، فلقد خِفْتُ الفتنة على نفسى . فقلت : يا أبتِ ، وأىَّ شعرٍ تَغنَّى ؟ قال قولَه :

صــــوت

عَسَى اللهُ أن يُجْرِى المَوَدّةَ بيننا * ويُوصِلَ حبلًا منكمُ بحِباليَا

فكَمْ من خَلِيلَىْ جَفْوةٍ قد تَقاطَعَا * على الدَّهْرِ لمّا أنْ أطالَا التَّلَاقِيَا

وإنّى لفى كَرْبٍ وأنتِ خَلِيّةٌ * لقدفارقتُ فى الوصف حالُكِ حاليا

عتبتُ فما أعتبتِنى بمودّةٍ * ورُمْتُ فما أسعفتِنى بسؤاليا

الغناء فى هذا الشعر للغَرِيض ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ولا أعرف فيه لحنًا غيره . وذكر حماد فى أخبار الدَّلال أنّه للدّلال، ولم يجنِّسه .

غرر بمخة المخنث فعابث خثيم بن عراك صاحب الشرطة

قال إسحاق وحدّثنى الوَاقدىّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطِبىّ قال :

قَدِم مخنّث من مكةَ يقال له مُخّة، فجاء إلى الدَّلال فقال : يا أبازيد، دُلّنى على بعض مُخَنَّثى أهلِ المدينة أكايِدْه وأُمَازِحْه ثم أُجاذِبْه . قال : قد وجدته لك — وكان خُثَيم[1] بن عِرَاك بن مالكٍ صاحبِ شُرْطة زِيَاد بن عُبَيد[2] الله الحارثىّ جارَه، وقد خرج فى ذلك الوقت ليصلِّىَ فى المسجد — فأومأ إلى خُثَيْم فقال : الحَقْه فى المسجد، فإنّه

(١) كذا فى حـ ، وهو الموافق لما فى تهـذيب التهذيب وطبقات ابن سعد (ح ٥ ص ١٨٧) وتقريب التهذيب وشرح القاموس . وفى ب، سـ : «خيثم» . وورد فى ى، ط مضطربا غير واضح .

(٢) كذا فى ى، ط، م، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ٢ ص ١٤٦٨ طبع أوروبا) وابن الأثير (ج ٥ ص ٣٤٥ طبع أوروبا) . وفى سائر الأصول : «زياد بن عبد الله» وهو تحريف .

يقوم فيه فيصلّى لِيُرائِىَ النـاسَ ، فإنّك ستظفر بمـا تُريد منـه (١) . فدخل المسجدَ وجلس إلى جنب ٱبن عِراك، فقال: عَجِّلِ بصلاتك لا صلّى الله عليك! فقال خُثَيْم: سبحانَ الله ! فقال المخنّث : سَبِّحتِ فى جامعةٍ (٢) قِرَاصِيةٍ، انصرف حتى أتحدّث معك . فانصرف خُثَيْمٌ من صلاته، ودعا بالشُّرَط والسِّياط فقال: خُذُوه فأخذوه (٣)، فضربه مائةً وحبسه .

أضحك الناس فى الصلاة فهدّده الوالى

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه قال :

صلّى الدّلاَلُ يومًا خلفَ الإمام بمكة، فقرأ: ﴿ وَمَالِىَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾؛ فقال الدّلاَل : لا أدرى والله ! فضَحِك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة. فلمّا قضى الوالى صـلاتَه دعا به وقال له : ويلَك ! ألَا تَدَعُ هذا المجونَ والسَّفَهَ ! فقال له : قد كان عنـدى أنّك تعبد الله، فلمّا سمعتُك تستفهم، ظننتُ أنك قـد تشكّكت فى ربّك فثبّتُّك . فقـال له : أنا شككت فى ربّى وأنت تُثبّتنى (٤) ! اِذهَبْ لعنك الله ! ولا تُعاوِدْ (٥) فأُبالغَ والله فى عُقوبتك !

قصته مع رجل زوّجه امرأة لم يدخل بها

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن عثمان بن إبراهيم قال :

سأل رجلٌ الدّلاَلَ أنْ يزوّجه ٱمرأةً فزوّجه . فلمّا أعطاها صَداقَها وجاء بها إليه فدخلتْ عليـه ، قام إليها فواقَعها ، فضَرَطتْ قبل أن يطأها ، فكَسِل عنها الرجل ومَقَتها وأَمَر بها فأُخرجتْ ، و بعث إلى الدّلال، فعرّفه ماجرى عليه. فقال له الدّلاَل:

---

(١) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « فجلس فى المسجد وجلس الخ » . ولعلها « يجلس فى المسجد » . (٢) الجامعة : الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق .

(٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «فأخذه» .

(٤) كذا فى حـ . وفى ى، ط : «أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى» . وفى سائر النسخ : «أما أشك فى ربى وأنت تثبتنى» . (٥) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « ولا تعاوده » .

فديتُك! هذا كلُّه من عِزّة نفسها. قال: دَعْنى منك؛ فإنّى قد أبغضتها، فأرْدُدْ علىّ دَرَاهمى، فَرَدّ بعضها. فقال له: لم رددتَ بعضَها وقد خرجتْ كما دخلتْ؟ قال: للرَّوْعة التى أدخلتَها على ٱسْتِها. فضحك وقال له: اذهَبْ فأنت أقضَى الناس وأفقهُهم.

سكر مع فتية من قريش وسيق الى الأمير فأراد أن [illegible]

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدينىّ قال حدّثنى محمد بن سلّام عن أبيه قال، [و] أخبرنى به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام عن أبيه [قال]:

أنّ الدّلال خرج يومًا مع فِتْيةٍ من قريش فى نُزْهةٍ لهم، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه، فأعجبه، وعلِم القوم بذلك، فقالوا: قد ظَفِرْنا به بقيّة يومنا، وكان لا يصبِر فى مجلس حتّى ينقضى، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبةً فى محادثة النساء. فغمَزوا الغلامَ عليه؛ وفَطِن لذلك فغضب، وقام لينصرف؛ فأقسم الغلامُ عليه والقومُ جميعًا بجلس. وكان معهم شرابٌ فشربوا، وسَقَوْه وحَمَلوا عليه لئلّا يبرَح، ثم سألوه أن يُغنّيهم فغنّاهم:

صـــوت

زُبَيْرِيّةٌ بالعَرْج منها منازلٌ * وبالخَيْف من أدنى مَنازِلها رَسْمُ[1]

أُسائلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لَقِيتُه * ومالى بها من بعد مَكّتنا عِلْمُ

أيا صاحب الخَيْمات من بَطْن أَرْثَدٍ[2] * إلى النخل من وَدّانَ ما فعلتْ نُعْمُ

فإنْ تَكُ حَرْبٌ بين قومى وقومها * فإنّى لها فى كلّ نائرةٍ[3] سَلْمُ

---

(١) ورد فى حـ، م بعد هذا البيت: «ورواه آخرون: وبالخيف من أعلى منازلها رسم».

(٢) كذا فى حـ و ياقوت. وأرثد: اسم واد بين مكة والمدينة فى وادى الأبواء. وودّان: قرية جامعة من نواحى الفرع؛ بينها وبين هَرْشَى ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال. وفى سائر الأصول: «أربد» بالباء الموحدة. وأربد: قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب. وقد رجحنا رواية حـ و ياقوت لأنها الأشبه بشعر الأحوص وليكون بين الموضعين تناسب مكانى.

(٣) النائرة: العداوة والشحناء، مشتقة من النار.

— ذكر يحيى المكىّ[1] وعمرو بن بانة أنّ الغناء فى هذا الشعر لمَعْبد ثانى ثقيل بالوسطى ، وذكر غيرهما أنه للدّلال . وفيه لمُخارق رملٌ . وذكر إسحاق هذا اللحن فى طريقة الثقيل الثانى ولم ينسبه إلى أحد — قال : فاستُطير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نَعيرُهم ؛ فنَذِر[2] بهم السُّلْطان ، وتَعَادت[3] الأشراطُ ، فأحسُّوا بالطَّلَب فهربوا ؛ وبقى الغلام والدَّلال ما يُطيقان بَرَاحا من السُّكْر ؛ فأُخذا فأُتِى بهما أميرُ المدينة . فقال للدَّلال : يا فاسق ! فقال له : مِنْ فَمِك إلى السماء . قال : جَئُوا[4] فَكَّه ؛ قال : وعُنُقَه أيضا . قال : يا عدوّ الله ! أما وَسِعكَ بيتُك حتّى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به ! فقال : لوعلمتُ أنّك تَغَارُ علينا وتشتهى أن نفسُق[5] سِرًّا ما خرجتُ من بيتى . قال : جَرِّدُوه واضربوه حدًّا . قال : وما ينفعك من ذلك ! وأنا والله أُضْرَبُ فى كلّ يوم حدودا . قال : ومَنْ يتولّى ذلك منك ؟ قال : أُيورُ المسلمين . قال : ابطَحُوه على وجهه واجلسوا على ظهره . قال : أحسَب أنّ الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أُنَاك . قال : أقيموه لعنه الله واشهَروه فى المدينة مع الغلام . فأُخرِجا يُدَار بهما فى السِّكَك . فقيل له : ما هذا يا دلَالُ ؟ قال : اشتهى الأميرُ أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بينى و بين هذا الغلام ونادى علينا ، ولو قيل له الآن : إنّك قوّاد غضب ! فبلغ قولُه الوالى فقال : خَلُّوا سبيلَهما ، لعنة الله عليهما !

شهادة معبد فى غناء الدلال

قال إسحاق فى خبره خاصّةً — ولم يذكره أبو أيّوب — فحدّثنى أبى عن ابن جَامِع عن سِيَاطٍ قال :

(١) كذا فى ط ، وقد تقدّم كذلك مرارا . وفى سائر النسخ : «يحيى بن المكى» وهو تحريف وله ترجمة فى الجزء السادس من الأغانى طبع بولاق . (٢) نذر : علم . (٣) تعادت : من العدو وهو سرعة الجرى . (٤) جئوا : اضربوا ؛ يقال : وجأ عنقه يجؤه مثل وضع يضع . (٥) فى جميع الأصول : « تفسق » بالتاء .

سمعت يونسَ يقول قال لى مَعْبَدٌ : ما ذكرت غناءَ الدَّلال فى هذا الشعر :

* زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْج منها مَنازِلٌ *

إلّا جدّد لى سرورا ، ولَوِدْدتُ أنّى كنت سبقتُه إليه لحُسْنه عندى . قال يونس : فقلت له : ما بلَغ من حُسْنه عندك ؟ قال : يكفيك أنى لم أسمَعْ أحسنَ منه قطُّ .

٦٦/٤

ما كان بينه مع بعض المخنثين وبين عبد الرحمن آبن حسان

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِىّ عن صالح بن حَسّان قال :

كان بالمدينة عُرْس ، فاتّفق فيه الدَّلَال وطُوَيْس والوليد المخنّث ، فدخل عبد الرحمن بن حَسَّان ، فلمّا رآهم قال : ما كنتُ لأجلسَ فى مجلس فيه هؤلاء . فقال له طُوَيس : قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتى فيك وأنّ جَرْحى إيّاك لم يندمل — يعنى خبَره معه بحضرة عبد الله بن جعفر، وذِكْرَه لعَمّته الفارعة — فأَرْبِعْ نفسَك وأَقْبِلْ على شأنك ؛ فانّه لا قِيامَ لك بمن يَفْهَمك فَهْمى . وقال له الدَّلال : يا أخا الأنصار ! إنّ أبا عبد النَّعيم أعلَمُ بك منّى ، وسأُعلِمُك بعضَ ما أعلم به . ثم آندفع ونَقَر بالدُّفّ، وكلُّهم ينقُر بدُفّه معه ، فتغنّى :

صــــوت

أتهجُر يا إنسانُ مَنْ أنت عاشقُهْ * ومَنْ أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ[1]

وريم أحَمّ المقلتين مُوَشَّحٍ * زَرَابِيُّه[2] مبثوثةٌ ونَمارِقُهْ

ترى الرَّقْمَ[3] والدِّيباجَ فى بيته معًا * كما زيَّن الروضَ الأنيقَ[4] حدائقُهْ

(١) فى ء، ط، ب : « ووامقه » . (٢) الزرابىّ : البسط . وقيل : كل ما بسط وآتكئ عليه . والنمارق : الوسائد . (٣) الرقم : ضرب مخطّط من الوشى أو الخز أو البرود .
(٤) فى حـ : « الروض الأنيث » . والأنيث : الكثير العظيم .

وسِرْبِ ظِباءٍ تَرْتَعِى جانبَ الحِمَى * إلى الجوّ فالخَبْتَيْنِ بِيضٌ عَقائقُهْ (١) (٢)

وما مِنْ حِمًى فى الناسِ إلّا لنا حِمًى * وإلّا لنا غَرْبِيُّهُ ومَشارِقُهْ

فآستضحك عبدُ الرحمن وقال : اللّهُمّ غَفْراً ، وجلس .

لحن الدَّلَال فى هذه الأبيات هَزَجٌ بالبِنْصَر عن يحيى المكىّ وحمّاد .

استدعاه سليمان بن عبد الملك سراً فأتاه فطرب وأعاده الى الحجاز مكرما

٥ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عبد الله الجُمَحِىّ عن محمد ابن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَام قال: سمعتُ عَمِّى عُتْبَةَ يقول حدّثنى مولًى للوليد بن عبد الملك قال :

كان الدَّلَالُ ظريفًا جميلاً حسنَ البيان ، مِنْ أَحْضَرِ الناس جوابًا وأحَجِّهم ؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصِى غَلَطًا ، فوجّه إليه مولًى له وقال له :

١٠ جئنى به سِرًّا ، وكانت تبلُغه نوادرُه وطِيبُه ، وحذّر رسولَه أن يعلمَ بذلك أحدٌ . فنفَذ المولى إليه وأعلمه ما أَمَره به ، وأَمَرَه بالكِتْمان وحَذّره أن يَقِفَ على مقصده أحد ، ففعل . وخرج به إلى الشام ، فلمّا قَدِم أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمانَ بمكانه ؛ فدعا به ليلاً فقال : وَيْلَكَ ما خَبَرُك ؟ فقال : جُبِبْتُ من القُبُل مَرّةً أُخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تَجُبَّنِى المرّة من الدُّبُر ؟ ! فضحك وقال : اعْزُبْ أخزاك الله! ثم قال له :

١٥ غَنِّ . فقال : لا أُحْسِن إلّا بالدُّفّ . فأمر فأُتِى له بدُفّ ؛ فغنّى فى شعر العَرْجِىّ :

أفى رَسْمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَحَدِّرُ * سَفَاهًا وما آستنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ

تغيَّرَ ذاك الربعُ من بعد جِدَّةٍ * وكلُّ جديدٍ مَرّةً متغيِّرُ

لأسماءَ إذ قلبى بأسماءَ مُغْرَمٌ * وما ذِكْرُ أسماءَ الجميلةِ مُهْجِرُ

---

(١) الجوّ والخبتان : كلاهما موضع . (٢) الأقرب أن يكون « بيض عقائقه » مرتبطا

٢٠ بالموضع الذى قبله ، وأن يكون المراد بالعقائق : النهاء (جمع نِهى بكسر أوّله وفتحه) الغدران فى الأخاديد المنعقة (العميقة) .

وتمشى ثلاثٌ بعد هَدْءٍ[1] كَواعِبٌ * كمثل الدُّمَى بل هنّ من ذاك أنضَرُ
فسلَّمْنَ تسليمًا خفيًّا وسَقَّطَتْ * مَصَاعِبةٌ[2] ظُلْعٌ من السير حُسَّرُ
لها أرَجٌ من زاهر البَقْلِ والثَّرَى * وبَرْدٌ إذا ما باشر الجِلْدَ يَخْصَرُ[3]
فقالتْ لِتِرْبَيْها الغداةَ تَبَقَّيَا[4] * بعينٍ ولا تَسْتَبْعِدَا حين أُبْصَرُ
ولا تُظْهِرَا بُرْدَيْكما وعليكما * كِساءانِ من خَزٍّ بنَقْشٍ[5] وأخضرُ
فعدِّى فما هذا العتابُ بنافعٍ * هواىَ ولا مُرْجٍ الهوى حين يَقْصُرُ

٦٧ / ٤

فقال له سليمان : حُقّ لك يادَلَالُ أن يقال لك الدَّلال ! أحسنتَ وأجملتَ ! فوالله ماأدرى أىّ أمرَيْك أعجب : أَسُرْعةُ جوابك وجودةُ فهمك أم حُسْنُ غنائك، بل جميعًا عَجَبٌ ! وأمر له بصلة سنيّة . فأقام عنده شهرا يشرب على غنائه، ثم سرّحه إلى الحجاز [مُكرما][6] .

قصته مع شامى من قواد هشام أراد أن يتزوج من المدينة

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعىّ قال :

حجّ هِشامُ بن عبد الملك، فلمّا قَدِم المدينةَ نزل رجلٌ من أشراف أهل الشام وقوّادهم بجنب[7] دار الدَّلال، فكان الشامىّ يسمَع غِناء الدّلال ويُصْغِى إليه ويصعَد فوق السطح ليقرُبَ من الصوت ؛ ثم بعث إلى الدّلال : إمّا أن تزورنا وإمّا

---

(١) الهدء : الهزيع من الليل ؛ وقيل : من أوّله الى ثلثه وذلك ٱبتداء سكونه . (٢) مصاعبة : جمع مُصْعَب وهو الفحل الذى تُركته فلم تركبه ولم يمسه حبل حتى صار صعبا . (٣) يخصر : يبرد .
(٤) كذا فى م . وتبقيا بعين أى انتظرا بمرأى منى ؛ يقال : بقّاه وبقّاه وأبقاه وتبقّاه، كله بمعنى انتظره . وفى ى، ط : « فقالت لتربيها فديت تنقبا : بعين ... » . وفى سائر النسخ : « فقالت لتربيها الغداة تنقبا * لعين ... » .
(٥) فى حـ، ى، ط : « بنفس » . (٦) زيادة من ى، ط، م .
(٧) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « تحت » .

أن نزورك ؛ فبعث إليه الدّلال : بل تزورنا . فتهيأ الشامىّ[1] ومضى إليه، وكان للشامىّ غلمانٌ رُوقةٌ[2]، فمضى معه بغلامين منهم كأنّهما دُرّتان . فغنّاه الدّلال :

قد كنتُ آمُل فيكم أمَلًا * والمرء ليس بمُدْرِكٍ أمَلَهْ
حتّى بدا لى منكم خُلُفٌ * فزجرت قلبي عن هوًى جهلَهْ[3]
ليس الفتى بمُخَلَّدٍ أبدًا * حَقًّا وليس بفائتٍ أجَلَهْ
حَيِّ العَمُودَ ومَنْ بعَقْوتِه[4] * وقِفَا العَمُودِ وإن جَلَا أهلُهْ[5]

قال : فاستحسن الشامىّ غناءه، وقال له : زدْنى؛ فقال: أوَ مَا يكفيك ماسمعتَ ؟ قال: لا والله ما يكفينى . قال : فإنّ لى إليك حاجةً . قال: وما هى؟قال: تبيعنى أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : آختَرْ أيّهما شئت، فآختار أحدهما . فقال الشامىّ : هو لك ؛ فقبِله الدّلال ، ثم غنّاه :

دَعَتْنى دَوَاعٍ من أُرَيًّا فهيّجتْ * هوًى كان قِدْمًا من فؤادٍ طَرُوبِ
لعلّ زمانًا قد مضى أن يعودَ لى * فتَغْفِرَ أَرْوَى عند ذاك ذُنوبى
سَبَتْنِى أُرَيًّا يوم نَعْف مُحَسِّرٍ[6] * بوجهٍ جميلٍ للقلوبِ سَلُوبِ

فقال له الشامىّ : أحسنتَ ! ثم قال له : أيها الرجل الجميل، إن لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قال : أريد وصيفةً وُلدتْ فى حِجْرٍ صالحٍ ، ونشأتْ فى خيرٍ، جميلةَ الوجه مجدولة، وَضِيئةً ، جَعْدةً[7]، فى بياض مُشْرَبةً حمرةً، حسنةَ القامة، سَبْطةً[8]، أسيلةَ الخدّ،

---

(١) فى م : «فبعث الشامى بما يصلح ومضى الخ» . (٢) الروقة : الحسان ؛ يقال : غلمان روقة وجارية روقة . (٣) فى حـ ، م : * فزجرت قلبي فارعوى جهله * (٤) العقوة : الساحة . (٥) كذا فى جميع الأصول. وفيه إقواء . (٦) النعف : المرتفع من الأرض فى اعتراض . وقيل : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط . (ومحسر بالضم فالفتح وكسر السين المشدّدة) : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل : بين منى وعرفة، وقيل : بين منى والمزدلفة . (٧) الجعدة : التى فى شعرها جعودة . (٨) كذا فى أكثر الأصول ؛ يقال : غلام سبط الجسم أى حسن القدّ لطيفه . وفى ى ، ط : «شاطّة» أى حسنة القوام فى اعتدال .

عَذْبَةَ اللسان ، لها شَكْلٌ ودَلٌّ ، تملأ العين والنفس . فقال له الدّلال : قد أصبتُها لك ، فمالى عليك إن دَلَلْتُك ؟ قال : غلامى هذا . قال : إذا رأيتَها وقَبِلتَها[1] فالغلامُ لى؟ قال نعم . فأتى آمرأةً كَنَى عن آسمها ، فقال لها : جُعلتُ فِداكِ ! إنّه نزل بقُرْبى رجلٌ من أهل الشأم من قوّاد هشام له ظَرْفٌ وسخاء ، وجاءنى زائرًا فأكرمتُه ، ورأيت معه غلامين كأنّهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة ، ماوقعتْ عينى على مثلهما ولا ينطلق لسانى بوصفهما ، فوَهَب لى أحدَهما والآخرُ عنده ؛ وإن لم يَصِلْ إلىّ فنفسى خارجة . قالت : فتُريد ماذا ؟ قال : طَلَب منّى وصيفةً يشتريها على صِفَةٍ لا أعلَمُها فى أحدٍ إلّا فى فلانة بِنْتِك ، فهل لك أن تُريَها له ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفَع الغلامَ إليك إذا رآها ؟ قال : فإنّى قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع . قالت : فشأنَك ولا يعلَمْ أحدٌ بذلك . فمضى الدلّال فجاء بالشامىّ معه . فلمّا صار إلى المرأة أدخلتْه ، فإذا هو بحَجَلة[2] وفيها آمرأةٌ على سرير مُشْرِفٍ بَرْزَةٌ جميلةٌ ، فوُضِع له كرسىٌّ فجلس . فقالت له : أمِنَ العرب أنت ؟ قال نعم . قالت : من أيّهم ؟ قال : من خُزَاعةَ . قالت : مرحبًا بك وأهلًا ، أىَّ شىء طلبتَ ؟ فوَصَف الصفة ؛ فقالت : أصبتَها ، وأصغتْ[3] إلى جارية لها فدخلتْ فمكثتْ هنيهةً ثم خرجتْ ؛ فنظرتْ إليها المرأة فقالت لها : أىْ حبيبتى ، اخرُجى ؛ فخرجتْ وصيفةٌ ما رأى الرّاءون مثلَها . فقالت لها : أَقْبِلى فأقبلتْ ، ثم قالت لها : أَدْبِرى ، فأدبرتْ تملأ العين والنفس ؛ فما بقى منها شىء إلّا وضع يدَه عليه . فقالت : أتُحبّ أن نُؤَزِّرها لك ؟ قال نعم . قالت : أىْ حبيبتى آئْتَزِرى ، فضمّها الإزارُ وظهرت محاسنُها الخفيّة ، وضَرَب بيده على عَجِيزتها وصَدْرها . ثم قالت : أتُحبّ أن

(١) كذا فى : حـ . وفى سائر الأصول : «قلبتها» . (٢) الحجلة : بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور . (٣) أى مالت إليها برأسها .

تُجرِّدَها لك؟ قال نعم . قالت : أىْ حبيبتى وَضَّحى ، فألقت إزارَها فإذا أحسنُ خَلْق الله كأنّها سبيكة . فقالت : يا أخا أهلِ الشأم كيف رأيتَ ؟ قال : مُنْية المتمنِّى (١) . قال : بكَمْ تقولين؟ قالت : ليس يومُ النظر يومَ البيع ، ولكن تعود غداً حتى نُبايعك ولا تنصرف إلّا على الرِّضا ، فانصرف من عندها . فقال له الدّلال : أرَضيتَ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسَب أنّ مثل هذه فى الدنيا ؛ فإن الصفة لَتَقْصُر دونها . ثم دفع إليه الغلام الثانى . فلمّا كان من الغد قال له الشامىّ : امْضِ بنا ، فمَضيا حتّى قرَعا البابَ ، فأُذِن لهما ، فدخلا وسلّما ، ورحَّبت المرأةُ بهما ، ثم قالت للشامىّ : اعْطِنا ما تبذُل ، قال : مالها عندى ثمنٌ إلّا وهى أكبرُ منه ، فقُولى يا أَمَةَ الله . قالت : بل قُلْ ، فإنّا لم نُوطِئك أعقابنا ونحن نُريد خِلافَك وأنت لها رِضًا . قال : ثلاثة آلاف دينار . فقالت : والله لَقُبْلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار . قال : بأربعة آلاف دينار . قالت : غَفَر الله لك ! أَعْطِنا أيُّها الرجل . قال : والله ما معى غيرها — ولو كان لزدتُك — إلّا رَقيقٌ ودوابٌّ وخُرْثىٌّ (٢) أحمله إليك . قالت : ما أُراك إلّا صادقا ، أتدرى مَنْ هذه؟ قال : تُخبرينى . قالت : هذه ٱبنتى فلانةُ بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان ، وقد كنتُ أردتُ أن أَعْرِض عليك وصيفةً عندى ، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غِلَظَ أهلِ الشأم وجفاءَهم ، ذكرتَ ابنتى فعلمت أنّكم فى غير شىء ، قُمْ راشدًا . فقال للدّلال : خدعتَنى ! قال : أوَ لا ترْضَى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائةَ غلامٍ مثل غلامك؟ قال : أمّا هذا فنعم . وخرجا من عندها .

---

(١) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « منتهى المتمنى » .

(٢) الخرثى : متاع البيت وأثاثه ، وهو أيضا أردأ المتاع .

نسبة ما عُرِفتْ نسبته من الغناء المذكور فى هذا الخبر

صــــوت

قــد كنتُ آمــلُ فيكمُ أَمَلًا * والمــرءُ ليس بمُــدْرِكٍ أَمَلَهْ
حــتّى بدا لى منكمُ خُلُقٌ * فزجرتُ قلبى عن هَوًى جَهِلَهْ

الشــعر للمُغيرة بن عمرو بن عثمان . والغناء للدَّلال، ولحنُه من القَــدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبِنصر فى مجْراها ؛ وجدتُه فى بعض كتب إسحاق بخطّ يده هكذا ، وذكر علىّ بن يحيى المنجّم أنّ هذا اللحن فى هــذه الطريقة لابن سُرَيج ، وأنّ لحن الدّلال خفيفُ ثقيلٍ نَشِــيد[1] . وذكر أحمد بن المكّىّ أنّ لحن الدّلال ثانى ثقيلٍ بالوسطى ، ولحنَ ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل . وفيه لمُتيَّم وعَرِيبَ خفيفًا ثقيلٍ[2]، المُطْلَقُ المُسْجَحُ منهما لعَرِيبَ .

ومنهـا :

صــــوت

دعتْنى دَوَاعٍ من أُرَيًّا فهيَّجت * هوًى كان قِدْمًا من فُؤادٍ طَرُوبِ
ســبتْنى أُرَيًّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ * بوجــهٍ صبيحٍ للقلوب سَــلُوبِ
لعلّ زمانًا قد مضى أن يعــودَ لى * وتَغْفِــرَ أَرْوَى عنــد ذاك ذُنوبى

الغناء للدَّلالِ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوســطى فى مجراها من رواية حمّاد عن أبيــه ، وذكر يحيى المكّىّ أنه لابن سُرَيج .

غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته

أخبرنى الحسين[3] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى قَبِيصةَ قال :

(١) فى ح : « ثانى ثقيل » . (٢) فى ح : « خفيف ثقيل » .
(٣) فى ح ، سـ ، ب : « محمد بن الحسين من حماد » .

جاء الدّلال يومًا إلى منزل نائلةَ بنت عمّار الكَلْبيّ، وكانتْ عند معاويةَ فطلّقها، فقَرع البابَ فلم يُفْتَح له؛ فغنّى فى شعر مجنون بنى عامرٍ ونَقر بدُفّه[1] :

خَليـلَىَّ لا واللهِ ما أمْلكُ البُكَا * إذا عَلَمٌ من أرض ليلَى بَدَا لِيَا

خليـلَىَّ إنْ بانُوا بليـلَى فهيِّئا * لِىَ النّعْشَ والأكفانَ واستَغْفِرَا لِيَا

فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا: تَنَحّ عن الباب. وسَمِعتِ الجَلَبةَ فقالت: ما هذه الضّجّةُ بالباب؟ فقالوا: الدّلال. فقالت: ائذَنُوا له. فلمّا دخل عليها شقّ ثيابَه وطَرَح الترابَ على رأسه وصاح بوَيْلِه وحَرَبِه؛ فقالت له: الوَيْلُ وَيْلُك! ما دَهَاك؟ وما أَمْرُك؟ قال: ضربنى حَشَمُكِ. قالت: ولِمَ؟ قال: غَنّيتُ صوتًا أُريد أن أُسْمِعَكِ إيّاه لأدخل إليك؛ فقالت: أُفٍّ لهم وتُفٍّ! نحن نبلُغ لك ما تُحِبّ ونُحسن تأديبَهم. يا جارية هاتى ثيابا مقطوعة. فلمّا طُرِحتْ عليه جلَس. فقالت: ما حاجتُك؟ قال: لا أسألُكِ حاجةً حتّى أُغَنّيَكِ. قالت: فذاك إليك؛ فآندفع يُغنّى شعرَ جميل:

ارْحَمِيـنِى فقد بَلِيتُ فحَسْبِى * بعضُ ذا الدّاء يا بُثَيْنةُ حَسْبِى

لامَنِى فيكِ يا بثينـةُ صَحْبِى * لا تَلُومُوا قد أقرح الحُبُّ قلبى

زعَم الناسُ أنّ دائى طِبِّى[2] * أنتِ واللهِ يا بثينـةُ طِبِّى

ثم جلس فقال: هل من طعام؟ قالت: علىّ بالمائدة؛ فأُتِى بها كأنها كانت مهيّأة عليها أنواع الأطعمة، فأكل، ثم قال: هل من شرابٍ؟ قالت: أمّا نبيذٌ فلا، ولكن غيره. فأُتِى بأنواع الأشربة، فشَرِب من جميعها. ثم قال: هل من فاكهة؟ فأُتِى بأنواع الفَوَاكه فتفكّه، ثم قال: حاجتى خمسةُ آلاف درهمٍ، وخمس

(١) كذا فى ى، ط. وفى سائر النسخ: «ونقر بدفه عليه».

(٢) كذا فى سه، م. وفى سائر الأصول: * أنت والله يا حبيبة طبى *

حُلَلٍ من حلل مُعاوِيةَ، وخمسُ حلل من حلل حبيب بن مَسْلَمةَ ، وخمسُ حلل من حلل النُّعمان بن بَشِير . فقالت : وما أردتَ بهذا ؟ قال : هو ذاك ، والله ما أرضَى ببعضٍ دون بعضٍ ، فإمّا الحاجة وإما الردّ . فدعتْ له بما سأل، فقبضه وقام . فلمّا توسّط الدارَ غنّى ونَقَر بدُفِّه :

ليتَ شِعْرِى أَجَفْوةٌ أم دَلَالٌ * أمْ عَدُوٌّ أتى بُثَيْنَةَ بعدِى ٥

فمُرِينِى أُطِعْكِ فى كلِّ أمرٍ * أنت واللهِ أوجهُ الناسِ عندى

وكانت نائلةُ عند معاوية، فقال لفاخِتَةَ بنتِ قَرَظَةَ[1] : اذْهَبِى فٱنْظُرِى إليها ، فذهبتْ فنظرتْ إليها، فقالت له : ما رأيتُ مثلَها، ولكنِّى رأيتُ تحت سُرَّتها خالًا لَيُوضَعَنّ منه رأسُ زوجها فى حِجْرها . فطلّقها معاوية ؛ فتزوّجها بعده رجلان : أحدهما حبيبُ بن مَسْلَمةَ ، والآخرُ النُّعمان بن بَشِير ؛ فقُتِل أحدُهما فوُضِع رأسُه فى حِجْرها . ١٠

٧٠ / ٤

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صــــوت

خليلَىَّ لا والله ما أَمْلِكُ البُكَا * إذا عَلَمٌ من أرض ليلَى بَدَا لِيَا

خليلَىَّ إنْ بانوا بليلَى فَهَيِّئا * لِىَ النَّعْشَ والأكفانَ وٱستغفرا لِيَا

أمضروبةٌ ليلَى علَىَّ أنْ أزورَها * ومُتَّخَذٌ ذنبًا لها أنْ تَرَانِيَا ١٥

خليلَىَّ لا واللهِ ما أملكُ الذى * قضَى الله فى ليلَى ولا ما قضَى لِيَا

قضَاها لغيرِى وٱبتلانى بحُبِّها * فهلَّا بشىءٍ غيرِ ليلَى ٱبتلانيا

الشعر للمجنون . والغناء لٱبن مُحْرِز ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر الهشامىّ أنّ فيه لحنًا لمَعْبَد ثقيلًا أوّل لا يشكّ فيه . قال : وقد قال

(١) كذا فى أكثر الأصول ، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أوّل ص ٢٨٨٩ طبع أوربا) وفى حـ : « قرضة » بالضاد المعجمة . ٢٠

قوم : إنه منحول يحيى المكىّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ عن الهشامىّ أيضا . وفيه ليحيى المكىّ رَمَل من رواية ٱبنه أحمد . وفيه خفيفُ رَمَلٍ عن أحمد بن عُبَيد لا يُعْرَف صانعه .

ومنها :

صـــوت

ليتَ شِعْرِى أَجَفْوةٌ أم دَلَالٌ * أم عَدُوٌّ أتى بثينــةَ بعدى

فَمُرِينِى أُطِعْكِ فى كلِّ أمرٍ * أَنتِ واللهِ أوجهُ الناسِ عندى

الشــعر لجميل . والغنـاء لٱبن مُحْرِز خفيفُ ثقيـلٍ بالسبّابة فى مَجْرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لعَلُّوَيْهَ خفيفُ ثقيـلٍ آخر . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى لمَعْبَد . وذكر إسحاق أن فيه رَمَلًا بالبِنصر فى مجراها ولم يَنْسُبه إلى أحد، وذكر الهِشَامىّ أنّه لمـالك . وفيه لمُتَيَّم خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لعَريبَ ثقيلُ أوّل [بالبنصر] (١) . وذكر حبش أنّ فيه للغَرِيض ثقيلًا أوّل بالبنصر. ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى. وذكر ابن المكىّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمـالك وعَلُّوَيهَ .

غنى فى زفاف ابنة عبد الله بن جعفر

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمـاد عن أبيه عن المدائنىّ عن عَوَانَةَ بن الحَكَم قال :

لمـّا أراد عبدُ الله بن جعفر إهداءَ (٢) بنته إلى الحَجّاج ، كان ٱبن أبى عَتِيق عنده، فجاءه الدّلّال متعرِّضا فاستأذن. فقال له ٱبن جعفر : لقــد جئتنا يا دَلّال فى وقت حاجتنا إليـك . قال : ذلك قصدتُ . فقال له ٱبن أبى عَتِيق : غَنِّنـا، فقال ٱبن جعفر : ليس وقت ذلك ، نحن فى شغل عن هذا . فقال ٱبن أبى عتيـق : ورَبِّ

(١) زيادة فى ى ، ط ، م . (٢) الإهداء : الزفاف .

الكعبة لَيُغنّينّ . فقال له ٱبن جعفر : هات . فغنّى ونقر بالدُّفّ — والهوادجُ والرّواحل قد هُيِّئتْ ، وصُيِّرتْ بنتُ ابنِ جعفر فيها مع جَوَاريها والمشيِّعين لها — :

يا صاح لو كنتَ عالمًا خَبِرًا * بما يُلَاقِى المُحِبُّ لم تَلُمُهْ[1]

لا ذنبَ لى فى مُقَرِّطٍ[2] حَسَنٍ * أعجبنى دَلُّهُ ومُبْتَسَمُهْ

شِيمتُه البُخْلُ والبِعادُ لنا * يا حَبَّذَا هُوْ وحَبَّذَا شِيَمُهْ

مُضَمَّخٌ بالعَبِيرِ عارضُه * طُوبَى لِمَنْ شَمَّه ومَنْ لَثَمُهْ[3]

— قال : ولاَبن مُحْرِز فى هذا الشعر لحنٌ أجودُ من لحن الدَّلَال — فطَرِب ٱبن جعفر وٱبنُ أبى عتيق . وقال له ٱبن جعفر : زِدْنِى وطَرِب . فأعاد اللحنَ ثلاثًا ثم غنّى :

بَكَرَ العواذِلُ فى الصَّبا * حِ يَلُمْنَنِى وأَلُومُهُنَّهْ

ويَقُلْنَ شيبٌ قد عَلَا * كَ وقد كَبِرْتَ فقُلْتُ إِنَّهْ

ومضتْ بنتُ ٱبن جعفر، فٱتبعها يُغنّيها بهذا الشعر — ولعبد آل الهذلىّ فيه لحن وهو أحسنها — :

إنّ الخَلِيطَ أَجَدّ فٱحتملا * وأراد غَيْظَكَ بالذى فَعَلَا

فوقفتُ أنظر بعضَ شأنهمُ * والنَّفْسُ مما تأمُلُ الأَمَلَا

وإذا البِغالُ تُشَدُّ صافِنةً[4] * وإذا الحُداةُ قد ٱزْمَعُوا الرِّحَلَا

فهناك كاد الشَّوْقُ يقتُلنى * لَوْ أنّ شوقًا قبلَه قتَلَا

(١) لم تلمه ، أصل ميمه الإسكان فنقلت إليه ضمة الهاء ، كقوله :

عجبت والدهر كثير عجبه * من عنزىّ سبنى لم أضرِبُهْ

نقل ضمة الهاء إلى الباء . (٢) كذا فى ى ، ط . والمقرط : المتحلى بالقرط . وفى سائر الأصول : « مقرطق » . والمقرطق : لابس القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد . (٣) لثمه ، أصل ميمه الفتح ، فنقلت إليه ضمة الهاء بعده على لغة لخم ؛ لأنهم يجيزون فى الوقف نقل حركة الحرف الأخير إلى المتحرك قبله ؛ كقوله : « من يأتمر بالخير فيما قصدُه » . (٤) تشدّ : تهيأ عليها الرحال . والصافن من الخيل ونحوه : القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر، وقال للدلال: حسبك! فقد أوجعت قلبي! وقال لهم: امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نقيبة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بكر العواذل في الصبا * ح يلمنني وألومهنه
ويقلن شيب قد علا * ك وقد كبرت فقلت إنه
لابد من شيب فدعـ * ـن ولا تطلن ملامكنه
يمشين كالبقر الثقا * ل عمدن نحو مراحهنه[1]
يحفين في الممشى القريـ * ـب إذا يردن صديقهنه

الشعر لابن قيس الرقيات. والغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثقيل أول للغريض عن الهشامي. وفيه خفيف ثقيل آخر بالوسطى ليعقوب بن هبار عن الهشامي ودنانير، وذكر حبش أنه ليعقوب.

ومنها:

صوت

إن الخليط أجد فاحتملا * وأراد غيظك بالذي فعلا

الأبيات الأربعة.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة عن يحيى المكي. وفيه ليحيى أيضا ثقيل أول بالوسطى من رواية أحمد ابنه، وذكر حبش أن هذا اللحن لبسباسة بنت معبد.

(١) المراح (بالضم): مأوى الإبل والبقر والغنم.

سأله ابن أبى ربيعة الغناء فى شعر له فغناه فأجازه

أخبرنى الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفى قال : كان للدلال صوت يغنى به ويجيده، وكان عمر بن أبى ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل، وهو قول عمر :

صــــوت

ألم تسأل الأطـــلال والمتربعـــا * ببطن حليـــات دوارس بلقعا[1]

إلى السرح من وادى المغمس بدلت * معـــالمـه وبـــلا ونكباء زعزعا

وقربن أســـباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلمـــا قسن إصبعا

فقلت لمطريهن فى الحسن إنمـــا * ضررت فهل تسـطيع نفعا فتنفعا

٧٢/٤

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهمـــا فى الأول والثانى من الأبيـــات ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ، والآخر فى الثالث والرابع ثانى ثقيل بالبنصر . وفى هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفى الأول والثـــانى للهذلى خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رمل بالوسطى عنه أيضا . وقال يونس : لمـــالك فيـــه لحنان، ولمعبد لحن واحد .

روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له

أخبرنى الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثنى هشام بن المرية قال : كنا نعرف للدلال صوتين عجيبين، وكان جرير يغنى بهما فأعجب من حسنهما، فأخذتهما عنه وأنا أغنى بهما . فأما أحدهما فإنه يفرح القلب، والآخر يرقص كل من سمعه . فأما الذى يفرح القلب فلابن سريج فيه أيضا لحن حسن وهو :

(١) تقدم هذا الشعر والتعليق عليه فى صفحتى ١٣١ ، ١٧٦ من الجزء الأول من هذه الطبعة .

ولقد جرى لك يوم سَرْحَةِ(١) مالكٍ * ممّا تَعِيفُ سانحٌ وبَــرِيحُ
أَحْوَى القَــوادِمِ بالبياض مُلَمَّعٌ * قَلِقُ المَوَاقِع بالفِــراق يَصِيحُ
الحُبُّ أبغضُـــه إليّ أقَــلُّه * صَرِّحْ بذاك فــرَاحَتِي التَّصْرِيحُ
بانتْ عُوَيْمَـــةُ(٢) فالفؤادُ قَــرِيحُ * ودموعُ عينِـك فى الرِّداء سُفُوحُ

٥ والآخر:

كلّمـا أبصرتُ وجهًا * حَسَــنًا قلتُ خَليــلِى
فــإذا ما لم يَكُنْهُ * صِحْتُ وَيْلِى وعَــوِيلِى
فصِــلِى حبــلَ مُحِبٍّ * لــكُمُ جِـــدِّ وَصُــولِ
وٱنْظُــرِى لا تَخْذُلِيــهِ * إنّه غــيرُ خَـــذُولِ

١٠ نسبة هذين الصوتين

للدَّلال فى الشعر الأوّل الذى أوّلُه :

* ولقد جرى لك يوم سرحةِ مالكٍ *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لٱبن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَامىّ . وقال حَبَشٌ : إنّ للدَّلال فيه لحنين: خفيفَ ثقيل أوّل(٣) وخفيفَ رَمَلٍ . وأوّلُ خفيفِ الرَّمَل :

١٥ * بانتْ عويمةُ فالفؤادُ قَرِيحُ *

وذكر أنّ لحن ٱبن سرَيج ثانى ثقيل ، وأنّ لٱبن مِسْجَح فيه أيضا خفيفَ ثقيلٍ .

والصوت الثانى الذى أوّلُه :

كلّمـا أبصرتُ وجهًا * حَسَــنًا قلتُ خليلى

---

(١) فى ى ، ط ، م : « سرحة رائع » . (٢) فى ى ، ط : « عوينة » .

٢٠ (٣) كلمة « أوّل » ساقطة فى ط ، ى .

الغناء فيه لعَطَرَّد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش ، ويقال إنّه للدَّلَال . وفيه ليونس خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لإبراهيم المَوْصِلىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر عن عمرو .

شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه

أخبرنى الحسين عن حماد عن أبيه عن مُصْعب بن عبد الله الزُّبَيرىّ قال : كان الدَّلَالُ لا يشرَب النبيذ ، فخرج مع قومٍ إلى مُتَنَزَّهٍ لهم ومعهم نبيذٌ، فشربوا ولم يشرَب منه، وسَقَوْه عَسَلًا مجدوحًا[1]، وكان كلّما تغافلَ صيّروا فى شرابه النبيذَ فلا يُنكِره، وكثُر ذلك حتّى سَكِر وطَرِب، وقال: اسْقُونى من شرابكم، فسقَوْه حتى ثَمِل، وغنّاهم فى شعر الأَحْوَص :

طاف الخيالُ وطاف الهَمُّ فاعتكَرَا * عنـد الفِرَاش فبات الهَمُّ مُحْتَضِرَا[2]
أُرَاقِبُ النَّجْمَ كالحَيْرانِ مُرْتَقِبًا * وقَلَّص النومُ عن عينىّ فانْشَمَرا
من لوعةٍ أورثتْ قَرْحًا على كَبِدى * يومًا فأصبح منها القلبُ مُنْفَطِرا
ومَنْ يَبِتْ مُضْمِرًا همًّا كما ضَمِنَتْ * منّى الضُّلُوعُ يَبِتْ مُسْتَبْطِنًا غِيَرا

فاستحسنه القومُ وطَرِبوا وشَرِبوا . ثم غنّاهم :

طَرِبْتَ وهاجَك مَنْ تذّكُرْ * ومَنْ لستَ من حُبِّه تَعْتَذِرْ
فإنْ نلتُ منها الذى أرتجى * فذاك لَعَمْرِى الذى أَنْتَظِرْ
وإلّا صبرتُ فلا مُفْحِشًا * عليها بِسُوءٍ ولا مُبْتَهِرْ[3]

— لحن الدلال فى هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حبش . قال : وذكر قوم أنّه للغريض —

(١) المجدوح : المخلوط . (٢) فى ى ، ط :
طاف الخيال وطال الليل فاعتكرا * عنـد الفراش فآب الهم محتضرا
واعتكر الليل : اشتدّ سواده . واعتكر أيضا : اختلط . ومحتضرا : حاضرا ؛ يقال : حضر الهمّ واحتضر .
(٣) الابتهار : قول الكذب والحلف عليه . وفى جميع الأصول : « منتهر » بالنون .

قال : وسكِر حتّى خلَع ثيابَه ونام عُرْياناً، فغطّاه القوم بثيابهم وحمَلوه إلى منزله ليلاً فنوّموه وانصرفوا عنه . فأصبح وقد تقيّأ ولوّث ثيابَه بقَيْئه ، فأنكر نفسه ، وحلف ألّا يغنّيَ أبدًا ولا يُعاشِرَ مَنْ يشرب النبيذ؛ فوفَى بذلك إلى أن مات. وكان يُجالِس المَشْيَخةَ والأشرافَ فيُفِيض معهم فى أخبار الناس وأيّامِهم حتى قضَى نَحْبَه .

٥ [انقضت[1] أخبار الدلال] .

ومما فى شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت

من المائة المختارة

يا دِينَ[2] قَلْبِك منها لستَ ذاكِرَها * إلا تَرَقْرَقَ ماءُ العين أو دَمَعَا

أدعو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني * حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعَا

١٠ لا أستطيعُ نُزُوعًا عن مَحبّتها * أو يَصْنَعَ الحُبُّ بى فوقَ الذى صنَعا

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ[3] لها قد صرتُ أَتْبَعُه * ولو سلا القلبُ عنها صار لى تَبَعَا

وزادَنى كَلَفًا فى الحُبِّ أنْ منعتْ[4] * وحَبُّ شىء إلى الإنسان ما مُنِعَا[5]

---

(١) زيادة عن م . (٢) المراد بالدين هنا الداء؛ قال الشاعر:

* يا دين قلبك من سلمى وقد دينا *

١٥ قال المفضل : معناه يا داء قلبك القديم . وقال اللحيانى : المعنى يا عادة قلبك . (انظر اللسان وشرح القاموس مادة دين) . (٣) الدنى (بالهمز و بتشديد الياء بدون همز) : الخسيس الحقير . (٤) يحتمل أن يكون «منعت» مبنيا للفاعل أو للفعول. (٥) أورد النحويون هذا البيت شاهدا على أن « حب » أفعل تفضيل حذفت همزته مثل خير وشر، إلا أن الحذف فيهما هو الكثير والحذف

٢٠ فى أحب قليل . وفى اللسان (مادة حبب) : "وأنشد الفراء :

وزاده كلفا فى الحب أن منعت * وحب شيئا إلى الإنسان ما منعا

قال : وموضع «ما» رفع، أراد حبب فأدغم".

الشعر للأحوص . والغناء ليحيى بن واصِل المكىّ ، وهو رجلٌ قليل الصَّنْعة غير مشهور، ولا وجدتُ له خبراً فأذكره.ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى فى مجْراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحنًا لمَعْبَد ولم يجنّسه .

محبوبة الأحوص فى كبرها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا مُطَرِّف ابن عبد الله المدنىّ[1] [قال] حدّثنى أبى عن جَدّى قال :

بينَا أطوفُ بالبيت ومعى أبى ، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر. فقال لى أبى : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومَنْ هى ؟ قال : هـذه التى يقول فيها الأحوص :

يا سَلْمَ ليت لسانًا تَنْطِقين به * قبلَ الذى نالنى من حُبّكم قُطِعَا
يلومنى فيكِ أقوامٌ أُجالسهم * فما أُبَالى أطارَ اللومُ أم وَقَعا
أدعو إلى هَجْرِها قلبى فيَتْبَعُنى * حتّى إذا قلتُ هـذا صادقٌ نَزَعَا

قال : فقلت له : يا أبتِ، ما أُرى أنّه كان فى هـذه خيرٌ قطُّ . فضحك ثم قال : يا بُنَىّ هكذا يصنَع الدهرُ بأهله .

حدّثنا به وَكيع قال حدّثنا ابن أبى سَعْد قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر قال حدّثنا أبو خُوَيْلِد[2] مطرِّف بن عبد الله المدنىّ[1] عن أبيه،ولم يقل عن جدّه، وذكر الخبر مثل الذى قبله .

---

(١) فى جميع الأصول : « الهذلى » وهو تحريف (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٩ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .
(٢) كذا فى أكثر النسخ . وفى م : حدثنا أبو خويلد عن مطرف...الخ» وليس فى ترجمة مطرف بن عبد الله أنه يكنى أبا خويلد بل كنيته أبو مصعب . وليس هناك من الرواة من يسمى أبا خويلد يروى عنه إبراهيم بن المنذر ويروى هو عن مطرف ، حتى نرجح ما فى م .

٧٤
٤

صـــــوت

من المـائة المختـارة

كالبَيْض بالأُدْحِيّ يلمع فى الضُّحى * فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيمُ نعيم

حُلِّينَ من[1] دُرِّ البُحورِ كأنّـه * فـوق النُّحورِ إذَا يلوح نُجـومُ

٥ الأُدْحِيّ : المواضع التى يبيض فيها النَّعام، واحدتها أُدْحِيَّة[2] . وذكر أبو عمرو[3] الشَّيْبانىّ أنّ الأدحىّ البَيْضُ نفسه . ويقال فيه أُدْحِىٌّ وأَدَاحٍ[4] أيضا .

الشعر لطُرَيْح بن إسماعيل الثَّقَفىّ . والغناء لأبى سَعيد مولى فائد، ولحنهُ المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه للهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ من رواية الهِشَامىّ . وقد سمعنا مَنْ يغنِّى فيه لحناً من خفيف الرَّمَل، ولستُ ١٠ أعرف لمن هو .

(١) فى ء، ط : «حلين مرجان البحور» . (٢) ظاهر كلام المؤلف فى تفسير الأدحىّ أنه جمع . والذى فى لسان العرب والقاموس وشرحه : أن الأدحىّ، والأدحية (بضم الهمزة فيهما وكسرها) والأُدحوّة : مبيض النعام فى الرمل، وجمع الكلّ : الأداحىّ ومثلها مدحى (وزان مسعى) .

(٣) فى ب، س : «أبو عمر» وهو تحريف .

١٥ (٤) لعله على حذف الياء من «أفاعيل» وإلا لحقه «أداحىّ» .

ذكر طريح وأخباره ونسبه

نسبه

هو — فيما أخبرنى به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن عمّه عن ابن الكلبىّ فى كتاب النسب إجازةً، وأخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبى أيّوب المَدِينىّ عن ابن عائشة ومحمد بن سلّام ومُصْعَب الزُّبَيرىّ، قال: — طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أَسِيد بن عِلَاج بن أبى سَلَمَة بن عبد العُزّى بن غَيَرة بن عَوْف بن قَسِىّ — وهو ثَقِيف — بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر .

ثقيف والخلاف فى نسبه

قال ابن الكلبىّ: ومن النسّابين مَنْ يذكر أنّ ثقيفًا هو قَسِىّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن منصور بن يَقْدُم بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن إيَاد بن نِزَار. ويقال: إنّ ثقيفًا كان عبدًا لأبى رِغَال، وكان أصلُه من قوم نَجَوْا من ثَمُودَ، فانتمى بعد ذلك إلى قَيْس . ورُوِى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرّم وجهه : أنه مرّ بثَقِيف، فتغامزوا به؛ فرجَع إليهم فقال لهم : يا عَبِيد أبى رِغَال، إنما كان أبوكم عبدًا له فهرب منه، فثَقِفَه(1) بعد ذلك، ثم انتمى إلى قَيْس .

وقال الحجّاج فى خُطْبة خَطَبها بالكوفة : بَلَغنى أنّكم تقولون إنّ ثقيفًا من بقيّة ثمود، وَيْلَكم! وهلْ نجا(2) من ثَمُود إلّا خِيارُهم ومَنْ آمن بصالح فبَقِىَ معه عليه السلام! ثم قال : قال الله تعالى : ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ . فبلغ ذلك الحسنَ البصرىّ : فتضاحكَ ثم قال : حَكَمَ لُكَعٌ لنفسه ، إنما قال عزّ وجلّ : ﴿فما أَبْقَى﴾ أى لم يُبْقِهم بل أهلكهم . فرُفِع ذلك إلى الحجّاج فطلبه، فتوارَى عنه حتى هلَك الحجّاج . وهذا كان سببَ تَوَارِيه منه . ذكر ابن الكلبىّ أنّه بلغه عن الحسن .

(1) ثقفه : أدركه وظفر به . (2) فى ء ، ط : « وهل بقى » .

وكان حمّادٌ الراوية يذكر أنّ أبا رِغَال أبو ثَقِيف كلّها، وأنّه من بقيّة ثمود، وأنّه كان مَلِكًا بالطائف، فكان يَظْلِم رعيّته . فمرّ بامرأة تُرضع صبيًّا يتيمًا بلَبَنِ عَنْزٍ لها، فأخذها منها ، وكانت سَنَةً مُجْدبة؛ فبقِيَ الصبيُّ بلا مُرْضِعة[1] فمات، فرماه الله بقارِعةٍ فأهلكه ، فرجمتِ العربُ قبرَه ، وهو بين مكّة والطائف . وقيل : بل كان قائدَ الفيل ودليلَ الحَبَشة لمّا غَزَوُا الكعبةَ ، فهلَك فيمن هلَك منهم، فدُفِن بين مكة والطائف ؛ فمرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقبره، فأَمَر برَجْمه فرُجِم؛ فكان ذلك سُنّةً .

قال ٱبن الكَلْبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح[2] عن ٱبن عبّاس قال :

كان ثَقِيفٌ والنَّخَع من إيَاد ؛ فثَقِيفٌ قَسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن يَقْدُم بن أَقْصَى بن دُعْمِيّ بن إيَاد . والنَّخَع[3] ابنُ عمرو بن الطَّمْنان بن عبد مَنَاة بن يَقْدُم بن أَقْصَى ، فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما لَبُونٌ يشرَبان لبنَها ، فعرَض لهما مُصَدِّقٌ[4] لملك اليمن فأراد أَخْذَها، فقالا له : إنّما نعيش بدَرِّها؛ فأبى أن يدَعها؛ فرماه أحدُهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنّه لا يحملني وإيّاك أرض . فأمّا النَّخَعُ فمضى إلى بِيشَةَ[5] فأقام بها

---

(١) المرضع : المرأة لها ولد ترضعه ، ولا تلحقها التاء اكتفاء بتأنيثها فى المعنى؛ لأنها خاصة بالإناث كما فى طالق . فاذا ألقمت الصبيّ ثديها فهى مرضعة (بالهاء) . قال أبو زيد فى قوله تعالى : (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) هى التى ترضع وثديها فى فى ولدها .

(٢) هو أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب و يقال له باذان أو باذام، وهو الذى يروى عنه ابن الكلبى و يروى هو عن ابن عباس . (راجع تهذيب التهذيب) .

(٣) فى صبح الأعشى (ج١ ص٣٢٧) وأنساب السمعانى فى الكلام على النخع : « النخع واسمه جَسْر بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مذحج » . وفى كتاب الاشتقاق لابن دريد : « فمن بنى عُلة النخع قبيلة وأخوه جسر » . وفى كتاب المعارف لابن قتيبة : « فولد علة عمرا ، فولد عمرو جسرا وكعبا . فأما جسر فهو أبو النخع بن جسر بن عمرو » .

(٤) المصدّق : عامل الزكاة الذى يأخذها من أربابها .

(٥) بيشة : قرية باليمن .

ونزل القَسِىُّ موضعاً قريباً من الطائف ؛ فرأى جاريةً ترعَى غنماً لعامر بن الظَّرِب العَـدْوانىّ ، فطَمِع فيهـا ، وقال : أقتل الجارية ثم أَحْوِى الغنم . فأنكرت الجارية مَنْظَره ، فقالت له : إنى أراك تُريد قتلى وأَخْذَ الغنم ، وهذا شىءٌ إن فعلتَـه قتلتَ وأُخِذَت الغنمُ منك ، وأظنّك غريبا جائعا ؛ فدلّته على مولاها . فأتاه وآستجار به فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف . فقيل : لِلّهِ درُّه ما أَثْقَفَه حين ثَقِف عامراً فأجاره . وكان قد مرّ بيهوديّة بوادى القُرَى[1] حين قُتل المصدّق ، فأعطتْه قُضْبانَ كَرْم فغَرَسها بالطائف فأطعمتْه ونفعته .

قال ابن الكَلْبىّ فى خبرٍ طويلٍ ذَكَره : كان قَسِىٌّ مقيماً باليمن ، فضاق عليـه موضعه ونبا به ، فأتى الطائف — وهو يومئذ منازلُ فَهْم وعَدْوان آبنى عمرو بن قَيْس آبن عَيْلان — فانتهى إلى الظَّرِب العَـدْوانىّ ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب ، فوجده نائمـا تحت شجرة ، فأيقظه وقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الظَّرِب . قال : علىَّ أَلِيَّةٌ إن لم أقتُلْك أو تُحـالِفْنى[2] وتُزَوِّجْنى آبنتَك ، ففعل . وآنصرف الظَّرِب وقَسِىٌّ معه ، فلقيه آبنه عامر بن الظَّرِب فقال : مَنْ هـذا معك يا أبتِ ؟ فقصَّ قِصَّته . قال عامرٌ : لله أبوه ! لقـد ثَقِفَ أمرَه ؛ فسُمِّى يومئـذ ثَقيفًا . قال : وعُيِّر الظَّرِبُ تزويجَه[3] قَسِيًّا ، وقيل : زوّجت عبدًا . فسار إلى الكُهَّان يسألهم ، فانتهى إلى شِقّ

---

(١) وادى القرى : واد بين المدينة والشام كثير القرى ، فتحه النبىّ صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع من الهجرة ، ثم صالح أهله على الجزية .

(٢) كذا فى م . وفى ى ، ط : «أو تحالفنى لتزوّجنى» . وفى سائر النسخ : «أو تحلف لى لتزوّجنى» .

(٣) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : «بتزويجه» . قال فى المصباح : «وعيرته كذا وعيرته به : قبحته عليه ونسبته اليه ، يتعدّى بنفسه وبالباء ؛ قال المرزوقى فى شرح الحماسة : «والمختار أن يتعدّى بنفسه ؛ قال الشاعر :

أعيّرتنـا ألبانهـا ولحومهـا * وذلك عار يآبن ريطة ظاهر» .

آبن صَعْب البَجَلِىّ[1] وكان أقربَهم منه . فلمّا آنتهى إليه قال : إنّا قد جئناك فى أمرٍ فما هو ؟ قال : جئتم فى قَسِىّ ، وقَسِىٌّ عبد إيَاد ، أبَقَ ليلةَ الـواد[2] ، فى وَجٍّ[3] ذاتِ الأنداد ، فوَالَى سَعْدًا لِيُفَاد[4] ، ثم لَوَى بغير مَعَاد . (يعنى سَعْدَ بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر) . قال : ثم توجّه إلى سَطِيح الذّئبىّ (حَىٌّ من غَسّان ، ويقال : إنهم حَىٌّ من قُضَاعةَ نُزولٌ فى غَسّان) ، فقال : إنّا جئناك فى أمرٍ فما هو ؟ قال : جئتم فى قَسِىّ ، وقَسِىٌّ من وَلَد ثمُودَ القديم ، ولدتْه أُمُّه بصَحْراءِ بَرِيم[5] ، فآلتقطه إيَادٌ وهو عديم ، فآستعبده وهو مُلِيم[6] . فرجع الظَّرِب وهو لا يدرى ما يصنَع فى أمره ، وقد وَكَّد عليه فى الحِلْف والتزويج ؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُون بالقول . فلهـذا يقول مَنْ قال : إنّ ثَقِيفًا من ثَمُودَ ؛ لأن إيادًا من ثَمود .

قال : وقد قيـل : إنّ حربًا كانت بين إيَادٍ وبين قَيْس ، وكان رئيسُهم عامرَ آبن الظَّرِب ، فظَفِرتْ بهم قيس ، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزَار .

قال : وقال عامر بن الظَّرِب فى ذلك :

قالتْ إيَادٌ قد رأينـا نَسَبَا * فى آبنَىْ نِزَارٍ ورأينـا غَلَبَا

سيرِى إيَادُ قد رأينـا عَجَبَا * لا أصلُكم منّا فسَامِى الطُّلَبَا

* دارَ ثَمُودٍ إذْ رأيتِ السَّبَبَا *

---

(١) كذا فى ى ، ط ، وهو الموافق لمـا فى الطبرى (قسم ١ ص ٩١١ — ٩١٤) . وفى سائر الأصول : « مصعب » وهو تحريف . (٢) فى جميع الأصول : « الوادى » والوادى يكون فى الوقف بالياء و بدونها ؛ وقد حذفناها هنا للسجع ؛ لأن السجع وقف . على أنه قد يكتفى فى « الوادى » بالكسرة عن الياء . (راجع الحاشية رقم ٧ ص ٢١٥ من هذا الجزء) . (٣) وجّ : اسم واد بالطائف . (٤) ليفاد : ليطلق . وأصـله ليفادى من المفاداة ، حذف منه الحـرف الأخير لالتزام السجع . (٥) كذا فى م ، حـ . و بريم : موضع بنجد وواد بالحجاز قرب مكة . وفى سائر الأصول : « تريم » بالتاء المثناة من فوق . وتريم : إحدى مدينتى حضرموت والمدينة الأخرى شبام .
(٦) آلام الرجل : فعل ما يلام عليه .

قال : وقد رُوِى عن الأعمش أنّ علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً : لقد هممتُ أن أَضَع على ثَقِيف الجِزْيةَ [1] ؛ لأنّ ثقيفا كان عبداً لصالح نبىّ الله عليه السلام، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصدقة ، فبعَث العاملُ معه بها ، فهرَب وٱستوطن الحرَمَ ، وإنّ أَوْلَى الناس بصالح محمد صلّى الله عليهما وسلّم ، وإنّى أُشهِدُكم أنّى قد رددتهم إلى الرِّقّ .

قال : وبلَغنا أنّ ٱبن عبّاس قال ، وذُكِر عنده ثَقِيف ، فقال : هو قَسِىّ بن مُنَبِّه ، وكان عبداً لٱمرأة صالح نبىّ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهى الهَيْجُمانة بنت سَعْد ، فوَهَبَتْه لصالح ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدَقة ؛ ثم ذكر باقى خبره مثلَ ما قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وقال فيه : إنّه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه ٱبن له صغير ماتت أُمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست فى الغنم لَبُونٌ غيرُها ، فأخذ الشاة ؛ فناشده اللهَ ، وأعطاه عَشْراً فأَبَى ، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى . فلمّا رأى ذلك تَنَحَّى ، ثم نَثَل [2] كِنانَتَه فرماه ففَلَق قلبَه ؛ فقيل له : قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح . فأتى صالحاً فقصّ عليه قِصّته ؛ فقال : أبعده الله ! فقد كنتُ أنتظر هذا منه ؛ فرُجِم قبرُه ، فإلى [3] اليوم والليلة يُرْجَم ، وهو أبو رِغَال .

قال : وبلغنا عن عبد الله بن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين ٱنصرف من الطائف مرّ بقبر أبى رِغَال فقال : "هذا قبر أبى رِغَال وهو أبو ثقيف كان فى الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ ، فلمّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب" ؛ فٱبتدره المسلمون فأخرجوه .

---

(١) فى حـ : « قام » . (٢) نثل الكنانة : استخرج ما فيها من النبل .

(٣) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « فرجم قبره إلى اليوم والليلة وهو أبو رغال » .

قال: ورَوَى عمرو بن عُبَيد عن الحسن أنّه سُئل عن جُرْهُم: هل بَقِيَ منهم أحد؟ قال: ما أدرى، غير أنّه لم يبق من ثمودَ إلّا ثَقيف فى قَيْس عَيْلان، وبنو لجَأ فى طَيِّئ، والطُّفَاوة فى بنى أَعْصُر.

قال عمرو بن عُبَيد وقال الحسن: ذُكِرَت القبائلُ عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: "قبائلُ تنتمى إلى العرب وليسوا من العرب حِمْيَر من تُبَّع وجُرْهُم من عاد وثقيفٌ من ثمود".

قال: ورُوِى عن قَتَادةَ أنّ رجلين جاءا الى عِمْران بن حُصَين، فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثَقيف. فقال لهما: أتزعُمان أنّ ثقيفًا من إيَاد؟ قالا نعم. قال: فإن إيادًا من ثمود؛ فشقّ ذلك عليهما. فقال لهما: أساءكما قولى؟ قالا: نعم والله. قال: فإنّ الله أنجى من ثمودَ صالحًا والذين آمنوا معه؛ فأنتم إنْ شاء الله من ذُرِّيّة مَنْ آمن، وإنْ كان أبو رِغَالٍ قد أَتَى ما بلغكما. قالا له: فما ٱسمُ أبى رِغَال؛ فإن الناس قد ٱختلفوا علينا فى ٱسمه؟ قال: قَسِيّ بن مُنَبِّه.

قال: ورَوَى الزُّهْرِيّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحِبّ ثَقيفًا، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبْغِض الأنصار".

قال: وبلَغَنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "بنو هاشمٍ والأنصارُ حِلْفان وبنو أُمَيّة وثَقيفٌ حِلْفان".

قال: وفى ثَقيف يقول حَسّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه:

إذا الثَّقَفِىُّ فاخركم فقولوا * هَلُمَّ نَعُدّ شأنَ أبى رِغَالِ

أبوكم أخبثُ الآباء قِدْمًا (١) * وأنتم مُشْبِهوه على مثالِ
عَبيدَ الفِزْرِ أورثهم بَنيه (٢) * وولَّى عنهمُ أُخرى الليالى

أم طريح ونسبها

وأمُّ طُرَيحٍ بنت عبد الله بن سِبَاع بن عبد العُزَّى بن نَضْلة بن غُبْشان (٣) من خُزاعة، وهم حُلفاء بنى زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ. وسِبَاع بن عبد العُزَّى هو الذى قتله حمزةُ بن عبد المطلب يوم أُحُد. ولمّا برز إليه سِبَاع قال له حمزة: هلُمَّ إلىّ يا بنَ مُقَطِّعة البُظُور — وكانت أمّه تفعل ذلك وتَقْبَل (٤) نساءَ قريش بمكة — فحَمِىَ وَحْشِىٌّ (٥) لقوله وغَضِب لسِبَاع، فرَمى حمزةَ بحربته فقتله — رحمة الله عليه — وقد كُتب ذلك فى خبر غَزاة أُحُد فى بعض هذا الكتاب.

٧٧/٤

كنيته

ويُكْنَى طُرَيحٌ أبا الصَّلْت؛ كُنِى بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ.

وله يقول:

---

(١) ورد هذا الشطر فى ديوان حسان (ص ٣٦ طبع ليدن): * وأولاد الخبيث على مثال *

(٢) كذا فى ديوان حسان. وفى جميع الأصول: «أورثه». وورد البيت فى ديوان حسان ضمن بيتين هما:

عبيد الفزر أورثهم بنيه * وآلى لا يبيعهم بمال
وما لكرامة حبسوا ولكن * أراد هوانهم أخرى الليالى

والفزر: أبو قبيلة من تميم، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم. (٣) كذا فى ء، ط، م، وهو الموافق لما فى السيرة (ص ٦١١ طبع أوربا). وفى سائر الأصول: «غبشان بن خزاعة» وهو تحريف؛ لأن غبشان هو ابن سليم بن مَلَكان بن أفصى بن خزاعة، كما فى السيرة. (٤) تقبل نساء قريش (كتفرح): تتلقى أولادهنّ عند الولادة، وهى القابلة. (٥) يدل ما فى صحيح البخارى على أن قتل وحشىّ لحمزة إنما كان بتحريض مولاه جبير بن مطعم؛ وذلك أن حمزة — رضى الله تعالى عنه — كان قتل ببدر طعيمة بن عدىّ بن الخيار عم جبير. فقال جبير لوحشىّ: إن قتلت حمزة بعمى فأنت حرّ. فلما بارز حمزة سباعا وقتله كان وحشى متربصا له تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فأرداه. (والخبر مذكور فى صحيح البخارى بتفصيل، فانظر فى كتاب المغازى — باب قتل حمزة رضى الله عنه).

يا صَلْتُ إنّ أباك رَهْنُ مَنِيّةٍ * مكتوبةٍ لا بُدّ أنْ يلقاها
سَلَفتْ سَوالِفُها(١) بأنْفُسِ مَنْ مضَى * وكذاك يَتْبَعُ باقِيًا أُخْراها
والدّهرُ يُوشِك أن يُفرِّقَ رَيْبُه(٢) * بالموت أو رِحَلٍ تَشِتُّ(٣) نَواها
لا بُدّ بينكما فتَسْمعَ دَعْوةً(٤) * أو تَستجيبَ لدعوةٍ تُدْعاها

طرح ابنه الصلت الى أخواله بعد موت أمه

٥ وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أنّ أُمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير، فطَرَحه طريح إلى أخواله بعد موت أُمّه. وفيه يقول:

بات الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقي * يَقْرِي(٥) السُّراةَ مع الرَّبابِ المُلْثِقِ(٦)
ما راعني إلّا بياضُ وُجَيْهِه * تحتَ الدُّجُنّةِ(٧) كالسِّراجِ المُشْرِقِ

نشأ في دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس وكان مداحا للوليد بن يزيد وغضب عليه ثم رضى عنه

١٠ ونشأ طُرَيح في دولة بني أُمَيّة، وٱستفرغ شِعرَه في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهديّ(٨)؛ وكان الوليد له مُكرِما مُقدِّما؛ لانقطاعه إليه وخؤولته في ثقيف(٩).

فأخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أحمد بن حمّاد(١٠) بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني
١٥ طُرَيح بن إسماعيل الثّقَفيّ قال:

(١) في ى، ط: «سوابقها». (٢) في م: «يفرق بينهم». (٣) كذا في ى، ط، م. وفي سائر النسخ: «تشب» بالباء الموحدة، وهو تصحيف. (٤) كذا في الأصول! (٥) كذا في م. وفي سائر النسخ: «يقرى» بالقاف. (٦) الملثق: المبلّ؛ يقال: لثق الطائر اذا ابتلّ ريشه، وألثقه غيره اذا بلّه. (٧) الدجنة: الظلام. (٨) في ى، ط، م: «في أيام الهادى». (٩) في ب، س: «من». (١٠) في ط: «أحمد بن
٢٠ محمد بن الجميل». وفي ى: «أحمد بن محمد الجميل» وفي م: «أحمد بن حماد بن عبد الحميد».

خُصصْت بالوليد بن يزيد حتى صِرْتُ أخلو معه . فقلت له ذاتَ يومٍ وأنا معه فى مَشْرَبة[1] : يا أمير المؤمنين ، خالُك يُحبُّ أن تعلَمَ شيئا من خُلُقه ، قال : وما هو ؟ قلتُ : لم أشرَبْ شراباً قطُّ ممزوجاً إلّا من لبن أو عَسَل . قال : قد عرفتُ ذاك ولم يُبَاعِدْك من قلبى . قال : ودخلتُ يوماً إليه وعنده الأُمَويّون ، فقال لى : إلىّ ياخالى ، وأقعدنى إلى جانبه ، ثم أُتِى بشراب فشَرِب ، ثم ناولنى القَدَح ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين قد أعلمتُك رأيى فى الشراب . قال : ليس لذلك أعطيتك ، إنّما دفعته إليك لتُناوِلَه الغلامَ ، وغضب . فرفع القوم أيديَهم كأنّ صاعقةً نزلتْ على الخِوَان[2] ، فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُدْ . فلمّا خلا البيت ٱفترى علىّ ، ثم قال : ياعاضّ كذا وكذا ! أردتَ أن تفضَحنى ، ولولا أنّك خالى لضربتُك ألفَ سَوْط ! ثم نهى الحاجب عن إدخالى ، وقَطَع عنى أرزاقى . فمكثتُ ما شاء الله ، ثم دخلتُ عليه يوماً متنكرا ، فلم يشعُرْ إلّا وأنا بين يديه وأنا أقول :

يابنَ الخلائف مالى بعدَ تَقْرِبةٍ * إليك أُقْصَى وفى حالَيْكَ لى عَجَبُ
ما لى أُذَادُ[3] وأُقْصَى[4] حين أَقْصِدُكم * كما تُوَقَّى من ذى العُرّة الجَرَبُ[5]
كأنّنى لم يكن بينى وبينكمُ * إلٌّ[6] ولا خُلّةٌ تُرْعَى ولا نَسَبُ
لوكان بالوُدّ يُدْنَى منك أَزْلَفَنِى * بقُرْبك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
وكنتُ دون رجالٍ قد جعلتَهمُ * دونى إذ ما رَأَوْنى مُقْبلًا قَطَبُوا[7]

(١) المشربة (بضم الراء وفتحها) : الغرفة . وفى ى ، ط : « ونحن فى مشرقة » والمشرقة (مثلثة الراء) : موضع القعود فى الشمس بالشتاء . (٢) فى ى ، ط ، م : « كأن صاعقة وقعت عليهم » . (٣) أذاد : أمنع وأدفع . (٤) كذا فى م . وفى ى ، ط : « وأرمى » . وفى سائر النسخ : « وأنهى » . (٥) العرّة : الجرب . (٦) إلّ : عهد . وخلة : صداقة . (٧) قطب الرجل (من باب نصر) : زوّى ما بين عينيه وكلح .

إنْ يَسْمَعُوا الخيرَ يُخفُوهُ وإنْ سمِعوا * شَرًّا أذاعُوا وإن لم يسمعوا كَذَبُوا
رأَوْا صُدودَك عنِّى فى اللِّقاء فقد * تحدَّثوا أنَّ حبلى منكَ مُنقضِبُ
فذو الشَّماتةِ مسرورٌ بِبِغْضتِنا * وذو النَّصيحةِ والإشفاقِ مكتئبُ

٧٨
٤

قال : فتبسّم وأمرنى بالجلوس فجلست ، ورجع إلىّ وقال : إيّاك أن تُعاوِد . وتمام هذه القصيدة :

٥

أين الذِّمامةُ والحقُّ الذى نزلتْ * بحفظه وبتعظيمٍ له الكُتُبُ
وحَوْكِىَ الشِّعْرَ أُصْفيه وأَنْظِمُه * نظمَ القلائدِ فيها الدُّرُّ والذهبُ
وإنَّ سُخطَكَ شىءٌ لم أُنَاجِ به * نفسى ولم يكُ مما كنتُ أكتسِبُ
لكن أتاك بقولٍ كاذبٍ أَثِمٍ * قومٌ بَغَوْنى فنالوا فىّ ما طلبوا
وما عهِدْتُك فيما زَلّ تَقْطَعُ ذا * قُرْبَى ولا تدفَع الحقَّ الذى يجب
ولا تَوَجَّعُ من حقٍّ تحمّلُه * ولا تَتَبَّعُ بالتكدير ما تَهَبُ
فقد تقرّبتُ جهدًا من رِضاك بما * كانت تُنالُ به من مثلك القُرَبُ
فغيرَ دفعِكَ حقِّى وارتفاضِكَ لى * وطيِّكَ الكَشْحَ عنِّى كنت أحتسِبُ
أَشْمَتَّ بِىَ أقوامًا صُدُورُهُمُ * علىّ فيك إلى الأذقانِ تلتهِبُ
قد كنتُ أحسَب أنّى قد لجأتُ إلى * حِرْزٍ وألّا يَضُرُّونى وإنْ ألَبُوا[1]
إنّ التى صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طلَبوا * منِّى إلىّ الذى لم يُنْجِحِ الطَّلَبُ
أخلصتُها لك إخلاصَ امرئٍ عِلمِ الأقوامُ أنْ ليس إلّا فيك يَرْتَغِبُ
أصبحتَ تدفَعها منّى[2] وأعطفُها * عليكَ وَهْىَ لمن يُحْبَى بها رَغَبُ
فإنْ وصلتَ فأهلُ العُرْفِ أنت وإنْ * تَدْفَعْ يدَىَّ فلى بُقْيا ومُنْقَلَبُ

١٠
١٥

(١) ألبوا : تجمعوا . (٢) فى حـ ، م : « عنى » .

٢٠

إنّى كريمٌ كرامٍ عشتُ فى أدبٍ * نَفَى العيوبَ ومِلْكُ الشِّيمةِ الأدبُ[1]
قد يعلمون بأنّ العُسْرَ منقطعٌ * يوماً وأنّ الغِنَى لا بدّ منقلبُ
فمالُهم حُبُسٌ[2] فى الحقّ مُرتَهَنٌ * مثلَ الغنائم تُحْوَى ثم تُنتهبُ
وما على جارِهمْ ألّا يكونَ له * إذا تكنّفه أبياتُهم نَشَبُ
لا يفرحون إذا ما الدّهرُ طاوعهم * يوماً بيُسْرٍ ولا يشكون إنْ نُكِبُوا
فارقتُ قومى فلم أعتضْ بهم عِوَضاً * والدّهرُ يُحْدِثُ أحداثاً لها نُوَبُ

رواية المدائنى فى ذلك

وأمّا المدائنىّ فقال: كان الوليد بن يزيد يُكرِم طُرَيحاً، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانة، وكان يُدْنِى مجلسه، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارج، ولم يكن يَصْدُر إلّا عن رأيه. فاستفرغ مديحَه كلَّه وعامّة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد. وقَدِم حمّاد الراوية على التّفِئة[3] الشأمَ، فشكَوْا ذلك إليه وقالوا: والله لقد ذهب طُرَيح بالأمير[4]، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حمّاد: ابغُونى مَنْ يُنْشِد الأمير بيتين من شعر، فأُسقط منزلتَه. فطلبوا إلى الخَصِىّ الذى كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنْشِدَهما الأمير فى خَلْوة، فإذا سأله مِنْ قولِ مَنْ ذا؟ قال: من قول طُرَيح؛ فأجابهم الخَصِىّ إلى ذلك، وعلّموه البيتين. فلمّا كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفتح البابُ وأُذن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا، وبقِى طُرَيح مع الوليد وهو ولىّ عهد؛ ثم دعا بغدائه فتغدّيا جميعا. ثم إنّ طُرَيحا خرج وركب إلى منزله، وترك الوليدَ فى مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقَى على فِرَاشه. واغتنم الخَصِىّ خَلْوتَه فاندفع يُنْشِد:

(١) ملك الشيمة: قوامها ومعظمها. (٢) حبس (بضمتين): محبوس. (٣) التفئة: الحين والزمان. (٤) كذا فى ى، م، ط، وهو الصواب؛ إذ كان الوليد فى ذلك الوقت ولىّ عهد ولم يكن خليفة، كما سيأتى بعد أسطر. وفى سائر النسخ: «بأمير المؤمنين».

سيرى ركابى إلى مَنْ تَسْعَدين به * فقد أقمتِ بدار الهُونِ ما صَلَحَا
سيرى إلى سَيِّدٍ سَمْحٍ خلائقُه * ضخمِ الدَّسيعةِ[(١)] قَرْمٍ يحمل المِدَحَا

فأصغى الوليدُ إلى الخَصِيّ بسَمْعه وأعاد الخصيّ غيرَ مرّة ؛ ثم قال الوليد : وَيْحك يا غلام ! مِنْ قول مَنْ هذا ؟ قال : من قول طُرَيح . فغضب الوليد حتى امتلأ غيظا ، ثم قال : وَالَهْفَا على أُمٍّ لم تَلِدْنى ! قد جعلتُه أوّل داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ثم يزعم أنّ هشامًا يحمل المِدَحَ ولا أحملها ! ثم قال : علىّ بالحاجب ، فأتاه . فقال : لا أعلم ما أَذِنتُ لطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض ؛ فإن حاوَلك فاْخْطَفْه بالسيف . فلمّا كان العَشِىُّ وصُلِّيت العصرُ ، جاء طُرَيح للساعة التى كان يُؤْذَنُ له فيها ، فدنا من الباب ليدخل . فقال له الحاجبُ : وراءَك ! فقال : مالَك ! هل دخل على ولىّ العهد أحدٌ بعدى ؟ قال : لا ! ولكن ساعةَ ولَّيْتَ من عنده دعانى فأمرنى ألّا آذَنَ لك ، و إنْ حاوَلتنى فى ذلك خَطِفْتُك بالسيف . فقال : لك عشرةُ آلاف[درهم][(٢)] وأْذَنْ لى فى الدخول عليه . فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَنى خَراجَ العِراق ما أَذِنتُ لك فى ذلك ، وليس لك من خير فى الدخول عليه فٱرجِعْ . قال : وَيْحكَ ! هل تعلم مَنْ دَهَانى عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ! لقد دخلتُ عليه وما عنده أحدٌ ، ولكنّ الله يُحْدِث ما يشاء فى اللّيل والنهار . قال : فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يَخْلُص إليه ولا يقدر على الدخول عليه . وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بى أن أرجعَ من غير أن ألقَى ولىَّ العهد فأعلمَ مَنْ دهانى عنده . ورأى أُناسا كانوا له أعداءً قد فرِحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد

(١) الدسيعة : العطية الجزيلة ، والجفنة الواسعة ، والمائدة الكريمة .

(٢) زيادة فى ى .

ويحدِّثونه و يَصْـدُرُ عن رأيهم . فلم يَزَلْ يَلْطُف[1] بالحاجب ويُمَنِّيـه، حتّى قال له الحاجب : أمّا إذْ أطلتَ المُقامَ فإنّى أكره أن تنصرف على حالك هذه، ولكنّ الأمير إذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحمّامَ ، ثم أَمَر بسريره فأُبْرِز ، وليس عليه يومئذ حِجَابٌ ؛ فإذا كان ذلك اليومُ أعلمتُك فتكون قـد دخلتَ عليـه وظَفِرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ . فلمّا كان ذلك اليومُ، دخل الحَمّام وأَمَر بسريره فأُبْرِز وجلَس عليـه، وأَذِن للناس فدخلوا عليـه ، والوليـدُ ينظر إلى مَنْ أقبـل . وبعث الحاجبُ إلى طُرَيح، فأقبلَ وقد تَتَامَّ الناسُ . فلما نظر الوليد إليـه من بعيدٍ صَرَف عنه وجهَه، واستحيا أن يردَّه من بين الناس، فدنا فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه السلامَ . فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرّع إليه :

نام الخَلِيُّ من الهُمومِ وبات لى * ليـلٌ أُكَابِدُه وهَمٌّ مُضْلِعُ
وسَهِرْتُ لا أَسْرِى ولا فى لَذّةٍ * أَرَقِى وأَغْفَـل ما لَقِيتُ الهُجَّعُ
أَبغِى وجوهَ مَخَارِجى من تُهْمةٍ * أَزَمتْ علىّ وسُـدَّ منها المَطْلَعُ
جزَعًا لمَعْتَبةِ الوَليدِ ولم أكُنْ * من قبلِ ذاك من الحوادث أَجْزَعُ
يابنَ الخلائفِ إنّ سُخْطَك لامرئٍ * أمسيتَ عِصْمتَـه بلاءٌ مُفْظِعُ
فَلأَنْزِعَنّ عن الذى لم تَهْوَه * إنْ كان لى ورأيتُ ذلك مَنْزِعُ
فاعطِفْ فِـدَاكَ أبى علىّ تَوَسُّعًا * وفضيـلةً فعـلى الفضيـلة تَتبعُ
فلقـد كفاكَ وزادَ ما قد نالنى * إن كنتَ لى ببـلاءِ ضُرٍّ تَقْنَعُ
سِمَـةٌ لذاك علىّ جِسْمٌ شاحبٌ * بادٍ تَحَسُّرُه ولونٌ أَسْـفَعُ[2]

(١) فى ط ، ء : « يلطف للحاجب » . وفى أساس البلاغة : « وأنا ألطف بفلان إذا أريته مودّة و رفقا فى المعاملة » . وفى اللسان : « يقال : لطف به وله بالفتح يلطف لطفا اذا رفق به ... » .

(٢) أسفع : شاحب متغير من مقاساة المشاق .

إنْ كنتَ فى ذنبٍ عتبتَ فإنّنى * عمّا كرِهتَ لنازعٌ متضرّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ * كفاً إلىّ وكلُّ يُسْرٍ أَقْطَعُ[1]
من بعد أَخْذى من حبالك بالّذى * قد كنتُ أحسَبُ أنّه لا يُقْطَع
فآرببْ صنيعَك بى فإنّ بأعينٍ[2] * للكاشحين وسَمْعِهم[3] ما تصنَع
٥ أدفعتَنى حتى آنقطعتُ وسُدّدتْ * عنّى الوجوهُ ولم يكن لىَ مَدْفَعُ
ورُجيتُ وآتُّقيتْ يداىَ وقيل قد * أمسى يَضُرّ إذا أحبّ وينفَع
ودخلتُ فى حَرَم الذِّمام وحاطَنى * خَفَرٌ أخذتُ به وعهدٌ مُولِعُ
أفهادمٌ ما قد بنيتَ وخافضٌ * شَرَفى وأنت لغير ذلك أوسعُ
أفلا خَشيتَ شَماتَ قومٍ فُتّهم * سَبْقاً وأنفسُهم عليك تَقَطَّعُ
١٠ وفَضَلتَ فى الحَسَبِ الأَشَمِّ عليهم * وصنعتَ فى الأقوامِ مالم يصنعوا[4]
فكأنّ آنفُهمْ بكلِّ صنيعةٍ * أسديتَها وجميلِ فِعْلٍ[5] تُجْدَعُ
وَدُّوا لو آنّهمُ ينال أكُفَّهمْ * شَلَلٌ وأنّك عن صَنيعك تَنْزِعُ
أو تَستَلِيمُ[6] فيجعلونك أُسوةً * وأبى المَلاَمَ لك النّدى والمَوْضِعُ

قال : فقرّبه وأدناه ، وضحك إليه ، وعاد له إلى ما كان عليه .

عاتبه المنصور فى شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار

١٥ أخبرنى حَبيب بن نَصْر المُهَلَّبِىّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنا محمد ابن عبد الله بن حمزة بن عُتْبة اللَّهَبِىّ عن أبيه :

أنّ طُرَيحاً دخل على أبى جعفر المنصور وهو فى الشُّعراء ؛ فقال له : لا حيّاك الله ولا بيّاك ! أمَا آتّقيتَ الله — ويلك ! — حيث تقول للوليد بن يزيد :

(١) أقطع : مقطوع اليد . (٢) اربب صنيعك : زده . (٣) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «وسمعها» . (٤) فى م : « مالا يصنع » . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «وجميل فعلك» . (٦) تستليم : تفعل ما تستحق عليه اللوم ؛ فكأنك تطلب الى الناس أن يلوموك .
٢٠

لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ * ـموجُ عليه كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لسَاخَ وارتدّ(1) أو لكانَ له * فى سائر الأرض عنك مُنعرَجُ

فقال له طُرَيح : قد علِم الله عزّ وجلّ أنّى قلتُ ذاك ويدى ممدودة إليه عزّ وجلّ، وإيّاه تبارك وتعالى عَنَيتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أمَا ترى هذا التخلُّص ! .

دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لى أبو أحمد الجريرىّ(2) روايتَه عنه : حدّثنا المَدائنىّ :

أنّ الوليد جلَس يوماً فى مجلس له عامٍّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَوَاليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها ، وكان أشرفَ يومٍ رُئِىَ له ؛ فقام بعضُ الشعراء فأنشد، ثم وثب طرَيح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخوالُه عن شماله وهو فيهم ، فأنشده :

صوت

أنتَ ٱبنُ مُسْلَنْطِحِ(3) البِطَاحِ ولم * تُطْرَقْ(4) عليك الحُنِىُّ والوُلُجُ
طُوبَى لفَرْعَيْكَ(5) من هنا وهنا * طُوبَى لأعراقك التى تَشِجُ(6)
لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ * ـموجُ عليه كالهَضْبِ يعتلجُ(7)
لسَاخَ وٱرتدّ أو لكانَ له * فى سائر الأرض عنك مُنعرَجُ

(1) فى هامش ط كتبت هذه العبارة : « الصحيح : لارتد أوساخ أو لكان له » . وهى أيضا رواية اللسان (مادة ولج) . (2) كذا فى ح ، وهو الموافق لما فى الأنساب للسمعانى (ص ١٢٩) . وفى سائر الأصول: « الحريرى » بالحاء المهملة . (3) سيشرح أبو الفرج بعد قليل هذا الشعر . (٤) فى كتاب الشعر والشعراء واللسان (مادتى ولج وسلطح) : « تعطف » وقال فى اللسان (مادة طرق) : « وأطرق جناح الطائر : لبس الريش الأعلى الريش الأسفل ، وأطرق عليه الليل ركب بعضه بعضا . وقوله : * ولم تُطرق عليك الحنىّ والولج * أى لم يوضع بعضه على بعض فتراكب » . وتفسير صاحب اللسان هذا هو الذى يتفق مع معنى كلمات البيت . ومنه يعلم ما فى تفسير أبى الفرج لهذه الكلمة من بعد . (٥) فى ى ، ط : « طيبا لفرعيك ... طيبا لأعراقك » . (٦) تشج : تشتبك وتلتف . (٧) يعتلج : يلتطم .

فطرب الوليد بن يزيد حتّى رُئى الارتياحُ فيه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحدًا منكم يجيئنى اليوم بمثل ما قال خالى، فلا يُنْشِدْنى أحدٌ بعده شيئا؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وآنصرفوا، وآحتبس طُرَيحًا عنده، وأمر آبن عائشة فغنّى فى هذا الشعر.

٥

نسبة هـــذا الصوت

أنت ابنُ مُسْلَنْطِح البِطاح ولم * تُطْرَقْ عليك الحُـــنِىُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة. عروضه من المُنْسَرِح. غنّاه آبن عائشة، ولحنُه رَمَـلٌ مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق.

المسلنطح من البطاح: ما آتّسع وآستوى سطحُه منها. وتُطْرق عليك: تُطْبِق عليك وتغطّيك وتضـيِّق مكانك؛ يقال: طرقتِ الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتتْ بأمر ضيّق مُعْضِل. والوشيج: أصـول النبت؛ يقال: أعراقك واشجةٌ فى الكرم، أى نابتة فيه. قال الشاعر[1]:

١٠

وهل يُنْبِتُ الخَطِّىَّ إلّا وَشِيجُه[2] * وتُغْرَسُ إلّا فى مَغَارِسها النَّخْلُ

يعنى أنّه كريم الأبوين من قريش وثَقِيف. وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى فى الوليد، فقال فى كلمة له:

١٥

وآعتامَ[3] كَهْلُك[4] من ثَقِيفٍ كُفْأَه * فتنازعاكَ فأنت جَوْهَرُ جوهرِ

فنَمَتْ فروعُ القَرْيَتَـيْن قُصَيُّها[5] * وقَسِيُّها بـك فى الأَشَمِّ الأكبرِ

(١) هو زهير بن أبى سلمى. (٢) فى ى، ط، م: * وتغرس إلا فى منابتها النخل *

(٣) اعتام: اختار. (٤) كذا فى ى، ط، م. وفى سائر النسخ: «أهلك» تحريف.

٢٠

(٥) قصىّ: أبو عدّة بطون من قريش. وقسىّ (بفتح فكسر وتشديد آخره): هو ثقيف، وقد تقدّم فى أوّل ترجمة طريح.

والحُنِىّ : ما انخفض من الأرض ، والواحدةُ حَناً[1] ، والجمع حُنِىّ مثل عَصًا وعُصِىّ . والوُلُج : كلّ متّسع فى الوادى ، الواحدةُ وَلَجَةٌ[2] . ويقال : الوَلَجات بين الجبال مثل الرِّحاب . أى لم تكن بين الحُنِىّ ولا الوُلُج فيخفَى مكانُك ، أى لستَ فى موضع خفىٍّ من الحسب . وقال أبو عُبيدة : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلًا يقول لآخر يفخَر عليه : أنا ابن مُسْلَنْطِح البِطَاح ، وابن كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إنْ كان لك عقلٌ فلك أصلٌ ، وإن كان لك خُلُقٌ فلك شَرَفٌ ، وإن كان لك تقوَى فلك كَرَمٌ ، وإلّا فذاك الحمار خيرٌ منك . أحبُّكم إلينا قبل أن نراكم أحْسَنُكم سَمْتًا ، فإذا تكلّمتم فأبْيَنُكم مَنْطِقا ، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فِعْلًا .

وقوله : « لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك » ، يقول : أنت مَلِكُ هذا الأبْطَح والمُطَاع فيه ، فكلُّ مَنْ تأمُره يُطيعك فيه ، حتى لو أمرتَ السَّيْلَ بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك . وإنما ضَرب هذا مثلًا وجعله مبالغةً ؛ لأنّه لا شىءَ أشدّ تعذُّرا من هذا وشبهه ، فإذا صَرَفه كان على كل شىء سواه أقدر . وقوله : « لساخ » أى لغاض فى الأرض . « وارتد » أى عَدَل عن طريقه ، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلا كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض .

غضب الوليد على ابن عائشة فلما غناه فى شعره طرب ورضى عنه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّادٍ عن أبيه[3] قال إسحاق وحدّثنى به الواقدىّ عن أبى الزِّناد عن إبراهيم بن عَطِيّة :

(١) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا (كاللسان والقاموس وشرحه والصحاح) ما يؤيد التفسير الذى ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة ولا لمفردها . وعبارة اللسان (فى مادة حنا) : « . . . والحنو : كل شىء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج كعظم الحجاج واللحى والضلع والقفّ والحقف ومنعرج الوادى ، والجمع أحناء وحُنِىّ وحنىّ . . . » .

(٢) فى اللسان (مادة ولج) : « ... ابن الأعرابى : ولَاج الوادى : معاطفه ، واحدتها وَلَجَة ، والجمع الوُلُج » . ومنه يعلم أن الوُلُج جمع الجمع لولجة .

(٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال إسحاق الخ» . ولم نثبت هذه الزيادة لأننا لم نجد فى كتب التراجم أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى روى عن محمد بن السائب الكلبىّ .

أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِى الخلافةَ بعث إلى المغنّين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمَرهم أن يتفرقوا ولا يدخلوا نهارًا لئلا يُعرَفوا، وكان إذ ذاك يتستّر فى أمره ولا يُظهره. فسبقهم ٱبنُ عائشة فدخل نهارًا وشُهر أمرُه، فحبسه الوليد وأمر به فقيِّد، وأَذن للمغنّين وفيهم مَعْبَدٌ، فدخلوا عليه دَخَلات. ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنّوا له حتى طَرِب وطابت نفسه. فلمّا رأى ذلك منه مَعْبَدٌ قال لهم: أخوكم ٱبن عائشة فيما قد علمتم، فاطلُبوا فيه. ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مجلِسنا هذا؟ قال: حَسَنًا لذيذا. قال: فكيف لو رأيتَ ٱبنَ عائشة وسمعتَ ما عنده! قال: فعلىَّ به. فطلع ٱبنُ عائشة يرسُف فى قَيْده. فلمّا نظر إليه الوليد، اندفع ٱبن عائشة فغنّاه فى شعر طُرَيح، والصنعةُ فيه له:

أنت ٱبنُ مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم * تُطْرَقْ عليك الحُنِىُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد[1]: اكسِرُوا قَيْدَه وفُكُّوا عنه؛ فلم يَزَل عنده أثيرًا مُكرما.

غنى مسلمة بن محمد ابن هشام من شعره فتذكر قومه

أخبرنى الحسن بن علىّ[2] قال حدّثنا ٱبن أبى سعد عن الحِزَامىّ عن عثمان ٱبن حَفْص عن إبراهيم بن عبد السّلام بن أبى الحارث الذى يقول له عُمَر بن أبى ربيعة:

يا أبا الحارث قلبى طائرٌ * فأْتَمِرْ[3] أمرَ رَشيدٍ مُؤتَمَنْ

قال: والله إنّى لقاعدٌ مع مَسْلَمَةَ بن محمد بن هِشَام إذ مرّ به ٱبن جُوَان بن عُمَر ابن أبى ربيعة، وكان يغنّى؛ فقال له: اجْلِسْ يا ٱبنَ أخى غَنِّنا. فجلس فغنّى:

أنت ٱبن مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم * تُطْرَقْ عليك الحُنِىُّ والوُلُجُ

(١) كذا فى ى، م، ط. وفى سائر النسخ: «فصاح به الوليد». (٢) كذا فى ط، م، ى. وفى سائر النسخ: «الحسين بن يحيى». والمعروف أن الحسن بن علىّ يروى عن عبد الله ابن أبى سعد (انظر ص ٦٨ ج ٢ من هذا الكتاب). (٣) كذا فى ط، م، ى وفيما تقدم فى الجزء الأوّل (ص ١١٤ من هذه الطبعة). وفى سائر الأصول هنا: «فاستمع».

والحِنْىُ: ما انخفض من الأرض، والواحدةُ حَنًا[1]، والجمع حِنِىٌّ مثل عَصًا وعِصِىّ. والوُلُج: كلّ متّسع فى الوادى، الواحدةُ وَلَجَةٌ[2]. ويقال: الوَلَجات بين الجبال مثل الرِّحاب. أى لم تكن بين الحُنِىِّ ولا الوُلُج فيخفى مكانُك، أى لستَ فى موضع خفىٍّ من الحسب. وقال أبو عُبيدة: سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلًا يقول لآخر يفخر عليه: أنا ابن مُسْلَنطِح البِطَاح، وابن كذا وكذا؛ فقال له عمر: إنْ كان لك عقلٌ فلك أصلٌ، وإن كان لك خُلُقٌ فلك شَرَفٌ، وإن كان لك تقوى فلك كَرَمٌ، وإلّا فذاك الحمار خيرٌ منك. أحبُّكم إلينا قبل أن نراكم أَحْسَنُكم سَمْتًا، فإذا تكلّمتم فأَبْيَنُكم مَنْطِقا، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فِعْلًا.

وقوله: «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك»، يقول: أنت مَلِكُ هذا الأبْطَح والمُطَاع فيه، فكلُّ مَنْ تأمره يُطيعك فيه، حتى لو أمرتَ السَّيْلَ بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك. وإنما ضَرب هذا مثلًا وجعله مبالغةً؛ لأنّه لا شىءَ أشدّ تعذُّرا من هذا وشبهه، فإذا صَرَفه كان على كل شىء سواه أقدر. وقوله: «لساخ» أى لغاض فى الأرض. «وارتد» أى عَدَل عن طريقه، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلا كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض.

غضب الوليد على ابن عائشة فلما غناه فى شعره طرب ورضى عنه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه[3] قال إسحاق وحدّثنى به الواقدىّ عن أبى الزِّناد عن إبراهيم بن عَطيّة:

(١) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا (كاللسان والقاموس وشرحه والصحاح) ما يؤيد التفسير الذى ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة ولا لمفردها. وعبارة اللسان (فى مادة حنا): «... والحنو: كل شىء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج كعظم الحجاج واللحى والضلع والقفّ والحقف ومنعرج الوادى، والجمع أحناء وحُنِىّ وحنىّ ...». (٢) فى اللسان (مادة ولج): «... ابن الأعرابى: وَلَاج الوادى: معاطفه، واحدتها وَلَجَة، والجمع الوُلُج». ومنه يعلم أن الوُلُج جمع الجمع لولجة.

(٣) كذا فى ى، ط، م. وفى سائر النسخ: «عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال إسحاق الخ». ولم نثبت هذه الزيادة لأننا لم نجد فى كتب التراجم أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى روى عن محمد بن السائب الكلبىّ.

أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِى الخلافةَ بعث إلى المغنّين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمَرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهارًا لئلا يُعرَفوا، وكان إذ ذاك يتستّر فى أمره ولا يُظهره . فسبقهم آبنُ عائشة فدخل نهارًا وشُهِر أَمْرُه ، فحبسه الوليد وأمر به فقيِّد ، وأَذِن للمغنّين وفيهم مَعْبَدٌ ، فدخلوا عليه دَخَلات . ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنّوا له حتى طَرِب وطابت نفسه . فلمّا رأى ذلك منه مَعْبَدٌ قال لهم : أخوكم آبن عائشة فيما قد علمتم ، فاطلُبوا فيه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : حَسَنًا لذيذا . قال : فكيف لو رأيتَ آبنَ عائشة وسمعتَ ما عنده ! قال : فعليّ به . فطلع آبنُ عائشة يرسُف فى قَيْده . فلمّا نظر إليه الوليد ، اندفع آبن عائشة فغنّاه فى شعر طُرَيح ، والصنعةُ فيه له :

أنت آبنُ مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم * تُطْرَقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد[1] : اكسِرُوا قَيْدَه وفُكّوا عنه ؛ فلم يَزَلْ عنده أثيراً مكرما .

غنى مسلمة بن محمد ابن هشام من شعره فتذكر قومه

أخبرنى الحسن بن علىّ[2] قال حدّثنا آبن أبى سَعْد عن الحِزَامىّ عن عثمان آبن حَفْص عن إبراهيم بن عبد السّلام بن أبى الحارث الذى يقول له عُمَر بن أبى ربيعة :

يا أبا الحارث قلبى طائرٌ * فأْتَمِرْ[3] أمرَ رَشِيدٍ مُؤتَمَنْ

قال : والله إنّى لقاعدٌ مع مَسْلَمَةَ بن محمد بن هِشَام إذ مرّ به آبن جُوَان بن عُمَر ابن أبى ربيعة ، وكان يغنّى ؛ فقال له : اجْلِسْ يآبنَ أخى غَنِّنا . فجلس فغنّى :

أنت آبنُ مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم * تُطْرَقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

(١) كذا فى ء ، م ، ط . وفى سائر النسخ: « فصاح به الوليد » . (٢) كذا فى ط ، م ، ء . وفى سائر النسخ : « الحسين بن يحيى » . والمعروف أن الحسن بن علىّ يروى عن عبد الله ابن أبى سعد (انظر ص ٦٨ ج ٢ من هذا الكتاب) . (٣) كذا فى ط ، م ، ء وفيما تقدم فى الجزء الأوّل (ص ١١٤ من هذه الطبعة) . وفى سائر الأصول هنا : « فاستمع » .

فقال له : يابنَ أخى، ما أنت وهذا حين تَغنّاه، ولا حظّ لك فيه ! هذا قاله طُرَيح فينا : * إذِ النّاسُ ناسٌ والزّمانُ زمانُ *

ومما فى المائة الصوت المختارة من الأغانى من أشعار طُرَيح بن إسماعيل التى مدح بها الوليد بن يزيد :

صــــوت

من المـائة المختـارة

وَيْحِى غدًا إنْ غدَا علىَّ بما * أحْذَرُ من لَوْعةِ الفِــراقِ غَدُ
وكيف صَبْرِى وقد تجاوبَ بال * فُرْقةِ مِنْها الغُرابُ والصُّرَدُ (1)

الشعر لطُرَيح بن إسماعيل. والغناء لابن مِشْعَب الطائفىّ، ولحنُه المختار من الرَّمَل بالوســطى.

(١) الصرد (بضم ففتح) : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، جمعه صِردان، ويكنى بأبى كثير، ويسمى الأخطب لخضرة ظهره، والأخيل لاختلاف لونه. وهو مما يتشاءم به من الطير؛ قال الشاعر : * فما طائرى يوما عليك بأخيلا *

ذكر ابن مِشْعَبٍ وأخباره[1]

ابن مشعب وأصله

هو رجلٌ من أهل الطائف مولًى لثقيف ، وقيل : إنّه من أنفسهم ، وانتقل إلى مكة فكان بها . وإيّاه يعني العَرْجيّ بقوله :

بِفنَاءِ بيتِك وابنُ مِشْعَب حاضرٌ * فى سَامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقمِرِ

٥ فتلازَمَا عند الفِراق صَبابةً * أخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوب المُعْسِرِ

كان عامة الغناء الذى ينسب إلى أهل مكة له

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

ابن مِشْعَب مُغَنٍّ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غناءً ، وكان فى زمن ابن سُرَيج والأَغرّ ، وعامّةُ الغناء الذى يُنْسَب إلى أهل مكة له ، وقد تفرّق غناؤه ، فنُسِب بعضه إلى ابن سُرَيج ، و بعضُه إلى الهُذَليّين ، و بعضه الى ابن مُحْرِز .

٨٣/٤

١٠ قال : ومِنْ غنائه الذى يُنْسَب الى ابن مُحْرِز :

* يادارَ عاتكةَ التى بالأزهرِ *

ومنه أيضا :

أقفرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ[2] * فالمُنْحَنَى[3] فالعقيقُ فالجُمُدُ[4]

اشتهى مريض أن يغنى فى شعر العرجى الذى ورد فيه اسمه

أخبرنى الحسين قال قال حمّاد وحدّثنى أبى قال :

١٥ مَرِض رجلٌ من أهل المدينة بالشأم ، فعاده جيرانُه وقالوا له : ماتشتهى ؟ قال : أشتهى إنسانًا يَضع فمه على أُذُنى و يُغنّينى فى بيتَى العَرْجىّ :

---

(١) يلاحظ أن صاحب الأغانى أقحم ترجمة ابن مشعب هذا فى وسط ترجمة طريح . ولم يتحدث عنه إلا قليلا ، ثم عاد الى حديثه عن طريح . (٢) فى معجم ما استعجم البكرى: سند : ماء بتهامة معروف . وقال أبو بكر : سند (بفتحتين) : ماء معروف لبنى سعد . (٣) المنحنى : موضع قرب مكة ، كما ٢٠ فى شرح القاموس . (٤) الجمد (بضمتين) : جبل لبنى نصر بنجد ، كما فى معجم ياقوت .

بِفناءِ بَيْتِك وآبنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتَلازَمَا عند الفِرَاقِ صبابةً * أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

يا دارَ عاتِكةَ التى بالأَزْهَرِ * أو فوقَه بقَفَا الكَثِيبِ الأحمرِ
بِفناء بيتِك وآبنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازمَا عند الفراق صبابةً * أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوب المُعْسِرِ

الشعر للعرجىّ. والغناء لآبن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وذكر إسحاق أنّه لآبن مِشْعَب. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لآبن المكىّ هَزَجًا خفيفًا بالبنصر.

وأمّا الصوت الآخر الذى أوّله:

* أَقفرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ *

فإنّه الصوت الذى ذكرناه الذى فيه اللحن المختار، وهو أوّل قصيدة طُرَيح التى منها:

وَيْحِى غدًا إنْ غَدَا علىّ بما * أكره من لَوْعة الفِرَاقِ غدُ

وليس يُغَنَّى فيه فى زماننا هذا. وهذه القصيدة طويلة يمدَح فيها طُرَيح الوليد بن يزيد، يقول فيها:

لم يَبْقَ فيها من المَعَارِفِ بعـ * ـدَ الحَىِّ إلّا الرَّمَادُ والوَتِدُ
وعَرْصةٌ نَكَّرَتْ مَعَالِمَها الـ * ـرِّيحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ(١)

أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فدحها

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى محمد بن خَلَف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا به وكيع — وأظنه هو الذى كَنَى عنه يحيى بن علىّ —، فقال:

(١) منتضد: مجتمع ومقام؛ يقال: انتضد القوم بمكان كذا إذا أقاموا به.

محمد بن خَلَف القارئ — [قال](١) حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني علىّ بن عبد الله اللّهبىّ قال حدّثنا أبى عن أبيه قال :

أُنشِدَ المنصورُ هـذه القصيدةَ، فقال للربيع : أسمعت أحدًا من الشعراء ذكر فى باقى مَعَـالم الحَىّ المسجدَ غيرَ طُرَيح ! . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح ، ٥ يقول فيها :

لم أَنْسَ سَلمى ولا لَيالِيَنَا * بالحَزْن إذ عيشُنا بها رَغَدُ(٢)

إذْ نحن فى مَيْعة الشَّباب وإذْ * أيّامُنـا تلك غَضّـةٌ جُـدُدُ

فى عِيشة كالفِرِنْد عازبة الشّـ * ـقوة(٣) خضراءَ غُصْنُها خَضَـدُ(٤)

نُحْسَـدُ فيهـا على النّعيم وما * يُولَعُ إلّا بالنّعمـة الحَسَدُ

١٠ أيّامَ سَـلْمَى غَرِيرةٌ(٥) أُنُفٌ * كأنّها خُوطُ بانةٍ رُودُ(٦)

وَيْحِى غدًا إنْ غدَا علىّ بما * أكره من لَوْعة الفراق غَدُ

قد كنتُ أبكى من الفراق وحَيْـ * ـيانا جميـعٌ ودارُنا صَـدَدُ(٧)

فكيف صَبْرى وقد تَجاوَبَ بالـ * ـفُرقـة منهـا الغُرابُ والصُّرَدُ

دَعْ عنك سَلْمَى لغير مَقْلِيَـةٍ * وعُدَّ مَـدْحًا بيُـوته شُرُدُ

١٥ للأفضَل الأفضَل الخليفة عبـ * ـد الله من دون شأوِه صُعُدُ

فى وجهـه النّـورُ يُستبانُ كما * لاح سِراجُ النّهـار إذ يَقِـدُ

(١) زيادة عن ح، م . (٢) عيش رغد (بفتح الغين وكسرها) : مخصب رفيـه غزير، ومثلهما رغد (بسكون الغين) ورغيد وراغد وأرغد . (٣) عازبة الشقوة : بعيدتها . (٤) خضد (بالتحريك) : رطب . (٥) غريرة : بلهاء لصغر سنها وقلة تجاربها . وأنف : عذراء .

٢٠ (٦) الخوط : الغصن . والرؤد : الغصن أرطب ما يكون وأرخصه ؛ وذلك حين يكون فى السنة التى نبت فيها . تشبه به الجارية الحسنة الشباب من النعمة . (٧) يقال : دار فلان صدد دار فلان وبصددها أى قبالتها .

٨٤ / ٤

يمضى على خير ما يقول ولا * يُخلف ميعادَه إذا يَعِدُ
من مَعْشَرٍ لا يَشَمُّ مَنْ خَذَلُوا * عِزًّا ولا يُستَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا
بِيضٌ عظامُ الحلومِ حَدُّهُمُ * ماضٍ حُسامٌ وخيرهم عَتَدُ(١)
أنت إمامُ الهدى الذى أصلح الله * به الناسَ بعد ما فَسَدُوا
لمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهُمُ * إليكَ قد صار أمره سَجَدُوا
وآستبشروا بالرضا تَبَاشُرَهم * بالخُلْد لو قيل إنّكم خُلُدُ
وعَجَّ بالحمد أهلُ أرضك حتـ * ـى كاد يَهْتَزُّ فرحةً أُحُدُ
وآستقبل الناسُ عِيشةً أُنُفًا * إنْ تبق فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزِقتَ من وُدِّهم وطاعتهم * مالم يَجِدْه لِوالدٍ وَلَدُ
أَثْلَجَهمْ منك أنهم عَلِموا * أنّك فيما وَلِيتَ مُجتهِدُ
وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ * مِصْداقُ ما كنتَ مَرّةً تَعِدُ
أَلّفْتَ أهواءَهمْ فأصبحتِ الأ * ضغانُ سَلْمًا وماتتِ الحِقَدُ
كنتُ أرى أنّ ما وجدتُ من الـ * ـفَرْحة لم يلقَ مثلَه أحَدُ
حتّى رأيت العبادَ كلَّهمُ * قد وجدوا من هواك ما أَجِدُ

صـــوت

قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما * نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدوا
يرفَعُك الله بالتَّكَرُّمِ والتـ * ـقْوَى فتعلو وأنت مقتصِدُ
حَسْبُ آمرئٍ من غِنًى تقرُّبُه * منك وإن لم يكن له سَبَدُ(٢)
فأنت أمنٌ لمن يخاف ولِلْـ * ـمَخْذولِ أودى نصيرُه عَضُدُ

(١) عتد : حاضر معدّ . (٢) كذا فى ح ، م . والسبد : الشَّعر ، ويكنى به عن المال . ويقال : ماله سبد ولا لبد أى ماله شىء . وفى سائر الأصول : « سند » .

— غنّى فى هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر —

كلُّ آمرئٍ ذى يدٍ تُعَدّ عليـ * ـه منــك معــلومة يدٌ ويدُ (١)

فهم ملوكٌ مالم يَرَوْكَ فإنْ * داناهمُ منــكَ منزلٌ خمَــدوا

تعروهم رِعْــدةٌ لديكَ كما * قَفْقَفَ تحت الدُّجُنّــة الصَّردُ (٢)

لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ * إلّا جَلالاً كَساكَهُ الصَّمَدُ

وأنت غَمْرُ النَّدى إذا هَبَطَ الـ * ـزُّوّارُ أرضاً تَحُلُّها حَمِــدُوا

فهم رِفاقٌ فرُفْقةٌ صَــدَرتْ * عنــكَ بغُنْمٍ ورُفْقــةٌ تَرِدُ

إنْ حالَ دهرٌ بهم فإنّك لا * تَنفَكُّ عن حالك التى عهدوا (٣)

قد صــدّق اللهُ مادحيك فمــا * فى قــولهم فِرْيةٌ ولا فَنَــدُ

٨٥/٤

ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان.

١٠ أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ يحلف بالله الذى لا إلهَ إلّا هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ، ولا أفطنَ، ولا أعلمَ بكلّ شىء، ولا أفصحَ لساناً، ولا أبلغَ فى مكاتبة . قال : ولقد كنّا يوماً عند الرشــيد ، فغنّى أبى لحناً فى شــعر طُرَيح بن إسماعيل، وهو :

١٥ قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما * نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدُوا

فآستحسن الرشيدُ اللحنَ والشعرَ وآستعاده ووصل أبى عليه . وكان اللحن فى طــريقة (٤) خفيفِ الثقيلِ الأوّل . فقــال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيّدى أحسنَ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدّلال الذى غنّاه فى شعر أبى زُبَيد :

---

(١) فى ح : « ذى ندى » . (٢) قفقف : ارتعد من البرد . والصرد : المقرور .

٢٠ (٣) فى ح : « لهم » . (٤) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « وكان اللحن الذى فى طريقة خفيف الثقيل الخ » .

مَنْ يَرَ العِيرَ لاَبن أَرْوَى على ظَهْـ * ـرِ المَـرَوْرَى[1] حُدَاتُهنّ عِجالُ

وأمّا الشعر فنقله طُرَيح من قول زُهَير :

سَعَى بعدَهم قومٌ لكى يُدركوهُمُ * فلم يَبْلُغُوا[2] ولم يُلَامُوا[2] ولم يَأْلُوا

قال إسحاق : فعجبتُ والله من عِلْمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشْبِه لحنَ الدَّلَال ، قال : وكذلك الشعر ؛ فاَغتممت أنّى لم أكن فَهِمتُ اللحن ، وكان ذلك أشدَّ علىّ من ذَهاب أمر الشعر علىّ ، وأنا والله مع ذلك أُغَنِّى الصوتين وأحفَظ الشعرين . قال الحسين : ولحنُ الدَّلَال فى شعر أبى زُبَيْد هذا من خَفيف الثقيل أيضا .

صادف طريح أبا ورقاء فى سفر فأنس به وذكر له قصته مع أعرابى عاشق

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال حدّثنى أبو الحسن البَلَاذُرىّ أحمد ابن يحيى وأبو أيُّوب المَدِينىّ ، قال البَلَاذُرىّ وحدّثنى الحِرْمازِىّ[3] ، وقال أبو أيوب وحدّثونا عن الحِرْمازِىّ قال حدّثنى أبو القَعقاع سَهل[4] بن عبد الحميد عن أبى وَرْقاء الحَنَفىّ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والمرورى على وزن فعلعل : جمع مَرَوْراة وهى الفلاة البعيدة المستوية . (معجم ما استعجم ص ٥٢٠) . وفى حـ والشعر والشعراء (ص ١٦٧) : « المروى » . والمرّوى (بضم أوّله وفتح ثانيه بعده واو مشدّدة مفتوحة) : موضع . (معجم ما استعجم ص ٥٢٦) .

(٢) فى ديوان زهير (طبعة دار الكتب ص ١١٤) : « فلم يفعلوا » . وفى س : « فلم يفعلوا ولم يليموا » . أى لم يأتوا ما يلامون عليه ، أو لم يلاموا ، حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء القوم لأنها أعلى من أن تبلغ ؛ فهم معذورون فى التقصير عنها والتوقف دونها ، وهم مع ذلك لم يألوا أى لم يقصروا فى السعى بجميل الفعل .

(٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر الأصول : « وقال أبو أيوب وحدّثنى الحرمازى ... الخ » .

(٤) فى ى ، ط : « سهيل بن عبد الحميد » .

خرجتُ من الكوفة أُريد بغدادَ، فلمّا صِرْتُ الى أوّل خانٍ نزلتُه، بَسط غلمانُنا وهيّئوا غَدَاءهم، ولم يجئ أحدٌ بعدُ، إذ رمانا البابُ برجلٍ فارِه البِرْذَوْن[1] حَسَنِ الهيئة، فصِحْتُ بالغلمان، فأخذوا دابّته فدفعها إليهم، ودعوتُ بالغَـداء، فبسَط يدَه غير محتشم، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلا قَبِلَه. ثم جاء غلمانُه بعد ساعة فى ثَقَلٍ[2] سَرِىّ وهيئة حسنة. فتناسَبْنا[3] فإذا الرجلُ طُرَيحُ بن إسماعيـل الثّقفىّ. فلمّا ارتحلنا ارتحلنا

٥

فى قافلة غَنّاء لا يُدْرَكُ طَرَفاها. قال: فقال لى: ما حاجتُنا إلى زِحَام الناس وليست بنـا إليهم وَحْشَةٌ ولا علينا خوف! نتقـدّمهم بيوم فيخلو لنـا الطريق ونُصادف الخانات فارغةً ونُودعُ أنفسَنا إلى أن يُوَافُوا. قلتُ: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغَدَ فنزلنا الخانَ فتغدّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظليل؛ فقال: هل لك أن نستنقع[4] فيـه؟ فقلتُ له: شأنَك. فلمّا سَرا[5] ثيابَه إذا [ما] بين عُصْعُصِه إلى عنقه ذاهبٌ[6]، وفى جنبيه

١٠

أمثالُ الجِرْذَان، فوقع فى نفسى منه شىءٌ[7]. فنظر إلىّ ففَطِن وتبسّم، ثم قال: قد رأيتُ ذُعْرَك ممـا رأيتَ، وحديثُ هذا إذا سِرْنا العَشِيّةَ إن شاء الله تعالى أُحدّثك به. قال: فلمّا ركبنا قلت: الحديثَ! قال: نعم! قَدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا، وكتب إلى يوسف بن عُمَر مع فَرّاش فلاً يدَىْ أصحابى[8]، فخرجتُ أُبادر الطائف. فلمّا امتدّ لى الطريقُ وليس يصحَبنى فيه خَلْقٌ، عَنّ لى[9] أعرابىٌّ على بعيرله، فحدّثنى،

١٥

فإذا هو حسنُ الحديث، وروَى لى الشِّعْرَ فإذا هو راوية، وأنشدنى لنفسه فإذا هو

٨٦ / ٤

(١) البرذون الفاره: النشيط السريع السير. (٢) الثقل: متاع المسافر وحشمه.
(٣) تناسبنا: ذكر كل منا نسبه. (٤) كذا فى ى، ط. وفى سائر النسخ: «تستنقع» بالتاء فى أوّله. (٥) سرا ثيابه سروا: ألقاها عنـه مثل سرى سريا وأسرى، والواو أعلى (أنظر اللسان مادة سرا). (٦) فى ى، ط، م: «كرده». والكرد (بالفتح): العنق، وقيل أصله. (٧) فى ى: ط، م: «شر». (٨) كذا فى خ. وفى سائر النسخ: «أصحابه». (٩) عنّ لى: عرض لى.

٢٠

شاعر. فقلت له : من أين أقبلتَ؟ قال: لا أدرى. قلت: فأين تُريد؟ فذكر قصّةً يُخبِر فيها أنّه عاشق لمُرَيّة قد أفسدتْ عليه عقلَه[1]، وستَرها عنه أهلُها وجفاه أهلُه[2]، فإنّما يستريح إلى الطريق يَنحدر مع مُنحَدِريه ويُصْعِد مع مُصْعِديه. قلت: فأين هى؟ قال: غداً تنزل بإزائها. فلمّا نزلنا أرانى ظَرِباً[3] على يسار الطريق، فقال لى: أترى ذلك الظَّرِبَ؟ قلت: أراه. قال: فإنّها فى مَسْقِطه. قال: فأدركتنى أريحيّةُ الشباب، فقلتُ: أنا والله آتيها برسالتك. قال: فخرجت وأتيت الظَّرِبَ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ[4]، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ، فذكرتُه لها، فزفرتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَسّاقطُ. ثم قالت: أوَحَيٌّ هو؟ قلت: نعم، تركتُه فى رَحْلِى وراءَ هذا الظَّرِب، ونحن بائتون ومُصْبِحون. فقالت: يا أَبِى أرَى لك وجهاً يدلّ على خير، فهل لك فى الأَجْر؟ فقلت: فقيرٌ والله إليه. قالت: فالبَسْ ثيابى وكُنْ مكانى ودَعْنى حتّى آتيَه، وذلك مُغَيْرِبانَ الشمس. قلت: أفعلُ[5]. قالت: إنّك إذا أظلمتَ أتاك زوجى فى هَجْمة[6] من إبله، فإذا بَرَكتْ أتاك وقال: يا فاجرة يا هَنْتاه[7]، فيُوسِعُكَ شتماً فأَوْسِعْه صمتاً، ثم يقول: اقْمَعِى[8] سِقاءَكِ، فضَعِ القِمَعَ فى هذا السِّقاء حتّى يُحْقَنَ[9] فيه، وإيّاكَ

(١) فى حـ : «وحدّ عليها أهلها». وحدّ عليه: غضب عليه. (٢) فى ى، ط: «وخلعه»؛ يقال: خلع فلان ابنه إذا تبرأ منه. وكان فى الجاهلية إذا قال قائل: هذا ابنى قد خلعته، لا يؤخذ بعد بجريرته. (٣) كذا فى ب، س. والظرب: الرابية الصغيرة. وفى سائر الأصول: «ظريبا» بالتصغير. (٤) كذا فى ى، ط. والحريد: المعتزل المتنحى. وفى حديث صعصعة «فرفع لى بيت حريد» أى منتبذ متنح عن الناس. وفى م: «بيت جريد» بالجيم المعجمة. وفى سائر النسخ: «جديد» وكلاهما تحريف. (٥) كذا فى ى، ط. وفى سائر الأصول: «فقلت أفعل». (٦) الهجمة من الإبل: أوّلها أربعون إلى مازادت، أو ما بين السبعين إلى المائة، فإذا بلغت المائة فهى هنيدة. (٧) يا هنتاه: أى يا هذه، وقيل: يا بلهاء. وتفتح النون وتسكن، وتضم الهاء الأخيرة وتسكن. (انظر اللسان مادة هنو). (٨) قمع الإناء: وضع القمع فى فمه ليصب فيه الدهن وغيره. (٩) حقن اللبن (من باب نصر): جمعه.

وهذا الآخَر فإنّه واهي الأسفلِ . قال : فجاء ففعلتُ ما أمرتَني به ، ثم قال: اقْمَعى سِقاءَك ، فحيَّنَني[1] اللهُ ، فتركتُ الصحيحَ وقَمَعتُ الواهيَ ، فما شعَر إلّا باللبن بين رجليه ، فعَمَد إلى رِشَاءٍ من قِدٍّ مَرْبوع[2] ، فثنَاه باثنين فصار على ثَمانِ قُوًى ، ثم جعَل لا يتّقى منّى رأسًا ولا رِجْلًا ولا جَنْبًا ، فخَشِيتُ أن يبدوَ له وجهى ، فتكون الأُخْرى ، فألزمتُ وجهى الأرضَ ، فعمِل بظَهْرى ما ترى .

(١) حينه الله : لم يوفقه للرشاد .

(٢) الرشاء : الحبل . والقدّ : السير المقدود من الجلد . ومربوع : ذو أربع قوى .

ذكر أخبار أبى سعيد مولى فائد ونسبه

ولاؤه، وكان مغنيا وشاعرا

أبو سَعيد مولى فائد . وفائدٌ مولَى عَمْرو بن عثمان بن عفّان رضى الله تعالى عنه . وذكر آبن خُرْدَاذْبَه[1] أنّ آسم أبى سعيد إبراهيم . وهو يُعْرَف فى الشعراء بآبن أبى سِنّة مولَى بنى أُمَيَّة ، وفى المغنّين بأبى سعيد مولى فائد . وكان شاعرًا مُجيدا ومُغَنِّيا ، وناسكًا بعد ذلك ، فاضلًا مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعَدَّلا . وعُمِّر إلى خلافة الرشيد ، ولقيه إبراهيم ابن المَهْدىّ و إسحاقُ الموصلىّ وذووهما . وله قصائدُ جِيَاد فى مَرَاثى بنى أُمَيّة الذين قتلهمَ عبدُ الله وداوُد آبنــا علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، يُذْكَر هاهنا فى موضعه منها ما تسوق[2] الأحاديثُ ذِكْرَه .

طلب إليه المهدى أن يغنيه صوتا له فغناه غيره واعتذر عنـــه

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عُبَيــد[3] الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن آبن أبى الأَزْهر عن حَمّــاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أخيه أحمــد بن علىّ عن عافيةَ بن شَبِيب عن أبى جعفر الأَسَدِىّ عن إسحاق ، قال يحيى خاصّةً فى خبره :

قال إسحــاق : حَجَجْتُ مع الرشــيد ، فلمّا قَرُبتُ من مكة استأذنتُه فى التقدُّم فأذِنَ لى ، فدخلتُ مكة ، فسألتُ عن أبى سعيد مولى فائد ، فقيل لى : هو فى المسجد الحَرَام . فأتيتُ المسجد فسألتُ عنــه ، فدُلِلْتُ عليه ، فإذا هو قائمٌ يصلِّى ، فجئتُ فجلستُ قريبًا منه . فلمّا فرَغ قال لى : يا فتى ، ألكَ حاجةٌ ؟ قلتُ : نعم ، تُغنِّينى : « لقد طفتُ سبعًا » . هــذه رواية يحيى بن علىّ . وأمّا البــاقون فإنّهم ذكروا عن إسحاق أنّ المَهْدىّ قال [هــذا][4] لأبى سعيد وأَمَره أن يُغَنِّىَ له :

لقد طُفْتُ سبعًا قلتُ لمّــا قَضَيْتُها * ألَا ليتَ هــذا لاعَلَىّ ولا لِيَــا

(١) فى م : «بابن أبى شبة» . (٢) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : «يسوق» بالياء المثناة من تحت . (٣) فى م : «عبيد الله بن عباس» . (٤) التكملة عن ى ، ط .

ورفَق به وأدنى مجلسَه ، وقد كان نَسَك ، فقال : أَوَ أغنّيك يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ؟ قال : أنتَ وذاك . فغنّى[1] :

إنّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ * نَشَرَ المجْدَ بعد ما كان ماتَا
وبَنَاهُ على أَسَاسٍ وَثيقٍ * وعِمَادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا
٥ مثلَ ما قد بنى له أوّلُوه * وكذا يُشْبِهُ البُنَاةَ[2] البُنَاتَا

— الشعر والغناء لأبى سعيد مولى فائد — فأحسن . فقال له المهدىّ : أحسنتَ يا أبا سعيد! فغنّى «لقد طفتُ سبعاً» . قال : أَوَ أغنّيك أحسنَ منه ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه :

قَدِمَ الطويلُ فأشرقتْ واستبشرتْ * أرضُ الحجازِ وبانَ فى الأشجارِ
١٠ إنّ الطويلَ مِنَ آلِ حَفْصٍ فاعلموا * سادَ الحضورَ وساد فى الأسفارِ

فأحسنَ فيه . فقال : غَنِّنى «لقد طفتُ سبعا» . قال : أَوَ أغنّيك أحسنَ منه؟ قال : فَغَنِّنى . فغنّاه :

أيُّها السائلُ الذى يَخْبِطُ الأر * ضَ دعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ * إنْ تخوّفتَ عَيْلَةً[3] أو هلاكا

١٥ فأحسن فيه . فقال له : غَنِّنى « لقد طفت سبعا » ، فقد أحسنت فيما غنّيت ، ولكنّا نُحبّ أن تُغَنِّىَ ما دعوناك إليه . فقال : لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأنّى رأيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مَنامى وفى يده شىءٌ لا أدرى ما هو ،

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فقال» . (٢) فى ى ، ط ، م هنا وفيما يأتى :
* وكذا يشبه النبات النباتا *
٢٠ (٣) فى م : «غيلة» . وفى ى ، ط : «عولة» .

وقد رفعه ليضربنى به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طفتُ سبعًا، لقد طفتُ سبعًا سبعًا طُفْتُ ! ماصنعت بأمّتى فى هذا الصوت ! فقلت له : بأبى أنت وأمى اغفرْ لى ، فوالّذى بعثك بالحقّ واصطفاك بالنبوّة لا غنّيتُ هـذا الصوت أبداً ؛ فردّ يده ثم قال : عفا الله عنك إذاً ! ثم انتبهتُ . وما كنتُ لأُعطِىَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا فى منامى فأرجعَ عنه فى يَقَظَتِى . فبكى المهدىُّ وقال : أحسنتَ يا أبا سعيد أحسن الله إليك ! لا تَعُدْ فى غنائه، وحَبَاه وكساه وأَمَر بردّه إلى الحجاز .
فقال له أبو سعيد : ولكن اسمَعْه يا أميرَ المؤمنين من مَنّةَ جارية البرامكة . وأظنّ حكاية مَنْ حكى ذلك عن المهدىّ غلطًا ؛ لأن مَنّـةَ جاريةَ البرامكة لم تكن فى أيّام المهدىّ ، وإنما نشأتْ وعُرِفتْ فى أيّام الرشيد .

وقد حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظةُ قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم بنِ المهدىّ عن أبيه أنّه هو الذى لَقِىَ أبا سَعِيد مولَى فائد وجاراه هـذه القِصّة . وذكر ذلك أيضا حمّاد بنُ إسحاق عن إبراهيم بن المهدىّ . وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهدىّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهدىّ . وأمّا خبرُ إبراهيم بن المهدىّ خاصّةً فله مَعَانٍ غيرُ هذه، والصوت الذى سأله عنه غيرُ هذا ؛ وسيُذْكَر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلا تنقطع .

أراده إبراهيم ابن المهدى على الذهاب الى بغداد فأبى

وأخبرنى إسماعيل[1] بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّةَ :

أنّ إبراهيمَ بنَ المهدىّ لَقِىَ أبا سَعيد مولَى فائد ؛ وذكر الخبرَ بمثل الذى قبله ، وزاد فيه : فقال له : اشْخَصْ معى إلى بغداد، فلم يفعل . فقال : ما كنت لآخذك بما لا تُحِبّ ، ولو كان غيرُك لأكرهتُه على ما أُحِبُّ ، ولكن دُلّنى على مَنْ ينوب

(١) فى ب ، س : «إسحاق» ، وهو تحريف .

عنك. فدلّه على ابن جامع، وقال له: عليكَ بغلامٍ من بنى سَهْمٍ قد أخذ عنّى وعن نُظَرائى وتخرّج، وهو كما تُحِبّ. فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغدادَ؛ فهو الذى كان سببَ وروده إيّاها.

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

صوت

من المائة المختارة

لقد طُفْتُ سبعًا قلتُ لمّا قَضَيْتُها * ألَا ليت هذا لا علىّ ولا لِيَا

يُسَائلنى صَحْبِى فما أَعقِلُ الّذى * يقولون من ذِكْرٍ لليلَى اعترانيا

عروضه من الطويل. ذكر يحيى بن علىّ أنّ الشعر والغناء لأبى سعيد مولى فائد، وذكر غيرُه أنّ الشعر للمجنون. ولحنُه خفيف رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار. وذكر حبشٌ أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخر. والذى ذكر يحيى بن علىّ من أنّ الشعر لأبى سعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمىّ أنّه أنشده لأبى سعيدٍ مولى فائد. قال عمّى: وأنشدنى هذا الشعر أيضا أحمد بن أبى طاهر عن أبى دِعَامةَ لأبى سعيد. وبعد هذين البيتين اللّذين مَضَيا هذه الأبياتُ:

إذا جئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابن عامرٍ[1] * فأقْرِئْ غزالَ الشِّعْبِ منّى سَلاميَا

وقُلْ لغزالِ الشِّعْبِ هل أنتَ نازلٌ * بشِعْبِكَ أم هل يُصْبِحُ[2] القلبَ ثاويا

لقد زادنى الحُجَّاجُ شوقًا إليكمُ * وقد كنتُ قبل اليوم للحجّ قاليا

وما نظرتْ عينى إلى وجه قادمٍ * من الحجّ إلّا بَلَّ دمعى ردائيا

(١) شعب بنى عامر: ماء أوله الأُبُلّة، كما فى معجم ياقوت.

(٢) لعل الأوجه: «أم هل تصبح» بالخطاب.

فى البيت الأوّل من هذه الأبيات ، وهو :

* إذا جئتَ باب الشعب شعب ٱبن عامر *

[لحن] لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ عن الهِشَامىّ .

ومنها :

صـــوت

إنّ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ * نَشَر المجدَ بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وَثِيقٍ * وعِمَادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا
مثلَ ما قد بنَى له أوَّلُوه * وكذا يُشْبِه البُنَاةَ البُنَاتا

عروضُه من الخفيف . الشعر والغناء لأبى سعيد مولى فائد . ولحنُه رَمَلٌ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صـــوت

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ لقدومه * أرضُ الحجاز وبان فى الأشجارِ
إنّ الطويلَ مِنَ آل حَفْصٍ فٱعلموا * ساد الحُضُورَ وساد فى الأسفارِ

الشعر والغناء لأبى سعيد .

ومنها :

صـــوت

أيّها الطالب الذى يَخْبِطُ الأرْ * ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ * إن تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

١٥

٨٩
٤

عروضُه من الخفيف . الشعر لأبي سَعيد مولى فائد، وقيل : إنّه للدّارِميّ .
والغناء لأبي سعيد خفيفُ ثقيلٍ . وفيه للدّارِميّ ثاني ثقيل .

الطويلُ من آل حفص الذي عناه الشعراءُ في هـذه الأشعار ، هو عبـد الله
ابن عبد الحميـد بن حَفْص، وقيل : ابنُ أبي حفص بن المُغيرة المَخزوميّ ،وكان
٥ مُمَـدَّحا .

مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزومي

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثنا
عبد الرحمن آبن أخي الأصمعيّ عن عمّه :

أنّ عبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ ، كان يُعطي الشعراءَ فيُجْزِل، وكان مُوسِرًا،
وكان سبب يَساره ما صار إليه من أُمّ سَلَمَةَ المخزوميّة آمرأةِ أبي العبّاس السفّاح ؛
١٠ فإنّه تزوّجها بعده ، فصار إليه منها مالٌ عظيم ، فكان يتسمّح به ويتفتّى[(١)] ويتّسع
في العطايا . وكانت أُمّ سلمة مائلةً إليه ، فأعطته ما لا يُدْرَى ما هو، ثم إنّها اتّهمته
بجاريةٍ لها فاحتجبتْ عنه ، فلم تَعُدْ إليه حتّى مات . وكان جميلَ الوجه طويلا .
وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد :

إنّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ * نشرَ المجـدَ بعـد ما كان ماتا

١٥ وفيه يقول الدّارِميّ :

أيُّها السائل الذي يَخبِـط الأر * ضَ دَعِ النـاسَ أجمعين ورا كا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ * إنْ تخوّفتَ عَيْـلةً أو هلاكا

وفيه يقول الدّارميّ أيضـا :

صـوت

٢٠ إنّ الطـويلَ إذا حَلَلْتَ به * يومًا كفاكَ مؤونةَ الثِّقَـلِ

(١) يتفتّى : يتسخّى .

— ويروى : * ابن الطويل إذا حللت به * —

وحللتَ فى دَعَةٍ وفى كَنَفٍ * رَحْبِ الفِناء ومنزلٍ سَهْلِ

غنّاه ٱبنُ عبّاد الكاتب، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ٱبن المكىّ .

غنى إبراهيم بن المهدى فى المسجد

فأمّا خبرُ إبراهيم بنِ المهدىّ مع أبى سَعيد مولى فائد الذى قلنا إنّه يُذْكَر هاهنا، فأخبرنى به الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى القَطرانىّ المغنّى قال حدّثنى ٱبن جَبْر قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن المهدىّ يقول : كنت بمكّةَ فى المسجد الحرام، فإذا شيخٌ قد طلَع وقد قلَب إحدى نعليه على الأُخْرى وقام يصلّى؛ فسألتُ عنه فقيل لى : هذا أبو سعيد مولى فائد. فقلتُ لبعض الغِلْمان : احْصِبْه فحَصَبه؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلّا أنّه له . فقلت للغلام : قُلْ له : يقول لك مولاى : أبْلِغْنى؛ فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاى إبراهيم بن المهدىّ ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد؛ وقام فجلس بين يدىّ ، وقال : لا والله — بأبى أنت وأُمّى — ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك ! أخْبِرْنى عن هذا الصوت :

أفاضَ المدامعَ قتلَى كُدًى[1] * وقتلَى بكُثْوةَ[2] لم تُرْمَسِ

(١) كذا فى أكثر الأصول . وكدى (بالضم والقصر) : موضع بأسفل مكة عند ذى طوى بقرب شعب الشافعيين ، وكدى (منقوصة كفتى) : ثنية بالطائف . وفى حـ كداء (كسماء) : اسم لعرفات أو جبل بأعلى مكة . والشاعر يريد موضعا بعينه من هذه المواضع كانت به وقعة وقتلى ، وكل منها يحتمله وزن الشعر .

(٢) كثوة (بالضم) : موضع .

قال : هو لي . قلت : وربِّ هـذه البَنِيَّة لا تبرحُ حتى تُغنِّنيه . قال : وربِّ هـذه البنِيَّة لا تبرح حتّى تسمَعَه . قال : ثم قَلَب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأُخرى ، وجعل يقرع بحرفها على الأُخرى ويُغنِّيه حتّى أتى عليه ، فأخذتُه منه . قال ابن جبر : وأخذتُه أنا من إبراهيم بن المهديّ .

٩٠
٤

رد محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها وصار يذهب اليه لسماعها

٥ أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني دنية المَدَنيّ (١) صاحب العبّاسة بنت المهديّ ، وكان آدبَ مَنْ قَدِم علينا من أهل الحجاز :

أنّ أبا سعيد مولى فائد حضر مجلسَ محمد بن عمران التَّيْميّ قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدِّما لأبي سعيد . فقال له ابنُ عمران التيميّ : يا أبا سعيد

١٠ أنت القائل :

لقد طفتُ سبعًا قلتُ لمّا قضيتُها * ألَا ليت هـذا لا علَيَّ ولا ليا

فقال : إي لَعَمْرُ أبيك ، وإني لأُدْمِجه إدماجًا من لؤلؤ . فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مُغْضَبًا وحلف ألّا يشهد عنده أبدا . فأنكر أهل المدينة على ابن عمران ردَّه شهادتَه ، وقالوا : عرّضتَ حقوقَنا للتَّوى (٢)

١٥ وأموالَنا للتلف ؛ لأنا كنّا نُشهِد هذا الرجلَ لعلمنا بما كنتَ عليه والقضاةُ قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فندم ابنُ عمران بعد ذلك على ردّ شهادته ، ووجّه إليه يسأله حضورَ مجلسه والشهادةَ عنده ليقضيَ بشهادته (٣) ؛ فامتنع ، وذكر أنه لا يقدر على

(١) كذا في ب ، سـ . وفي حـ : « دينـة المدني » بتقديم الياء المثناة على النون . وقد ورد في ء ، ط هكذا : « دسه المدني » بدون نقط . (٢) كذا في ب ، حـ ، سـ . والتوى (وزان

٢٠ الحصى ، وقد يمدّ ـــ كما في المصباح) : الهلاك . وفي سائر الأصول : « الثوى » بالثاء المثلثة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا في ء ، ط . وفي سائر النسخ : « يسأله حضور الشهادة في مجلسه ليقضي بشهادته الخ » .

حضور مجلسه ليمينٍ لزِمتْه إن حضَره حَنِثَ . قال : فكان ابنُ عمران بعد ذلك ، إذا ادّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبى سعيدٍ ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتّى يسمَعَ منه ويسألَه عما يشهَد به فيُخبره. وكان محمد بن عمران كثيرَ اللحْم، عظيمَ البطن ، كبيرَ العَجيزة ، صغيرَ القَدَمين ، دقيقَ الساقين ، يشتدّ عليه المشى، فكان كثيرا ما يقول : لقد أتعبنى هـذا الصوت « لقد طفتُ سبعًا » وأضرَّ بى ضررًا طويلا شديدا ، وأنا رجلٌ ثَقَالٌ ، بتردّدى إلى أبى سعيد لأسمعَ شهادتَه . ٥

ردّ المطلب بن حنطب شهادته فقال له شعرا فقبلها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثَم بن عَدِىٍّ قال :

كان المُطَّلبُ بن عبدالله بن حَنْطَبٍ قاضيًا على مكّةَ ، فشَهِد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ؛ فقال له المطّلب : [وَيْحَكَ !](١) ألستَ الذى يقول : ١٠

لقد طفتُ سبعًا قلتُ لمّا قضيتُها * ألاَ ليت هـذا لا علىَّ ولا ليا

لا قَبِلتُ لك شهادةً أبدا . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذى أقول :

كأنّ وُجوهَ الحَنْطَبِيِّين(٢) فى الدُّجَى * قناديلُ تَسْقِيها السَّلِيطَ(٣) الهياكلُ

فقال الحنطبىّ : إنّك ما علمتُك إلاّ دبّابًا حول البيت فى الظُّلَم ، مُدْمِنًا للطّواف به فى الليل والنهار ؛ وقَبِل شهادته . ١٥

(١) زيادة عن م .

(٢) الحنطبيون : بطن من مخزوم ، ينسبون الى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشى الصحابى .

(٣) السليط : الزيت وكل دهن عصر من حب .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذى فى حديث إبراهيم بن المهدىّ وخبره

صوت

أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كُدًى * وقَتْلَى بكُثْوَةَ لم تُرْمَسِ

وقَتْلَى بِوَجٍّ (١) وباللَّابَتَيـ * ـنِ (٢) من يَثْرِبٍ خيرُ ما أَنْفُسِ

وبالزَّابِيَيْنِ (٣) نفوسٌ ثَوَتْ * وأُخْرَى بنهر أبى فُطْرُسِ (٤)

أولئك قومى أناخَتْ بهم * نوائبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ

إذا رَكِبوا زيَّنوا المَوْكِبَيْنِ * وإن جَلَسوا الزَّيْنُ فى المجلسِ

هُمُ أضرعونى لريب الزَّمانِ * وهُمْ أَلْصَقُوا الرَّغْمَ (٥) بالمَعْطِسِ

عروضه من المتقارب. الشعر للعَبْلِىّ (٦)، واسمه عبد الله بن عُمَر، ويُكْنَى أباعدِىّ، وله أخبار تُذْكَر مفردةً فى موضعها إن شاء الله. والغناء لأبى سَعيد مولى فائد، ولحنُه من الثقيل الثانى بالسبّابة فى مجرى البِنْصر. وقصيدةُ العَبْلِىّ أوّلُها:

(١) وج: اسم واد بالطائف. (٢) اللابتان: تثنية لابة وهى الحرة، وهما حرتان تكتنفان المدينة. وفى الحديث: أن النبى صلى الله عليه وسلم حرّم ما بين لابتيها؛ يعنى المدينة. والحرة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أُحرقت بالنار. (٣) الزابيان: تثنية زاب، وربما قيل فيه: «زابى» (بياء فى آخره) فيثنى على «زابيين». وهو اسم لروافد كثيرة. ولعل الشاعر يريد الزاب الأعلى الذى بين الموصل وإربل. وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار بن محمد وبنى العباس؛ أو الزاب الأسفل وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة، وعليه كان مقتل عبيد الله بن زياد وهو من بنى أمية. (انظر معجم ياقوت).

(٤) كذا فى حـ، م. ونهر أبى فطرس: نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثنى عشر ميلا من الرملة، ومخرجه من أعين فى الجبل المتصل بنابلس، ويصب فى البحر الملح بين يدى مدينتى أرسوف ويافا؛ وبه كانت الوقعة التى بين عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس وبين بنى أمية، فقتلهم فى سنة ١٣٢. وفى سائر الأصول: «نهر أبى بطرس» بالباء الموحدة، وهو تحريف.

(٥) الرغم (مثلث الراء): التراب. والمعطس (كمجلس ومقعد): الأنف.

(٦) فى ى، ط، م: «عمرو». وهو تحريف.

تقول أُمامةُ لمّا رأتْ * نُشوزى عن المَضْجَع الأنْفَس

أنشد عبد الله بن عمر العبلى عبد الله ابن حسن شعره فى رثاء قومه فبكى

نسخت من كتاب الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار، وأخبرنى الأخفش عن المُبَرّد عن المُغيرة بن محمد المُهَلّبىّ عن الزُّبير عن سليمانَ بن عيّاش[1] السَّعْدىّ قال:

جاء عبد الله بن عُمَرَ العَبْلىّ إلى سُوَيْقةَ[2] وهو طريدُ بنى العبّاس؛ وذلك بعَقِب[3] أيّام بنى أُميّة وٱبتداء خروج مُلْكهم إلى بنى العبّاس، فقصَد عبدَ الله وحسناً ٱبنَى الحسن بن حَسَنٍ بسُوَيْقةَ، فٱستنشده عبدُ الله بن حسنٍ شيئا من شعره فأنشده، فقال له: أُريد أن تُنْشِدَنى شيئا مما رثيت به قومك[4]؛ فأنشده قولَه:

تقول أمامةُ لمّا رأتْ * نُشوزى عن المَضْجَع الأنْفَسِ
وقِلّةَ نَوْمى على مضجعى * لدى هَجْعةِ الأعْيُنِ النُّعَّسِ
أبى ما عَرَاكَ؟ فقلتُ الهُموم * عَرَوْنَ[5] أباكِ فلا تُبْلِسى[6]
عَرَوْنَ أباكِ فحبَّسْنَه * من الذُّلّ فى شَرّ ما مَحْبِسِ
لفَقْدِ الأحِبّةِ إذ نالها * سِهامٌ من الحَدَثِ المُبْلِسِ[7]
رمتْها المَنُونُ بلا نُكَّلٍ * ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ
بأسْهُمِها المُتْلِفاتِ النفوسَ * متى ما تُصِبْ مُهْجةً تَخْلِسِ
فصَرَّعَتْهُمْ فى نَواحى البلادِ * مُلَقًّى بأرْضٍ ولم يُرْمَسِ[8]

(١) كذا فى سه، م . وفى سائر الأصول: «عباس» . (٢) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علىّ بن أبى طالب . (٣) كذا فى ى، ط . وفى سائر النسخ: «بعقب آخر أيام بنى أمية الخ» . (٤) فى ى، ط، م: «بنى أمية» . (٥) فى ى، ط، م: «عرين» وعراه يعريه ويعروه (من بابى ضرب ونصر): غشيه . (٦) لاتبلسى: لاتحزنى . (٧) فى حـ: «الحدث المونس» . (٨) فى م: «ترمس» وصوابه: «يرمس» بالياء . والرمس والرس: الدفن . وفى الحادى عشر (ص ٢٩٨ من هذه الطبعة): فصرعاهم فى نواحى البلا * د تلقى بأرض ولم ترمس

تَـقِىٌّ[1] أصِـيبَ وأثـوابُهُ * من العَيْبِ والعـارِ لم تَدْنَسِ
وآخَرُ قـد دُسَّ فى حُفْـرةٍ * وآخر قـد طـار لم يُحْسَسِ
إذا عنّ ذِكـرُهُمُ لم يَـنَمْ * أبـوكِ وأَوْحَش فى المَجْـلِسِ
فـذاك الذى غالـنِى[2] فاعلمى * ولا تسـألى بأمرئٍ مُتْعَسِ
٥ أذلُّوا قنـاتِى لمن رامَهـا * وقد أَلْصَقُـوا الرَّغْم بالمَعْطِسِ

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وإنّ دموعه لتجرى على خَدّه .

غنى الرشيدَ وكان مغضبا فسكن غضبه

وقد أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمـد بن الحارث الخرّاز[3] عن المدائنىّ عن إبراهيم بن ربَاح قال :

عُمِّر أبو سـعيد بن أبى سِنّة مولى بنى أُمَيَّة وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان
١٠ إلى أيّام الرشيد ، فلمّا حجّ أحضَره فقال : أَنشِدْنى قصيدتَك :

* تقـول أُمامـةُ لمّـا رأتْ *

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لَحْنَه فى أبياتٍ منها، أوّلُها :

* أفاضَ المدامعَ قَتْـلَى كُدًى *

وكان الرشـيدُ مُغْضَبا فسكَن غَضَبُه وطَرِب ، فقال : أَنشِدْنى القصيدة . فقال :
١٥ يا أمير المؤمنين، كان القومُ مَوَالِىَّ وأنعموا علىّ، فرثيتُهم[4] ولم أَهْجُ أحدًا، فتركه .

---

(١) فى م : « نقىّ » . (٢) فى حـ : « عالنى » . (٣) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٧ من الجزء الثالث من هذا الكتاب . (٤) يلاحظ هنا أن أبا الفرج قد نسب قصيدة :

* تقول أمامـة لمـا رأت *

لأبى سعيد بن أبى سـنة ، مع أنه فى الخـبر الذى تقدّمه نسبها لعبد الله بن عمر العبلىّ ، وسينسبها إليه بعد
٢٠ أسطر ، كما نسبها إليه أيضا فى ترجمته الخاصة به فى (ج ١١ ص ٢٩٣ — ٣٠٩ من هذه الطبعة) .

كان ابن الأعرابى ينشد شعر العبلى فصحفه فرده أبو هفان

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا الحَزَنْبَل قال :

كنّا عنــد ابن الأعرابىّ وحضَر معنا أبو هِفّان[١]، فانشدَنا ابنُ الأعرابىّ عمّن أنشده قال : قال ابنُ أبى سبة العبلىّ[٢] :

أفاضَ المدامعَ قَتْــلَى كذا * وقتْــلَى بكبوة لم تُرْمَس

فغَمَز أبو هِفّان رجلاً وقال له : قُلْ له : مامعنى "كذا" ؟ قال : يريد كثرتهم. فلمّا قُمْنا قال لى أبو هِفّان : أسَمِعتَ إلى هذا المُعْجَب الرَّقيع! صحّفَ اسمَ الرجل، هو ابن أبى سنّة، فقال : ابن أبى سبّة ؛ وصحّف فى بيت واحدٍ موضعين، فقال : «قتْلَى كذا» وهو كُدًى، و«قتلى بكبوة» وهو بكُثْوَة. وأغاظُ علىّ من هذا أنه يفسّر تصحيفَه بوجهٍ وَقَاحٍ. وهذا الشعر الذى غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عَدِىّ عبدالله بن عُمَر العَبَلىّ فيمن قَتَله عبدُ الله بن علىّ بنهر أبى فُطْرُس وأبو العبّاس السفّاح أميرُ المؤمنين بعدهم من بنى أُمَيّةَ. وخبرُهم والوقائع التى كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرُها جداًّ. ونذكر هاهنا مايُستَحْسَنُ منها.

---

(١) أبو هفان : كنية عبد الله بن أحمد المهزمى ، كما فى معجم ياقوت فى كلامه على « كثوة ».

(٢) كذا فى جميع الأصول. ويلاحظ أن « العبلىّ » ليس نسبة لأبى سنة ، وإنما هو نسبة لأبى عدىّ عبد الله بن عمر صاحب هذا الشعر، كما سيذكره المؤلف فى هذا الخبر بعد قليل.

[ذِكْرُ[1] مَنْ قَتَلَ أبو العبّاس السفّاح من بنى أُمَيّة]

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى مُسَبِّح بن حاتم العُكْلِىّ[2] قال حدّثنى الجَهْم ابن السَّبّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علىّ، قال :

مقتل مروان بن محمد وظفر عبد الصمد بن على برأسه

لمّا آستمرّت الهزيمةُ بمَرْوان، أقام عبدُ الله بن علىّ بالرِّقّة، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد فى طلبه فصار إلى دِمَشْق، وأتبعه جيشًا عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قُوّاد خُرَاسانَ، فلحقه وقد جاز مصرَ فى قرية تُدْعَى بُوصِير[3]، فقتله، وذلك يومَ الأحد لثلاثٍ بَقِين من ذى الحِجّة، ووجّه برأسه إلى عبد الله بن علىّ، فأنفذه عبدُ الله بن علىّ إلى أبى العباس. فلمّا وُضع بين يديه خرّ لله ساجدا، ثم رفع رأسَه وقال : الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يُبْقِ ثأرى قِبَلَك وقِبَلَ رَهْطك أعداءِ الدّين؛ ثم تمثّل قولَ ذى الإصْبَع العَدْوانىّ :

لو يَشْرَبون دَمِى لم يُرْوِ شارِبَهم * ولا دِماؤهُمُ للغَيْـظِ تُرْوِينى[4]

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى محمد بن يزيد قال :

أمن عبد الله بن على آبن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل

نظر عبدُ الله بن علىّ إلى فتًى عليه أُبّهةُ الشَّرَف وهو يُقاتل مُسْتَنْتِلًا[5]، فناداه : يا فتى، لك الأمانُ ولو كنتَ مَرْوان بن محمد. فقال : إلّا أكُنْه فلستُ بدونه. قال : فلك الأمانُ مَنْ كنتَ. فأطرقَ ثم قال :

(١) زيادة عن ب، سـ . (٢) فى م : « مسبح بن حاتم العتكى » .

(٣) هى بوصير قوريدس من أعمال الفيوم التى قتل بها مروان المذكور، كما فى تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل (ص ١٠٧ طبع أوربا) ومعجم البلدان لياقوت فى كلامه على « بوصير » . وفى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٩٦ طبع بيروت) أنه « قتل ببوصير من كورة الأشمونين يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة » . وكورة الأشمونين من كور الصعيد الأدنى غربى النيل، كما فى معجم ياقوت . وفى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٣١٧ طبع دار الكتب المصرية) أنه قتل ببوصير بالجيزة . (٤) ورد هذا البيت فى الأمالى (ج ١ ص ٢٥٦ طبع دار الكتب المصرية) فى قصيدة ذى الإصبع العدوانىّ هكذا :

لو تشربون دمى لم يرو شاربكم * ولا دماؤكم جمعا ترويني

(٥) كذا فى سـ . والمستنتل : الخارج من الصف المتقدم على أصحابه . وفى سائر الأصول : « مستقتلا » .

أَذُلَّ الحياةِ وكُرْهَ المَماتِ * وكُلًّا أرى لك شَرًّا وَبِيلَا

— ويروى : * وكلًّا أراه طعاما وَبِيلا * —

فإنْ لم يكن غيرُ إحداهما * فسَيْرًا إلى الموت سَيْرًا جَمِيلَا

ثم قاتل حتى قُتِل . قال : فإذا هو ٱبنُ مَسْلَمَةَ (1) بن عبد الملك بن مَرْوان .

اجتمع عند السفاح جماعة من بنى أمية فأنشده سديف شعرا يغريه بهم فقتلهم وكتب الى عماله بقتلهم

أخبرنى عمِّى قال حدّثنى محمد بن سَعْد الكُرَانىّ قال حدّثنى النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطِىّ ، وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال قال أبو السائب سَلْم بن جُنَادَةَ السُّوَائىّ (2) سمعتُ أبا نُعَيم الفضلَ بن دُكَيْن يقول :

دخل سُدَيْفٌ — وهو مولًى لآل أبى لَهَب — على أبى العبّاس بالحيرة . هكذا قال وَكيع . وقال الكُرَانىّ فى خبره واللفظُ له : كان أبو العبّاس جالسًا فى مجلسه على سريره وبنو هاشم دونَه على الكَرَاسىّ ، وبنو أُمَيّة على الوسائد قد ثُنِيتْ لهم ، وكانوا فى أيّام دَوْلتهم يجلسون هم والخلفاءُ منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكَرَاسىّ ؛ فدخل الحاجبُ فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب رجلٌ حجازىّ أسود راكبٌ على نَجِيبٍ متلثّمٌ يستأذن ولا يُخْبِر بٱسمه ، ويحلف ألّا يَحْسِرَ اللِّثام عن وجهه حتّى يراك . قال : هذا مولاى سُدَيْف ، يدخل ، فدخل . فلمّا نظر إلى أبى العبّاس وبنو أُمَيّة حولَه ، حَدَرَ (3) اللِّثام عن وجهه وأنشأ يقول :

٩٣ / ٤

(1) فى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية) بعد ذكر هذين البيتين : «فإذا هو ابن عبد الملك ، وقيل : ٱبن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم» . (2) السوائىّ (بالضم والتخفيف والهمز) : نسبة الى سُوَاءة بن عامر بن صعصعة . (3) اتفق الكامل للبرد (ص ٧٠٧ طبع أوربا) والعقد الفريد (ج ٢ ص ٣٥٦ طبع مصر) على أن قائل هذا الشعر هو شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم . ويؤكد هذا الشعر نفسه ؛ إذ يقول فيه ، على رواية ، :

نِعْمَ شِبلُ الهِرَاش مولاكَ شِبلٌ * لو نجا من حبائل الإفلاس

وٱتفقا أيضا على أن شعر سديف هو :

لا يغرّنك ما ترى من أُناس * إن تحت الضلوع داء دوِيّا

فضع السيف وٱرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

وٱختلفا فيمن أنشد بين يديه هذا الشعر؛ ففى العقد الفريد أنه أبو العباس السفاح ، وفى الكامل أنه عبد الله بن علىّ ،

أصبح المُلْكُ ثابتَ الآساسِ * بالبَهاليـل(١) من بنى العبّاسِ
بالصدورِ المُقَدَّمين قديمًا * والرُّءوس القَماقِمِ الرُّؤَاسِ(٢)
يا أميرَ المُطَهَّرِينَ مِنَ الذّمّ * ويارأسَ منتهى كلِّ راسِ
أنت مَهْدِىٌّ هاشمٍ وهُدَاها * كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعد إياسِ(٣)
لا تُقيلَنّ عبدَ شمسٍ عِثَارًا * وٱقْطَعَنْ كلَّ رَقْلةٍ(٤) وغِراسِ
أنْزِلُوها بحيث أنزلَها اللهُ * بدار الهَوَانِ والإتْعاسِ
خَوْفُهم أظهرَ التَّوَدُّدَ منهمْ * وبهم منكمُ كَحَزِّ المَوَاسِى
أَقْصِهم أيُّها الخليفةُ وٱحْسِمْ * عنك بالسّيف شأْفَةَ الأَرْجاسِ
وٱذْكُرَنْ(٥) مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزيدٍ(٦) * وقتيلٍ(٧) بجانب المِهْراسِ(٨)
والإمامَ الذى بحَرّانَ(٩) أمْسَى * رَهْنَ قبرٍ فى غُرْبةٍ وتَناسِى
فلقد ساءنى وساء سَوائى * قُرْبُهُمْ من نَمارِقٍ وكَرَاسِى
نِعْمَ كَلْبُ(١٠) الهَرَاشِ مولاك لولا * أَوْدٌ(١١) من حبائل الإفلاسِ

(١) البهاليل : جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير، أو هو الحيّ الكريم . (٢) الرؤاس : الولاة والحكام . (٣) فى ى ، ط : * كم أناس رجوك بعد أناس *

(٤) الرقلة : النخلة الطويلة التى تفوت اليد . (٥) فى الكامل : «واذكروا» .

(٦) هو زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، قتل فى أيام هشام بن عبد الملك .

(٧) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « وقتيلا » . ويعنى به حمزة بن عبد المطلب ، قتله يوم أُحد وحشىّ غلام جبير بن مطعم . (٨) المهراس فيما ذكر المبرد : ماء بأُحد؛ روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عطش يوم أُحد فجاءه علىّ فى درقة بماء من المهراس ، فعافه وغسل به الدم عن وجهه . قال المبرد فى الكامل : وإنما نسب شبل قتل حمزة إلى بنى أُمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أُحد . (٩) الإمام الذى بحرّان : هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية ، وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أُمية صبرا . (١٠) فى الكامل والعقد الفريد :

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الإفلاس

(١١) الأود هنا : الكد والتعب والجهد .

فتغيّر لونُ أبى العبّاس وأخذه زَمعٌ[(١)] ورِعْدة ؛ فالتفتَ بعضُ وَلَد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم، وكان إلى جَنْبه، فقال: قَتَلَنا واللهِ العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال : يا بَنى الفَوَاعل ، أرَى قَتْلَاكم من أهلى قد سَلَفُوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون فى الدنيا ! خُذُوهم ! فأخذتهم الخُرَاسانيّة بالكافركوبات[(٢)]، فأُهْمِدُوا، إلّا ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فإنّه آستجار بدَاوُد بن علىّ وقال له : إنّ أبى لم يكن كآبائهم وقد علمتَ صنيعتَه إليكم ؛ فأجارَه وآستوهبه من السفّاح، وقال له : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا . فوهَبه له وقال له : لا تُرِينى وجهَه، وليكن بحيث تأمَنُه ؛ وكتب إلى عُمّاله فى النواحى بقَتْل بنى أُمَيّة .

سبب قتل السفاح لبنى أمية وتشفيه فيهم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمد بن سعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا الزُّبَير ابن بَكّار عن عمّه :

أنّ سببَ قَتْل بنى أُمَية : أنّ السفاح أُنشِدَ قصيدةً مُدِح بها ، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا ممـا مُدِحتم به ! فقال : هيهاتَ! لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قَيْس الرُّقَيّات فينا :

ما نَقَمُوا من بنى أُمَيّة إلّا * أنّهم يَحْلُمون إنْ غَضِبوا
وأنّهم مَعْدِنُ المُلوك ولا * تَصْلُحُ إلّا عليهمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماصّ كذا من أُمّه ! أوَ إنّ الخلافةَ لَفِى نَفْسِك بعدُ ! خُذُوهم ! فأُخِذُوا فقُتِلوا .

بسط السفاح على قتلاهم بساطا تغدى عليه وهم يضطربون تحته

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطِىّ :

(١) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان .

(٢) فى حـ : « بالكفر كوبات » . ولعله اسم أعجمىّ لآلات يضرب بها كالعمد وغيرها .

٩٤
٤

أنّ أبا العباس دعا بالغَدَاء حين قُتِلوا ، وأَمَر بِبِسَاطٍ فبُسِط عليهم ، وجلَس فوقَه يأكل وهم يضطربون تحته . فلمّا فرَغ من الأكل قال : ما أعلمُنى أكلتُ أَكْلةً قطُّ أهْنأَ ولا أطْيَبَ لنفسى منها . فلمّا فرَغ قال : جُرُّوا بأَرْجُلِهم ؛ فأُلْقُوا فى الطريق يَلْعَنُهم الناسُ أمواتاً كما لعنوهم أحياء . قال : فرأيتُ الكلابَ تجرّ بأَرْجُلِهم وعليهم سَرَاوِيلاتُ الوَشْى حتى أَنْتَنُوا ؛ ثم حُفِرتْ لهم بئرٌ فأُلْقُوا فيها .

٥

أنشد ابن هرمة داود بن على شعرا وأوغر صدره على بعض أمويين فى مجلسه

أخبرنى عُمَر بن عبد الله بن جَمِيل العَتَكِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن مَعْنٍ الغِفَارِىّ عن أبيه قال :

لمّا أقبلَ داودُ بن علىّ من مكةَ أقبلَ معه بنو حسنٍ جميعًا وحسينُ بن علىّ بن حسين وعلىُّ بن عُمَر(١) بن علىّ بن حسين وجعفرُ بن محمد والأَرْقَطُ محمد بن عبد الله وحسينُ بن زَيْد ومحمدُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبدُ الله بن عَنْبسةَ بن سعيد ابن العاصى وعُرْوةُ وسعيدُ ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعُمِل لداودَ مجلسٌ بالرُّوَيثَة(٢) ، فجلَس عليه هو والهاشميّون ، وجلَس الأُمَوِيُّون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمةَ قصيدةً يقول فيها :

١٠

فلا عَفَا اللهُ عن مَرْوانَ مَظْلِمةً * ولا أُمَيّةَ بئس المجلسُ النّادى(٣)

كانوا كعادٍ فأمسَى اللهُ أهلكهم * بمثلِ ما أهلكَ الغَاوِين من عادِ

فلن يُكَذِّبَنِى من هاشمٍ أحدٌ * فيما أقول ولو أكثرتُ تَعْدَادى

١٥

(١) كذا فى ط ، م ، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ٣ ص ١٩١ طبع أوروبا) . وفى ى : «على ابن عمرو بن على بن حسين» . وفى سائر الأصول : «على بن محمد بن على بن حسين» ، وهما تحريف .

(٢) الرويثة : موضع على ليلة من المدينة . (٣) فى ب ، س ، م : «البادى» بالباء الموحدة .

قال : فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة . فلما قام قال عبد الله [ابن حسن] (١) لأخيه حسن : أما رأيت ضحكته إلى ابن عنبسة! الحمد لله الذى صرفها عن أخى (٢) (يعنى العثمانى) . قال : فما هو إلا أن قدم (٣) المدينة حتى قتل ابن عنبسة .

استحلف عبد الله ابن حسن داود ابن على ألا يقتل أخويه محمدا والقاسم

قال محمد بن معن حدثنى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : ٥

استحلف أخى عبد الله بن حسن داود بن على، وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن حسن ألا يقتل أخويه محمدا والقاسم ابنى عبد الله . قال : فكنت أختلف إليه آمنا وهو يقتل بنى أمية، وكان يكره أن يرانى أهل خراسان ولا يستطيع إلى سبيلا ليمينه . فاستدنانى يوما فدنوت منه ، فقال : ما أكثر الغفلة وأقل الحزمة! فأخبرت بها عبد الله بن حسن؛ فقال : يابن ١٠ أم، تغيب عن الرجل؛ فتغيبت عنه حتى مات .

أنشد سديف السفاح شعرا وعنده رجال من بنى أمية فأمر بقتلهم

أخبرنى الحسن بن على ومحمد بن يحيى قالا حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال حدثنى إسماعيل بن إبراهم عن الهيثم بن بشر مولى محمد بن على قال :

أنشد سديف أبا العباس ، وعنده رجال من بنى أمية ، قوله :

يابن عم النبى أنت ضياء * استبنا بك اليقين الجليا ١٥

فلما بلغ قوله :

جرد السيف وارفع العفو حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

لا يغرنك ما ترى من رجال * إن تحت الضلوع داء دويا

بطن البغض فى القديم فأضحى * ثاويا فى قلوبهم مطويا

(١) زيادة عن حـ . (٢) هو أخوه لأمه، كما ذكر ذلك فى كتب التاريخ . ٢٠

(٣) فى ب ، سـ : « فما هو إلا أنه ما قدم المدينة الخ » .

وهى طويلة، قال (١) : يا سُدَيف، خُلِق الإنسان من عَجَل، ثم قال :

٩٥ / ٤

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفُوا * فلن تَبِيدَ وللآباءِ أبناءُ

ثم أَمَر بمن عنده منهم فقُتِلوا .

حضرَ سليمان بن على جماعة من بنى أمية فأمر بقتلهم

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد بن سليمانَ النَّوْفَلىّ عن أبيه عن عمومته :

أنّهم حضروا سليمانَ بن علىّ بالبَصْرة ، وقد حضره جماعةٌ من بنى أُمَيّة عليهم الثِّياب المَوْشِيّة المرتفعة، فكأنّى أنظر إلى أحدهم وقد آسودّ شيبٌ فى عارضَيْه من الغَالِية (٢) ، فأَمَر بهم فقُتِلوا وجُرُّوا بأرْجُلهم، فأُلْقُوا على الطريق ، وإنّ عليهم لَسَراوِيلاتِ الوَشْى والكِلابُ تجرّ بأرجلهم .

وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن على يسأله الأمان فأجابه اليه

١٠ أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن عمرو (٣) قال أخبرنى طَارِقُ بن المُبَارَك عن أبيه قال :

جاءنى رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبَةَ، فقال لى : يقول لك عمرو : قد جاءتْ هذه الدولةُ وأنا حديث السنّ كثيرُ العيال منتشرُ المال، فما أكون فى قبيلة إلّا شُهِرَ أَمْرى وعُرِفتُ ، وقد آعتزمتُ على أن أَفْدِىَ حُرَمِى بنفسى؛ وأنا صائرٌ إلى

١٥ باب الأمير سليمانَ بن علىّ، فصِرْ إلىّ . فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسَانٌ مُطْبِقٌ أبيض وسَرَاوِيلُ وَشْيٍ مسدول، فقلتُ : يا سبحانَ الله! ما تصنعَ الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللباسِ تلقَى هؤلاء القومَ لِمَا تُريد لقاءَهم فيه ! فقال : لا والله، ولكنّه ليس عندى ثوبٌ إلّا أَشْهَر مما ترى (٤) . فأعطيتُه طَيْلَسانى وأخذتُ طيلسانَه ولَوَيْتُ سَراوِيلَه إلى

(١) فى الأصول : «فقال» . (٢) الغالية : ضرب من الطيب . (٣) فى حـ، م : «محمد بن عبد الله بن عمر» . (٤) كذا فى ى، ط، م . وفى سائر النسخ : «إلا أشهر من هذه» .

رُكْبتيه ؛ فدخل ثم خرج مسرورا . فقلت له : حَدِّثْنى ما جرى بينك و بين الأمير .
قال : دخلتُ عليه ولم تَترَاءَ قطُّ ، فقلتُ : أصلح الله الأمير! لفظتْنى البلادُ إليك ،
ودلَّنى فضلُك عليك ؛ فإمّا قتلتنى غانمًا ، وإمّا رددْتَنى سالمًا . فقال : ومَنْ أنت ؟
ما أعرِفك ؛ فآنتسبتُ له . فقال : مرحبًا بك ، أُقْعُدْ فتكلّمْ آمنًا غانمًا ؛ ثم أقبل
علىّ فقال : ما حاجتك يآبن أخى ؟ فقلت : إنّ الحُرَمَ اللواتى أنت أقربُ الناسِ ٥
إليهنّ معنا وأولَى الناس بهنّ بعدَنا ، قد خِفْنَ لخوفنا ، ومَنْ خاف خِيفَ عليه . فوالله
ما أجابنى إلّا بدموعه على خَدَّيْه ؛ ثم قال : يآبن أخى ، يَحْقِن اللهُ دَمَك ، ويحفظك
فى حُرَمك ، و يُوَفِّر عليك مالَك . ووالله لو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتُ ، فكُنْ
مُتَوارِيًا كظاهر ، وآمنًا كخائف ، ولْتأْتنى رِقاعُك . قال : فكنتُ والله أكتبُ إليهِ
كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلمّا فرَغ من الحديث رددتُ عليه ١٠
طيلسانَه ؛ فقال : مَهْلًا[(١)] ، فإنّ ثيابنا إذا فارقتْنا لن ترجع إلينا .

شعر لسديف فى تحريض السفاح على بنى أمية

أخبرنى [أحمد بن عبد الله قال حدّثنا][(٢)] أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر
آبن شَبَّةَ قال :

قال سُدَيْفٌ لأبى العبّاس يَحُضُّه على بنى أُميّة و يذكر مَنْ قَتَل مروانُ و بنو أُمَيّة
من قومه : ١٥

كيف بالعفو عنهم وقديمًا * قتلوكم وهتّكوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيدٍ * يالَها من مُصيبةٍ وتِراتِ
والإمامُ الذى أُصِيبَ بحرّا * نَ إمامُ الهُدَى ورأسُ الثِّقاتِ
قتلوا آلَ أحمدٍ[(٣)] لا عفا الذّنْـ * ـبَ لمروانَ غافرُ السّيّئاتِ

(١) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «مه» . (٢) زيادة عن س ، م . ٢٠
(٣) فى حـ :
قتلوا آل أحمد لا عفا الله * ـه لمروان سافر السيئات

شعر لرجل من شيعة بنى العباس فى التحريض على بنى أمية

٩٦
٤

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفشُ قال :

أنشدنى محمد بن يزيد لرجلٍ من شيعة بنى العبّاس يُحرِّضهم على بنى أُمَيَّةَ :

إيّاكُمُ أنْ تلينوا (١) لاعتذارهمُ * فليس ذلك إلّا الخوفُ والطّمعُ

لو أنّهم أمِنوا أبدَوْا عداوتهم * لكنّهم قُمِعوا بالذلّ فانْقمَعوا

أليس فى ألفِ شهرٍ قد مضتْ لهمُ * سَقوكُمُ جُرَعاً من بعدها جُرَعُ

حتّى إذا ما انقضتْ أيّامُ مُدّتهم * متُّوا إليكم بالأرحامِ التى قطَعوا

هيهاتَ لا بُدّ أن يُسْقَوْا بكأسهمُ * رَيّاً وأن يحصُدوا الزّرْعَ الذى زرَعوا

إنّا وإخوانَنا الأنصارَ شيعتَكم * إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَعُ

إيّاكُمُ أن يقولَ الناسُ إنّهمُ * قد مُلِّكوا ثم ما ضَرّوا ولا نفَعوا

رواية أخرى فى تحريض سديف السفاح

١٠ وذكر ابن المعتزّ : أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبى الخَصيب فى قصّة سُدَيف بمثل ماذكَره الكُرَانىّ عن النضر بن عمرو عن المُعَيطىّ، إلّا أنّه قال فيها :

فلمّا أنشده ذلك التفتَ إليه أبو الغَمْر سليمانُ بن هشام فقال : يا ماصَّ بَظْرِ أمّه ! أتجبَهُنا بهذا ونحن سَرَواتُ الناس ! فغَضِب أبو العبّاس ؛ وكان سليمانُ بن ١٥ هشام صديقَه قديمًا وحديثًا يقضى حوائجَه فى أيّامهم ويَبَرُّه ؛ فلم يلتفتْ إلى ذلك، وصاح بالخُراسانيّة : خُذُوهم ؛ فقُتِلوا جميعا إلّا سليمانَ بن هشام، فأقبل عليه السفّاح فقال : ياأبا الغَمْر، ماأرى لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرًا . قال : لا والله . فقال : اقتُلوه، وكان إلى جَنْبه، فقُتِل، وصُلِبوا فى بُسْتانه، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم، فكلّموه فى ذلك، فقال : والله لَهَذَا أَلَذُّ عندى من شَمّ المِسْك والعَنْبَر، غيظًا عليهم وحَنَقًا .

٢٠ (١) فى ح : «تنيبوا» . وفى م :

* إيا كم أن يلينوا الأعتذار لكم *

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صــــوت

أصبح الدِّينُ[1] ثابتَ الآساس * بالبَهَاليـلِ من بنى العبّاس
بالصُّدورِ المُقَدَّمين قديمًا * والرُّءوس القَمَاقِمِ الرُّؤّاس

عروضه من الخفيف، الشعر لسُدَيْف. والغناء لعَطَرَّد رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَش. قال: وفيه لِحَكَمٍ الوادِىّ ثانى ثقيلٌ. وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول.

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد فى قَتْلَى بنى أُمَيَّةَ وغَنَّى فيه:

صــــوت

بكيتُ وما ذا يَرُدّ البُكَاءْ * وقَلَّ البُكَاءُ لقَتْلَى كُدَاءْ[2]
أُصيبوا معًا فتولَّوْا معًا * كذلك كانوا معًا فى رَخَاءْ
بكتْ لهمُ الأرضُ من بعدهم * وناحتْ عليهم نجومُ السماءْ
وكانوا الضياءَ فلمّا انقضى الـ * ـزّمانُ بقومى تولَّى الضياءْ

عروضه من المتقارب. الشعر والغناء لأبى سعيدٍ مولى فائد، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما.

ومما قاله فيهم وغَنَّى فيه على أنّه قد نُسِب إلى غيره:

صــــوت

أثَّر الدهرُ فى رجالى فقَلُّوا * بعد جَمْعٍ فراحَ عَظْمِى مَهِيضَا
ما تذكَّرْتُهم فتَمْلِك عَيْنِى * فَيْضَ غَرْبٍ وحُقَّ لى أن تَفِيضَا

(١) فى م: «أصبح الملك»، وهى الرواية التى وردت فيما مرّ.
(٢) وردت القافية فى هذا الشعر، فى معجم ياقوت فى الكلام على كداء، بالقصر.

الشعر والغناء لأبى سَعيد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكىّ والهشامىّ .
وروى الشِّيعىّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق أنّ الشعر لسُدَيف والغناءَ للغَريض .
ولعلّه وَهَمٌ .

ومنها :

صوت

أولئك قَوْمى بعد عِزٍّ ومَنْعةٍ * تَفَانَوْا فإلّا تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ
كأنّهمُ لا ناسَ للموت غيرُهم * وإن كان فيهم مُنْصِفًا غيرَ مُعْتَدِى

الشعر والغناء لأبى سَعيد . وفيه لحنٌ لمُتَيَّم .

ركب المأمون الى جبل الثلج فغناه علويه بشعر ندب فيه بنى أمية فسبه ثم كلم فيه فرضى

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنى
عمّى طَيّاب بن إبراهيم قال :

رَكِب المأمون بدِمَشْقَ يتصيَّد حتّى بلغ جبل الثَّلج ، فوقف فى بعض الطريق
على بِرْكة عظيمة فى جوانبها أربعُ سَرَوات(1) لم يُرَ أحسنُ منها ولا أعْظم ، فنزل المأمونُ
وجعل ينظر إلى آثار بنى أُمَيَّة ويَعْجَب منها ويذكُرهم ، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بَزْماوَرْد(2)
ورِطْلِ نبيذ ، فقام عَلُّويَه فغنّى :

أولئك قَوْمى بعد عِزٍّ ومَنْعةٍ * تَفَانَوْا فإلّا تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

(1) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ، واحده سروة . (2) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى ، وفخذ الست ، ولقمة الخليفة ، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض . وفى شفاء الغليل : " زماورد " والعامة تقول : « بزماورد » : كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم .

قال : فغَضِب المأمونُ وأمر برفع الطبق ، وقال : يا بْنَ الزانية ! ألم يكن لك وقتٌ تبكى فيه على قومك إلّا هذا الوقتَ ! قال : نعم أبكى عليهم ! مولاكم زِرْيَاب[1] يركب معهم فى مائة غُلامٍ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعًا ! فقام المأمون فركب وآنصرف الناسُ، وغَضِب على عَلُّويه عشرين يومًا ؛ فكلّمه فيه عبّاس أخو بَحْرٍ ؛ فرَضِى عنه، ووَصَله بعشرين ألفَ درهم .

صــــوت

من المــائة المختــارة

مَهَاةٌ لَوَ انّ الذَّرَّ تَمْشِى ضِعَافُه * على مَتْنِها بَضَّتْ مَدَارِجُه دَمَا[2]

فقُلْنَ لها قُومِى فدَيْنَاكِ فَارْكَبِى * فأومَتْ بِلَا لَا غيرَ أنْ تَتَكَلَّمَا[3]

عروضه من الطويل . بَضَّتْ : سالتْ . يقول : لو مَشَى الذرُّ على جِلْدها لجرى منه الدّم من رِقّته . وروى الأصمعىّ :

مُنَعَّمَةٌ لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارِيًا * على مَتْنِها بَضَّتْ مَدَارِجُه دَمَا

الشعر لحُمَيْد بن ثَوْرٍ الهِلَالىّ . والغناء فى اللحن المختار لفُلَيْح بن أبى العَوْراء، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ لحن فُلَيْح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى، وأنّ الثقيل الأوّل للهُذَلىّ .

(١) زرياب : هو على بن نافع المغنى مولى المهدى ومعلم إبراهيم الموصلى، صار الى الشأم ثم صار الى المغرب الى بنى أمية، فقدم الأندلس على عبد الرحمن الأوسط سنة ١٣٦ هـ فركب بنفسه لتلقيه، كما حكاه ابن خلدون . وزرياب لقب غلب عليه ببلده، لسواد لونه مع فصاحة لسانه، شبه بطائر أسود غرّاد . وكان شاعرا مطبوعا وأستاذا فى الموسيقى . (انظر شرح القاموس مادة زرب، وتاريخ بغداد لابن طيفور ج ٦ ص ٢٨٤ طبع أوربا) . (٢) رواية عيون الأخبار (ج ٤ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية) :

* على جلدها نضّت مدارجه دما * ونضّت بالنون أيضا : سالت .

(٣) رواية عيون الأخبار : * فأومت بلالا غير ما أن تكلما *

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة :

صــــوت

إذا شئتُ غَنَّتْنِي بأجزاع بِيشَةٍ[1] * أوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ[2] أو مِنْ يَلَمْلَمَا[3]

مُطَوَّقَةٌ طَوْقًا وليس بِحِلْيَةٍ * ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَمَا

تُبَكِّي على فَرْخٍ لها ثُمَّ تَغْتَدِي * مُوَلَّهَةً تَبْغِي له الدَّهْرَ مَطْعَمَا[4]

تُؤَمِّلُ منه مُؤْنِسًا لانْفِرادِها * وتَبْكِي عليه إنْ زَقَا أو تَرَنَّمَا

٩٨
٤

غنّاه محمد الرَّفّ[5] خفيف رملٍ بالوسطى .

---

(١) كذا فى ح ، م . وفى سائر الأصول : «بأجراع» بالراء المهملة . وقد تقدّم تفسيرهما فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٨ من هذا الجزء . و بيشة : اسم قرية غنّاء فى واد كثير الأهل من بلاد اليمن . (٢) تثليث (بكسر اللام و ياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة) : موضع بالحجاز قرب مكة . (٣) كذا بالأصول . ويلملم و يقال فيه : ألملم و يرمرم : ميقات أهل اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة ، وفيه مسجد معاذ بن جبل . وورد هذا البيت فى معجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٤٨٧) هكذا :

إن شئت غنتنى بأجزاع بيشة * و بالرّزن من تثليث أو من يبمبا

وقال : يبمبم بفتحتين بوزن غشمشم : موضع أو جبل . ولم تجتمع الباء والميم فى كلمة اجتماعهما فى هذه الكلمة . ورواه بعضهم يبمبم . وفى معجم ما استعجم (ص ٨٥٠) :

«إذاشئت... ... * ... ... ينبـبا»

و ينبنم (بفتح أوّله وثانيه بعده نون و باء أخرى) : راد شجير قبل تثليث .

وقد ورد هذا البيت فى الكامل للبرد (ص ٥٠٣ طبع أوروبا) كما هنا ، وأشير فى هامشه الى عدّة روايات فى هذا الاسم تقرب فى الرسم من هذه الروايات التى ذكرناها . (٤) رواية الكامل للبرد :

مطوّقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وآنجال الربيع فأنجما

محلّاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صوّاغ بكفيه درهما

وأنجم : أقلع مثل آنجال . (٥) فى ح : «محمد الزف» بالزاى المعجمة . (انظر ما كتبناه عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره

نسبه وطبقته في الشعراء

هو حُمَيْد بن ثَوْر بن عبد الله بن عامر بن أبى ربيعة بن نَهِيك بن هِلَال بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار . وهو من شعراء الإسلام . وقرنه ابن سَلَّام بنَهْشَل ابن حَرِّيّ وأَوْس بن مَغْرَاء[1] . وقد أدرك حُمَيد بن ثَوْر عُمَر بن الخطّاب رضى الله عنه، وقال الشعر فى أيّامه . وقد أدرك الجاهليّة أيضا .

هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب

نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعرا

أخبرنا وَكِيعٌ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد وعبد الله بن شَبِيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامىّ قال حدّثنى محمد بن فَضَالة النحوىّ قال :

تقدّم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الشعراء ألّا يُشَبِّب أحدٌ بامرأة إلّا جَلَده . فقال حميد بن ثور[2] :

أَبَى اللهُ إلّا أنّ سَرْحةَ[3] مالكٍ * على كُلّ أفنانِ العِضَاهِ[4] تَرُوقُ[5]

فقد ذهبتْ عَرْضًا ومافوق طُولها * من السَّرْح إلّا عَشّةٌ وسَحُوقُ

— العَشّة : القليلة الأغصان والورق . والسَّحوق : الطويلة المفرطة —

---

(١) عدّه ابن سلام فى الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين . أما حميد بن ثور ونهشل بن حرّىّ فقد عدّهما فى الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين . (راجع طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى ص ١٢٩ ، ١٣٠ طبع أوربا) . (٢) فى م : « فقال حميد بن ثور وكانت له صحبة فذكر شعرا فيه » . (٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، ويكنى الشعراء بها عن المرأة . (٤) العضاهة بالكسر : أعظم الشجر أو كل ذات شوك أو ما عظم منها وطال ، كالعضَه كعنب والعِضَهة كعنبة ، والجمع : عضاه وعضون وعضوات . (٥) أى تزيد عليها بحسنها وبهائها ؛ من قولهم : راق فلان على فلان اذا زاد عليه فضلا .

فلا الظِّلُّ[1] مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تستطيعه[2] * ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تذُوقُ

فهل أنا إنْ عَلَّلْتُ نفسي بسَرْحةٍ * مِنَ السَّرْحِ موجودٌ[3] عليَّ طريقُ

وهى قصيدة طويلة أوّلها :

نأتْ أُمُّ عَمْرٍو فالفؤادُ مَشُوقُ * يَحِنُّ إليها والِهًا ويَتُوقُ

صوت

٥

وفيها مما يُغَنَّى فيه :

سَقَى السَّرْحةَ المِحْلالَ[4] والأَبْرَقَ[5] الذى * به السَّرْحُ غيثٌ دائمٌ وبُرُوقُ

وهل أنا إنْ عَلَّلْتُ نفسي بسَرْحةٍ * مِنَ السَّرْحِ موجودٌ عليَّ طريقُ

غنّاه إسحاق، ولحنُه ثانى ثقيل [بالوسطى][6] .

وفد على بعض خلفاء بنى أمية بشعر فوصله

١٠ أخبرنا الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه قال :

وَفَد حُمَيْد بن ثَوْر على بعض خُلَفاء بنى أُمَيَّة، فقال له : ما جاء بك؟ فقال :

أتاكَ بِيَ اللهُ الذى فوق مَنْ تَرَى * وخيرٌ ومعروفٌ عليك دليلُ

---

(١) الظل : ما كان أوّل النهار الى الزوال . والفىء : ما كان بعد الزوال الى الليل . فالظل غربىّ تنسخه الشمس ، والفىء شرقىّ ينسخ الشمس . والبرد : من معانيه الظل والفىء . يقال : البردان والأبردان للظل والفىء ، وأيضا للغداة والعشىّ . وظاهر الكلام يقتضى أن يكون المراد من «البرد» فى الموضعين هنا : الظل والفىء ، على أن تكون «من» بيانية . (٢) فى معجم البلدان لياقوت فى الكلام على سرحة : « تستظله » . (٣) فى الاقتضاب للبطليوسى (ص ٤٥٩) : « مأخوذ علىّ » . وفى كنايات الجرجانى (ص ٧) : « مسدود علىّ » . وكل مستقيم المعنى .

(٤) المحلال : التى يكثر الناس الحلول بها . قال بن سيده : وعندى أنها تحل الناس كثيرا ؛ لأن مفعالا إنما هى فى معنى فاعل لا فى معنى مفعول . (٥) الأبرق : أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة ورمل . والمراد به هنا موضع بعينه . (٦) زيادة عن سـ ، م .

١٥

٢٠

وَمَطْوِيَّةُ الأَقْـرَابِ[1] أمّا نهارُها * فَنَصٌّ[2] وأمّا ليلُهـا فذَمِيـلُ

ويَطْوِى علىَّ اللَّيْلُ حِضْنَيْه إنّنى * لذاك إذا هاب الرجالُ فَعُـولُ

فوصله وصرفه شاكرا .

---

(١) الأقراب : جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة ، وقيل : القرب من لدن الشاكلة الى مراقّ البطن . وفى التهذيب : فرس لاحق الأقراب ، يجمعونه وإنما له قربان لسعته ؛ كما يقال : شاة ضخمة الخواصر ، وإنما لها خاصرتان . (انظر اللسان مادة قرب) . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والنص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . وفى ى ، ط : « فَسَبْتٌ » . والسبت : ضرب من سير للإبل .

٥

أخبار فُلَيْح بن أبي العَوْراء

هو مولى بني مخزوم وأحد مغني الدولة العباسية

فُلَيْح رجل من أهل مكة، مولًى لبني مخزوم، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه . وهو أحد مغنِّي الدولة العبّاسيّة، له محلٌّ كبير من صناعته، وموضعٌ جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِع من المُحْسنين ذكَره فيهم وبدأ به . وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائةَ الصوتِ للرشيد .

مدح إسحاق الموصلي غناءه

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظةُ قال حدّثني ابن المكّيّ عن أبيه عن إسحاق قال : ما سمعتُ أحسنَ غناءً من فُلَيْح بن أبي العَوْراء وابنِ جامع . فقلتُ له : فأبو إسحاق؟ (يعني أباه)؛ فقال : كان هذان لا يُحْسِنان غيرَ الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلَهما ، ويزيد عليهما فنونًا من الأدب والرواية لا يُدَاخِلانه فيها .

٩٩ / ٤

كان يحكى الأوائل فيصيب ويحسن

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهَلَّبيّ (1) قال : قال لي إسحاق : أحسنُ مَنْ سَمعتُ غناءً عَطَرّد وفُلَيْح .

وكان (2) فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيّامه ، وهو أحدُ مَنْ كان يَحكي الأوائلَ فيُصيب ويُحْسِن .

أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتا له

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني محمد بن محمد العَنْبَسيّ قال حدّثني محمد بن الوَليد الزُّبيريّ قال :

---

(1) كذا في ى ، ط ، م . وفي سائر النسخ : « محمد بن يزيد المهلبي » وهو خطأ .

(2) في س ، م ، حـ ، زيادة قبل هذا الخبر هي : « وقال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : كان فليح أحد الموصوفين ... الخ » .

سمعتُ كَثِيرَ بن المُحَوَّل يقول : كان مُغَنِّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيح بن أبى العَوْراء، والآخر سُلَيمان بن سُلَيم؛ فخرج إليهما رسولُ الرشيد يقول لفُلَيح غِناؤك من حَلْق أبى صَدَقةَ(١) أحسنُ منه من حَلْقك ، فعلِّمْه إيّاه — قال : وكان يغنّى صوتا يُجيده ، وهو :

* خيرُ ما نَشْرَبُها(٢) بالبُكَرْ *

— قال : فقال فُلَيح للرسول : قُلْ له : حَسْبُك . قال : فسمعنا ضَحِكَه من وراء السِّتارة .

كانت ترفع الستارة بينه و بين المهدى دون سائر المغنين

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانىّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنا الفَضْلُ بن الربيع :

أنّ المهدىّ كان يسمَع المغنّين جميعا ، ويحضُرون مجلسَه ، فيغنّونه من وراء السِّتارة لا يرون له وجهًا إلّا فُلَيحَ بن أبى العَوْراء؛ فإنّ عبد الله بن مُصْعَب الزُّبيرىّ كان يروّيه شعرَه ويغنّى فيه فى مدائحه للهدىّ؛ فدسّ فى أضعافها بيتين يسألُه فيهما أن ينادمه ، وسأل فليحًا أن يغنّيهما فى أضعاف أغانيه ، وهما :

صـــوت(٣)

يا أمينَ الإلٰهِ فى الشَّرْقِ والغَرْ * بِ على الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسُولِ
مجلسًا بالعَشِىِّ عندك فى المَيْ * دَانِ أبغِى والإذْنَ لى فى الوُصُولِ

---

(١) هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد مغنى عصر الرشيد . ذكر له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٢١ طبع أوربا) . (٢) فى ى ، ط ، م : « ما تشربها » . (٣) هذه الكلمة ساقطة فى ى ، ط ، م . ومما يرجح سقوطها أن أبا الفرج لم يذكر طريقة الغناء فى هذا الشعر .

فغنّاه فُلَيح إيّاهما . فقال المهدىّ : يا فضلُ ، أَجِبْ عبدَ الله إلى ما سأل ، وأَحْضِره مجالسى إذا حَضَره أهلى ومَوَالىّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلك أن ترفع بينى وبين رَاوِيته فُلَيح السِّتارة ؛ فكان فُلَيح أوّلَ مُغنٍّ عاين وجهَه فى مجلسهم .

دعاه محمد بن سليمان ابن على أول دخوله بغداد ووصله

أخبرنى رِضْوان قال حدّثنى يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى بعد قُدومى فُسْطاطَ مِصْرَ زيادُ بن أبى الخَطّاب كاتبُ مَسْرُورٍ خادمِ الرشيد، قال: سمعتُ محبوبَ ابن الهَفْتىّ يحدّث أبى، قال :

دعانى محمد بن سليمان بن علىّ ، فقال لى : قد قَدِم فُلَيحٌ من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغْبان (١) ، فصِرْ إليه ، فأَعْلِمْه أنّه إن جاءنى قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد ، خلعتُ عليه خِلْعةً سَرِيّةً من ثيابى ووهبتُ له خمسةَ آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبّرته بذلك ، فأجابنى إليه إجابةَ مسرورٍ به نشيطٍ له . وخرج معى ، فعدَل إلى حَمّامٍ كان بقُرْبه ، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشىء يأكله ونبيذٍ يشربه ، فجاءه برأسٍ كأنه رأسُ عِجْلٍ ونبيذٍ دُوشابىّ (٢) غليظ مسحورىّ (٣) ردىء . فقلت

---

(١) فى ح : «ابن زغبان» بالزاى قبل الغين . وفى سائر الأصول : «ابن عتاب» وكلاهما محرّف عن «ابن رغبان» . ويقع مسجد ابن رغبان هذا فى غربى بغداد وكان مزبلة . قال بعض الدهاقين : مر بى رجل وأنا واقف عند المزبلة التى صارت مسجد ابن رغبان قبل أن تبنى بغداد ، فوقف عليها وقال : ليأتين على الناس زمان من طرح فى هذا الموضع شيئا فأحسنُ أحواله أن يحمل ذلك فى ثوبه ؛ فضحكت تعجبا . فما مرت إلا أيام حتى رأيت مصداق ما قال . (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٥٢٤ طبع أوربا) .

(٢) الدوشابى : نسبة الى الدوشاب وهو نبيذ التمر معرّب ؛ قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح ✱ بصفاء ماء طيب البرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحمدٌ من الدوشاب ✱ شربة بغّضت قناع الشباب

(٣) مسحورى : فاسد .

له : لا تفعلْ ، وجَهَدْتُ به ألّا يأكلَ ولا يشرب إلّا عند محمد بن سليمان ؛ فلم يلتفتْ إلىّ ، وأكل ذلك الرأسَ وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتّى طابت نفسه ، وغنّى وغنّى القَيِّم بعده مَليًّا ؛ ثم خاطب القيِّمَ بما أغضبه ، وتلاحَيَا وتَوَاثَبا ؛ فأخذ القيِّم شيئا فضرب به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمُه . فلمّا رأى الدمَ على وجهه اضطرب وجزِع وقام يغسل جُرحه ، ودعا بصوفة مُحْرَقة وزيت ، وعَصَبه وتعمّم وقام معى . فلمّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان ، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعامُ فرأى سَرْوه[1] وطيبَه ، وحضر النبيذُ وآلته ، ومُدّتِ الستائرُ وغنّى الجوارى ، أقبل علىّ وقال : يا مجنون ! سألتك بالله أيّما أحقُّ بالعَرْبدة وأولَى : مجلسُ القيِّم أم مجلس الأمير؟ فقلت : وكأنه لا بُدَّ من عربدة ! قال : لا ! والله مالى منها بُدٌّ ، فأخرجتُها من رأسى هناك . فقلت : أمّا على هذ الشرط فالذى فعلتَ أجودُ . فسألنى محمد عما كنّا فيه فأخبرته ؛ فضحك ضحكا كثيرا ، وقال : هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلّ غناء ؛ وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

اتفق مع حكم الوادى على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد

قال هارون بن محمد وحدّثنى حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبو إسحاق القِرْمِطىّ قال حدّثنا مُدْرِكةُ بن يَزيد قال :

قال لى فُلَيح بن أبى العوراء : بعث يحيى بن خالد إلىّ وإلى حَكَمٍ الوادىّ وإلى ابن جامع ، فأتيناه . فقلت لحكم : إنْ قَعَد ٱبْنُ جامع معنا فعاوِنّى عليه لنكسره . فلمّا صرْنا إلى الغناء غنّى حكمٌ ؛ فصِحْتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ، ففعل لى حكمٌ مثلَ ذلك . وغنّى ٱبْنُ جامع فما كنّا معه فى شىء . فلمّا كان

[1] كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «ورأى سروره به وطيبه» : وهو تحريف . والسرو : الشرف والسخاء . ولعل المراد بسرو الطعام جودته وكثرته .

العَشِىُّ أرسل إلى جاريته دنانير : إنّ أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرُجى الينا ؟ فخرجتْ وخرج معها وصائف ؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يَظُنّ أنّا لا نسمَع : ليس فى القوم أنْزَهُ نفسًا من فُلَيح . ثم أشار إلى غلام له : أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفَىْ درهم ، فجاء بها ؛ فدفع إلى ابن جامع ألفَىْ درهم فأخذها فطرحها فى كُمِّه ، وفعل بحكم الوادِى مثلَ ذلك فطرحها فى كُمِّه ، ودفع إلىّ ألفين . فقلت لدنانِير : قد بلغ مِنِّى النبيذُ ، فاحبِسيها لى عندك حتى تَبْعَثى بها إلىّ ؛ فأخذتِ الدراهمَ منِّى و بعثتْ بها إلىّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إلىّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك و بشىء أحببتُ أن تفرقه على أَخَواتى (تعنى جَوَارِىّ) .

طلبه الفضل بن الربيع بجىء به مريضا فغنى ورجع ثم مات فى علته

قال هارون بن محمد وحدّثنى حمّاد قال حدّثنى أبى قال :

كنّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هَل لك فى فُلَيح بن أبى العوراء ؟ قلت نعم . فأرسل إليه ، فجاء الرسولُ فقال : هو عليلٌ ؛ فعاد إليه فقال الرسول : لا بدّ من أن تجىء ؛ فجاء به محمولًا فى مِحَفّة ؛ فحدّثنا ساعةً ثم غنَّى . فكان فيما غنَّى :

تقول عِرْسى إذ نبا المَضْجَعُ * ما بالُك الليلةَ لا تَهْجَعُ

فاستحسنّاه منه واستعَدْناه منه مرارا ؛ ثم انصرف ومات فى علّته تلك ؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس .

روى قصة فتى عاشق غناء هو وعشيقته فبعثت اليه مهرها ليخطبها الى أبيها

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكّىّ قال حدّثنى أبى عن فُلَيح بن أبى العوراء قال :

كان بالمدينة فتًى يعشَق ابنةَ عمٍّ له ، فوعدتْه أن تزوره . وشكا إلىّ أنّها تأتيه ولا شىء عنده ، فأعطيته دينارًا للنفقة . فلمّا زارته قالت له : مَنْ يُلهينا ؟ قال : صديق لى ، ووصفنى لها ، ودعانى فأتيته ؛ فكان أوّل ما غنّيته :

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها * ولم تَرْفَعْ لِوالدها شَنَارا[1]

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف ؛ فعَلِق بهـا وجَهَد بها كلَّ الجَهْد فى أن تُقيم ، فلم تُقِمْ وانصرفتْ . فأقبـل علىّ يلومنى فى أن غَنَّيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ماهو شئٌ اعتمدتُ به مَساءتَك ، ولكنه شىء اتَّفق . قال : فـلم نبرَح حتى عاد رسولُها بعـدها ومعه صُرَّة فيها ألفُ دينار ودفَعها إلى الفتى وقال له : تقول لك ابنةُ عمِّك : هذا مَهْرِى ادْفَعْه إلى أبى، واخطُبْنى ؛ ففعل فتزوّجها .

١٠١ / ٤

نسـبة هـذا الصـوت

صـوت

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها * ولم ترفَـعْ لوالدها شَـنَارَا
كأنّ مَجامِـعَ الأرداف منهـا * نَقًا[2] درجتْ عليـه الريحُ هارا
يعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْلِ قلبى * وأتَّبِـعُ المُمَنَّعَـةَ النَّـوارا[3]

الشعر لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعْدىّ . والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وفيه لابن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْل، أوّله :

* يعاف وِصالَ ذاتِ البذل قلبى *

و بعـده :

غَذَاها قارِصٌ[4] يغدو عليهـا * ومَحْضٌ حين تنتظر العِشَارَا

(١) الخفرة : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار . (٢) النقا (مقصور) : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدّم . (٣) النوار : المرأة النفور من الريبة والجمع نُور . (٤) القارص : لبن يحذى اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحموضة . والمحض : اللبن الخالص . والعشار : جمع عُشَراء، وهى الناقة مضى لحملها عشرة أشهر قال الأزهرى : والعرب يسمونها عشارا بعد ما تضع ما فى بطونها ، للزوم الاسم بعد الوضع ، كما يسمونها لقاحا .

ورد دمشق على ابراهيم بن المهدى فأخذ عنه جواريه غناء وانتشرت أغانيه بها

أخبرنى رِضْوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدىّ قال :

كتب إلىّ جعفرُ بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جُنْد دِمَشْق : قد قَدِم علينا فُلَيح بن أبى العَوْراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمعناه قبله . وأنا محتالٌ لك فى تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا . فلم أَلبَثْ أَنْ ورد علىّ فُلَيح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار . فورد علىّ رجلٌ أذكرنى لقاؤه الناسَ، وأخبرنى أنه قد ناهز المائة، فأقام عندى ثلاثَ سنين، فأخذ عنه جَوارِىّ كلَّ ما كان معه [من الغناء](1) ، وانتشرت أغانيه بدَمَشْق . قال يوسف : ثم قَدِم علينا شابٌّ من المغنِّين مع علىّ بن زيد بن الفَرَج الحَرّانىّ ، عند مَقْدَم عَنْبَسةَ بن إسحاق فُسْطاطَ مصر، يقال له مُونِق ؛ فغنّانى من غناء فُلَيْح :

غنى مونق ألحان فليح بفسطاط مصر عند مقدم عنبسة ابن إسحاق

[صـــوت](2)

يا قُرّةَ العين أَقْبِلى عُذْرى * ضاق بهجرانكم صـدرى

لو هَلَكَ الهجرُ آستراح الهوى * ما لَقِىَ الوصلُ من الهجر

— ولحنه خفيفُ رمل — فلم أرَ بين ما غنّاه و بين ما سمعته فى دار أبى إسحاق فرقًا؛ فسألته من أين أخذه؟ فقال : أخذتُه بدمشق؛ فعلمتُ أنّه مما أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيح .

(١) زيادة عن ى، ط، م .

(٢) زيادة عن ى، ط .

صـــوت

من المـائة المختـارة

أفاطمَ إنّ النأْيَ يُسْلِي ذوى الهوَى * ونأيُك عنّى زاد قلبى بكم وَجْدَا
أرى حَرَجًا ما نلتُ من وُدّ غيركم * ونافلةً ما نلتُ من ودّكم رُشْـدَا
وما نلتقى من بعدِ نأْيٍ وفُرْقةٍ * وشَحْطِ نوًى إلّا وجدتُ له بَرْدا
على كَبِدٍ قد كاد يُبْدى بها الهوى * نُدوبًا وبعضُ القوم يحسَبُنى جَلْدا

عروضـه من الطويل . النأى : البُعْد، ومثله الشَّحْط . والحَرَج : الضِّيق؛ قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. والنُّدوب : آثار الجراح، واحدها نَدَبٌ.

الشعر لإبراهيم بن هَرْمةَ . والغناء فى اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونس الكاتبِ، وهو من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أنّ الغناء لمرزوق الصرّاف أو ليحيي بنِ وَاصِـل . وفى هـذه الأبيات للهُذَلىّ لحنٌ من خفيف الثقيلِ الأوّل بالوسطى على مذهبِ إسحاق من رواية عمرو بنِ بانة، ومن الناس من ينسُب اللحنين جميعا إليه .

ذكر ابن هَرْمة وأخباره ونسبه

نسبه

هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن هَرْمة بن هُذَيل، هكذا ذكر يعقوب بن السِّكِّيت. وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه مُصْعَب، وذكر ذلك العبّاس بن هِشَام الكلبيّ عن أبيه هِشام بن محمد بن السائب، قالوا جميعا: هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذَيل بن رَبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنَانة بن عَدِيّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهر — وفهرٌ أصلُ قريش، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش، وقد قيل ذلك في النَّضْر بن كِنانة — وفهر ابنُ مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر. قال مَنْ ذكرْنا من النسّابين: قَيس بن الحارث هو الخُلُجُ، وكانوا في عَدْوانَ ثم انتقلوا الى بني نَصْر بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازِن. فلما استُخْلِف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتَوْه لِيَفْرِض لهم، فأنكر نَسَبَهم. فلما استُخْلِف عثمان أتَوْه فأثبتَهم في بني الحارث ابن فِهْر وجعل لهم معهم ديوانا. وسُمُّوا الخُلُجَ لأنّهم اختلجوا ممن كانوا معه من عَدْوان ومن بني نصر بن معاوية. وأهل المدينة يقولون: إنّما سُمُّوا الخُلُجَ لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلُجٍ (وواحدُها خليج) فسُمُّوا بذلك. ولهم بالمدينة عدد. قال مُصْعَب: كان لإبراهيم بن هَرْمةَ عمٌّ يقال له هَرْمة الأعور، فأرادت الخُلُجُ نَفْيَه منهم؛ فقال: أمسيتُ ألأمَ العرب دَعِيّاً أدعياء. ثم قال يهجوهم:

رأيتُ بني فِهْرٍ سِبَاطًا[1] أكُفُّهُمْ * فما بالُ أنْبُوني أكُفُّكُمُ قُفْدا[2]

(١) سباط: جمع سبط: وصف من السبوطة وهي الاعتدال والسهولة والطول. ويكنى بسبوطة اليدين عن الكرم؛ يقال: رجل سَبْط اليدين إذا كان سخيا سمحا كريما، كما يقال: رجل جعد اليدين إذا كان بخيلا.

(٢) كذا في ط، وهو الذي يقتضيه سياق الكلام. وفي ب، س: «أكفهم». وجملة أنبوني — وهو أمر من أنبأ خففت همزته فحذفت — معترضة بين المضاف والمضاف اليه. والقَفَد: مَيَلٌ في الكف. يريد أنهم بخلاء.

ولم تُدْرِكوا ما أدرك القومُ قبلكم * من المجد إلا دَعْوةً[1] ألحقتْ كدًّا

على ذى أيادى الدّهر أفلح جَدُّهم * وخِبْتُم فلم يَضْرَعْ لكم جَدُّكم جَدًّا

نفاه بنو الحارث ابن فهر عنهم فما تبهم فصار منهم لساعته

وقال يحيى بن علىّ حدّثنى أبو أيُّوب المدينىّ عن المدائنىّ عن أبى سَلَمة الغِفارىّ قال :

نَفَى بنو الحارث بن فهر ٱبنَ هَرْمةَ، فقال :

أحارِ بنَ فِهْرٍ كيف تَطَّرِحوننى * وجاء العِدَا من غيركم تبتغى نَصْرِى

قال : فصار من وَلَد فِهْرٍ فى ساعته .

كان يقول : أنا الأم العرب

قال يحيى بن علىّ وحدّثنى أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثنى العبّاس بن هشام الكلبىّ عن أبيه قال :

كان ٱبن هَرْمةَ يقول : أنا ألأمُ العرب، دَعِىٌّ أدعياء : هَرْمةُ دَعِىٌّ فى الخُلُج، والخُلُج أدعياء فى قريش .

قصته مع أسلمى ضافه

حدّثنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلى قال حدّثنى عبد الله بن أبى عُبَيدة بن محمد بن عَمّار بن ياسر قال :

زورتُ عبدَ الله بن حسن بباديته وزاره ابنُ هَرْمةَ ، فجاءه رجلٌ من أَسْلَمَ ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ! سَلِ الأَسْلَمِىّ أنْ يأذَنَ لى أن أُخبرك خبرى وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : ائذَنْ له ، فأذِنَ له الأسلمىّ . فقال له إبراهيم بن هَرْمةَ : إنّى خرجتُ — أصلحك الله — أبغى ذَوْدًا[2] لى ،

١٠٣ / ٤

(١) الدعوة (بالفتح وتكسر) : الاسم من ادعى بمعنى زعم .

(٢) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث الى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث الى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس ذود صدقة » .

فأَوحشتُ وضِفْتُ هذا الأَسْلَمِيّ(١)، فذَبَح لى شاةً وخبز لى خبزًا وأكرمنى، ثم غدوتُ من عنده، فأقمت ما شاء الله . ثم خرجتُ أيضا فى بُغَاءِ ذَوْدٍ لى، فأوحشتُ فضِفْتُه فَقَرانى بلبن وتَمْر، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله . ثم خرجتُ فى بُغَاء ذَوْدٍ لى، فأوحشتُ، فقلت : لو ضِفْتُ الأَسْلَمِىّ! فاللّبن والتمر خيرٌ من الطَّوَى ؛ فضِفْتُه فجاءنى بلبن حامض . فقال : قد أجبتُه — أصلحك الله — إلى ما سأل، فسَلْه أنْ يأذَنَ لى أنْ أُخبرك لِمَ فعلتُ . فقال له : ائذَنْ له ؛ فأذن له . فقال الأَسْلَمِىّ : ضافَنى ، فسألتُه مَنْ هو ؟ فقال : رجلٌ من قريش، فذبحتُ له الشاةَ التى ذَكَر، ووالله لو كان غيرُها عنـدى لذبحتُه له حين ذَكَر أنّه من قريش . ثم غَدَا من عنـدى وغدا علىّ الحَىُّ فقـالوا : مَنْ كان ضَيْفَك البارحةَ ؟ قلتُ : رجلٌ من قريش ؛ فقـالوا : لا والله ما هـو من قريش ، ولكنه دَعِىٌّ فيهـا . ثم ضافنى الثانيـة على أنه دَعِىٌّ فى قريش، فجئتُه بلبن وتمر وقلت : دَعِىٌّ قريش خيرٌ من غيره . ثم غدا من عندى وغدا علىّ الحَىُّ فقـالوا : مَنْ كان ضيـفَك البارحةَ ؟ قلت الرجل الذى زعمتم أنّه دَعِىٌّ فى قريش ؛ فقالوا : لا والله ما هو بدَعِىٍّ فى قريش، ولكنّه دَعِىُّ أَدْعياءِ قريش . ثم جاءنى الثالثةَ ، فقريتُه لبنًا حامضا ، ووالله لو كان عندى شرٌّ منه لقَرَيْتُـه إيّاه . قال : فٱنخذل ٱبنُ هَرْمةَ، وضَحِك عبد الله وضَحِكْنا معه .

لقيه ابن ميادة وطلب مهاجاته ثم تبين أنه يمزح

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَـلاء قال حدّثنى الزُّبَيْر قال حدّثنى نَوْفَل بن ميمون قال :

لَقِىَ ٱبنُ مَيّادةَ ٱبنَ هَرْمةَ، فقال ٱبن ميّادة : واللهِ لقد كنتُ أُحبُّ أنْ ألقاك، لابدّ من أن نتهاجى، وقد فعل الناس ذلك قبلنا . فقال ٱبنُ هرمة : بئس والله ما دعوتَ إليه وأحببتَه، وهو يظنّه جادًّا . ثم قال له ٱبن هَرْمةَ : أمَا والله إنّى للّذى أقول :

(١) يقال : أوحش الرجل اذا جاع ونفد زاده .

إنّى لَميمونٌ جِوارًا وإنّنى * إذا زَجَرالطَّيْرَالعِدَا لَمَشُومُ
وإنّى لملاّنُ العنانِ[1] مُنَاقِلٌ[2] * إذا ما وَنَى يومًا أَلَفُّ[3] سَئومُ
فوَدّ رجالٌ أنّ أُمّى تَقَنّعتْ * بشيبٍ يُغَشّى الرأسَ وهى عقيمُ

فقال ٱبن ميّادة : وهل عندك جِرَاء[4] ؟ ثَكِلَتْك أُمُّك ! أنت ألأم من ذلك ! ما قلتُ إلّا مازحا .

أخبرنا [به][5] وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عِمْران :

اجتمع ابن هَرْمةَ وٱبنُ مَيّادةَ عند جُمَيْع بن عُمَر بن الوليد، فقال ٱبن ميّادة لٱبن هرمة : قد كنتُ أُحِبُّ أن ألقاك . ثم ذكر نحوه .

أنكر عليه أن تمضغ الناطف مع قدوم وزير لحمله وتلق به الموكب

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا علىّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَلىّ قال حدّثنى أبو سَلَمةَ الغِفَارىّ عن أبيه قال :

وفدتُ على المهدىّ فى جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وَفَد يُوسُفُ بن مَوْهَبٍ[6] وكان فى رجال بنى هاشم من بنى نَوْفَل، وكان معنا ٱبن هَرْمة ؛ فجلسنا يومًا على دُكّان قد هُيِّئ لمسجد ولم يُسَقَّف ، فى عسكر المهدىّ ؛ وقد كنّا نلقَى الوزراء وكُبَراء

(١) يقال : ملأ فلان عنان جواده إذا أعداه وحمله على الحضر الشديد . (٢) كذا فى ى، ط . والمناقل : السريع نقل القوائم . وفى سائر الأصول : «مثاقل» بالثاء المثلثة وهو تصحيف .
(٣) الألف : الثقيل البطىء . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ى، ط : «جَرِى» .
والجراء (بالفتح والكسر) والجراية والجرى (بالفتح فيهما) : الفتوة . (٥) زيادة عن ط، ى .
(٦) فى اللسان والقاموس وشرحه مادّة وهب : «وموهب كمقعد اسم . قال سيبويه : جاءوا به على مفعل (بالفتح) لأنه اسم ليس على الفعل ؛ إذ لو كان على الفعل لكان مفعلا (بكسر العين) . فقد يكون ذلك لمكان العلمية ؛ لأن الأعلام مما تغير القياس» اهـ .

السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ و إذا حِيالَ الدُّكّان رجلٌ بين يديه ناطِفٌ[1] يبيعه فى يوم شاتٍ شديدِ البَرْدِ، فأقبل إذ ضرب به بفأسه فتطاير جُفُوفًا؛ فأقبل ابن هرمة علينا، فقال ليوسف : يا بنَ عمّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أمَا معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف ؟ فقال له : متى عَهِدتَنى أحمِلُ الدّراهم ! قال : فقلت له : لكنّى أنا معى، فأعطيتُه درهمًا خفيفا[2]، فاشترى به ناطفًا على طَبَق للنّاطفىّ فجاء بشىء كثير، فأقبل يتمضّغه وحدَه ويحدّثنا و يضحَك. فما راعنا إلّا مَوْكبُ أحدِ الوزيرين: أبى عُبيــد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلتِ المُطَرِّقة[3]؛ فقلنا : مالك قاتلك الله ! يهجُم علينا هــذا وأصحابُه، فيرَوْن الناطفَ بين أيدينا فيظنّون أنّا كنّا نأكل معك . قال : فوالله ما أحدٌ أولَى بالسّــتْر على أصحابه وتقلُّد البليّة منك يا بنَ عمّ رسول الله ! فضَــعْه بين يديك . قال : اعْزُبْ[4] قبّحك الله ! قال : فأنت يا بنَ أبى ذَرّ، فزبَرْته[5].

---

(١) الناطف : نوع من الحلواء. وقال الجوهرى : هو القُبَّيْط لأنه ينتطف قبل استضرابه أى يقطر قبل خثورته . وجعل النابغة الجعدى الخمر ناطفا فقال :

وبات فــريق ينضَحون كأنما * سُقُوا ناطفا من أذرعات مفلفلا

وكذلك جعلها ابن هرمة، كما سيأتى قريبا فى ص٣٧٣ (٢) يريد بذلك الدراهم الصغار ذات الوزن الخفيف . قال المقريزى فى كتابه شذور العقود فى ذكر النقود (ص ١٦ طبع أوربا) : «وكان الناس قبل عبد الملك يؤدّون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار . فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عمد الى درهم واف، فوزنه فاذا هو ثمانية دوانيق، والى درهم من الصغار فاذا هو أربعة دوانيق، فجمعهما وحمل زيادة الأكبر على نقص الأصغر وجعلهما درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سواء» اهـ . ثم قال : «صنع عبد الملك فى الدراهم ثلاث فضائل : الأولى أن كل سبعة مثاقيــل زنة عشرة دراهم والثانية أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق . والثالثة أنه موافق لما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فريضة الزكاة بغير وكس ولا إشطاط؛ فمضت بذلك السنة واجتمعت عليه الأمة ... ... الخ» . (٣) لعله يريد بهم الذين يتقدّمون الموكب يفسحون له الطريق . (٤) أى اذهَبْ وابْعُدْ . (٥) زبره هنا : نهره وأغلظ له فى القول .

قال : فقال : قد علمتُ أنّه لا يُبْتَلَى بهذا إلّا دَعِيٌّ أدعياءَ عاضّ كذا من أُمّه . ثم أخذ الطبق فى يده فحمله وتلقّى به الموكبَ ، فما مرّ به أحدٌ له نباهةٌ إلّا مازحه ، حتى مضى القومُ جميعا .

مدح عبد الله بن حسن فأكرمه

وقال هارون حدّثنى أبو حُذَافة السَّهْمِىّ قال حدّثنا إسحاق بن نِسْطَاس قال : كان آبن هَرْمَة مشتهرًا بالنبيذ ، فأتى عبدَ الله بن حسنٍ وهو بالسَّيَالة[1] ، فأنشده مديحًا له . فقام عبدُ الله إلى غنم كانت له ، فرمَى بساجةٍ[2] عليها فآفترقتْ فِرْقتين ، فقال : اخترْ أيّهما شئتَ — قال : فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصتْ بواحدة على الأخرى . قال : وكانت ثلاثمائة — وكتب له إلى المدينة بدنانير . فقال له : يآبنَ هرمة ، انقُلْ عيالَك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يآبنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قَدِم آبن هَرْمَةَ المدينةَ وجهّز عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، وآكترى من رجلٍ من مُزَيْنَةَ . فبينَا هو قد شَدّ متاعَه وحَمله والكَرِىُّ[3] ينتظره أن يتحمّل ، إذ أتاه

دعاه صديق وهو يزمع السفر الى النبيذ فشرب حتى حمل سكران

صديق له ، فقال : أىْ أبا إسحاق ، عندى والله نبيذٌ يُسْقِط لحمَ الوجه . فقال : وَيْحكَ ! أمَا ترانا على مثل هذه الحال ! أعليها يمكن الشراب ! فقال : إنما هى ثلاثة لا تَزِدْ عليهن شيئا . فمضى معه وهم وقوف ينظرون[4] ، فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ؛ ثم أُتِى به وهو سكران ، فطُرِح فى شِقّ المَحْمِل وعادلتْه[5] آمرأته ومضَوْا . فلمّا أسْحَرُوا رفع رأسه فقال : أين أنا؟ فأقبلتْ عليه آمرأتُه تلومه وتعذله ،

لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر

وقالت : قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينَك ودنياك ، فلو تعلّلت عنه[6] بهذه الألبان !

فرفع رأسه إليها وقال :

(١) السيالة كسحابة : موضع بقرب المدينة على مرحلة . (٢) الساجة : ضرب من الملاحف منسوجة ، أو هى واحدة الساج وهو خشب يجلب من الهند . (٣) الكرىّ كغنىّ : المكارى . (٤) فى ء ، ط ، م : «ينتظرون» ، وهما بمعنى واحد . (٥) عادلته أى كانت معه فى الشق الآخر من المحمل . (٦) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : «عليه» ، وهو تحريف .

لا نبتغى لبَنَ البعيرِ وعنـدنا * ماءُ الزَّبيبِ وناطفُ المِعْصارِ[1]

هو أحد من ختم بهم الشعراء فى رأى الأصمعىّ

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خَلَّاد قال :

كان الأصمعىّ يقول: خُتِم الشعراءُ بابن هَرْمَة ، والحَكَمِ الخُضْرىّ[2] ، وابنِ مَيَّادةَ ، وطُفَيلٍ الكِنانىّ ، ومَكِينٍ العُذْرىّ[3] .

رهن رداءه فى النبيذ

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنى أبو حُذَافةَ السَّهْمىّ أحمد بن إسماعيل قال :

كان ابنُ هَرْمَةَ مُدْمِنًا للشراب مُغْرَمًا به ؛ فأتى أبا عمرو بنَ أبى راشد مولى عَدْوان ؛ فأكرمه وسقاه أيّامًا ثلاثةً . فدعا ابنُ هَرْمةَ بالنبيذ ؛ فقال له غلامٌ لأبى عمرو ابن أبى راشد : قد نَفِد نبيذُنا . فنزع ابنُ هَرْمةَ رداءَه عن ظهره فقال للغلام : اذْهَبْ به الى ابن حونك[4] (نَبَّاذ كان بالمدينة) ، فارْهَنْه عنده وأْتِنا بنبيذٍ ، ففعل . وجاء ابن أبى راشد[5] ، فجعل يشرَب معه من ذلك النبيذ . فقال له : أين رِداؤك يا أبا إسحاق ؟ فقال : نِصْفٌ فى القَدَح ونصفٌ فى بطنك .

مدح محمد بن عمران الطلحىّ فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز فأجازه

قال هارون حدّثنى محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عَوْف الزُّهرىّ قال حدّثنى عمّى عبد العزيز بن إسماعيل قال :

---

(١) فى ط ، م ، ى : « لا تبتغى » بالتاء الفوقية . ويكون الخطاب ، على هذه الرواية لأنثى.
(٢) فى ب ، س : « الحضرمى » وهو تصحيف . (٣) كذا فى حـ ، ى ، ط والشعر والشعراء (ص ٤٧٣ طبع أوربا) . وفى ب ، س : « دكين » بالدال المهملة . وفى م : « ذكين » بالذال المعجمة . (٤) فى حـ : « ابن هويك » . وقد ضبط فيها بالقلم بضم الهاء وفتح الواو وسكون الياء . وفى م : «ابن حوقل» بالقاف واللام . (٥) كذا فى أكثر النسخ . وفى س ، م : «وجاء الى ابن حوقل بن أبى راشد» بزيادة « الى ابن حوقل» سهوا من الناسخ.

١٠٥
٤

مدح ٱبنُ هَرْمة محمدَ بن عِمْرانَ الطَّلْحىّ، و بعث إليه بالمَديح مع ٱبن رُبَيح[١]، فاحتجب عنه؛ فمدح محمدَ بنَ عبد العزيز، وكان ٱبن هَرْمةَ مريضا، فقال قصيدتَه التى يقول فيها :

إنى دعوتُك إذ جُفيتُ وشفَّنى * مرضٌ تَضَاعفنى[٢] شديدُ المُشْتَكَى
وحُبِستُ عن طلب المَعيشة وٱرتقتْ * دونى الحوائجُ فى وُعورِ المُرْتَقَى
فأَجِبْ أخاك فقد أناف بصوته * ياذا الإخاء و ياكريمَ المُرتَجَى
ولقد حُفيتُ[٣] صَبِيبَ عُكَّةِ[٤] بيتِنا * ذَوْباً[٥] ومزتُ بصَفْوه عنك القَذَى
فخُذِ الغنيمةَ وٱغتنمنى إننى * غُنْمٌ لمثلك والمكارمُ تُشْتَرَى
لا تَرْمِيَنَّ بحاجتى وقضائها * ضَرْحَ[٦] الحِجاب كما رَمَى بى مَنْ رَمَى

٥

فركب إلى جعفر بن سُليمان نصفَ النَّهار؛ فقال : ما نَزَعك[٧] يا أبا عبد الله فى هذا الوقت؟ قال : حاجةٌ لم أَرَ فيها أحدًا أكْفَى منّى. قال: وما هى؟ قال : قد مدحنى ابن هَرْمةَ بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاق مائةَ دينار . قال : ومَنْ عندى مثلُها

١٠

(١) كذا فى ط ، ى ، م ، وسيذكر غير مرة فى جميع الأصول كذلك . وفى حـ : «ابن زنيج» بالزاى والنون والجيم . وفى ب ، سـ : « ابن ربيع » ، وكلاهما تحريف . وٱبن ربيح هذا هو راوية ابن هرمة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة تدل على المعنى المراد هنا وهو أضعفنى وأسقمنى . وفى م ، حـ : «يضاعفنى» بالياء وضاعفه : جعله ضعفين . فلعل المراد على هذه الرواية : مرض يضاعف شكواى . (٣) حفيت : أُعطيت . وفى م : «خفيت» بالخاء المعجمة وهو تصحيف وفى ب ، ط ، ى ، سـ : «جفيت» بالجيم وهو تصحيف أيضا . وفى حـ : «خبيت» ولعلها مصحفة عن « حُبيت » وهى « كفيت» وزنا ومعنى . والذى ظهر لنا فى معنى البيت أنه يريد : لقد منحت خير ما نملك وهو ما فى عكتنا من عسل مصفى ، يكنى بذلك عن مديحه الحسن .

١٥

٢٠

(٤) العكة : زقيق صغير للسمن والعسل . وفى الحديث : أن رجلا كان يهدى للنبىّ صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل . قال ابن الأثير فى النهاية : « وهى وعاء من جلود مستدير ، يختص بهما وهو بالسمن أخص » . (٥) الذوب : العسل . (٦) كذا فى ى ، ط . والضرح : أن يؤخذ شىء فيرمى به فى ناحية . وفى ب ، سـ : «ضوح» بالواو . وفى م : «صرح» بالصاد وكلاهما تحريف . (٧) ما نزعك يريد : ما حركك من مكانك وما جاء بك .

٢٥

قال : ومن الأمير أيضا ! قال : فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هَرْمةَ، فما أنفق منها إلّا دينارًا واحدا حتّى مات ، وورث الباقي أهلُه .

امتدح أبا جعفر فلما أجازه لم يرض وطلب أن يحتال له في إباحة الشراب

وقال أحمد بن أبي خَيْثمة عن أبي الحسن المَدائنيّ قال :

امتدح ابنُ هَرْمةَ أبا جعفر فوصَله بعشرة آلاف درهم . فقال : لا تَقَع منّي هذه . قال : وَيْحكَ ! إنّها كثيرة . قال : إنْ أردتَ أن تَهْنِئَني فأَبِحْ لي الشرابَ فإنّي مُغْرَمٌ به . فقال : وَيْحَك ! هذا حَدٌّ من حُدود الله . قال : احْتَلْ لي يا أمير المؤمنين . قال نعم . فكتب إلى والي المدينة : مَنْ أتاك بابن هَرْمةَ سكرانَ فاضْرِبْه مائةً واضْرِبِ ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجِلْوازُ[1] إذا مرّ بابن هرمة سكرانَ ، قال : مَنْ يشتري الثمانين بالمائة !

امتدح الحسن بن زيد فأجازه وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه لأنهم وعدوه وأخلفوه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شَبّةَ قال حدّثنا أبو سَلَمةَ الغِفاريّ قال أخبرنا ابن رُبَيْح رَاوِيةُ ابن هَرْمةَ قال :

أصابتِ ابنَ هَرْمةَ أَزْمةٌ ، فقال لي في يومٍ حارٍّ : اذْهَبْ فتَكارَ حمارَيْنِ إلى ستّةِ أميال، ولم يُسَمِّ موضعا . فركبَ واحدًا وركبتُ واحدًا، ثم سِرْنا حتى صِرْنا الى قصور الحسن بن زيد بِبَطْحاء ابنِ أَزْهَر ، فدخلنا مسجدَه . فلمّا مالتِ الشمسُ خرج علينا مُشْتَمِلًا على[2] قَميصه ، فقال لمولًى له : أَذِّنْ فأذّن، ولم يكلّمنا كلمةً . ثم قال له : أَقِمْ فأقام، فصلّى بنا، ثم أقبل على ابنِ هَرْمةَ فقال : مرحبًا بك يا أبا إسحاق ، حاجتَك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي ، أبياتٌ قلتُها — وقد كان عبدُ الله وحسنٌ و إبراهيم بنو حسن بن حسن وَعَدُوه شيئا فأخلفوه — فقال : هاتِها . فقال :

(١) الجلواز : الشرطيّ ؛ سمي بذلك لسرعته وخفته في ذهابه ومجيئه بين يدي الأمير. (٢) كذا في جميع النسخ. وهذا الفعل إنما يتعدى بالباء .

أمّا بنـو هاشمٍ حوْلِى فقد قرَعُوا * نَبْلَ الضِّبابِ[1] التى جمّعتُ فى قرَنِ

فمـا بيثربَ منهم مَنْ أعاتبُه * إلّا عوائدَ أرجوهنّ من حَسَنِ

اللهُ أعطاك فضلًا مِنْ عطيّتِه * على هَنٍ وهَنٍ[2] فيما مضَى وهَنِ

قال : حاجَتَكَ ! قال : لآبن أبى مُضَرِّس علىّ خمسون ومائةُ دينارٍ. قال : فقال لمولى له : ياهَيْثم ، آركَبْ هذه البغلةَ فأْتنى بآبن أبى مُضَرِّس وذِكْرِ[3] حَقِّه . قال : فما صلَّينا العصرَ حتّى جاء به . فقال له : مرحبًا بك يآبنَ أبى مُضَرِّس ، أمعك ذِكْرُ حقِّك على آبن هرمة قال نعم . قال : فآمْحُه ، فمحاه . ثم قال : ياهيثم ، بِعِ آبنَ أبى مُضَرِّس من تمرِ[4] الخانقَيْن بمائة وخمسين دينارًا وزِدْه على كلّ[5] دينار ربعَ دينار ، وكِلِ آبنَ هرمة بخمسين ومائة دينارٍ تمرًا ، وكِلِ آبنَ رُبيح بثلاثين دينارًا تمرًا . قال : فآنصرفنا من عنده ؛ فلقيَه محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيَالة ، وقد بلَغه الشعرُ ، فغضب لأبيه وعُمومته فقال : أىْ ماصَّ بَظْرِ أُمّه ! أنت القائل :

* على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ *

فقال : لا واللهِ ! ولكنّى الذى أقول لك :

لا والّذى أنتَ منـه نعمةٌ سَلَفتْ * نرجو عَوَاقبَها فى آخرِ الزَّمَنِ

لقـد أُبِيتُ بأمرٍ ما عمَـدتُ له * ولا تعمَّـده قولِى ولا سَـنَنِى

(١) الضباب هنا : الأحقاد . يقال : فى قلبه ضب أى غل داخل ، كالضب الممن فى جحره . والظاهر أنه يريد أن يقول : إنهم سلوا أحقادهم وأظهروا عداوتهم وأنا قد كتمتها وأخفيتها .

(٢) هن : كلمة يكنى بها عن آسم الانسان . وقد كررها الشاعر ثلاثا لأنه أراد ثلاثة أشخاص معينين .

(٣) ذكر الحق : الصك الذى يكتب فيه الدين . (٤) فى ط ، ء : « ثمر » بالثاء المثلثة . والخانقان : موضع بالمدينة وهو مجمع مياه أوديتها الثلاثة : بطحان والعقيق وقناة .

(٥) فى ط ، ء ، م : « وزده فى كل دينار » .

فكيف أمشى مع الأقوام معتدلًا * وقد رَمَيتُ بَرِىءَ العُودِ بالأُبَنِ[1]
ما غَيَّرتْ وجهَه أمٌّ مهجنةٌ * إذا القَتَامُ تَغَشَّى أوجُهَ الهُجُنِ[2]

قال : وأمّ الحسن أمّ ولد .

لما عرض بعبد الله ابن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجرى عليه فما زال به حتى رضى

قال هارون : فحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَة قال :

لمّا قال ابنُ هَرْمَةَ هذا الشعرَ فى حسن بن زيد ، قال عبدُ الله بن حسن : ٥
واللهِ ما أراد الفاسقُ غيرى وغيرَ أخَوَىَّ : حسنٍ وإبراهيم . وكان عبدُ الله يُجْرِى على
ابن هَرْمة رزقًا فقطعه عنه وغَضِب عليه . فأتاه يعتذر ، فنُحِّى وطُرِدَ؛ فسأل رجالًا
أن يكلّموه ، فردَّهم ؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه . فمكث ما شاء الله، ثم مرّ
عَشِيّةً وعبدُ الله على زَرْبِيّة[3] فى مَمَرّ المنبر، ولم تكن تُبْسَط لأحدٍ غيره فى ذلك المكان .
فلمّا رأى عبدَ الله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغر وأسرع المشىَ . فكأنّ عبدَ الله رقّ له ، ١٠
فأمر به فرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، ياشاربَ الخمر، على هَنٍ وهَنٍ ! أتُفَضِّل الحسنَ علىَّ
وعلى أخَوَىَّ ! فقال : بأبى أنت وأمّى ! ورَبِّ هذا القبر ما عَنَيتُ إلّا فرعونَ وهامانَ
وقارونَ ، أفتغضَب لهم ! فضحِك وقال : واللهِ ما أحسَبُك إلّا كاذبا . قال : والله
ما كَذَبْتُك . فأمر بأن تُرَدَّ عليه جِرايتُه .

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال أخبرنى أبو أيُّوبَ المَدِينىّ عن مُصْعَب قال : ١٥
إنّما اعتذر ابنُ هَرْمَةَ بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

قصيدة له خالية من الحروف المعجمة

قال يحيى : وأخبرنى أبو أيُّوب عن علىّ بن صالح قال :

---

(١) الأُبَن : جمع أُبنة وهى العقدة تكون فى العود تفسده ويعاب بها . وقولهم : ليس فى حسب فلان أُبنة ، أى عيب ، مأخوذ من هذا . (٢) الهجين : من أبوه خير من أمه أو من أبوه عربىّ وأمه غير عربية ، وجمعه : هُجُن وهُجناء وهُجْنان ومهاجين ومهاجنة . (٣) الزربية (بفتح ٢٠ فسكون) : البساط والنمرقة ، وقيل : هى كل ما بسط واتكىء عليه ، والجمع زرابىّ .

أنشدنى عامر بن صالح قصيدةً لابن هَرْمَةَ نحوًا من أربعين بيتًا ، ليس فيها حرف يُعْجَم ، وذكر هذه الأبياتَ منها . ولم أجد هذه القصيدة فى شعر ابن هرمة ، ولا كنتُ أظنّ أن أحدًا تقدَّم رُزَيْنًا العَرُوضىّ إلى هذا الباب . وأوّلها :

أَرَسْمُ سَوْدةَ أمسى دارسَ الطَّلَلِ * مُعَطَّلًا ردّه الأحوالُ كالحُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن علىّ فى خبره أنّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتًا ؛ ووجدتها فى رواية الأصمعىّ ويعقوب بن السِّكِّيت اثنى عشر بيتا ، فنسختُها هاهنا لحاجة إلى ذلك . وليس فيها حرف يُعْجَم إلّا ما اصطلح عليه الكُتَّاب من تصييرهم مكانَ ألفٍ ياءً مثل "أَعْلَى" فإنّها فى اللفظ بالألف وهى تكتب بالياء ، ومثل "رَأَى" ونحو هذا ، وهو فى التحقيق فى اللفظ بالألف ، وإنما اصطلح الكُتَّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه . والقصيدة :

أَرَسْمُ سَوْدةَ مَحْلٌ دارسُ الطَّلَلِ * مُعَطَّلٌ ردّه الأحوالُ كالحُلَلِ
لمّا رأى أهلَها سَدّوا مَطالِعَها * رام الصُّدودَ وعاد الوُدُّ كالمُهُلِ[1]
وعاد وُدُّك داءً لا دواءَ له * ولو دعاك طَوَالَ الدّهرِ للرِّحَلِ
ما وَصْلُ سَوْدةَ إلّا وَصْلُ صارمةٍ * أحلَّها[2] الدهرُ دارًا مأْكَلَ الوَعِلِ[3]
وعاد أمواهُها سُدْمًا[4] وطارَ لها * سَهْمٌ دعا أهلَها للصُّرْمِ والعِلَلِ
صَدُّوا وصدّ وساءَ المرءَ صَدُّهُمُ * وحام للوِرْدِ رَدْهًا حَوْمةَ العَلَلِ

حَوْمةُ الماء : كثرته وغَمْرته[5] . والعَلَل : الشُّرْب الثانى . والرَّدْهُ : مُسْتَنْقَع الماء —

(١) كذا فى أكثر الأصول . والمهل : ما ذاب من صفر أو حديد ؛ وبه فسر قوله تعالى : (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) . وحركت هاؤه للضرورة . ولعله يريد أنه لما حيل بينه وبينها عانى من ودّه لها ما يعانيه متجرّع هذا الشراب . وفى حـ : * رام الصدود وعاد الودّ كالعمل * (٢) فى ء ، ط ، م : * أحلها الودّ دهرا معقل الوعل * وهذا لايتفق والإهمال المراد فى هذه القصيدة . (٣) الوعل : تيس الجبل . يريد بذلك استعصاءها ومنعتها . (٤) سدما : متغيرة من طول المكث . (٥) هذا التفسير غير واضح . ولعله المرة من الحوم .

وحَلَّئُوه رِدَاها[1] ماؤُها عَسَلٌ * ما ماءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللهِ كالعَسَلِ

دعا الحَمَامُ حَمَامًا سَدَّ مَسْمَعَه * لمّا دعاه رآه طامحَ الأملِ[2]

طُمُوحَ سارحةٍ حَوْمٍ مُلَمَّعةٍ[3] * ومُمْرِعُ السِّرِّ سهلٌ ماكِدُ السَّهَلِ

وحاولوا رَدَّ أمرٍ لا مَرَدَّ لـه * والصُّرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوْعةِ الوُصُلِ

أحَلَّكَ اللهُ أعلَى كلِّ مَكْرُمةٍ * واللهُ أعطاك أعلَى صالحِ العَمَلِ

٥

سهلٌ مَوارِدُه سَمْحٌ مَوَاعِدُه * مُسَوَّدٌ لكِرَامٍ سادةٍ حُمُلِ[4]

عاب المسوّر بن عبد الملك شعره فقال فيه شعرا

قال يحيى بن علىّ وحدّثنى أبو أيُّوب المَدِينىّ عن أبى حُذَيفةَ قال :

كان المُسَوَّرُ بن عبد الملك المَخْزُومىّ يَعيب شعرَ ابن هَرْمةَ ، وكان المُسَوَّرُ هذا عالمًا بالشعر والنَّسَب[5] ؛ فقال ابن هَرْمةَ فيه :

١٠

إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ من لُجُمِى * نِكْلًا[6] يُنَكِّلُ قَرّاصًا[7] من اللُّجُمِ

يَدُقُّ لَحْيَيْكَ أو تنقادَ متّبِعًا * مَشْىَ المُقَيَّدِ ذى القِرْدانِ[8] والحَلَمِ

---

(١) حلأهم عن الماء : منعهم عنه . (٢) كذا فى ى ، ط ومختار الأغانى لابن منظور . وفى سائر الأصول : * لما دعاه ودهر طامح الأمل * (٣) السارحة : الماشية . والحَوْم : القطيع الضخم . والملمع : الذى فى جسده بقع تخالف سائر لونه . والممرع : المخصب . والسرها : بطن الوادى وأكرم موضع فيه . والماكد : الدائم الذى لا ينقطع . (٤) حمل : جمع حمول ، وهو كثير الاحتمال لما ينوبه

١٥

لحلمه وكرمه . (٥) كذا فى ط ، ى . وفى باقى الأصول : « ... والنسيب » . (٦) النكل : اللجام . (٧) كذا فى ط ، ى . والقرّاص (بالصاد المهملة) : وصف من القرص وهو معروف . وفى سائر الأصول : « قراضا » بالضاد المعجمة . والقرّاض : القطاع ، وبه يستقيم المعنى أيضا . (٨) القردان : جمع قرادة وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه . والحلم (بالتحريك واحده حلمة بالتحريك أيضا) قيل : هو الصغير من القراد وقيل : هو الضخم ، وهو الأشهر . قال الأصمعى : القراد أوّل ما يكون صغيرا :

٢٠

قَمْقامة ثم يصير حَمْنانة ثم يصير قُرادا ثم حلمة .

إنّى إذا ما ٱمرؤٌ خفّتْ نعامتُه(١) * إلىّ وٱستحصدتْ منه قُوَى الوَذَمِ(٢)

عقدتُ فى مُلتقَى أوداج لَبّتِه * طَوقَ الحمامةِ لا يَبلَى على القِدَمِ

إنّى ٱمرؤٌ لا أصوغ الحَلْىَ تعمَلُه * كفّاىَ لكن لسانى صائغُ الكَلِمِ

إنّ الأديمَ(٣) الذى أمسيتَ تَقْرِظُه * جَهْلًا لذو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ

ولا يَئِطُّ(٤) بأيدى الخالقينَ ولا * أيدى الخَوالِقِ إلّا جيِّدُ الأَدَمِ

عاتب عبد الله بن مصعب فى تفضيله ابن أذينة عليه

قال يحيى وحدّثنى أبو أيّوب عن مُصْعَب بن عبد الله عن أبيه قال :

لَقِيَنى ٱبن هَرْمة فقال لى : يا بنَ مُصْعَب ، أتُفَضِّل علىّ ٱبنَ أُذَيْنةَ ! أمَا شكرتَ قولى :

فما لكَ مُخْتلًّا عليك خَصاصةٌ * كأنّك لم تَنْبُتْ ببعض المَنابِتِ

كأنّك لم تَصْحَبْ شُعَيْبَ بنَ جَعْفرٍ * ولا مُصْعبًا ذا المَكْرُماتِ ٱبنَ ثابتِ

— يعنى مُصْعَب بن عبد الله — قال : فقلت : يا أبا إسحاق ، أقِلْنى ورَوِّنى من شعرك ما شئتَ ؛ فإنّى لم أَرْوِ لك شيئا . فروّانى عَبّاسيّاتِه(٥) تلك .

ثناؤه على ابراهيم بن عبد الله وابراهيم بن طلحة لإكرامهما له وشعره فى الأوّل

قال يحيى : وأخبرنى أبو أيّوب المَدِينىّ عن مُصْعَب بن عبد الله عن مُصْعَب ابن عثمان قال :

---

(١) النعامة هنا : القدم . ويكنى بخفة النعامة عن السرعة ؛ يقال : خفّت نعامتهم ، أو شالت نعامتهم ، اذا أسرعوا . (٢) الوذم (بالتحريك) : سيور تقدّ مستطيلة . واستحصاد قواها : إحكام فتلها . وقد يكنى بذلك عن الغضب ؛ فيقال : استحصد حبل فلان إذا غضب . (٣) الأديم : الجلد . و يقرظه : يدبغه بالقرظ لإصلاحه . والنغل (بالتحريك) : الفساد . والحلم (بالتحريك) : فساد فى الجلد ، سببه أنه يقع فيه دود فيتثقب . (٤) يئط : يصوّت . والخالقون : وصف من قولهم : خلق الجلد اذا قدّره قبل قطعه . (٥) لعله يريد قصائده التى مدح بها بنى العباس .

قال ابن هرمة : ما رأيتُ أحدًا قطُّ أسْخَى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم ابنِ عبد الله بن مُطِيع، وإبراهيم بن طَلْحةَ بن عمرو بن عبد الله بن مَعْمَر. أمّا إبراهيم ابن طلحة فأتيتُه فقال : أَحْسِنوا ضِيافةَ أبي إسحاق، فأتيتُ بكلِّ شيء من الطعام، فأردت أن أُنْشِدَه، فقال : ليس هذا وقتَ الشعر. ثم أخرج الغلامُ إليّ رُقْعةً فقال : ائتِ بها الوكيلَ. فأتيتُه بها، فقال : إنْ شئتَ أخذتُ لك جميعَ ما كُتب به، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة . قلت : وما أُمِر لى به ؟ فقال : مائتا شاةٍ برِعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جَمَّالٌ ومِظَلّة وما تحتاج إليه، وقُوتُك وقوتُ عِيالك سنةً . قلت : فأَعْطِني القيمة ؛ فأعطاني مائتي دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه في منزله بمُشَاش[1] على بئر ابن الوليد[2] بن عثمان بن عَفّان؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برُزْمة من ثياب وصُرّةٍ من دراهم ودنانير وحُلِيّ، ثم قال : لا والله ما بَقَّيْنا في منزلنا ثوبًا إلّا ثوبًا نُوارِي به آمرأةً، ولا حَلْيًا ولا دينارا ولا درهما . وقال يمدح إبراهيم :

أَرَّقَتْني تَلُومُني أُمُّ بكرٍ * بعد هَدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤْذِيني
حَذَّرَتْني الزمانَ ثُمَّتَ قالتْ * ليس هذا الزمانُ بالمأمون
قلتُ لمّا هَبَّتْ تُحَذِّرُني الدّهـ * ـرَ دَعِي اللَّوْمَ عنك وٱسْتَبْقِيني
إنّ ذَا الجُودِ والمكارمِ إبرا * هيمَ يَعْنِيه كلُّ ما يَعْنِيني
قد خَبَرْناه في القديم فألفيْـ * ـنا مَواعِيدَه كعَيْنِ اليقين
قلتُ ما قلتُ لِلّذي هو حقٌّ * مستبينٌ لا لِلّذي يُعْطِيني

(١) مشاش : (بضم أوّله وشين معجمة أيضا في آخره) : موضع بين ديار بني سليم وبين مكة، وبينه وبين مكة نصف مرحلة . (انظر معجم ما استعجم للبكري في اسم مشاش ج ٢ ص ٥٦٠ طبع أوروبا) .

(٢) في ء ، ط : « بئر الوليد » . وكان لعثمان بن عفان (رضى الله عنه) ابن يسمى الوليد، ولا ندري أكانت هذه البئر له أم لابنه .

نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـ * ـجَدْبِ منها وبعد سُوء الظُّنونِ
فرَعَينـا آثارَ غَيثٍ هَرَاقتْـ * ـهُ يَدَا مُحكَمِ القُـوَى ميمونِ

طلب من محمد بن عمران علفا بإغراء محمد الزهرى فأعطاه كل ما ورده

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِىّ :

أنّ إبلًا لمحمد بن عِمْران تحمل علفًا مرّتْ بمحمد بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ ومعه ابن هَرْمةَ ، فقال : يا أبا إسحاق ، ألَا تستعلف محمدَ بن عِمْرانَ! وهو يريد أن يُعرّضه لمَنْعه فيهجوه . فأرسل آبن هرمة فى أثر الحَمُولة رسولًا حتّى وقف على آبن عِمْران، فأبلغه رسالتَه ، فردّ إليه الإبل بمـا عليها ، وقال : إنِ آحتجتَ إلى غيرها زِدناك . فأقبل آبن هَرْمة على محمـد بن عبد العزيز فقال له : اغسِلْها عنّى ؛ فإنّه إنْ علِم أنّى آستعلفته ولا دابّةَ لى وقعتُ منه[1] فى سَوْءة. قال: بماذا ؟ قال : تُعْطِينى حمارَك. قال: هو لك بسَرْجه ولِجامه . فقال ابن هَرْمة : مَنْ حَفَر حفرةَ سَوْءٍ وقَع فيها .

وفد على السرى ابن عبدالله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحب أن يفد عليه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهْرِىّ عن ابن زُرَيْق[2]، وكان منقطعًا إلى أبى العبّاس[3] بن محمد وكان من أَرْوَى الناس، قال :

كنتُ مع السَّرِىّ بن عبـد الله باليَمَـامة ، وكان يتشـوّق إلى إبراهيم بن علىّ ابن هَرْمةَ ويُحِبُّ أن يَفِدَ عليـه ، فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليـه ؟ فيقول : أخاف أن يُكلِّفَنى[4] من المؤونة ما لا أُطيق . فكنت أكتب بذلك إلى آبن هَرْمةَ ، فكره أن يَقْدَم عليه إلّا بكتاب منـه ؛ ثم غُلِب فشَخَص إليه ، فنزل علىّ ومعه راويتُـه ابنُ رُبَيح . فقلتُ له : ما مَنَعك[5] من القُـدوم على الأمير وهو من الحِـرْص

(١) فى ط ، ى ، م : « وقعت معه » . (٢) كذا فى جميع الأصول فيما سيأتى (ص ٣٨٦) . وفى أكثر الأصول هنا : « عن أبى زريق » . وفى م ، سـ : « ابن أبى زريق » .
(٣) أبو العباس بن محمد، هو عبدالله السفاح أوّل خلفاء بنى العباس . (٤) فى ط ، ى : «فيكره» .
(٥) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « ما يمنعك » .

على قدومك على ما كتبتُ به إليك؟ قال : الذى منعه من الكِتّاب إلىّ . فدخلتُ على السَّرِىّ فأخبرتُه بقُدومه ، فسُرَّ بذلك وجلَس للناس مجلسًا عامًّا ، ثم أَذِن لابن هَرْمةَ فدخل عليه ومعه راويتُه ابن رُبَيْح . وكان ابن هَرْمة قصيرًا دَميمًا أُرَيمِص[1] ، وكان ابنُ رُبَيْح طويلًا جسيمًا نقىّ الثياب . فسلَّم على السَّرِىّ ثم قال له : أصلحك اللهُ! إنّى قد قلتُ شعرًا أثنيتُ فيه عليك . فقال : أَنْشِدْ ؛ فقال : هذا يُنشد بمجلس . فأنشده ابن رُبَيْح قصيدتَه التى أوّلُها :

عُوجَا على رَبْعِ ليلَى أُمِّ محمودِ * كيما نُسائلَه من دون عَبُّودِ[2]

عن أُمِّ محمودَ إذ شَطَّ المَزَارُ بها * لعلّ ذلك يَشْفِى داءَ مَعمودِ[3]

فعرِّجَا بعد تغويرٍ[4] وقد وقفتْ * شمسُ النهارِ ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ

شيئًا فما رَجَعتْ أطلالُ منزلةٍ * قَفْرٍ جوابًا لمحزونِ الجَوَى مُودِى[5]

ثم قال فيها يمدح السرىّ :

ذاك السَّرِىُّ الذى لولا تَدَفُّقُه * بالعُرْفِ[6] مُتْنَا حليفُ المجدِ والجودِ

مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عبدِ الله مجتديًا[7] * لِسَيْبِ عُرْفِك يَعْمِدْ[8] خيرَ معمود

---

(١) أريمص : تصغير أرمص ، وصف من الرَّمَص فى العين وهو كالغَمَص ، وقيل : الرمص : ما سال مما تلفظ به العين ، والغمص : ما جمد ، وقيل العكس . (٢) عبود وصَعَر : جبلان مابين المدينة والسيالة ينظر أحدهما الى الآخر ، و بينهما طريق المدينة . (٣) المعمود : من هدّه العشق . (٤) التغوير : النزول وقت القائلة . وفى ى ، ط : « تعويق » . والتعويق : الانصراف عن الشىء والانحباس عنه . وفى مختار الأغانى لابن منظور : « تطويل » . (٥) المودى : الهالك . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ :

* بالعرف مات حليف المجد والعود *

(٧) فى حـ : « مجتهدا » . (٨) معمود : مقصود .

يابنَ الأُسَاةِ الشُّفَاةِ المُسْتَغَاثِ بهمْ * والمُطْعِمِينَ ذُرَى الكُومِ المَقَاحِيدِ (١)
والسَّابقين إلى الخيراتِ قومَهُمُ * سَبْقَ الجيادِ إلى غاياتها القُودِ (٢)
أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البطحاء مَنْبِتُكُمْ * بطحاءُ مكةَ لا رُوسُ القَرَادِيدِ (٣)
لَكُمْ سِقَايَتُهَا قِدْمًا وَنَدْوَتُهَا (٤) * قد حازها والدٌ منكم لمولودِ
لولا رجاؤك لم تَعْسِفْ بنا قُلُصٌ * أجوازَ مَهْمَهةٍ قَفْرِ الصُّوَى بِيدِ (٥)
لكنْ دعانى وميضٌ لاح معترضًا * من نحو أرضك فى دُهْمٍ مَنَاضِيدِ (٦)

وأنشده أيضا قصيدةً مدَحه فيها، أوّلُها :

أفى طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ * وقفتَ وماءُ العينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ
تُسائل عن سَلْمَى سَفَاهًا وقد نأتْ * بسلمى نَوًى شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ

(١) كذا فى أكثر الأصول . والذرى (بضم الذال) : جمع ذروة (بضم الأول وكسره) . وذروة كل شىء : أعلاه ؛ وذروة السنام والرأس : أشرفهما . والكوم : الضخام الأسنمة ؛ الواحد أكوم وكوماء . والمقاحيد : جمع مقحاد وهى الناقة العظيمة السنام . وفى ى ، ط ، م : « ذرى الكوم الفراقيد » والفراقيد : جمع فرقد وهو ولد البقرة ؛ وقيل : ولد البقرة الوحشية . وظاهر أن الرواية الأولى هى الصحيحة . (٢) القود : جمع أقود ، وهو من الخيل الطويل العنق . (٣) اسلنطح الوادى : اتسع . (انظر ص ٣١٧ من هذا الجزء) . وروس : جمع رأس ، خففت همزته . والقراديد : جمع قردود وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ؛ وقيل : جمع قردد ، وزادوا الياء كراهية التضعيف . (٤) السقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من النبيذ المنبوذ فى الماء ، وكان يليها العباس بن عبد المطلب فى الجاهلية والإسلام . والندوة : دار الندوة بمكة وهى التى بناها قصىّ . سميت بذلك لاجتماعهم فيها لأنهم كانوا اذا حزبهم أمر ندوا اليها للتشاور . (٥) كذا فى أكثر الأصول . والعسف : السير فى المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية . والصوى : الأعلام من الحجارة تنصب فى الفيافى والمفازات المجهولة يستدل بها على الطريق . وفى حـ :

* أجواب مهمهة قفر الطوى بيد *

والأجواز والأجواب بمعنى ، من جاز المكان وجابه اذا قطعه . والطوى : ما يطوى ، من طوى البلاد أى قطعها ، وطوى المكان جاوزه الى غيره . (٦) دهم : سود . ومناضيد : متراكبة بعضها فوق بعض . يريد سحبا هذا وصفها .

وترجو ولم ينطِقْ وليس بناطقٍ * جوابًا مُحِيلٌ[1] قد تَحَمَّلَ آهِلُهْ

ونُؤْىٌ كخَطِّ النُّونِ ما إن تَبِينُهُ * عَفَتْه ذيولُ[2] من شَمالٍ تُذَايِلُهْ[3]

ثم قال فيها يمدح السَّرِىَّ :

فقُلْ للسَّرِىِّ الواصلِ البَرِّ ذى النَّدَى * مديحًا إذا ما بُثَّ صُدِّقَ قائلُهْ

جوادٌ على العِلاَّتِ يَهْتَزُّ للنَّدَى * كما اهتزَّ عَضْبٌ أخلصتْه صَيَاقِلُهْ

نَفَى الظُّلْمَ عن أهلِ اليَمَامةِ عدلُه * فعاشُوا وزاحَ[4] الظُّلْمُ عنهم وباطِلُهْ

وناموا بأَمْنٍ بعد خوفٍ وشِدَّةٍ * بسيرةِ عَدْلٍ ما تُخافُ غوائِلُهْ

وقد عَلِمَ المعروفُ أنّك خِدْنُه * ويعلمُ هذا الجُوعُ[5] أنّك قاتِلُهْ

بك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ[6] وغيرها * من الأرض حتّى عاش بالبَقْلِ آكِلُهْ

وأنت تُرَجَّى للَّذى أنت أهلُه * وتنفعُ ذا القُرْبَى لديك وَسائِلُهْ

وأنشده أيضا ممّا مدحه به قولَه :

* عُوجَا نُحَيِّ الطُّلولَ بالكَثَبِ[7] *

يقول فيها يمدحه :

دَعْ عنك سَلْمَى وقُلْ مُحَبَّرةً[8] * لماجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ

مَحْضٍ مُصَفَّى العُروقِ يَحْمَدُه * فى العُسْرِ واليُسْرِ كلُّ مُرْتَغِبِ

---

(١) المحيل : الذى أتت عليه أحوال فغيرته . يقال : أحالت الدار وأحولت . (٢) ذيل الريح : ما انسحب منها على الأرض . وذيل الريح أيضا : ما تتركه فى الرمال على هيئة الرسن ، وما جرّته على الأرض من التراب والقتام . وقيل : أذيال الريح ، أواخرها التى تكسح بها ما خف لها . (٣) تذايله : لعله يريد أنها تجرّ عليه ذيولها وتعفيه . وفى أكثر الأصول : « تذائله » بالهمز . (٤) زاح هنا : ذهب ؛ فهو لازم مثل انزاح . (٥) فى مختار الأغانى : « الجور » بالراء المهملة .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . وحجر (بالفتح) مدينة اليمامة وأم قراها . وفى م :

* بك الله أحيا الأرض حجرا وأهلها *

(٧) الكثب (بالتحريك) : موضع بديار بنى طيء . (٨) حبر الشعر والكلام : حسنه وأجاده .

الواهبِ الخَيْـــلَ فى أَعِنَّتِها * والوُصَفاءَ الحِسَانَ كالذَّهَبِ
مجـــدًا وحمدًا يُفِيـــدُه كَرَمًا * والحمدُ فى الناس خيرُ مُكْتَسَبِ

قال : فلمّـا فرَغ آبن رُبَيْح ، قال السَّرِىُّ لآبن هَرْمةَ : مرحبًا بك يا أبا إسحاق ! ما حاجتك؟ قال : جئتك عبدًا مملوكا. قال : [لا !][1] بل حُرًّا كريما وآبنَ عمّ ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لى مالًا إلّا رهنته ، ولا صديقًا إلّا كلّفته — قال أبو يحيى : يقول لى ابن زُرَيْق[2] : حتّى كأنّ له دَيْنًا وعليـه مالًا — فقال له السَّرِىّ : وما دَيْنُك؟ قال: سبعُمائةِ دينار. قال : قد قضاها الله عزّ وجلّ عنك. قال: فأقام أيّاما، ثم قال لى : قد آشتقتُ . فقلت له : قل شعرًا تَشَوَّقُ فيه . فقال قصيدتَه التى يقول فيها :

أَأَلحمامةُ[3] فى نَخْــلِ آبنِ هَـدّاجِ * هاجتْ صَبابةَ عانِى القلب مُهْتاجِ
أم المُخَبِّرُ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعتْ * منـه العِشَارُ تمـامًا غيرَ إخْداجِ[4]
شَقَّتْ[5] سَوائفُها بالفَرْش[6] من مَلَلٍ * إلى الأَعارِفِ[7] من حَزْنٍ وأولاجِ[8]
حتّى كأنّ وُجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ * طرائفًا من سَدَى عَصْبٍ ودِيباجِ

---

(١) الزيادة عن مختار الأغانى لابن منظور . (٢) كذا ورد هـذا الاسم هنا فى جميع الأصول . (انظر ص ٣٨٢ من هذا الجزء) . (٣) فى مختار الأغانى لابن منظور : « إن الحمامة » . (٤) أخدجت الناقة : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمـام الأيام وإن كان تامّ الخلق . (٥) كذا فى م . وشقت : انفطرت عن النبات ، أو المراد : شق نباتها ؛ فأسند الفعل إلى الأرض على سبيل المجاز ؛ يقال : شق النبات يشق شقوقا ؛ وذلك أوّل ما تنفطر عنه الأرض . والسوائف : جمـع سائفة وهى أرض بين الرمل والجـلد أو جانب من الرمل ألين ما يكون . وفى سائر الأصول : «شقت شوائفها» . (٦) الفرش : واد بين غَمِيس الحمام وملل ، كما فى معجم البلدان لياقوت ، نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره إلى بدر . وملل : موضع بين الحرمين ؛ سمى بذلك لأن الماشى إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعـد ملل وجهد . وقد نزله أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره إلى بدر . (٧) الأعارف : جبال باليمامة ، كما فى ياقوت .

(٨) كذا فى م . والحزن : ما غلظ من الأرض . والأولاج : ما غمض من الأرض ، واحده : وَلَجَة . وفى سائر الأصول : « من حزن وأوجاج » .

وهى طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السَّرِىّ :

أمَّا السَّرِىُّ فإنِّى سوف أمدَحُه * ما المادحُ الذاكرُ الإحسانَ كالهاجى

ذاك الذى هو بعد الله أنقذنى * فلستُ أنساه إنقاذى وإخراجى

لَيثٌ بحَجْرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ * هاجَ إليه بإلجامٍ وإسْراجِ

لأَحْبُوَنَّكَ مما أصْطَفِى مِدَحًا * مُصَاحِباتٍ لعُمَّارٍ وحُجَّاجِ

أَسْدَى الصنيعةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ * إلى قَرُوعٍ لباب المُلْكِ وَلَّاجِ

كَمْ من يَدٍ لك فى الأقوام قد سَلَفتْ * عند امرئٍ ذى غِنًى أو عند مُحْتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار فى قضاء دَيْنه ، ومائةِ دينارٍ يتجهَّز بها ، ومائةِ دينارٍ يُعرِّضُ بها أهلَه ، ومائةِ دينارٍ إذا قَدِم على أهله .

قوله : « يُعرِّضُ بها أهلَه » أى يُهْدِى لهم بها هديّة ، والعُرَاضَةُ : الهَدِيَّة .

قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك :

كانتْ عُرَاضَتُكَ الَّتِى عَرَّضْتَنا * يوم المدينة زَكْمَةً وسُعَالَا

أنكر شعرا له فى بنى فاطمة خوفا من العباسيين

أخبرنى الحَرَمِىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى نَوْفَل بن ميمون قال أخبرنى أبو مالك محمد بن علىّ بن هَرْمَةَ قال :

قال ابن هَرْمَةَ :

ومهما أُلَامُ[1] على حُبِّهِم * فإنِّى أُحِبُّ بنى فاطمهْ

بنِى بنت مَنْ جاء بالمُحْكَمَا * تِ والدِّين والسُّنَّةِ القائمهْ

(١) لم يجزم الفعل هنا ، وهو شاذ .

فلقيه بعــد ذلك رجلٌ فسأله : مَنْ قائلُها ؟ فقال : مَنْ عَضّ بَظْرَ أُمِّــه . فقال له ٱبنُه : يا أبت، ألستَ قائلَها ؟ قال بلى . قال : فلِمَ شتمتَ نفسَك ؟ قال : أليس أنْ يَعضّ المرءُ بَظْرَ أُمّه خيراً (١) من أن يأخذه ٱبن قَحْطَبة (٢) !

خبره مع رجل يتاجر بعرض ابنتيه

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن مُدْرِك الجَعْدىّ قال :

جاء ٱبنُ هَرْمةَ إلى رجل كان بسوق النَّبَط ، معــه زوجةٌ له وابنتان كأنّهما ظَبْيَتان [يقود عليهما] (٣) ، بمال فدفعه إليه ، فكان يشترى لهم طعامًا وشرابًا . فأقام ٱبنُ هَرْمةَ مع ابنتيه حتّى خَفّ ذلك المــالُ ، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ ، فأخبرهم بمكان ٱبن هَرْمةَ ، فاستثقلوه وكرِهوا أن يعلَم بهم ، فأمر ابنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق، أمَا دريْتَ ما النّاسُ فيه ؟ [قال : وما هم فيه ؟ قالتا :] (٤) زُلْزِلَ بالرَّوْضة ، فتغافلهما . ثم جاء أبوهما مُتَفَازِعًا فقــال : أى أبا إسحاق، ألَا تَفْزَعُ لِمــا الناسُ فيــه ! قال : وما هم فيــه ؟ قال : زُلْزِلَ بالرَّوْضة . قال : قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معــه مالٌ، وقد

---

(١) فى الأصول : « خير » بدون ألف .

(٢) هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائى . ولى مصر من قبــل الخليفة أبى جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث فى أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة . وكان أميرا شجاعا وقائدا مقداما عارفا بأمور الحروب والوقائع ، وتنقل فى الأعمال الجليلة ، معظما عند بنى العباس ، وقد حضر مع أبيه قحطبة كثيرا من الوقائع فى ابتداء دعوة بنى العباس . ومات فى خلافة المهدى سنة تسع وخمسين ومائة (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٤٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفى مختصر كتاب الأغانى المسمى بتجريد الأغانى من ذكر المثالث والمثانى ، لابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ﻫ ورد بعد ذكر هذا الخبر ما نصه : «قلت و إنما خاف ٱبن هرمة من نسبة الشعر إليه لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يميل إلى العلويين والتبع لمن يحثهم بخروجهم عليه . وكان خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة وأخوه إبراهيم بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، فهزما وقتلا وحمل رأسهما إليه » اﻫ . (٣) الزيادة عن مختصر الأغانى لابن واصل الحموى (ص ١٩٢ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٧١ أدب) . (٤) الزيادة عن مختار الأغانى لابن منظور (ص ٨٥ طبع مصر) .

نَفِضْتُ(١) ما جئتكم به وثَقُلْتُ(٢) عليه ؛ فأردتَ إدخالَه وإخراجى . أَيُزَلْزَل بروضة من رياض الجنّة ويُتْرَك منزلُك وأنت تجمع فيه الرجالَ على ابنتيك! والله لا عُدْتُ إليه ! وخرج من عنده .

١١١
ـــ
٤

وروى هـذا الخبرَ عن الزُّبير هارونُ بن محمد الزيّات فزاد فيه، قال : ثم خرج من عندهم ، فأتى عبدَ الله بن حسن فقال : إنِّى قد مدحتُك فاْستَمِـعْ منِّى . قال : لا حاجة لى بذلك ، أنا أُعطيك ما تُريد ولا أسمع . قال : إذًا أُسقَط ويكسُد سُوقى(٣) . فسمع منه وأَمَر له بمائتى(٤) دينار، فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال : قد جئتك بما تُنفقه كيف شئتَ . ولم يزل مقيماً عنده حتّى نَفِدتْ .

قصته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما

قال الزُّبير : وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبـد العزيز قال حدّثنى عمِّى عِمْران بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عَوْف قال :

وَافَيْنا الحجَّ فى عامٍ من الأعوام الخالية ، فأصبحتُ بالسَّيَالة ، فإذا إبراهيم بن علىّ ابن هَرْمةَ يأتينا ، فاستأذن على أخى محمد بن عبد العزيز فأذِن له ، فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ، أَلَا أُخبِرك ببعض ما تَسْتَظْرِف(٥)؟ قال : بلى، وربّما فعلتَ يا أبا إسحاق . قال : فإنّه أصبح عنـدنا هاهنا منذ أيام محمـد بن عِمْرانَ وإسماعيل بن عبد الله ابن جُبَيْر، وأصبح ابنُ عِمْرانَ بجمازٍ له ظالعين(٦)، فإذا رسولُه يأتينى أنْ أَجِبْ ؛ فخرجتُ

---

(١) كذا فى م . والذى فى اللسان : «وأنفض القوم : نفد طعامهم وزادهم مثل أرملوا ... وأنفضوا زادهم أنفـدوه ... ونفض القوم نفضا : ذهب زادهم ... وقوم نَفَضٌ أى نفضوا زادهم» . وفى سائر الأصول : «تنصب» وهو تحريف . (٢) فى م : «وثقلت عليكم» . (٣) فى مختار الأغانى : «شعرى» . (٤) فى مختار الأغانى : «بمائة» . (٥) فى م : «ألا أخبرك ببعض ما يُستطرف» . (٦) الظالع : الذى يغمز فى مشيه .

حتى أتيتُه ، فأخبرنى بظَلْع جمليه ، وقال لى : أردتُ أن أبعث إلى ناضحين(1) لى بِعمْق(2) لعلى أُوتَى بهما إلى هاهنا لأَمْضِى عليهما ، و يصير هذان الظالعان إلى مكانهما . ففرِّغْ لنـا دارَك واشترِ لنا عَلَفًا وآستأنِه بجَهْدك ؛ فإنّا مُقيمون هاهنا حتى تأتينا جِمالُنـا(3) . فقلتُ : فى الرُّحْب والقُرْب ، والدّارُ(4) فارغةٌ ، وزوجتُه طالقٌ إن اشتريتُ عُودَ عَلَف ، عنـدى حاجتُك منه . فأنزلتُه ودخلتُ إلى السوق ، فمـا أبقيت فيه شيئا من رِسْلٍ(5) ولا جِدَاء ولا طُرْفةٍ ولا غيرِ ذلك إلا آبتعتُ منه فاخرَه ، وبعثتُ به إليه مع دَجَاجٍ كان عندنا . قال : فبينا أنا أدور فى السوق إذ وقف علىّ عبدٌ لإسماعيلَ بن عبد الله يُسَاوِمُنى بحِمْلِ عَلَفٍ لى ، فلم أَزَلْ أنا وهو حتّى أخذه منّى بعشرة دراهم ، وذهب به فطرَحه لظَهْره . وخرجتُ عند الرَّواح أتقاضَى العبدَ ثمَنَ حِمْلى ، فإذا هو لإسماعيل ابن عبد الله ولم أكن دَرَيْتُ . فلمـا رآنى مولاه حيَّانى ورَحَّبَ بى ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه العبدُ أنّ العَلَفَ لى . فأجلسنى فتغـدّيت عنده ، ثم أمرَ لى مكانَ كلِّ درهم منها بدينار ، وكانت معه زوجتُه فاطمةُ بنت عَبَّاد ، فبعثتْ إلىّ بخمسة دنانير . قال : وراحوا ، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرَمائى ، وقلت : عند آبن عِمْران عِوَضٌ منها . قال : فأقام عندى ثلاثًا ، وأتاه جملاه ، فمـا فَعَل بى شيئا . فبينَا هو يترحَّل وفى نفسه منِّى ما لا أدرى به ، إذ كلَّم غلامًا له بشىء فلم يفهم . فأقبلَ علىّ فقال : ما أَقْدِر على إفهامه مع قُعودك عندى ، قد والله آذيتَنى ومنعتَنى(6) ما أردتُ . فقمتُ مُغتمًّا بالذى قال ؛ حتّى إذا كنتُ على باب الدار لَقِيَنى إنسـانٌ

(1) الناضح : البعير يستقى عليه ، ثم استعمل فى كل بعير و إن لم يحمل الماء . (2) عمق : ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز ، كما فى معجم ما استعجم للبكرى . (3) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « حتى يأتينا » . (4) فى م : « الدار » بدون واو . (5) الرسل (بكسر الراء) : اللبن ما كان . والجداء : جمع جدى ، وهو الذكر من أولاد المعز . والطرفة : ما يطرف به الرجل صاحبه ويتحفه به . (6) فى م : « قد والله آذيتنى ومنعتنى مكانك معى مما أردت » .

فسألنى : هل فَعَل إليك شيئا؟ (١) فقلتُ : أنا والله بخير إذْ تَلِف (٢) مالى ورَبِحتُ بَدَنى . قال : وطَلَع علىّ وأنا أقولها ، فشتمنى والله يا أبا عبد الله حتّى ما أبقى لى ، وزَعم أنّه لولا إحرامهُ لضربنى ؛ وراح وما أعطانى درهما . فقلتُ :

يا مَنْ يُعِينُ على ضَيْفٍ أَلَمَّ بنا * ليس بِذِى كَرَمٍ (٣) يُرْجَى ولا دِينِ
أقام عنــدى ثلاثًا سُــنَّةً سَلَفتْ * أَغضيتُ منها على الأقذاء والهُون (٤)
مسافةُ البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْــكِلةٍ * وأنت تأتيــه فى شَهْرٍ وعشرينِ
لستَ تُبالى فَوَاتَ الحَجّ إن نَصِبتْ * ذاتُ الكَلَالِ وأسمنتَ ٱبنَ حرقين (٥)
تحدّث النّاسُ عمّــا فيك من كَرَمٍ * هيهــاتَ ذاك لِضيفَان المَسَاكينِ
أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوِى وتجمَعُــه * أبا سُــلَيمانَ من أشــلاءِ قارونِ (٦)
مثــلُ ٱبنِ عِمْرانَ آباءٌ له سَــلَفُوا * يَجْزُونَ فِعْلَ ذوى الإحسان بالدُّونِ
ألَا تــكون كإسمــاعيلَ إنّ له * رأيًا أَصِــيلًا وفِعلًا غيرَ ممنــونِ
أو مِثْــلَ زوجتِه فيما أَلَمَّ بهــا * هيهــاتَ مَنْ أُمُّها ذاتُ النِّطَاقينِ (٧)

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعِينُــك يا أبا إسحاق ؛ لقوله : « يا من يعين » . قال : قد رَفَعك اللهُ عن العَوْن الذى أريده ، ما أردتُ إلّا رجلًا

(١) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « هل فعل إلىّ شيئا » . (٢) فى م : « أنا والله بخير أن تلف ... » وكلتا العبارتين صحيحة . (٣) فى م : « فليس ذا كرم ... ... » .
(٤) فى حـ : « ... ... على الأقذاء فى عينى » . (٥) كذا فى أ كثر الأصول . وفى : حـ : « ابن حرفين » بالفاء . (٦) لعله يريد : من بقايا قارون ؛ أو لعلها محرفة عن « أسلاب » .
(٧) ذات النطاقين : أسماء بنت أبى بكر الصديق ؛ سميت بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « أنت ونطاقاك فى الجنة » . وقد دخل هذا الشعر السناد ، وهو أن يخالف الشاعر بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروىّ .

مثل عبد الله بن خِنْزِيرَة وطلحةَ أَطْباء الكَلْبة يُمْسكونه لى وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجِع به خَوَاصِرَه وجَوَاعِرَه . قال : ولمَّا بلَغ فى إنشاده إلى قوله :

* مثلُ آبن عمران آباءٌ له سلفوا *

أقبل علىّ فقال : عُذْرًا إلى الله تعالى وإليكم ! إنّى لم أَعْنِ من آبائه طلحةَ بن عُبَيد الله . قال : ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان عندنا ، فلم يكلّمه حتّى ضرب أنفه ، وقال له : فعَنَيْتَ من آبائه أبا سُليمان محمدَ بن طَلْحةَ يا دَعِىّ ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسـولُ محمد بن طلحة بن عُبَيْد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصِّدّيق رضى الله عنه إلى آبن هَرْمةَ يدعوه ، فذهب إليه . فقال له : ما الذى بلغنى من هِجائك أبا سليمان ! والله لا أرضَى حتى تَحْلِفَ ألّا تقولَ له أبدًا إلّا خيرا ، وحتى تلقاه فترَضّاه إذا رجع ، وتحتمِل كلَّ ما أَزَلّ إليك وتمدَحه . قال : أفعلُ ، بالحُبّ والكرامة . قال : وإسماعيلُ بن جعفر لا تَعرِضْ له إلّا بخير ؛ قال نعم . قال : فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين دينارًا ، وأعطاه محمدُ بن عبد العزيز مثلَها . قال : وآندفع آبن هَرْمةَ يمدَح محمد بن عِمْرانَ :

ألم تر أنّ القولَ يَخْلُص صِدْقُه * وتأبَى فما تزكو لباغٍ بَوَاطِلُهْ
ذَمَمْتُ آمرأً لم يَطْبَعِ الذّمُّ(1) عِرْضَه * قليلًا لدى تحصيله مَنْ يُشَاكِلُهْ
فما بالحجاز من فتًى ذى إمارةٍ * ولا شَرَفٍ إلا آبنُ عِمْرانَ فاضِلُهْ
فتًى لا يَطُورُ(2) الذّمُّ ساحةَ بيتِه * وتَشْـقَى به ليلَ التِّمامِ(3) عَوَاذِلُهْ

(1) أى لم يَسِمْه بما يشينه . ويحتمل أن يكون من طَبِعَ الشىء : دنس ، وأطبعه : دنّسه .
(2) لا يطور : لا يقرب . وفى حديث على كرم الله وجهه : « والله لا أطور به ما سَمَر سمير » أى لا أقربه . (3) ليل التمام (بالكسر وقد يفتح) : أطول ما يكون من ليالى الشتاء .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزُّهْرِيّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبد الله ابن جعفر المِسْوَرِيّ قال :

مَدح إبراهيم بن هَرْمَةَ محمدَ بن عِمْران الطَّلْحِيّ، فألفاه راويتُه(1) وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّةً قد جاءته من الفُرْعِ(2) أو خَيْبَر. فقال له رجل كان عنده: أعلمُ والله أنّ أبا ثابت بن عِمْرانَ بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه. فقال: إنّما أراد أبو ثابت أن يُعَرِّضَني لِلسانه، قُودُوا إليه القِطارَ، فقِيدَ إليه.

طلب من عمر بن القاسم تمرا على ألا يعمل منه نبيذا ثم عمل

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني يحيى بن محمد عن عبد الله بن عمر بن القاسم(3) قال :

جاء أبي تَمْرٌ من صَدَقة عُمَر، فجاءه ابنُ هَرْمَةَ فقال: أَمْتَعَ الله بك! أَعْطِني من هذا التَّمْر. قال: يا أبا إسحاق، لولا أنّي أخاف أن تعمَلَ منه نبيذًا لأعطيتُك. قال: فإذا علمتَ أنّي أعمَلُ منه نبيذًا لا تُعطيني. قال: فخافه فأعطاه. فلَقِيه بعد ذلك، فقال له: ما في الدُّنيا أجودُ من نبيذٍ يجيء من صَدَقة عمر، فأخجله.

١١٣
٤

سمع جرير شعره فمدحه

أخبرنا الحَرَميّ قال أخبرنا الزُّبَير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

قَدِم جريرٌ المدينةَ، فأتاه ابن هَرْمَةَ وابنُ أُذَيْنَةَ فأنشداه، فقال جرير: القُرَشيّ أشعرُهما، والعربيّ أفصحُهما.

(1) كذا في م. وفي سائر الأصول: «روايته»، وهو تحريف. (2) الفرع (بالضم): قرية من نواحي الرَّبَذة عن يسار السُّقْيا بينها وبين المدينة ثمانية بُرد على طريق مكة. (3) كذا في م وهو الموافق لما في الطبري (قسم ٣ ص ٢٣٨ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «عن عبد العزيز بن القاسم»، وهو تحريف.

مدح المطلب بن عبد الله فلم لمدحه غلاما حديث السن فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عبد الله بن محمد :

أنّ آبنَ هَرْمَةَ قال يمدَح أبا الحكم المُطَّلب بن عبد الله :

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَنِى * وأَوْرَثْنَنِى بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ

سـليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا * همُ المُصْطَفَوْنَ والمُصَفَّوْنَ بالكَرَمْ

فلاموه وقالوا : أتمدَح غلامًا حديثَ السنّ بمثل هذا ! قال نعم ! وكانت له ابنةٌ يُلَقِّبها "عُيَيْنة" — وقال الزبير : كان يلقّبها "عينة" — فقال :

كانتْ عُيَيْنَةُ فينا وهى عاطلةٌ * بين الجوَارى فحَلَّاها أبو الحَكَمِ

فمَنْ لحَانَا على حُسْنِ المَقَالِ له * كان المُلِيمَ وكُنّا نحن لم نُلِم (1)

شكا حاله لعبد العزيز بن المطلب فأكرمه ثم عاوده فرده فهجاه

قال يحيى وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيرىّ عن نَوْفَل بن ميمون قال : أرسل آبنُ هَرْمَةَ إلى عبد العزيز بن المُطَّلب بكتاب يشكو فيه بعضَ حاله ؛ فبعث إليه بخمسة عشر دينارًا . فمكث شهرًا ثم بعث يطلب منه شيئًا آخرَ بعد ذلك ؛ فقال : إنّا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحَكَمُ بن المطّلب . وكان عبد العزيز قد خطب إلى آمرأة من ولد عُمر فردّته ، فخطب إلى آمرأة من بنى عامر بن لُؤَىّ فزوّجوه . فقال آبن هرمة :

خطبتَ إلى كَعْبٍ فردُّوكَ صاغرًا * فحوّلتَ من كعبٍ إلى جِذْمِ (2) عامرِ

وفى عَامرٍ عِزٌّ قـديمٌ وإنّما * أجازك فيهم هزلُ أهل المقابر

(1) لم نلم : لم نأت ما نلام عليه ؛ ومنه المليم (بضم الميم) من ألام الرجل فهو مليم اذا أتى ما يلام عليه .

(2) الجذم (بالكسر) : أصل الشىء .

وقال فيه أيضا :

أبالبُخْلِ تطلُب ما قدّمتْ * عرانينُ جادتْ بأموالها

فهيهات! خالفتَ فعلَ الكرامِ * خِلافَ الجِمالِ بأبوالها

خبره مع امرأة تزوجها

وقال هارون بن محمد حدّثني مُغيرةُ بن محمد قال حدّثني أبو محمد السَّهْمىّ قال حدّثني أبو كاسب[1] قال :

٥

تزوّج ابن هرمة بامرأة؛ فقالت له : أعطِنى شيئا؛ فقال : والله ما معى إلّا نَعْلاى، فدفعهما إليها، ومضى معها فتورّكها مرارًا . فقالت له . أحْفَيْتنى[2]؛ فقال لها : الذى أحفَى صاحبَه منّا يَعضّ بَظْرَ أُمّه .

أغراه قوم بالحكم ابن المطلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه فأعطاه الحكم كل ما عنده من شاء

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيةَ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى المُسَيَّبىّ محمد بن إسحاق قال حدّثنى ابراهيم بن سكرة جارُ أبى ضَمْرةَ قال :

١٠

جلس ابن هَرْمةَ مع قومٍ على شراب، فذَكَرَ الحَكَمَ بنَ المُطَّلب فأطنب فى مدحه، فقالوا له : إنّك لتُكْثِر ذِكرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعةَ فى شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا؟ قالوا : إى والله . وكانوا قد عرفوا أنّ الحَكَمَ بها مُعْجَبٌ، وكانت فى داره سبعون شاةً تُحْلَب . فخرج وفى رأسه مافيه، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه . فقال له : أَعْلِمْ أبا مَرْوان بمكانى — وكان قد أَمَر ألّا يُحْجَب إبراهيم بن هَرْمة عنه — فأعلمه به، فخرج إليه مُتَّشحا فقال : أفى مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال : نعم جُعِلتُ فداك، وُلِد لأخٍ لى مولود فلم تَدِرّ عليه أمّه، فطلبوا

١٥

١١٤
٤

(١) فى م : «ابن كاسب» . (٢) أحفيتنى هنا : أجهدتنى .

له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرّاء»[(1)]، فسألنى أن أسألكها. فقال: أتجيء فى هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لاتبقَى فى الدار شاةٌ إلّا انصرفتَ بها، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهنّ. فخرج بهنّ إلى القوم، فقالوا: وَيْحك! أىَّ شىء صنعت! فقصّ عليهم القصة. قال: وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثر من عشرة.

لما سمع بقتل الوليد أنشد شعرا فى مدحه

قال هارون وحدّثنى حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبى عن أيُّوب بن عَبَايَةَ عن عمر ابن أيُّوب اللَّيْثىّ قال:

شَرِب ٱبنُ هَرْمَةَ عندنا يوماً فسكِر فنام. فلمّا حضرتِ الصلاةُ تحرّك أو حرّكتُه. فقال لى وهو يتوضّأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت يزعُمون أنّ الوليدَ قُتِل، فرفع رأسه إلىّ وقال:

وكانت أُمورُ الناس مُنْبَتّةَ القُوَى ✽ فشدّ الوليـدُ حين قام نِظامَها

خليفةُ حقٍّ لا خليفــةُ باطلٍ ✽ رمَى عن قناة الدِّين حتى أقامها

ثم قال لى: إيّاك أن تذكر من هذا شيئا؛ فإنّى لا أدرى ما يكون.

كان ابن الأعرابى يقول: ختم الشعراء بٱبن هرمة

أخبرنى علىّ بن سليمان النحوىّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ٱبن الأعرابىّ: أنه كان يقول: خُتِم الشعراء بٱبن هَرْمَةَ.

سكر مرّة سكرا شديدا فعتب عليه جيرانه فأجابهم

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى أحمد بن يحيى البَلَاذُرِىّ:

---

(1) كذا فى حـ. وفى م: «فذكرت لى شاة». وفى سائر الأصول: «فذكرت شاة».

أنّ ابن هَرْمةَ كان مُغْرَمًا بالنبيذ ، فمرّ على جيرانه وهو شديد السُّكْر[1] حتى دخل منزلَه . فلمّا كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التى رأوه عليها[2]؛ فقال لهم : أنا فى طلب مثلها منذ دهر، أمَا سمعتم قولى :

أسألُ اللهَ سكرةً قبل موتى * وصِياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

٥ قال : فنفضوا ثيابَهم وخرجوا، وقالوا : ليس يُفْلِح واللهِ هذا أبدًا .

لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر وكان ذلك مصداقا لشعر له

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : أنشدنى عمّى لابن هرمة :

ما أظنّ الزمانَ يا أُمَّ عَمْرٍ[3] * تاركًا إن هلكتُ من يبكينى

قال : فكان واللهِ كذلك، لقد مات فأخبرنى مَنْ رأى جنازتَه ما يحملها إلّا أربعةُ نفر، ١٠ حتّى دُفِن بالبقيع .

ولد سنة ٩٠ هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة وعاش بعد ذلك طويلا

قال يحيى بن علىّ — أراه عن البَلاذُرىّ[4] — : وُلِد ابن هَرْمة سنةَ تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصورَ فى سنة أربعين ومائة قصيدتَه التى يقول فيها :

إنّ الغَوانىَ قد أعرضن مَقْلِيَةً * لمّا رمى هَدَفَ الخمسين ميلادى

قال : ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة .

---

١٥ (١) فى مختار الأغانى لابن منظور (ج ١ ص ٩٢ طبع مصر) : « منبتٌ سكرا » أى منقطع . وفى ى ، ط ، م : « فمر على جيرانه وهو مثبت سكرا » بالثاء المثلثة وهو تصحيف عن « منبت » .
(٢) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور . وفى جميع الأصول : « اليه » . (٣) فى حـ : « يا أم سعد » . (٤) فى م : « رواه عن البلاذرىّ » .

ذكر أخبار يونس الكاتب

نسب يونس الكاتب ومنشؤه ومن أخذ عنهم، وهو أول من دوّن الغناء

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهْرَيَار، من ولد هُرْمُز . وقيل : إنّه مولًى لعمرو بن الزُّبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيها[1] ، فأسلمه فى الديوان فكان من كُتّابه . وأخذ الغناء عن مَعْبَد وٱبن سُرَيْج وٱبن مُحْرِز والغَرِيض، وكان أكثر روايته عن معبد ؛ ولم يكن فى أصحاب معبد أحذق ولا أقوم بما أُخذ عنه منه . وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعرٌ جيّد . وكتابه فى الأغانى ونسبها إلى مَنْ غنّى فيها هو الأصلُ الذى يُعْمَل عليه ويُرْجَع إليه . وهو أول من دوّن الغناء .

شعر مسعود بن خالد فى مدحه

١١٥ / ٤

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال أنشدنى مسعود بن خالد المُورِيَانىّ[2] لنفسه فى يونس :

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ * طاب لنا اليومَ بك المجلسُ
إنّ المغنّين إذا ما هُمُ * جارَوْكَ أَخْنَى بهمُ المقبس
تنشُر ديباجًا وأشباهَه * وهم إذا ما نشروا كَرْبَسُوا[3]

خرج مع بعض فتيان المدينة الى دومة فتغنوا واجتمع عليهم النساء تتغنى ابن عائشة ففرق جمعهم اليه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ذكر إبراهيم بن قُدَامة الجُمَحىّ قال :

اجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغَنّى، فخرجوا الى وادٍ يقال له دُومة من بطن العقيق، فى أصحاب لهم فتغنّوا، واجتمع

(١) فى مختصر الأغانى لابن واصل الحموى : « وكان أبوه مقيما بها » . (٢) كذا فى أكثر الأصول، وهو الموافق لما فى تاريخ الطبرى (قسم ثالث ص ٣٧٠ و ٣٧٢ طبع أوربا) . والمورياني (بضم الميم وكسر الراء) : نسبة الى موريان : قرية بخوزستان . وفى م : « المرزبانى » وهو تحريف .
(٣) كربسوا : أتوا بالكرابيس، وهى الثياب الخشنة من القطن .

إليهم نساء أهل الوادى — قال بعض مَنْ كان معهم : فرأيتُ حولَنا مثلَ مُراح الضأن — وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ؛ فلمّا رأى جماعةَ النساء عندهم حسَدهم ، فالتفتَ إلى صاحبه فقال : أَمَا والله لأُفَرِّقَنَّ هذه الجماعة ! فأتى قصرًا من قصور العَقيق ، فعَلَا سطحَه وألقى رداءه واتّكأ عليه وتغنّى :

٥

صوت

هـذا مُقامُ مُطَـرَّدٍ * هُدِمتْ منازلُه ودُورُهْ
رَقَّى(1) عليه عُـداتُه * ظلمًا فعاقبـه أميرُهْ

— الغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى . والشعر لعُبَيْد بن حُنَيْن مولى آل زيد بن الخطّاب ، وقيل : إنّه لعبد الله بن أبى كَثِير مولى بنى مخزوم — قال : فوالله ما قضَى صوتَه حتّى ما بَقِيت آمرأةٌ منهنّ إلّا جلستْ تحت القصر الذى هو عليه وتفرّق عامّة أصحابهم . فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ آبنِ عائشة وحسَدُه .

١٠

صاحب الشعر الذى تغنى به ابن عائشة وسبب قوله

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى عن أبيه قال :

تزوّج عبدُ الله بن أبى كَثِيرٍ مولى بنى مخزوم بالعراق فى ولاية مُصْعَب بن الزُّبير آمرأةً من بنى عَبْد بن بَغِيض(2) بن عامر بن لُؤَىّ ، ففرّق مصعبٌ بينهما ، فخرج حتّى قَدِم على عبد الله بن الزُّبير بمكةَ فقال :

١٥

(1) رقى عليه عداته : تقوّلوا عليه مالم يقل . قال فى القاموس : ورقّى عليه كلاما ترقية : رفع . وفى اللسان ونهاية ابن الأثير : « ... وفى حديث استراق السمع : ولكنهم يرقّون فيه أى يتزيدون ؛ يقال : رقّى فلان علىّ الباطل ؛ اذا تقوّل مالم يكن وزاد فيه » .

٢٠

(2) كذا فى أكثر الأصول . وبغيض بن عامر كان شريفا ؛ وهو الذى نقل الحطيئة إلى جواره من جوار الزبرقان . وأدرك بغيض الإسلام ووفد الى النبى صلى الله عليه وسلم فسماه حبيبا . وفى م : « من عبد بغيض » . وفى حـ : « من بنى عبد الغيض » .

هــذا مُقامُ مُطــرِدٍ * هُدِمتْ منــازلُه ودورُهْ
رَقَّتْ عليــه عُــداتُه * كَذِبًا فعاقبــه أميرُهْ
فى أنْ شَــرِبتُ بجمِّ ما * ءٍ كان حِلًّا لى غَــدِيرُهْ
فلقد قطعتُ الخَرْقَ(1) بعـ * ـد الخرقِ مُعْتَسِفًا(2) أسيرُهْ
حتّى أتيتُ خليفــةَ الر * رحمن ممهــودًا سريرُهْ
حيّيتُــه بتحيّـــةٍ * فى مجلسٍ حضرتْ(3) صقورُهْ

فكتب عبدُ الله إلى مصعب : أن آرْدُدْ عليه آمرأتَه ؛ فإنّى لا أُحَرِّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ ؛ فردّها عليه . هذه رواية عُمر بن شبّة .

وأخبرنى الحسن بن علىّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنىّ عن سُحَيْم ابن حَفْص : أنّ المتزوّج بهذه المرأة عُبَيْد بن حُنَيْن مولى آل زيد بن الخطّاب ، وأنّ المفرّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الذى يقال له القُبَاع(4) ؛ وذكر باقىَ الخبر مثل الأوّل .

١١٦
٤

ذهب الى الشام فبعث اليه الوليد ابن يزيد ليغنيه ثم وصله

أخبرنى عمّى قال حدّثنى طلحةُ بن عبد الله الطّلْحىّ قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثَم قال :

خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشأم فى تجارة ؛ فبلغ الوليدَ بن يزيدَ مكانُه ؛ فلم يشعر يونس إلّا برسله قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجِبِ الأميرَ — والوليد إذ ذاك أمير — قال : فنهضتُ معهم حتى أدخلونى على الأمير ، لا أدرى

(1) الخرق : القفر . (2) معتسفا : خابطا الطريق على غير هداية ولا دراية . وفى م : «منقطعا أسيره» . (3) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : «حصرت» بالصاد المهملة .
(4) كان الحارث بن عبد الله أميرا على البصرة ، ولقبه أهلها القباع ؛ وذلك أنه مر بقوم يكيلون بقفيز فقال : إن قفيزكم لقباع . أى كبير واسع . (راجع النقائض ص ٦٠٧ وعيون الأخبار ج ٢ ص ١٧ والأغانى ج ١ ص ١١٠ من هذه الطبعة) .

من هو، إلّا أنّه من أحسن الناس وجهًا وأنبلهم، فسلّمت عليه، فأمرنى بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجوارى؛ فكنّا(١) يومنا وليلتنا فى أمر عجيب. وغنّيته فأعجب بغنائى إلى أن غنّيته:

إنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحن بخيرٍ * قد أتانا مِنْ عيشنا ما نُرَجّى

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوت. فقال: مالَكَ؟ فأخذتُ أعتذر من غنائى بشعرٍ فى مُصْعَب. فضحك وقال: إنّ مُصْعَبًا قد مضى وآنقطع أثرُه ولا عداوةَ بينى وبينه، وإنّما أُريد الغناء، فأَمْضِ الصوتَ؛ فعُدْتُ فيه فغنّيته. فلم يَزَلْ يَسْتَعِيدُنيه حتى أَصبحَ، فشرب مُصْطَبِحا وهو يستعيدنى هذا الصوت ما يجاوزه حتى مضتْ ثلاثةُ أيّام. ثم قلتُ له: جعلنى الله فداءَ الأمير! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تجّار وأخاف أنْ يرتحلوا فيَضيعَ مالى. فقال لى: أنت تغدو غدًا؛ وشَرِب باقىَ ليلته، وأمر لى بثلاثة آلاف دينار فحُملتْ إلىّ، وغدوتُ إلى أصحابى. فلمّا خرجتُ من عنده سألتُ عنه، فقيل لى: هذا الأمير الوليد بن يزيدَ ولىّ عهد أمير المؤمنين هِشام. فلمّا آستُخْلِفَ بَعَث إلىّ فأتيتُه، فلم أزَلْ معه حتى قُتِل.

صــــوت

من المــائة المختــارة

أصواته المعروفة بالزيانب

أقصدتْ زينبُ قلبى بعد ما * ذهَب الباطلُ عنّى والغَــزَلْ
وعَلا المَفْـرِقَ شيبٌ شامِلٌ * وَاضِحٌ فى الرأس منّى وآشتعلْ

الشعر لآبن رُهَيْمة المَدَنىّ. والغناء فى اللحن المختــار لعُمَر الوادىّ ثانى ثقيــل بالبنصر فى مجراها عن إسحاق. وفيه ليونسَ الكاتب لحنان: أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ

(١) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٤ ص ٣١٠ طبع دار الكتب المصرية): «فكنّا».

أوّل بالبنصر[1] فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخرُ رملٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عنه أيضا . وفيه رَمَلانِ بالوسطى والبنصر : أحدُهما لابن المكّىّ ، والآخرُ لحَكَم ، وقيل : إنه لإسحاق من رواية الهشامىّ . ولحنُ يونس فى هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزّيانب ، والشعر فيها كلّها لابن رُهَيْمة فى زينب بنت عِكْرِمة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ؛ وهى سبعة : أحدُها قد مضى . والآخَرُ : ٥

صــــوت

أقصدتْ زينبُ قلبى * وسَبَتْ عقلى ولُبِّى

تركتْنى مُستهامًا * أستغيثُ اللهَ ربِّى

ليس لى ذنبٌ إليها * فتُجازينى بذَنْبى

ولها عندى ذنوبٌ * فى تنائيها وقُرْبى ١٠

غنّاه يونس رَمَلًا بالبنصر . وفيه لحَكَمٍ هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة فى مجرى البِنصر عن إسحاق .

ومنها :

صــــوت

وَجَد الفؤادُ بزينبا * وَجْدًا شديدًا مُتْعِبَا ١٥

أصبحت من وَجْدِى بها * أُدْعَى سَقِيًّا مُسْهَبا[2]

وجعلتُ زينبَ سُتْرةً * وأتيتُ أمرًا مُعْجِبا

غنّاه يونس ثقيلًا أوّلَ مطلقا فى مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق ، وهو مما يُشَكُّ فيه من غناء يونس . ولعُلَيَّةَ بنت المهدىّ فيه ثقيلٌ أوّلُ آخرُ لا يُشَكُّ فيه أنه لها ،

117/4

(١) فى حـ : « أوّل بالخنصر » . ٢٠

(٢) أُسهِب الرجل (مبنيا للمجهول) : ذهب عقله ، أو تغير لونه من حب أو غيره .

كَنَتْ فيه عن رَشَإٍ الخادم — وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ فيه من الغناء لحنين هما جميعا من الثقيل الأوّل ليونس — ومن لا يعلم يزعُم أنّ الشّعر لها .

ومنها :

صــــوت

٥ إنّمـا زينبُ المُـنَى * وهِى الهــمُّ والهَـوَى

ذاتُ دَلٍّ تُضْنِي الصَّحِيـ * ـحَ وتُبْرِى من الجَـوَى[1]

لا يُغُرَّنْكِ أنْ دعَوْ * تِ فؤادى فمـا ٱلْتوَى[2]

وٱحْذَرِى هِجْرةَ الحبيـ * ـبِ إذا مَـلَّ وٱنْزَوَى

غنّاه يونس رَمَلًا بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

١٠ ومنها :

صــــوت

إنّمــا زينبُ هَمِّى * بأبى تــلك وأُمِّى

بأبى زينبُ لا أُكْـ * ـنِى ولكنّى أُسمِّى

بأبى زينبُ مَنْ قا * ضٍ قَضَى عمدًا بظُلْمِى

١٥ بأبى مَنْ ليس لى فى * قلبِــه قيراطُ رُحْمِ[3]

غنّاه يونس رَمَلًا بالبنصر عن عمرو ، وله فيه لحنٌ آخر .

ومنها :

صــــوت

يا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ * يا أكرمَ النّاسِ إذا تُنْسَبُ

٢٠ تَقِيكِ نفسى حادثاتِ الرَّدَى * والأُمُّ تَفْدِيكَ معًا والأبُ

(١) فى حـ : « ... تصبى الحليم » . (٢) كذا فى م . وفى حـ : « الى التوى » بالتاء المثناة من فوق . والنوى : الهلاك . وفى سائر الأصول : «الى النوى» بالنون . (٣) الرحم : (بالضم) : مصدر رحم كالرحمة .

هَلْ لكِ فى وُدِّ آمرئٍ صادقٍ * لا يَمْذُقُ الوُدَّ ولا يَكْذِبُ

لا يبتغى فى وُدِّه مُحْرَمًا * هيهاتَ منكِ العملُ الأَرْيَبُ[1]

غنّاه يونس ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنهـا :

٥

صـــوت

فليتَ الذى يلحَى على زينبَ المُنَى * تَعَلَّقَهُ ممّا لَقِيتُ عَشِيرُ[2]

فَحَسْبِى له بالعُشْرِ ممّا لَقِيتُه * وذلك فينا قد تَراه يسيرُ

غنّاه يونس ثانى ثقيلٍ بالوسطى فى مجراها عن الهِشَامىّ .

هذه سبعة أصوات قد مضتْ وهى المعروفة بالزيانب . ومن الناس من يجعلها

١٠

ثمانيةً ، ويزيد فيها لحنَ يونس فى :

* تَصَابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينب *

١١٨ / ٤

وليس هذا منها ؛ وإن كان ليونس لحنُه ، فإنّ شِعْرَه لِحُجَيَّةَ بن المُضَرِّب الكِنْدِىّ ، وقد كُتب فى موضع آخر ؛ وإنّما الزيانب فى شعر آبن رُهَيْمَةَ . ومنهم من يَعُدّها تسعةً ويُضيف إليها :

قُولاَ لزينبَ لو رأيـ * ـتِ تَشَوُّقِى لكِ وآشتياقى[3]

١٥

وهـذا اللحن لحَكَمٍ . والشـعر لمحمد بن أبى العبّاس السفّاح فى زينب بنت سليمان آبن علىّ ، وقد كُتِب فى موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

(١) المحرم : الحرام . والأريب : ذو الريب . وفى م : «العمل الأعيب» . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر . (٣) الاشتياق : التطلع .

٢٠

أخبار آبن رُهَيمةَ

شبب بزينب بنت عكرمة فأمر هشام بن عبد الملك بضربه فتوارى وظهر فى أيام الوليد بن يزيد وقال شعرا

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثنى أبو هفّانَ عن إسحاق قال :

كان آبن رُهَيمةَ يُشَبِّبُ بزينب بنتِ عِكْرِمةَ بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، ويغنى يونس بشعره، فآفتضحتْ بذلك. فآستعدى عليه أخوها هشامَ بن عبدالملك، فأمر بضَرْبه خمسمائة سوط، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها، وأن يُفْعَل ذلك بكلِّ مَنْ غنّى فى شىء من شعره. فهَرب هو ويونُس فلم يُقْدَرْ عليهما. فلمّا وَلِى الوليدُ بن يزيدَ ظَهَرا. وقال آبن رُهَيمةَ :

لئن كنتَ أطردتَنى[1] ظالمًا * لقد كَشَفَ اللهُ ما أرْهَبُ

ولو نِلْتَ مِنِّىَ ما تشتهى * لَقَلَّ إذا رَضِيتْ زينبُ

وماشئتَ فاصْنَعْه بى بعد ذا * فحُبِّى لزينبَ لا يذهبُ

وفى الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أَبَانُ بن عبدالحميد اللّاحِقىّ :

أُحِبُّ[2] من الغِنـاء خَفِيـ * ـفَه إنْ فاتنى الهَزَجُ

وأَشْنَأُ «ضوءَ برقٍ»[3] مثـ * ـلَ ما أَشْنَأ «عفَا مَزَجُ»

وأُبغِضُ«يومَ تنأى» و«الزَّيانبُ» * كلُّها سُمُجُ

(١) أطرده : صيره طريدا. وأطرد السلطان فلانا : أمر بطرده أو بإخراجه من البلد.

(٢) وردت هذه الأبيات فى كتاب الأوراق للصولى (المحفوظ منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥٣٠ أدب) ضمن قصيدة طويلة مثبتة فى ترجمة أبان هذا، ومطلعها :

ألا حزنك الالى ردوا * جمال الحىّ وآدّلجوا

(٣) يريد الشاعر بما وضعناه بين هذه العلامات أصواتا فى الغناء.

ويُعجِبُنى لإبراهـ * ـيمَ والأوتارُ تختلجُ[1]
« أدِرْ مُدامـةً صِرْفًا * كأنَّ صَبِيبَها وَدَجٌ[2] »

يعنى أبانٌ لحنَ إبراهيم. والشعرُ لأبان أيضا، وهو :

صوت

أدِرْ[3] مدامـةً صِرْفًا * كأنَّ صَبِيبَها وَدَجُ
فظَلَّ تخالُه مَلِكًا * يُصَرِّفُها ويَمتزِجُ

الشعر لأبان، والغناء لإبراهيم ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوَتَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا.

وممّا فى غناء يونُس من المائة المختارة المذكورة فى هذا الكتاب :

صوت

من المائة المختارة

ألَا يا لَقَومِى للرُّقادِ المُسَهَّدِ[4] * وللماء ممنوعًا من الحائم الصَّدِى
وللحال بعد الحال يركَبُها الفتى * وللحُبِّ بعد السَّلْوة المُتَمرِّدِ[5]

(١) كذا فى كتاب الأوراق للصولى. وفى الأصول: «تعتلج» بالعين المهملة. وما أثبتناه أنسب بالمعنى. على أن كلمة «تعتلج» قد وردت فى بيت آخر من هذه القصيدة، وهو :

نعم فبنات هم الصد * ر فى الأحشاء تعتلج

(٢) الودج: عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة. والمراد تشبيه لون الخمرة بلون الدم الذى يسيل من الأخدع عند الذبح. (٣) نسب المؤلف هذين البيتين فى (ج ١٢ ص ١١٠ طبع بلاق) لمطيع بن إياس. وهو خطأ. (٤) فى مختصر الأغانى لابن واصل الحموى: «المشرّد». (٥) فى م: «المتردّد».

١١٩ / ٤

الشعر لإسماعيل بن يَسَار النَّسَائى من قصيدة مدَح بها عبدَ الملك بن مَرْوان؛ وذكر يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق: أنّها[1] للغول بن عبد الله بن صَيْفِىّ الطَّائى. والصحيح أنّها لإسماعيل. وأنا أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومَدْحَه إيّاه بها لِيُعْلَمَ صِحّةُ ذلك. والغناء ليونس، ولحنه المختار من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق فى مجرى البنصر. وتمـام هذه الأبيات:

وللمَـرْءِ لَا عَمّنْ[2] يُحِبُّ بِمُرْعَوٍ * ولا لِسبيلِ الرُّشْدِ يوماً بمُهتدى
وقد قال أقوامٌ وهم يعـذِلونه[3] * لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المُصَيَّدِ

---

(١) كذا فى ط، حـ، ى. وفى سائر الأصول: «أنه للغول». والتـذكير باعتبار أنه شعر.
(٢) كذا فى م. وفى سائر النسخ: «عما»، وكلاهما صحيح. (٣) فى م: «يعذلوننى ... ... الفؤاد المعبَّد». وفى حـ: * لقد طاب تعذيب الفؤاد المفند *

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

كان منقطعا الى آل الزبير ثم اتصل بعبد الملك بن مروان ومدحه والخلفاء من ولده

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْرىّ قال :

كان إسماعيل بن يَسَار النِّسائىّ مولى بنى تَيْم بن مُرّة: تيم قريش، وكان منقطعًا إلى آل الزُّبير . فلمّا أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مَرْوان، وَفَد إليه مع عُرْوة آبن الزُّبَير، ومدَحه ومَدَح الخلفاءَ من ولده بعده . وعاش عمرًا طويلًا إلى أن أدرك آخرَ سُلْطان بنى أميّة، ولم يُدْرِك الدولةَ العبّاسيّة. وكان طَيِّبًا مليحًا مُنْدِرًا(١) بطّالًا، مليح الشِّعْر، وكان كالمنقطع إلى عُرْوة بن الزُّبَير . وإنّما سُمّى إسماعيلُ بن يَسَار النِّسائىَّ(٢)، لأنّ أباه كان يصنع طعام العُرْس ويبيعه، فيشتريه منه مَنْ أراد التعريس من المتجمِّلين وممن لم تبلُغ حالُه آصطناعَ ذلك .

سبب تلقيبه بالنسائى

وأخبرنى الأسَدىّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النَّطّاح قال :
إنّما سُمّى إسماعيلُ بن يسار النِّسائىَّ لأنه كانَ يبيع النَّجَد والفُرُش التى تُتَّخذ للعرائس؛ فقيل له إسماعيل بن يَسَار النِّسائىّ .

وأخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَد عن آبن عائشة :
أنّ إسماعيلَ بن يسار النِّسائىّ إنّما لُقِّب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعامُ العُرُسات(٣) مُصْلَحًا أبدًا؛ فمَنْ طَرَقه وجده عنده مُعَدًّا .

(١) مندرا : يأتى بالنوادر من قول أو فعل . وبطال : كثير الهزل والمزاح؛ يقال : بطل الرجل يبطَل بَطالةً (من باب فرح) اذا هَزَل . (٢) النسائىّ : نسبة الى النساء الذى هو من أسماء جموع المرأة . وفى اللسان : أن سيبويه يقول فى النسبة الى نساء : نِسْوى ردًّا له الى واحده .

(٣) العرسات : جمع عرس وهو طعام الوليمة . وفى ح ، م : « العرسان » بالنون فى آخره . وفى سائر الأصول : « العرسيات » .

نادرة له مع عروة ابن الزبير أثناء سفرهما الشام

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال حدّثني الزُّبَيْر بن بَكّار قال قال مُصْعَب بن عثمان :

لمّا خرج عُرْوةُ بن الزُّبَير إلى الشأم يُريد الوليدَ بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيلَ بن يسار النَّسائيّ ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبَير، فعادَلَه[1] . فقال عُرْوةُ ليلةً من اللّيالى لبعض غِلْمانه : أُنْظُرْ كيف ترى المَحْمِل ؟ قال : أراه معتدلًا . قال إسماعيل : الله أكبر، ما ٱعتدل الحَقُّ والباطلُ قبل الليلة قَطّ ؛ فضحك عُرْوة ، وكان يستخفّ إسماعيلَ ويستطيبه .

تساب هو وآخر يكنى أبا قيس فى اسميهما فغلبه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي عن أيُّوب بن عَبَايَةَ المخزوميّ :

أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل فى موضع يقال له حُدَيْلة[2] وكان له جُلساء يتحدّثون عنده ، ففقَدهم أيّاما ، وسأل عنهم فقيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيِّبِ الحديث حُلْوٍ ظريف قدِم عليهم يسمَّى محمدًا ويُكنى أبا قيس . فجاء إسماعيل فوقف عليهم ، فسمِع الرجلُ القومَ يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال نعم . قال : رحِم الله أبويك فإنّهما سَمَّياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له إسماعيل: ما ٱسمك ؟ قال: محمد. قال : أبو مَنْ ؟ قال : أبو قيس . قال : لا[3] ! ولكن لا رحم الله أبويك ؛ فإنّهما سَمّياك بٱسمِ نبيٍّ وكَنَّياك بكُنْيةِ قِرْد . فأُفْحِم الرجلُ وضحِك القومُ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

(١) عادله : ركب معه فى المحمل مقابلا له . (٢) كذا فى ب، حـ، ء، ط . وحديلة محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان . وفى سائر الأصول : «جديلة» بالجيم . وجديلة : مكان فى طريق خارج البصرة؛ وهذا لا يتفق مع سياق الخبر . (٣) فى حـ : «قال : ولكن لا رحم ... الخ» بدون «لا» .

استأذن على الغمر ابن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكى لحجبه وادّعى بنيه نفاقا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز[(1)] قال حدّثنا المدائنىّ عن نُمَير العُذْرىّ قال :

استأذن إسماعيلُ بن يسار النِّسائىّ على الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك يوما، فحَجَبه ساعةً ثم أذِن له، فدخل يبكى. فقال له الغَمْر : مالَكَ يا أبا فائد تبكى؟ قال: وكيف لا أبكى وأنا على مَرْوانيّتى ومَرْوانيّة أبى أُحْجَبُ عنك! فجعل الغَمْر يعتذر إليه وهو يبكى؛ فما سكت حتّى وصله الغمر بجملة لها قَدْر. وخرج من عنده، فلَحِقه رجلٌ فقال له : أخْبِرْنى ويلَك يا إسماعيل، أىّ مَرْوانيّة كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغْضُنا إيّاهم، امرأتُه[(2)] طالقٌ إن لم يكن يلعن مَرْوانَ[(3)] وآلَه كلَّ يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له : قُلْ لا إلهَ إلّا الله، فقال : لَعَن الله مَرْوانَ، تقرّبًا بذلك إلى الله تعالى وإبدالًا له من التوحيد وإقامة له مُقامَه .

شعره الذى يفخر فيه بالعجم على العرب

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى أبو أيّوب المدينىّ قال حدّثنى مُصْعَبٌ قال :

قال إسماعيلُ بن يسار النِّسائىّ قصيدتَه التى أوّلها :

ماعلى رسمِ منزلٍ بالجَنابِ[(4)] * لو أبانَ الغداةَ رَجْعَ الجوابِ

غيّرتْه الصَّبَا وكلُّ مُلِثٍّ[(5)] * دائمِ الوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السَّحابِ

(1) كذا فى حـ، وهو الصواب. (راجع الحاشية ٢ ص ٢٧٧ ج ٣ من هذه الطبعة). وفى سائر الأصول : «أحمد بن اسماعيل الخزاز» بزاين . (2) فى ط، ء : «مرئه الطلاق». ومرة (على وزن سنة) : لغة فى امرأة. (3) كذا فى ط، م، ء. وفى سائر الأصول : «ان لم تكن أمه تلعن ... الخ». (4) الجناب (بالفتح) : الفناء وما قرب من محلة القوم، وقيل : هو موضع فى أرض كلب فى السّماوة بين العراق والشام. والجناب (بالكسر) : موضع بعراض خيبر وسَلاح ووادى القرى، وقيل : هو من منازل بنى مازن. وقال نصر : الجناب : من ديار بنى فزارة بين المدينة وفَيْد. (انظر معجم البلدان لياقوت). (5) يقال : ألثّ المطر وأثّ إذا أقام أياما ولم يقلع. والودق : المطر.

دارَ هندٍ وهل زماني بهندٍ * عائدٌ بالهوى وصَفْوِ الجَنابِ
كالذى كان والصفاءُ مصونٌ * لم تَشُبْه بهجْرةٍ واجتنابِ
ذاكَ منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ * وهى رُودٌ[1] كدُمْيةِ المحرابِ
غادةٌ تَسْتَبِي العقولَ بعذْبٍ * طَيِّبِ الطعمِ باردِ الأنيابِ
وأثيثٍ من فوقِ لونٍ نَقِيٍّ * كبياضِ اللُّجَيْنِ فى الزِّرْيابِ[2]
فأقِلِّ الملامَ فيها وأقْصِرْ * لَجَّ قلبى من لوعةٍ واكتئابِ[3]
صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ * رَدَّ فى الضَّرْعِ ماقَرَى فى العِلابِ[4]
[انقضتْ شِرَّتِى وأقصرَ جهلى * واستراحتْ عواذلى من عِتابى][5]

وقال فيها يفخَر على العرب بالعجم :

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لى وعَمٍّ * ماجدٍ مُجْتَدًى كريمِ النِّصابِ
إنّما سُمِّىَ الفوارسُ بالفُرْ * سِ مُضاهاةَ رِفْعةِ الأنسابِ
فاتْرُكِى الفخرَ يا أُمامَ علينا * واتْرُكِى الجَوْرَ وانْطِقِى بالصَّوابِ
واسألى إن جَهِلْتِ عنّا وعنكم * كيف كُنّا فى سالفِ الأحقابِ
إذ نُرَبِّى بناتِنا وتَدُسُّو * نَ سَفاهًا بناتِكم فى التُّرابِ

(١) الرؤد : الشابة الحسنة . والدمية : الصورة . (٢) شعر أثيث : كثير عظيم . والزرياب : الذهب ، وقيل : ماؤه ، معرب زر أى ذهب ، وآب أى ماء (خففت الهمزة فأبدلت ياء) . وفى حـ : « والزرياب » بواو العطف . (٣) فى ى ، ط : « من عولتى واكتئابى » . والعولة والعول : البكاء والصياح . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وقرى الماء فى الحوض : جمعه . والعلاب : جمع عُلْبة ، وهى إناء كالقدح الضخم ، تتخذ من جلود الإبل أو الخشب يحلب فيها . وفى ى ، ط وتجريد الأغانى لابن واصل الحموى : « الحلاب » بالحاء المهملة . والحلاب (بالكسر) : الإناء الذى يحلب فيه اللبن . (٥) الزيادة عن تجريد الأغانى لابن واصل الحموى ، وقد ذكره المؤلف بعد قليل .

فقال رجل من آل كثير بن الصلت : إن حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم؛ فأفحمه . يريد : أن العجم يربون بناتهم لينكحوهن، والعرب لا تفعل ذلك. وفى هذه الأبيات غناء، نسبته :

صــــوت

صاح أبصرت أو سمعت براع * ردّ فى الضرع ما قرى فى العلاب ٥

انقضت شرتى وأقصر جهلى * واستراحت عواذلى من عتابى

١٢١/٤ الشعر لإسماعيل بن يسار النسائى . والغناء لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانة فى نسخته الأولى أن فيه للغريض خفيف ثقيل بالبنصر، وذكر فى نسخته الثانية أنه لابن سريج . وذكر الهشامى أن لحن ابن سريج رمل بالوسطى، وأن لحن الغريض ثقيل أول . ١٠

كان شعوبيا شديد التعصب للعجم

وحدثنى بهذا الخبر عمى قال حدثنا أحمد بن أبى خيثمة عن مصعب قال : إسماعيل بن يسار يكنى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضا، وهم من سبى فارس . وكان إسماعيل شعوبيا[1] شديد التعصب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يوما فى مجلس فيه أشعب قوله :

إذ نربى بناتنا وتدسو * ن سفاها بناتكم فى التراب ١٥

فقال له أشعب: صدقت والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له . قال : وما ذاك؟ قال: دفن القوم بناتهم خوفا من العار، وربيتموهن لتنكحوهن . قال : فضحك القوم حتى استغربوا[2]، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ فى الأرض لفعل .

(١) الشعوبية : فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلا على غيرهم، و يرون التسوية بين الشعوب . ٢٠
(٢) أى بالغوا فى الضحك .

رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد ابن يزيد ثم مدح الوليد فأكرمه

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال أخبرني أبو سَلَمة الغِفاريّ قال أخبرنا أبو عاصم الأسْلَميّ قال :

بينا آبنُ يَسار النِّسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبدالصمد، فدفع آبن يسار النسائيّ في البركة بثيابه، فأمر به الوليدُ فأُخرج . فقال ابن يسار :

٥

قُلْ لِوَالِي العَهْـــد[1] إنْ لاقيْتَه * ووَلِيُّ العهـد أولَى بالرَّشَـدْ
إنّه واللهِ لولا أنتَ لم * يَنْجُ منّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ
إنّه قـد رام مـنّى خُطّةً * لم يَرُمْها قبلَـه مـنّى أحدْ
فهـو ممـا رامَ منّى كالذى * يَقْنِصُ الدُّرّاجَ[2] من خِيسِ[3] الأَسَدْ

١٠

فبعث إليه الوليدُ بخِلْعة سَنِيّة وصِلَةٍ وترضّاه . وقد رُوِى هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت في قصة أخرى، وذُكر هذا الشعرُ له فيه .

---

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ط، ى : « قل لولى العهد ... الخ » بدون ألف بعد الواو. وعلى هذه الرواية يكون قد دخله الخزم، وهو زيادة حرف في أوّل الجزء أو حرفين أو حروف من حروف المعاني نحو الواو و بل و إذا . وأكثر ما جاء من الخزم بحروف العطف . فالخزم بالواو كقول امرئ القيس :

١٥

وكأن ثبيرا في أفانين ودقه * كبيرُ أُناس في بجاد مزمّل

وقد يأتي الخزم في أوّل المصراع الثاني، كما أنشد ابن الأعرابي :

بل بُرَيْقًا بتُّ أرقُبُــه * "بل" لا يرى إلا إذا اعتلما

وربما اعترض في حشو النصف الثاني بين سبب ووتد، كقول مطر بن أشيم :

الفخــر أوّله جهــل وآخـره * حقد "إذا" تذكرت الأقوال والكلم

٢٠

(٢) الدرّاج (بضم الدال وتشديد الراء) : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه ألطف . ويجعله الجاحظ من أقسام الحمام؛ لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام . وهو من طير العراق كثير النتاج . وفي المثل : فلان « يطلب الدرّاج من خيس الأسد » . يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده . (انظر كتاب حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٤١٧ طبع بلاق) . (٣) خيس الأسد : غابته ومكانه .

استنشد أحد ولد جعفر بن أبى طالب الأحوص قصيدة فلما سمعها أنشده هو قصيدة من شعره فأعجب بها الطالبى

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبى[1] : حدّثنى مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبى عبد الله يقول :

رَكِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبى طالب رحمه الله بإسماعيلَ بن يسار النَّسائىّ حتّى أتى به قُبَاءَ، فاستخرج الأحوصَ فقال له : أَنْشِدْنى قولَك :

ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتجعوا * لو أنَّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا

٥

فأنشده القصيدةَ ، فأُعْجِبَ بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار : أماجئتَ إلّا لِمَا أرى ؟ قال لا[2] . قال : فاسمعْ، فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ما ضَر أهلَكِ لو تَطَوّف عاشقٌ * بفِناء بيتِك أو أَلَمَّ فسلَّما

فقال : والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدةَ أو علمتُ أنك قلتَها لَمَا أتيتُه.

وفى أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نِسْبتُه :

١٠

صوت

ياهندُ رُدِّى الوصلَ أن يَتَصَرَّمَا * وصِلِى امرأً كَلِفًا بحبِّك مُغْرَمَا

لو تبذُلين لنا دَلَالكِ مَرَّةً * لم نَبْغِ منك سوى دَلَالِك مَحْرَمَا

مَنَع الزيارةَ أنَّ أهلَكِ كلَّهم * أبدَوْا لِزَوْرِكِ غِلْظَةً وتجهُّمَا

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّف عاشقٌ * بفِناء بيتِك أو أَلَمَّ فسَلَّمَا

١٥

١٢٢ / ٤

الشعر لإسماعيل بن يَسار النَّسائىّ . والغناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإبراهيم المَوْصِلىّ رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَش.

(١) فى م : « ... قرأت على أبى قال حدّثنى ... » .

(٢) كذا فى جميع الأصول، وظاهر أن المقام مقام «بلى» . فلعل هذا خطأ من النساخ .

سمع زبان السوّاق شعره فبكى

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدةَ قال :
أنشد رجلٌ زَبّانَ[1] السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسار :

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوّفَ عاشقٌ * بفناءِ بيتِكِ أو ألَمَّ فسلَّما

فبكى زَبّان[1]، ثم قال: لا شيء واللهِ إلّا الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل ٥
يبكي ويمسح عينيه .

شعره الذي تشاجر بسببه أبو العماق مع زبان السوّاق

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلانيّ النحويّ صِهْر المُبَرِّد[2] قال حدّثني طلحةُ بن
عبد الله بن إسحاق[3] الطَّلْحيّ قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين
المُهَلَّبيّ قال :

أنشدتُ زَبّانَ[3] السّوّاق قولَ إسماعيل بن يَسارٍ النَّسائيّ :

صوت ١٠

إنّ جُمْلًا[4] وإنْ تَبيَّنْتُ منها * نَكَبًا عن مودّتي وازْوِرارا

شَرِدَتْ[5] بادّكارها النومَ عنّي * وأُطيرَ العزاءُ منّي فطارا

ما على أهلها ولم تأتِ سُوءا[6] * أن تُحَيّا تحيّةً أو تُزارا

يومَ أبدَوْا لِيَ التَّجَهُّمَ فيها * وحَمَوْها لجاجةً وضِرارا

---

١٥ (١) في حـ : « ريان السوّاق » بالراء والياء المثناة من تحت . (٢) في إنباه الرواة للقفطي (ص ٥٦ ج ٢ قسم أوّل ، عن النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٩ تاريخ) : « محمد بن جعفر الصيدلاني صهر أبي العباس المبرد على ابنته » . (٣) في ط ، م ، ء : « أبو إسحاق » . ولم نوفق لتحقيق هذا الاسم في المظانّ : أهو كنية لطلحة أم أن إسحاق اسم جدّه . (٤) في حـ : « إن جملا خلي تبينت .... » . (٥) في ط ، م ، ء : « شَرِقَت بادّكارها اليوم عيني » . وشرقت
٢٠ العين : احمرّت ، أو امتلأت بالدمع . (٦) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : « ولم نأت » بالنون .

فقال زبّان : لا شىء وأبيهم إلّا القَحَز(١) وقلّة المعرفة وضيق العَطَن(٢) . فصاح عليه أبو المُعَاق وقال : فعَلى مَنْ ذاك ويلك ! أعليك أو على أبيك أو أمّك؟ فقال له زبّان : إنّما أُتيتَ يا أبا المُعَاق من نفسك، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وآبنُك . فوثب إليه أبو المُعَاق يرميه بالتّراب ويقول له : وَيْحَك يا سفيه ! تُحسن الدِّياثةَ! وزبّان يسعى هرباً منه .

الغناء فى هذه الأبيات لآبن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكىّ وحمّاد، وذكر الهشامىّ وحَبَشٌ أنه لآبن مُحْرِز، وأنّ لحن آبن مِسْجَح ثانى ثقيل .

طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده فأكرمه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق المَوْصِلىّ قال :

غَنّى الوليدُ بن يزيد فى شِعْرٍ لإسماعيل بن يَسَار، وهو :

حتّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه * وغارتِ الجوزاء والمِرزَمُ(٣)

خرجتُ والوَطْءُ خَفِىٌّ كما * ينساب من مَكْمَنِه الأرْقَمُ(٤)

فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النِّسائى؛ فكتب فى إشخاصه إليه . فلمّا دخل عليه آستنشده القصيدةَ التى هذان البيتان منها؛ فأنشده :

كَلْثَمُ أنتِ الهَمُّ ياكلثمُ * وأنتِ دائى الذى أكْتُمُ

أُكاتِمُ النّاسَ هوًى شفّنى * وبعضُ كِتمان الهوى أحزمُ

(١) كذا فى ط، ء . والقحز (بالتحريك) : الشحّ والبخل . وفى سائر الأصول : «القحن» النون بدل الزاى، وهو تحريف . (٢) ضيق العطن : كناية عن الحمق وضيق الصدر . (٣) المرزم : من نجوم المطر، وأكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنى، فيقال : المرزمان . (٤) الأرقم : أخبث الحيات، والأنثى «رقشاء» بالشين، ولا يقال : «رقماء» بالميم؛ لأنه قد جعل اسما منسلخا عن الوصفية .

قد لُمْتِنى ظلمًا بلا ظِنّةٍ * وأنت فيما بيننا ألْوَمُ
أبْدِى الذى تُخْفِينه ظاهرًا * أرتدُّ عنه فيكِ أو أقْدِمُ

١٢٣
٤

إمّا بيأسٍ منكِ أو مَطْمَعٍ * يُسْدَى بحسن الودّ أو يُلْحَمُ
لا تَتْرُكِينى هكذا مَيّتًا * لا أُمْنَحُ الوُدَّ ولا أُصْرَمُ
أَوْفِى بما قُلْتِ ولا تَنْدَمِى * إنّ الوَفِىَّ القولِ لا يَنْدَمُ
آيةُ(١) ما جئتُ على رِقْبةٍ * بعد الكَرَى والحَىُّ قد نَوَّمُوا
أخافُ المَشْىَ حِذارَ العِدَا(٢) * والليلُ داجٍ حالكٌ مظلمُ
ودون ما حاولتُ إذ زرتُكم(٣) * أخوكِ والخالُ معًا والعَمُّ
وليس إلّا اللهَ لى صاحبٌ * إليكُمُ والصارمُ اللَّهْذَمُ(٤)
١٠ حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ * من شَفَقٍ عيناكِ لى تَسْجُمُ
ثم انجلَى الحزنُ ورَوْعاتُه * وغُيِّبَ الكاشحُ والمُبْرِمُ(٥)
فبِتُّ فيما شئتُ من نَعمةٍ(٦) * يَمْنَحُنِيها نحرُها والفَمُ(٧)
حتّى إذا الصبحُ بَدَا ضوءُه * وغارتِ(٨) الجوزاءُ والمِرْزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفِىٌّ كما * ينسابُ من مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

١٥ قال : فطرِبَ الوليد حتّى نزل عن فَرْشه وسريره، وأَمَر المغنّين فغنّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحًا، وأَمَر لإسماعيل بكُسْوةٍ وجائزة سنيّة، وسرّحه إلى المدينة .

---

(١) فى ب ، حـ : « إيه بما جئت ... الخ » . (٢) فى ى ، ط ، م : « حذار الردى » . (٣) فى حـ : «ودون ما جاوزت» . (٤) اللهذم : القاطع من السيوف والأسنة . (٥) المبرم : الجليس الثقيل . (٦) النعمة بفتح النون : المسرة والفرح
٢٠ والترفه . (٧) فى ى ، ط ، م : « جاد بها لى ثغرها والفم » . (٨) فى ى ، ط : « وغابت » وكلتاهما بمعنى .

نسبة هــذا الصوت

الشعرُ لإسماعيل بن يَسار النَّسائىّ . والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ .

سمع شيخ قينة تغنى بشعره فألقى بنفسه فى الفرات إعجابا به

حدّثنا أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصلىّ قال حدّثنا محمد بن كُنَاسة قال :

اِصطحبَ شيخ وشبابٌ فى سفينة من الكوفة، فقال بعضُ الشباب للشيخ : إنّ معنا قَيْنةً لنا، ونحن نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمع(١) غناءها . قال : اللهُ المستعان، فأنا أرقَى على الأطلال(٢) وشأنكم . فغنّتْ :

حتّى إذا الصبحُ بَدَا ضــوءُه * وغارتِ الجــوزاء والمــرزم

أقبلت والوطء خـــفىٌّ كما * ينساب من مكمنه الأرقمُ

قال : فألقَى الشــيخ بنفسه فى الفُرات، وجعل يخبِط بيديه ويقول : أنا الأرقم ! أنا الأرقم ! فادركوه وقد كاد يغرَق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ فقــال : إنّى واللهِ أعلمُ من معانى الشعر ما لا تعلمون .

مدح عبدالله بن أنس فلم يكرمه فهجاه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا محمــد بن القاسم بن مَهْرُويَة قال حدّثنى أبو مُسْلِم المُسْتَمْلِي عن المَدَائنىّ قال :

مدح إسماعيــلُ بن يسار النَّسائىّ رجلا من أهل المدينــة يقال له عبدُالله بن أَنَس ، وكان قد اتّصل ببنى مَرْوانَ وأصاب منهم خيراً ، وكان إسمــاعيل صديقا

---

(١) فى ء ، ط : « تسمع » بتاء الخطاب . (٢) كذا فى م . والأطلال : جمع طلل . وطلل السفينة : شراعها . وفى سـ : « الظلال » . وفى سائر الأصول : « الأظلال » وكلاهما تحريف .

له ؛ فرحل إلى دِمَشْق إليه، فأنشده مديحًا له ومتَّ إليه بالجوار والصداقة؛ فلم يُعطه شيئا . فقال يهجوه :

لَعَمْرُكَ ما إلى حَسَنٍ رَحَلْنا * ولا زُرْنا حُسَيْنًا يابنَ أنْسِ

(يعنى الحسنَ والحسين رضى الله تعالى عنهما)

٥ ولا عبدًا[1] لعبدهما[2] فنَحْظَى * بحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْسِ

ولكن ضَبَّ جَنْدَلةٍ[3] أتينا * مُضِبًّا[4] فى مَكَامِنِه يُفَسِّى

فلمَّا أنْ أتيناه وقُلْنا * بحاجتنا تلَوَّن لَوْنَ وَرْسِ[5]

وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ * وظَلَّ مُقَرْطِبًا[6] ضِرْسًا بضِرْسِ[7]

فقلتُ لأهله أبِه كُزَازٌ[8] * وقلتُ لصاحبي أتُراه يُمْسى

١٠ فكان الغُنْمُ أن قُمْنا جميعًا * مخافةَ أن نُزَنَّ[9] بقتل نَفْسِ

---

(١) ورد بعض هذه الأبيات فى كتاب عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٥٤ طبع دار الكتب المصرية) منسوبا الى الحارث الكندىّ هكذا :

فلما أن أتيناه وقلنا * بحاجتنا تلوّن لون ورس

وآض بكفه يحتك ضرسا * يُرينا أنه وَجِعٌ بضرس

١٥ فقلت لصاحبي أبه كزاز * وقلت أُسِرّه أتُراه يمسى

وقمنا هاربين معا جميعا * نحاذر أن نزنّ بقتل نفس

(٢) كذا فى ط ، م ، ء . وفى سائر الأصول : « لعبدهم » . (٣) الجندلة : واحدة الجندل وهى الحجارة . (٤) أضب فى المكان : لزمه فلم يفارقه . (٥) الورس : نبات أصفر يكون باليمن يتخذ منه طلاء الوجه ، ونباته مثل نبات السمسم . (٦) المقرطب

٢٠ (بكسر الطاء) : الغضبان . (٧) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « ضرسا لضرس » . (٨) الكزاز (كغراب ورمّان) : داء يأخذ من شدّة البرد وتعترى منه رعدة .

(٩) نزن : نتهم .

رثاؤه لمحمد بن عروة

حدّثنى عمّى[1] قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله قال:
وَفَدَ عُرْوةُ بن الزُّبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيلَ بن يسار النّسائىّ، فمات فى تلك الوِفادة محمد بن عُروة بن الزُّبير، وكان مُطَّلِعًا على دوابّ الوليد بن عبد الملك، فسقط من فوق السطح بينها، فجعلتْ تَرْمَحه[2] حتى قطعته، وكان جميلَ الوجه جوادا. فقال إسماعيلُ بن يَسَار يرثيه:

صلّى الإلهُ على فتًى فارقتُه * بالشأم فى جَدَثِ الطَّوِىّ[3] المُلْحَدِ[4]
بوّأتُه بيدىَّ دارَ إقامةٍ * نائى المَحَلّة عن مَزار العُوَّدِ
وغبرتُ أُعْوِلُه[5] وقد أسلمتُه * لِصَفَا[6] الأماعِزِ والصَّفِيح[7] المُسْنَدِ
مُتَخَشِّعًا للدهر أَلْبَسُ حُلَّةً * فى النائبات بحَسْرةٍ وتجلُّدِ
أعنى ابنَ عُرْوةَ إنّه قد هَدّنى * فَقْدُ ابنِ عُرْوةَ هَدّةً لم تَقْصِدِ
فإذا ذهبتُ إلى العَزاء أَرُومُه * لِيَرَى المُكاشِحُ بالعزاء تجلُّدى
مَنَعَ التّعزّىَ أنّنى لفراقه * لَبِسَ العَدُوُّ علىّ جِلْدَ الأَرْبَدِ[8]
ونأى الصديقُ فلا صديقَ أَعُدُّه * لدفاع نائبة الزّمان المُفْسِدِ
فلئن تركتُكَ يا محمدُ ثاويًا * لَبِمَا[9] تروح مع الكرام وتغتدى

(١) فى م: «حدّثنى الحسن». وهو الحسن بن محمد عم صاحب الأغانى.
(٢) ترمحه: تضربه بأرجلها. (٣) الطوىّ: المراد به هنا القبر المعرّش بالحجارة والآجرّ.
(٤) ألحد القبر: عمل له لحدا. (٥) أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.
(٦) الصفا: جمع صفاة وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت. والأماعز: جمع أمعز، وهو المكان الصلب الكثير الحصى. (٧) الصفيح والصفيحة: واحد الصفائح وهى الحجارة العريضة.
والمسند: المتراكب بعضه فوق بعض. (٨) الأربد هنا: الأسد. (٩) كذا فى ى، ط، م. وفى سائر النسخ: «على الكرام».

كان الذى يزَع العدوَّ بدفعه * ويردّ نخوة ذى المِراح الأصيد(١)

فمضى لوجهته وكلّ معمَّرٍ * يوماً سيُدركه حِمامُ الموعد

دخل على عبد الملك ابن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثمة قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله عن أبيه :

٥ أن إسماعيل بن يَسَار دخل على عبد الملك بن مَرْوان لمّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلّم ووقف موقف المُنْشِد واستأذنَ فى الإنشاد . فقال له عبد الملك : الآن يا ابنَ يسار! إنّما أنت امرؤٌ زُبَيْرىٌّ ، فبأىّ لسان تُنْشِد؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغرُ شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثرَ غَناءً لأعدائك منّى ، وإنما أنا شاعرٌ مُضْحِك . فتبسّم عبد الملك ، وأومأ إليه

١٠ الوليد بأن يُنْشِد . فابتدأ فأنشد قولَه :

ألَا يا لَقَوْمى للرُّقاد المُسَهَّد * وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدى

وللحال بعد الحال يركبها الفتى * وللحُبّ بعد السَّلْوة المُتَمَرِّد

وللمرء يُلْحَى فى التصابى وقبلَه * صبا بالغوانى كلُّ قَرْمٍ مُمَجَّد

وكيف تَناسِى القلبِ سَلْمَى وحُبُّها * كجمرِ غَضًى بين الشَّراسيف(٢) مُوقَد

١٥ حتى انتهى إلى قوله :

١٢٥ / ٤

إليكَ إمامَ النّاس من بطن يَثْرِبٍ * ونِعْمَ أخو ذى الحاجة المُتَعَمِّد

رَحَلْنا لأنّ الجودَ منك خليقةٌ * وأنّك لم يَذْمُمْ جنابَك مُجْتَدى

ملكتَ فزِدْتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُمُ * إمامٌ من المعروف غيرِ المُصَرَّد(٣)

(١) المراح : الأشر والنشاط . والأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا . ومنه قيل للملك : أصيد ؛ لأنه لا يلتفت

٢٠ يمينا ولا شمالا . (٢) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن .

(٣) صرّد عطاءه : قلله ، وقيل : أعطاه قليلا قليلا .

وقُمْتَ[1] فلم تنقُض قضاءَ خليفةٍ * ولكن بما ساروا من الفعل تقتدى

ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونه * وأسندتَه لا تأتلى خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هِشَاماً والوليدَ ذخيرةً * ولِيَّيْنِ للعهد الوثيق المؤكَّدِ

قال : فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّما ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقطَّب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظرَ مُغْضَب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنما وَزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأول ، وقد قلتُ بعده :

وأمضيتَ عزماً فى سليمانَ راشدًا * ومَنْ يعتصمْ بالله مثلَك يَرْشُدِ

فأمر له بألفى درهمٍ صلةً ، وزاد فى عطائه ، وفرض له ، وقال لولده : أَعْطُوه ؛ فأعطَوْه ثلاثةَ آلافِ درهم .

استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر رمى به فى بركة ماء ونفاه الى الحجاز

أخبرنى عمِّى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمةَ قال ذكر ابن النَّطَّاح عن أبى اليَقْظان :

أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هِشَام بن عبد الملك فى خلافته وهو بالرُّصَافة جالسٌ على بِرْكةٍ له فى قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشِده مديحاً له ؛ فأنشده قصيدته التى يفتخر فيها بالعجم :

يا رَبْعَ رامةَ[2] بالعَلْياء من رِيمِ[3] * هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمى

(١) فى ى ، ط . « وقلت » . (٢) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة الى مكة . وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : رامة : هضبة أو جبل يبنى دارم . (٣) رئم (بكسر أوّله وهمز ثانيه وسكونه وقيل بالياء غير مهموز) : واد لمزينة قرب المدينة ، وقيل : على ثلاثين ميلا من المدينة ، وقيل : على أربعة برد من المدينة أو ثلاثة . (والبريد فرسخان أو أربعة فراسخ ، والفرسخ : ثلاثة أميال) .

مابالُ حَيٍّ غدتْ بُزْلُ المَطِيِّ بهـم * تَخْـدِى لغربتهم سَـيْرًا بتقحيمِ (١)
كأنّنى يوم سـاروا شاربٌ سَلَبَتْ * فؤادَه قهـوةٌ من خَمْـرِ دارُومِ (٢)

حتّى انتهى الى قوله :

إنّى وَجَدِّك ماعُودِى بذى خَوَرٍ * عند الحِفَاظِ ولا حَوْضِى بمهدومِ
أَصْلى كريمٌ ومجـدى لا يُقاس به * ولى لسانٌ كحَـدِّ السَّيفِ مسموم (٣)
أَحْمِى به مجدَ أقوامٍ ذوى حَسَبٍ * من كلّ قَرْمٍ بتاج المُلْكِ معمومِ
جَحَاجِحٍ سـادةٍ بُلْجٍ مَرَازِبةٍ (٤) * جُرْدٍ عِتَـاقٍ مَسَاميحٍ مَطَـاعيمِ
مَنْ مثلُ كِسْرَى وسابورِ الجنودِمعًا * والهُرْمُزانِ (٥) لفخرٍ أو لتعـظيمِ
أُسْدُ الكتائبِ يومَ الرَّوْعِ إنْ زَحَفُوا * وهمْ أذلُّوا ملوكَ التُّرْكِ والرُّومِ
يمشُـون فى حَلَقِ (٦) المـاذِىِّ سابغةً * مَشْىَ الضَّراغمةِ الأسْـدِ اللّهاميمِ
هناك إنْ تسألى تُنْبَىْ بأنّ لنـا * جُرْثومـةً (٧) قَهَرتْ عِزَّ الجراثيمِ

قال : فغضب هشـامٌ وقال له : ياعاضّ بَظْرِ أمّه ! أعلىّ تفخَر وإيّاىَ تُنْشـد قصـيدة تمدح بهـا نفسك وأعلاجَ قومك ! ! غُطُّوه فى المـاء ، فغَطُّوه فى البركة

(١) بزل (ككتب ويسكن) : جمع بزول ، والبزول : الناقة فى تاسع سنيها وليس بعده سن تسمى . وخدى الفرس والبعـير : أسرع وزجّ بقوائمه . والتقحيم : طىّ المنازل وعدم النزول بها ؛ يقال : قحّم المنازل اذا طواها ، وقحّمت الإبل راكبها : جعلتهم يطوون المنازل منزلا منزلا من غير أن ينزلوا بها .
(٢) داروم : قلعة بعـد غزّة للقاصد الى مصر ، والواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، خربها صلاح الدين لمـا ملك الساحل فى سنة ٥٨٤ هـ تنسب اليها الخمر . (٣) الظاهر أن هـذه الكلمة مرفوعة ، وبذلك يكون فى الشعر إقواء . على أنه يمكن أن يكون أصل الكلام : «إلى لسان ...» بدل «ولى لسان ...» . (٤) جحاجح : جمع جحجح ، والجحجح والجحجاح : السيد الكريم . والمرازبة : جمع مرزبان ، وهو رئيس الفرس . (٥) الهرمزان : الكبير من ملوك العجم . (٦) حلق : جمع حلقة وهى هنا الدرع . والمـاذى : الدروع السهلة اللينة أو البيضاء . واللهاميم : جمع لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس . (٧) جرثومة الشىء : أصله .

حتى كادت نفسه تخرُج، ثم أمر بإخراجه وهو بشَرّ ونفاه من وقته، فأُخرِج عن الرُّصافة منفيًّا إلى الحجاز. قال: وكان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروبا محروما مطرودا.

١٢٦ / ٤

اخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثمة قال قال آبن النطّاح وحدّثنى أبو اليَقْظان:

مدح الوليد والغمر آبنى يزيد فأكرماه

أنّ إسماعيل بن يَسَار وَفَد إلى الوليد بن يزيد، وقد أسنّ وضعُف، فتوسّل إليه بأخيه الغَمْر ومَدَحه بقوله:

نأتك سُلَيْمَى فالهَوَى مُتَشاجِرُ * وفى نَأْيها للقلب داءٌ مُخامِرُ
نأتك وهام القلب، نأيًا بذكرها[1] * ولَجّ كما لجّ الخليعُ المُقامِرُ
بواضحة الأقراب[2] خَفّاقة الحَشَى * بَرَهْرَهة[3] لا يَحْتَوِيها[4] المُعاشِرُ

يقول فيها يمدح الغَمْر بن يزيد:

إذا عدّد الناسُ المكارمَ والعُلا * فلا يَفْخَرَنْ يومًا على الغَمْرِ فاخرُ
فما مرّ من يوم على الدهر واحدٍ[5] * على الغَمْرِ إلّا وهو فى الناس غامِرُ
تراهم خشوعًا حين يبدو مهابةً * كما خَشَعَتْ يومًا لكِسْرَى الأساوِرُ[6]
أغَرُّ بِطاحِىٌّ[7] كأنّ جبينَه * إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهرُ

(١) أى نأتك نأيا وهام القلب بذكرها. (٢) الأقراب: جمع قُرب وهى الخاصرة. (٣) البرهرهة: المرأة البيضاء الشابة الناعمة. (٤) فى أكثر الأصول: «لا يستويها». وفى م: «لا يحتويها» وكلاهما تحريف. وما أثبتناه هو تصحيح الشنقيطى فى نسخته، وهو الذى يستقيم به المعنى. واجتواه: كرهه. (٥) فى م:

فما مر من يوم من الدهر واحد * من الغمر إلا وهو للناس غامر

(٦) كذا فى حـ، وبه صحح الشنقيطى نسخته. وفى سائر الأصول: «تبدو». (٧) البطاحىّ: نسبة الى البطاح، وهى التى كان ينزلها قريش البطاح، وهم أشرف قريش وأكرمهم. (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٤ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة).

وَقَى عِرْضَه بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ * له وأهانَ المالَ والعِرْضُ وافرُ
وفى سَيْبِه للمجتدين عمارةٌ * وفى سَيْفِه للدِّين عِزٌّ وناصر
نَمَاه إلى فَرْعَىْ لُؤَىِّ بن غالبٍ * أبوه أبو العاصى وحَرْبٌ وعامر
وخمسةُ آباءٍ له قد تتابعوا * خلائفُ عَدْلٍ مُلْكُهُمْ متواتِر
بَهالِيلُ سَبَّاقون فى كلّ غايةٍ * إذا آستبقتْ فى المَكْرُماتِ المَعاشر
هُمُ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا * إلى حيثُ أفضتْ بالبِطاح الحَزَاوِر(١)
وهمْ جمعوا هذا الأنامَ على الهُدَى * وقد فرقتْ بين الأنامِ البصائر

قال: فأعطاه الغَمْرُ ثلاثةَ آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

أخبرنى عمى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثمةَ عن مُصْعَبٍ قال:

لمّا مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيلُ على هشام ابن عُرْوَة، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه:

عِيلَ العَزَاءُ وخاننى صَبْرِى * لمّا نعَى النّاعى أبا بَكْرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدَّهرِ أفردنى * منه وأسْلَمَ للعِدَا ظهرى
من طَيِّبِ الأثواب مُقْتَبِلٍ * حُلْوِ الشمائل ماجدٍ غَمْرِ(٢)
فمضى لوِجْهتِه وأدركه * قَدَرٌ أُتِيحَ له من القَدْرِ
وغَبَرْتُ(٣) مالى من تَذَكُّرِه * إلّا الأَسَى وحرارةُ الصدر
وجَوًى يُعَاوِدُنى(٤) وقَلَّ له * منّى الجوى ومَحَاسِنُ الذِّكْر

(١) الحزاور: جمع حَزْوَرة، وهى الرابية الصغيرة، ومنها الحزورة: سوق مكة وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه. وفى الحديث: وقف النبى صلى الله عليه وسلم بالحزورة فقال: "يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إلىّ، ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك". (٢) الغمر: الكريم الواسع الخلق.
(٣) غبر هنا: مكث وبقى. (٤) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «يساورنى» بالراء.

لمّا هوتْ أيدى الرِّجال به * فى قَعْـرِ ذات جَوَانبٍ غُبْرِ
وعلمتُ أنّى لن ألاقِيَه * فى الناس حتّى ملتقَى الحَشْرِ
كادتْ لِفُرْقته وما ظلمتْ * نَفْسى تموت على شَفَا القبر
ولَعَمْرُ مَنْ حُبِس الهَدِىُّ له * بالأَخْشَبَيْنِ[1] صَبِيحةَ النَّحْـرِ
لو كان نيلُ الخُلْد يُدركه * بَشَرٌ بِطيبِ الخِيمِ والنَّجْرِ[2]
لَغَبَرْتَ لا تخشَى المَنُونَ ولا * أَوْدَى بنفسك حادثُ الدَّهرِ
ولَنِعْمَ مأوَى المُرْمِلين إذا * قُحِطُوا وأَخلفَ صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونةً وقد ذَرَفتْ * عينى فماءُ شؤونها يجرى
أنّى وأىُّ فتًى يكون لنا * شَرْوَاكَ[3] عند تَفَاقُمِ الأَمرِ
لِدفاع خَصْمٍ ذى مُشَاغَبةٍ * ولِعائلٍ تَرِبٍ أخى فقْـرِ
ولقدعلمتُ وإنْ ضمنتُ جَوًى * ممّا أجَنَّ كَوَاهِجِ الجَمْرِ
ما لامرئٍ دون المنيّة مِنْ * نَفَقٍ فيُحْرِزُه ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبَير ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ فى القول ، فلو قلتَ هذا فى رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيرا . فزجره هشام وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليسَك ، فشكره إسماعيل ، وجزاه خيرا . فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبَيرىّ وقال : ما أردتَ الى رجلٍ شاعرٍ مَلَك قولَه فصرَف أحسنَه الى أخيه ! مازدتَ على أن أغريتَه بعِرْضك وأعراضِنا لولا أنّى

(١) الأخشبان : جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى ، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان . ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك . (٢) الخيم : الطبيعة والسجية ، وقيل : الأصل . والنجر : الأصل . (٣) شرواك : مثلك .

تَلَافيتُه . وكان محمد بن يَسَار أخو إسماعيل هذا الذى رثاه[1] شاعرًا من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة . ولم أجِدْ له خبرًا فأذكُرَه، ولكن له أشعار كثيرة يغنَّى فيها . منها قوله فى قصيدة طويلة :

صــــوت

غَشِيتُ الدارَ بالسَّـــنَدِ * دُوَيْنَ الشِّعْبِ من أُحُدِ

عَفَتْ بعـــدى وغيَّرها * تَقَـادُمُ سالِفِ الأَبَدِ

الغناء لحَكَمٍ الوادِىّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشَامىّ .

ولإسماعيل بن يسار ٱبنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضا، وهو القائل :

مضَى الجهلُ عنكَ إلى طِيَّتِهْ * وآبَكَ حِلْمُكَ من غَيْبَتِهْ[2]

وأصبحتَ تَعْجَبُ مما رأيـ * ـتَ من نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرَّتِهْ

وهى طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهتُ الإطالةَ بذكرها .

انقضت أخباره .

صــــوت[3]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيْسَرَ جُرْمًا منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

رَمَى ضَرْعَ نابٍ فٱستمرّ بطعنةٍ * كحاشيةِ البُرْدِ اليَمَانى المُنَمْنَمِ[4]

عروضه من الطويل . الشعر للنابغة الجعدىّ . والغناء للهذلىّ فى اللحن المختار، وطريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . ونذكر هاهنا

(١) كذا فى م : وفى سائر الأصول : « أخو إسماعيل هذا رثاه شاعرا ... » .
(٢) فى حـ : « من غيه » والغية : الضلال والفساد . (٣) فى م : « صوت من المائة المختارة » . (٤) برد منمنم : مرقوم موشى . وفى م فى هذا الموضع : « المسهم » كما فى سائر الأصول فيما يأتى .

سائر ما يغنّى به فى هـذه الأبيات وغيرها من هـذه القصيدة ونَنْسُبه إلى صانعه (1) ، ثم نأتى بعده بمـا يتبعه من أخباره . فمنها على الوِلاء سوى لَحْنِ الهُذَلىّ :

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرْمًا منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنـةٍ * كحاشيـةِ البُرْدِ اليمـانى المسهّمِ (2)

أيا دارَ سَلْمَى بالحَرُورِيّة (3) آسْلَمِى * إلى جانب الصَّمّانِ (4) فالمُتَثَلَّمِ (5)

أقامتْ به الـبَرْدَيْن ثم تذكّرتْ * منازلَهـا بين الدَّخُولِ فجُرْثُمِ (6)

ومسكنُها بين الغُروب (7) إلى اللِّوى * إلى شُـعَبٍ ترعَى بهنّ فَعَيْهَـمِ (8)

ليـالىَ تَصـطادُ الرجالَ بفاحمٍ (9) * وأبيضَ كالإغريض لم يَتَثَـلَّمِ

فى البيت الأوّل والثـانى لآبن سُرَيج ثقيـلٌ أوّلُ آخَرُ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيهما لمـالك (10) خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَرِيض فى الثالث والرابع والأوّل والثانى ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولإسحاق فى الثالث والأوّل ثقيل أوّل بالوسـطى (11) ، ذكر ذلك أبو العُبَيْس والهِشَامىّ . وللغَرِيض فى الرابع ثم الأوّل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى فى رواية

(1) فى م : « الى صاحبه » . (2) البرد المسهم : المخطط . (3) قال ياقوت : الحرورية منسوب فى قول النابغة الجعـدى حيث قال ، ثم ذكر البيتين : أيا دار سـلمى ، والذى بعـده . وربمـا كانـ منسوبا الى حروراء ، وهى رملة وعثـة بالدهناء ، أو موضع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا علىّ بن أبى طالب ، فنسبوا اليـه . (٤) الصمان : بلد لبنى تميم أرضـه صلبة صعبة الموطئ . (٥) المتثلم (رواه أهل المدينـة بفتح اللام وهو الذى ضـبطه به ياقوت ، ورواه غيرهم من أهـل الحجاز بالكسر) : موضع بأوّل أرض الصمان . (٦) جرثم : ماء من مياه بنى أسد تجاه الجواء ، كما قال البكرى فى معجم ما استعجم ، واستشهد بقول النابغـة الجعدى وذكر البيت هكذا : أقامت به البردين ثم تذكرت * منازلها بين الجـواء وجرثم

(٧) الغروب : موضع لم يعينه ياقوت وقال : ذكره صاحب البيان . (٨) عيهـم : موضـع على طريق اليمامة الى نجد . (٩) الفاحم : الشعر الأسـود الحسن . والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كافوره . يريد بذلك وجهها . (١٠) هذه الكلمة ساقطة فى ب . (١١) فى م : « بالبنصر، ولابراهيم فى الأوّل والثانى ثقيل أوّل بالوسطى ذكر ذلك أبو العنبس ... الخ » .

عمرو بن بانَةَ . ولمَعْبَد فيهما(١) وفى الخامس والسادس خفيفُ ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكىّ . ولابن سُرَيج فى الخامس والسادس ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية علىّ(٢) بن يحيى المنجّم، وذكر غيره أنّه للغَـرِيض . ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ، وذكر حَبَشٌ أنه لمعبد . ولابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى والثالث والرابع هَزَجَ، ذكر ذلك أبو العُبَيس(٣)، وذكر قُمْرِىّ أنّه لأبى عيسى بن المتوكل لايشكّ فيه .
٥ وللدَّلَال فى الخامس والسادس ثانى ثقيلٍ عن الهِشَامىّ، وذكر أبو العُبَيس أنّه للهُذَلىّ . ولعُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر فى الرابع خفيفُ رَمَلٍ . ولإسحاق فى الثالث والرابع أيضا ماخُورِىّ، ولمَعْبَد خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما، وقيل: إنّه لحنه الذى ذكرنا متقدّما ، و إنه ليس فى هـذا الشعر غيره . وذكر حبشٌ أنّ فى هـذه
١٠ الأبيات التى أوّلها : « كليبٌ لعمرى » خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى ، وللهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر، وللدَّلَال رَمَلٌ؛ فذلك ثمانيةَ عَشَرَ صوتا . وأخبرنى محمد بن إبراهيم قريص أنّ له فيهما (أعنى الأوّل والثانى) خفيفًا(٤) بالوسطى .

(١) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « فيها » . (٢) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « على بن أبى يحيى المنجم » . وهو تحريف . (٣) فى م : «أبو العنبس» أنظر الحاشية رقم ٤
١٥ ص ٩٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة . (٤) فى م : « خفيف ثقيل بالوسطى » .

انتهى الجزء الرابع من كتاب الأغانى
ويليه الجزء الخامس
وأوّله ذكر النابغة الجعدىّ ونسبه وأخباره

فهرس

الجـــزء الرابع من كتاب الأغانى

فهـــرس أسمـاء الشـــعراء

فهرس رجال السند

(١) ورد هذا الاسم في الصفحة الثامنة : « يزيد » وهو تصحيف . وصوابه (بالباء المضمومة والراء) .

(١) ورد فى ص ٧٨ (بفتح الهاء) وصوابه بكسرها كما فى ص ٤٠٥

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

فهـــــرس المغنين

(ا)

فهـــرس رواة الألحان

فهـــرس الأعـــلام

(ا)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(أ)

(غ)

(ف)

(ق)

فهـــرس أسمـاء الأماكـن

(أ)

(ب)

فهـــــرس أسماء الكتب

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ق)

(ك)

فهـــرس القـــوافى*

(*) ملاحظة : ليس من الأحرف التالية الحروف : ث، خ، ذ، ز، ش، ط، ظ .

(ر)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
أنا	وبيكرُ	طويل	١٢:٦٣
أفي رسم	يخبرُ	»	١٦:٢٨٥
أعيرتنا	ظاهرُ	»	٢٢:٣٠٤
ستبلى	السرائرُ	»	٢:٢٤٨
تأتك	بخامرُ	»	٨:٤٢٤
فليت	عشيرُ	»	٦:٤٠٤
أدور	أدورُ	»	١٣:٢٤٧
تعودت	الصبرِ	»	١٤:٩٢
ألم تر	الفقرِ	»	١٥:٩٨
إذا أنا	الدهرِ	»	١٦:٩٣
أبا جعفر	بالوفرِ	»	١٤:٧٨
أحار	نصري	»	٦:٣٦٨
تلق	بشاعرِ	»	٨:١٦٠،١٢:١٥٧
خطبت	عامرِ	»	١٦:٣٩٤
هارون	حنابرُهْ	»	٧:١٥
محجوبة	السمرُ	بسيط	٧:٢٧٥
إن الأيام	مستطرُ	»	١٨:١٢١
أنعى	الحضرِ	»	١:٣٣
أهوى	وأشعاري	»	٦:٢٣٨
جاء	انبرا	»	٥٠:٤٣
طاف	مخضرَا	»	٨:٢٩٨
من الخفرات	شارَا	وافر	١:٣٦٤
هي الأيام	ينتظرُ	مجزوء الوافر	١:٨١
يا حار	يغدرِ	كامل	٥:١٥٥

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
بفناء	مقمرِ	كامل	٤:٣٢١
واعتام	جوهرِ	»	١٦:٣١٧
يا دار	الأحمرِ	»	٤:٣٢٢
عيل	أبا بكرِ	»	١٢:٤٢٥
أعرفت	الغمرِ	»	٨:٣٠
لا تبتغي	المعصارِ	»	١:٣٧٣
قدم	الأشجارِ	»	٩:٣٣١، ٣٣٤:١٣
ولي	خمارَا	»	١٢:٨٩
هذا	ودورُهْ	مجزوء الكامل	١:٤٠٠،٦:٣٩٩
طفى	والسديرِ	»	٧:٩٤،١٧:٦٠
ليس	الصبرِ	مربع	٥:١٠٨
ما أسرع	العمرِ	»	١٥:٨٨
يا قرة	صدري	»	١٢:٣٦٥
من صدق	غرور	»	١٠:٥٩
مالك	كدرَهْ	منسرح	١:٢٢
يضطرب	فكر	»	٩:٦٠
كل دين	زورُ	خفيف	١٤:١٢٢
صرمت	قصارُ	»	١٠:٢٥١
ليت	عمري	»	١٧:٤٦
إن جلا	وازورارا	»	١١:٤١٠
مرت	ساحرَهْ	مجزوء الخفيف	١:٨٤
يا بني	والحورْ	»	١٥:٨٢
طربت	تحذرُ	متقارب	١٣:٢٩٨

(س)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
لا تأمن	الحرس	بسيط	١٥:١٠٦
أرقت	يواسوا	وافر	٢:٦٤

فهـــــرس أنصـاف الأبيـات

مرتبـــة حسب أوائل كلماتهـا

فهــــرس أيام العــــرب

فهــــرس الأمثــــال

فهـــــرس الموضـــــوعات

أخبار فريدة

ذكر الخبر عن غزاة بدر

صوت من المائة المختارة

نسب علس ذى جدن وأخباره

أخبار طويس ونسبه

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

صفحة

ذكر أخبار أبى سعيد مولى فائد ونسبه

ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بنى أمية

صفحة

ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره

أخبار فليح بن أبى العوراء

صفحة

ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه

صفحة

ذكر أخبار يونس الكاتب

أخبار ابن رهيمة

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

*
* *

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الرابع من "كتاب الأغانى"
لأبى الفرج الأصفهانى (الطبعة الثانية) بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الأحد
٢ صفر سنة ١٣٧٠ (١٢ نوفبر سنة ١٩٥٠) م

محمد نديم

مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١١٣/١٩٤٨/٢٠٠٠)

